أبحاث فوق القمة



الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعى

أبحاث فوق القمة

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعى



المهندس عدنان الرفاعى

كاتب ومفكّر إسلامى

من مؤلفـــاته

- النظرية الأولى (المعجزة)
- النظرية الثانية (القَدَر)
- النظرية الثالثة (الحق المطلق)
- النظرية الرابعة (الحكمة المطلقة)
- النظرية الخامسة (إحدى الكُبَر)
- النظرية السادسة (سُلّم الخلاص)
- الحق الذى لا يُريدون
- قصة الوجود
- المُعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جرئ)
- محطات فى سبيل الحكمة
- نقد نقد النظرية الإعجازية فى القرآن الكريم
- الدولة الحرّة مطلب قرآنى
- أبحاث فوق القمة

المهندس عدنان الرفـــاعى

المؤلّف : عدنان غازي الرفاعي

العنوان : سورية – درعا – تل شهاب

هاتف : ٠٠٩٦٣٩٥٥٢٥٢٣٠٠

البريد الإلكتروني :

adnan.re@hotmail.com

المقدّمة

المهندس
عدنان
الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩]

.. تدبّر آيات كتاب الله تعالى ، كمقدِّمة للتذكّر ، وما ينتج عنه من إتّباع ، هو ذروة العبادة ، وذروة الطاعة التي يأمر الله تعالى بها ..

.. والأعراب (كونهم ينطقون لغة كتاب الله تعالى) ومن يدور في فلكهم ، لا تنتهي مشكلتهم عند الإعراض عن تدبّر آيات كتابه الكريم ، بل تتعدَّاها إلى محاربة كلّ متدبّر لآيات كتاب الله تعالى ، وتتعدّى ذلك إلى الركض خلف كلِّ شذوذٍ فكريٍّ مهما بلغت درجة معارضته لدلالات كتاب الله تعالى ، ما دام يحاكي الظلام والكفر المتأصّل في نفوسهم ..

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧]

.. ومن يقرأ الموروث الفكري لهذه الأمّة ، من العقيدة إلى الفقه ، من منظار مجرَّد عن الأهواء والعصبيّات ، يرى كيف تمَّ الإعراض عن كثيرٍ من الدلالات الجليّة في كتاب الله تعالى ، وكيف تمّ اعتماد أحكام يحمل كتاب الله تعالى نقيضها .. وقد بيّنت في كتبي وأبحاثي وبرامجي ، الكثير من مخالفة الموروث التفسيري للدلالات الجليّة التي تحملها نصوص كتاب الله تعالى ..

.. وهناك من منتقدي الموروث مَن غرق في مستنقع تصوّراته الخاصّة إلى درجة أعمق من غرق الموروث ذاته ، وسبب ذلك هو عدم إتّباع منهجيّة علميّة سليمة في تناول آيات كتاب الله تعالى .. وهنا .. يزداد عمق التيه في نفوس المتلقّين الباحثين عن الحقيقة .. وهنا .. يزداد الفكر تشرذماً وتخبّطاً ، ويبتعد أبناء الأمّة عن المنظار الحقّ الذي يجب أن ينظروا منه إلى دلالات كتاب الله تعالى ..

.. هذا الكتاب هو مجموعة أبحاث لمواضيع مختلفة .. لكن .. يجمعها رابطان .. الأوَّل هو استنباط الأفكار المعروضة فيه بآليّة البحث العلمي السليم المجرَّد ، البعيد عن أيِّ هوى مذهبي أو طائفي أو ذاتي .. والثاني هو تناول بعض المسائل الهامّة التي تمَّ التلبيس عليها في موروثنا التفسيري لآيات كتاب الله تعالى ..

.. أرجو الله تعالى أن يكون تبياناً لرسم صورة منهج البحث السليم ، لمن يبحث عن الحق ، وأن يزيل الغبار الموروثة ، عن المنظار الذي يُنْظَر من خلاله إلى بعض آيات كتاب الله تعالى ..

المهندس
عدنان
الرفاعي

وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ

ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. النور .. من الله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور : ٣٥] .. والقرآن الكريم ، يصفه الله تعالى بـــ ﴿ ٱلنُّورَ ﴾ : [[﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [النور : ٣٥] ،، ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [التغابن : ٨]]] .. ولا يمكن للنور أن يُطمَسَ في الظلام .. بل يتجلّى أكثر حينما يهجم الظلام .. فالظلام في زاويةٍ ما ، ليس أكثر من مؤشّر على عدم وجود النور فيها ..

.. ومَن يخشون النور ، ويتوهَّمون طمسَه أمام الظلام ، يتوهّمون وجود تناقضٍ في نصِّ كتاب الله تعالى ، فيسعون جاهدين لإيجاد تناقضٍ يقدح في مطلق صياغته اللغويّة ..

.. توهَّموا وجود تناقض بين قوله تعالى ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ، وقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، من جهة ، وبين قوله تعالى ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥] من جهةٍ أُخرى ... فقالوا الحمل مدّته (٩) أشهر ، والفصال في عامين ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ يعني في (٢٤) شهراً ، فالمجموع للحمل والفصال هو (٣٣) شهراً ، وليس (٣٠) شهراً ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ .. هكذا قالوا ..

.. هذا الوهم بوجود تناقض بين هذه النصوص الكريمة مردّه أمران :

١ – التقصير في التفسير الموروث الذي لم يُحمَل على حامل تفعيل العقل المجرَّد في تدبّره لنصوص كتاب الله تعالى .. فلو أُعطي كتابُ الله تعالى حقَّه من التدبّر ، لما سقط أحدٌ بكلِّ هذه الأوهام ، أو على الأقل لقُطع الطريق أمام كلِّ من يريد الإساءة لكتاب الله تعالى ..

٢ – وضْع هؤلاء المتوهّمين لنتيجة مسبقة الصنع حاملها الإساءة لكتاب الله تعالى ، ثمَّ بعد ذلك البحث لها عن مقدِّمات ، دون إدراك حقيقة الصياغة اللغويّة لهذه العبارات القرآنيّة ..

.. الفصال المعني في قولِه تعالى : ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ، يعني : بلوغ المولود مرحلة ينتهي بها اعتماده المباشر في غذائه على أمّه .. فبعد الولادة ، يبلغ المولود هذه المرحلة (الفصال) في مدّة لا تتجاوز العامين ..... ونحن نعلم أنَّ الولادة الطبيعيّة تتمّ بعد بداية الحمل بتسعةِ أشهر .. ولكن .. قد تكون هناك ولادة قبل ذلك ، ويكون المولود فيها مكتملاً ، وعنده مقوّمات الاستمرار في الحياة .. ووسطيّاً فإنَّ الحدَّ الأدنى لهذه الولادة تكون باكتمال نهاية إتمام ستّة أشهر من بداية الحمل .. فبشكلٍ عام .. الولادة التي يعيش فيها المولود ، لا بدَّ لها من اكتمال ستّة أشهر على بداية الحمل ..

.. من هنا نرى أنَّ الفارق بين جمع الحمل مع الفصال : **﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾** ، وبين الفصال وحده : **﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾** (٢٤) شهراً ، هو (٦) أشهر ، وهو المدّة التي لا بدّ منها في الحمل لولادة الإنسان في هذه الحالات الطارئة ..

.. وهنا سؤالٌ يطرح نفسه .. لماذا الفارق بين الحمل مع الفصال من جهة ، وبين الفصال من جهة أُخرى ، يطابق الحدَّ الأدنى الذي لا بدَّ منه في الحمل ، للحالات الاستثنائيّة والطارئة وهي (٦) أشهر ، ولا يطابق الحالة العامّة للحمل وهي (٩) أشهر ؟!!! ..

.. نقول : هذا الفارق جاء مبيِّناً للحدَّ الأدنى الذي لا بدّ منه في الحمل ، لتشمل دلالات هاتين العبارتين القرآنيّتين كلَّ الحالات ، سواء الطبيعيّة أم الطارئة .. ومن قال إنَّ هذا الفارق لا يشمل الحالة العامّة للحمل ، وهي (٩) أشهر ؟!!! ... العبارة القرآنيّة : **﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾** لم تُوضَع فيها كلمة : **﴿ فِى ﴾** عبثاً وحشواً لا فائدة منه ..... فالله تعالى لم يقل : (**وَفِصَالُهُ عَامَان**) ، إنّما يقول : **﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾** ، بمعنى يتمُّ الفصال ما بعد الولادة ، خلال فترّة تمتد حتّى عامين ، ولا يعني ذلك حتميّة وصول نهاية العامين لكلِّ الحالات .. وهذا نراه في دلالة كلمة : **﴿ فِى ﴾** في قوله تعالى : **﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾** ..

.. فالتصوّر الذي توهّمه من تخيّلوا تناقضاً بين هذه العبارات القرآنيّة ، تناسبه الصياغة : (**وَفِصَالُهُ عَامَان**) ، بمعنى على نهاية العامين من الولادة يكتمل الفصال لكلِّ الحالات .. بينما صيغة كتاب الله تعالى : **﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾** ، تعني : ويكتمل الفصال في فترة ضمن العامين ، بحيث يكون العامان سقفها ..

.. من هنا نرى أنَّ المولود الذي ولد لتمام ستّة أشهر يكون فصاله عامين كاملين .. حمله (٦) أشهر وفصاله عامان (٢٤) شهراً ، وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ .. والمولود الذي ولد لسبعة أشهر ، يكون فصاله عامين إلاَّ شهراً .. حمله (٧) أشهر وفصاله (٢٣) شهراً ، وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ ، وهو بذلك ضمن دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ فِى عَامَيْنِ ﴾ .. والمولود الذي ولد لثمانية أشهر ، يكون فصاله عامين إلاَّ شهرين .. حمله (٨) أشهر وفصاله (٢٢) شهراً ، وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ ، وهو بذلك ضمن دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ فِى عَامَيْنِ ﴾ .. والمولود الذي ولد لتسعة أشهر يكون فصاله عامين إلاَّ ثلاثة أشهر .. حمله (٩) أشهر وفصاله (٢١) شهراً ، وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ ، وهو بذلك ضمن دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ فِى عَامَيْنِ ﴾ ..

.. إذاً .. هذه العبارة القرآنيّة : ﴿ فِى عَامَيْنِ ﴾ ، تشمل دلالاتها كلَّ هذه الاحتمالات ، فكلُّ هذه الاحتمالات تكون خلال عامين ، يعني خلال فترة لا تتجاوز العامين .. وكلُّ ذلك تحمله دلالة كلمة : ﴿ فِى ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ ..

.. بينما في العبارة القرآنيّة المصوِّرة لمجموع الحمل مع الفصال ، لا نرى وجود كلمة ﴿ فِى ﴾ ، فالمجموع ما بين الحمل والفصال تتداخل ضمنه هذه الاحتمالات ، بحيث يكون المجموع لأيٍّ من هذه الاحتمالات ثلاثين شهراً ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ ..

.. فالذي ولد لستّة أشهر فصاله عامان تامان وبالتالي فالمجموع هو ثلاثون شهراً .. والذي ولد لسبعة أشهر فصاله عامان إلا شهراً وبالتالي فالمجموع ثلاثون شهراً ، والذي

ولد لثمانية أشهر فصاله عامان إلا شهرين وبالتالي فالمجموع ثلاثون شهراً ، والذي ولد لتسعة أشهر فصاله عامان إلا ثلاثة أشهر وبالتالي فالمجموع ثلاثون شهراً ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ ﴾ ، دون كلمة : ﴿ فِي ﴾ .. ونرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة : ﴿ فِي ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ ﴾ ..

.. أمّا بالنسبة لقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، فنرى فيها العبارة ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ ... فالرَّضاعة ناقصة عن الحولين ، وإتمامها (تعويض نقصها) يكون بتمام الحولين .. بمعنى : تمام الرَّضاعة (وليس الرَّضاعة) هو حولان كاملان .. إذاً .. الرَّضاعة ليست حولين كاملين .. ولا تكون حولين كاملين إلاَّ كسقفٍ لإتمام النقص ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ ..

.. الرَّضاعة هي في معناها المجرَّد : اعتماد المولود على أمّه في غذائه بشكلٍ مباشرٍ منها ، كونه ليس مؤهّلاً لأخذ غذائه كالكبار .. والمولود الذي وضعته أمّه قبل تسعة أشهر ، حصل عنده نقص لا بدَّ من تعويضه ، فالفترة الفاصلة بين وضعه وبين تمام الشهور التسعة للحمل ، هي فترة كان يجب أن يأخذ فيها غذاءه من أمّه مباشرة وهو في بطنها ، وبالتالي لا بدّ من تعويض ذلك بالرضاعة فترة إضافيّة بعد ولادته ..

.. وهنا نعود للاحتمالات التي رأيناها ما بين الحمل والفصال .. فالذي وُلد لستة أشهر وفصاله – كما رأينا – عامان ، رضاعته حولان كاملان ، وهنا الرَّضاعة ساهمت بإتمام النقص الذي حصل لهذا المولود ، وهو (ثلاثة أشهر) كان من المفترض أن يبقى بها

داخل رحم أمّه ، يأخذ فيها غذاءه من بطن أمّه .. وهذه الحالة هي سقف إتمام الرَّضاعة ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ ..

.. والذي ولد لسبعة أشهر وفصاله — كما رأينا — عامان إلاّ شهراً ، رضاعته حولان إلاَّ شهراً ، وهنا الرَّضاعة ساهمت بإتمام النقص الذي حصل لهذا المولود ، وهو (شهران) كان من المفترض أن يبقى بها داخل رحم أمّه .. والذي ولد لثمانية أشهر وفصاله — كما رأينا — عامان إلاَّ شهرين ، رضاعته حولان إلاَّ شهرين ، وهنا الرَّضاعة ساهمت بإتمام النقص الذي حصل لهذا المولود ، وهو (شهر) كان من المفترض أن يبقى به داخل رحم أمّه .. والذي ولد لتسعة أشهر وفصاله — كما رأينا — عامان إلاَّ ثلاثة شهور ، رضاعته حولان إلاَّ ثلاثة أشهر ، وهذا المولود ولادة طبيعيّة ، لا يوجَد عنده نقص تكمله الرَّضاعة ، فرضاعته حولان إلاَّ ثلاثة أشهر ..

.. هذه الأحكام كلّها ، ما كان لنا أن ندركها إلاَّ بهذه الصياغة المطلقة لعبارات كتاب الله تعالى ، وبالبحث المجرّد في هذه العبارات الكريمة ..

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

.. وهنا قد يسأل سائل .. هل كلمة ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، هل تشمل حالة الجنين وهو في رحم أمّه قبل أن تضعه أمّه ؟ .. فما قدّمناه في سياق هذا البحث مبنيٌّ على أنَّ الجنين وهو في بطن أمِّه يُسمَّى في كتاب الله تعالى مولوداً ، قبل أن تضعه أمّه ، وبعد أن تضعه ..

.. نقول : نعم .. في لغة كتاب الله تعالى ، الجنين في بطن أمّه يُسمّى ولداً قبل وضعه ، وبعد وضعه .. ولو عدنا لكتاب الله تعالى لرأينا أنَّ خروج الجنين من بطن أمّه يسمّى وضعاً ، وليس ولادة ..

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ .... ﴾ [آل عمران : ٣٦]

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا .... ﴾ [الحج : ٢]

﴿ .... وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ .... ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ .... وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ .... ﴾ [فصّلت : ٤٧]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ .... ﴾ [الأحقاف : ١٥]

﴿ .... وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ .... ﴾ [الطلاق : ٤]

﴿ .... وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ .... ﴾ [الطلاق : ٦]

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ الولادة تكون ببداية الحمل ، وليس بوضع الحمل .. وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى ..

﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود : ٧٢]

.. فقول امرأة إبراهيم عليه السلام ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ ﴾ تعني به : أأحمل وأنا عجوز وزوجي طاعن في السن ؟!!! .. فتعجّبها هو في حملها وهي عجوز

وزوجها (إبراهيم عليه السلام) طاعن في السن .. ولا يمكن أن يكون تعجّبها محصوراً بآليّة الوضع ..

.. واستفسار مريم عليها السلام عن كيفيّة أن يكون لها ولد ، هو عن كيفيّة حملها دون أن يمسَّها رجل ، وليس عن كيفيّة وضع الحمل ..

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ .... ﴾ [آل عمران : ٤٧]

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ في الآية التالية ، ليست محصورة فقط في الأولاد بعد وضعهم ، إنّما تشمل أيضاً الأولاد وهم في بطون أمّهاتهم ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢]

.. فخلق الإنسان كإنسان يبدأ قبل وضعه ..

﴿ .... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ .... ﴾ [الزمر : ٦]

.. لذلك .. نرى في الآية التالية أنَّ رزق المرأة وكسوتها على الرجل ، ليس فقط بعد وضعها لولدها ، إنّما قبل ذلك وهو في بطنها ..

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ .... ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

.. من هنا نرى أنَّ الإجهاض هو عملية قتل للولد ، وهذا ما يحرمه الله تعالى ..

﴿ .... وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ .... ﴾

[النساء : ١١]

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٣١]

.. أنا لا أقف الآن – في هذا السياق – عند الحالات الطارئة ، التي على الطبيب فيها أن يختار ، إمّا حياة الأم ، وإمّا حياة ولدها الذي في رحمها .. فذلك موضوع آخر .. أنا أقول : الإجهاض – في الحالة العامّة التي لا تهديد فيها لحياة الأم – هو عملية قتل للولد ..

.. إذاً .. في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) .. نرى أنّ كلمة ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] تشمل حالة الولد وهو في رحم أمّه ، قبل أن تضعه أمّه ؟ .. وبالتالي فمذهبنا التفسيري الذي رأيناه في هذا البحث ، من اعتبار مرحلتين من الإرضاع .. مرحلة بعد اكتمال خلق الولد في بطن أمّه ، وهي تمتد من نهاية بداية الحمل بستة شهور إلى الوضع .. ومرحلة ما بعد وضعه .. هو مذهب ينسجم مع دلالات كتاب الله تعالى ، لأنّه في الأصل مستنبط من دلالات آيات كتاب الله تعالى ..

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم

مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصّلت ٥٣]

.. نواميس الله تعالى وسننه التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر في كتابه المنشور (الكون) ، يرفع الله تعالى الغطاء عنها للبشر جيلاً بعد جيل ، وبشكلٍ تصاعدي مع تطوّر الحضارات البشريّة ، لدرجة تصل بها البشريّة إلى اليقين الكامل أنَّ كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) حقٌّ من عنده جلّ وعلا ، كون كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) يحمل بظاهر صياغته اللغويّة وباطنها ، جذور هذه النواميس ..

.. فاكتشاف الحقائق الكونيّة في الأفاق والأنفس ، ورؤية حمل القرآن الكريم لها ، هو تبيان للبشر أنَّ منزِّل القرآن الكريم هو ذاته خالق هذا الكون ..

.. في سياق هذا البحث سنتناول بإذن الله تعالى مسألةً هامّة للغاية ، هي مسألة خلق الإنسان ، ما بين كتاب الله تعالى المنشور ، وكتاب الله تعالى المقروء .. فهذه المسألة خاض بها الخائضون بنوايا مختلفة ، لكن بالنتيجة معظمهم أساء لدلالات كتاب الله تعالى ، إمّا عن غير قصد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وإمّا عن قصد بهدف النيل من كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ..

.. مسألة خلق الإنسان وتكاثره في هذا العالم ، لها تعلُّقها بخلق جسم أبي البشريّة آدم عليه السلام ، وزوجته ، وبالهبوط الجسمي لهما كقيمة خلْقيّة ، نتيجة أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها ، وبعد ذلك لها تعلّقها بناموس التكاثر الذي يحكم حركة الحياة في هذا العالم ، كون الجسم البشري الذي تسكنه أنفسنا ، هو وريث ذلك الجسم الأوَّل ..

.. ما يجب علمه أنَّ قصّة الإنسان لم تبدأ بوجوده جسماً في هذه الأرض ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد – في هذا الكون – المكوَّن من ثنائيّة النفس والجسم ، والقرآن الكريم يبيّن لنا أنّنا (كأنفسٍ مجرّدةٍ عن هذا العالم المادّي) موجودون قبل سجود الملائكة لآدم عليه السلام (آدم النفس والجسم) ، وأنّ وجودنا — آنذاك — هو وجودٌ عاقلٌ ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

.. هذه الصورة القرآنيّة تبيِّن لنا أنّ الله تعالى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال — عرضاً غيرَ إجباريٍّ — بغية حملها .. ودليلنا على أنّ هذا العرضَ — غير الإجباري — هو بغية حمل الأمانة .. دليلنا هُو قولُه تعالى **﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾** .. وقد بيّنت في كتاب قصّة الوجود أنَّ الأمانة المعروضة هي خلافة الله تعالى في عالم الأسباب ، بمعنى : إعطاء حريّة الاختيار من طاعة وعصيان ، وذلك في عالم الأسباب الماديّة الحسـيّة.

.. ومن هنا نرى – بهذه الخصوصيّة من التكليف في عالم الحس – استثناء عالم الجـــن ، المكلّف في عالمٍ آخر غير عالم المادّة والحس الذي تنتمي إليه أجسامنا ..

.. فمسألة عرض الأمانة على المخلوقات وانفراد الإنسان بحملها ، لم ترد في كتاب الله تعالى إلاّ في هذه الآية الكريمة ، لذلك فهذه الآية ، هي مسألة كامة ..

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] = **٥١٣ = ١٩ × ٢٧**

وممّا يؤكّد ذلك .. أنّ الله تعالى – وبعد أن اختار الإنسانُ (النفس) حملَ الأمانة – أخذَ العهدَ والميثاق من جميع الأنفس البشريّة ، بأنّه سيُنزل البشرَ من عالم الأنفس إلى عالم المشيئة (عالم الجزئيّات) ، ليمتحنهم عبر أجسامٍ مادّيّةٍ ، يتوالدون بها من بعضهم بعضاً ، وأنَّ غرقهم في هذا العالم المادّي ، وفي التفاعل مع الجزئيّات ، يجب ألاّ يجعلهم في غفلـــةٍ عن الأمانة التي تمّ تعهُّدُهُم بحملها ..

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣]

.. فقوله تعالى : ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ ﴾ ، يختزل الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني آدم في عالم الأنفس .. لذلك .. من الطبيعي أن تتكامل هذه العبارات القرآنيّة مع قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ

ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ [المائدة : ٧] ، الذي يطلب الله تعالى به من بني آدم أن يتذكّروا ذلك الميثاق الذي أشهدهم به على أنفسهم ..

﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] = ٢٧١

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ ﴾ [المائدة : ٧] = ٤١٣

٢٧١ + ٤١٣ = **٦٨٤ = ١٩ × ٣٦**

.. الله تعالى يقول ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ .. والظهور هو ظهور جميع أفراد بني آدم دون استثناء .. وكلمة ﴿ ظُهُورِهِمۡ ﴾ هي من الجذر (ظ ، هـ ، ر) ، ودلالات هذا الجذر تعني : علا وبان وارتفع .. وهذه بعض النصوص القرآنيّة التي تبيّن ذلك ..

﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ [التوبة : ٨]

﴿ .... حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة : ٤٨]

﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف : ٩٧]

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١]

﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦]

﴿ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾ [الفتح : ٢٨]

﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤]

.. أمّا بالنسبة لورود بعض مشتقّات هذا الجذر اللغوي ، كقيمة دلاليّة تتعلّق بجزء من الجسد المادّي ، وهو الجزء الحاوي للعمود الفقري ، فهذا من جهة الحيثيّة الخاصّة بتعلّقها بالسياق المحيط ، وهي في كلّ الحالات لا تخرج عن دلالات جذرها اللغوي .. مثلاً .. في قوله تعالى ..

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦]

.. نرى أنّ السياق كلّه سياقٌ ماديٌّ حسيٌّ يتعلّق بالبقر والغنم ككائنات ماديّة حسيّة ، أعلى منطقة في جسدها هي ظهورها .. فحتّى في هذا السياق المتعلّق بحيثيّة جسديّة ، لم تخرج كلمة ﴿ ظُهُورُهُمَآ ﴾ عن دلالات جذرها الغوي .... وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٨]

.. وكذلك في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٢ - ١٣]

.. لكن .. في قوله تعالى ..

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١]

.. هل من الممكن تصوّر المعنى بأنّه محصورٌ بمسكهم لنسخة ماديّة من كتاب الله تعالى ، ثم قيامهم بقذفها للخلف ؟ .. أم أنَّ المعنى هو إبعاد الحقِّ (والاقرار به) الذي يحمله كتاب الله تعالى ، بعيداً عن ظاهر علمهم وما يرون به من دلالات ؟ .. بالتأكيد المعنى الثاني هو المراد .. وما يؤكّد ذلك أنَّ السياق سياقٌ معنويٌّ يتعلّق بقيم روحية هي كتاب الله تعالى ، وتفاعلهم المعنوي معه ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧]

.. بعد هذا البيان .. لنعد إلى قوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ – ١٧٤]

.. إشهاد الله تعالى لبني آدم على أنفسهم ، المحمول بهذا النصِّ الكريم ، هو في عـالم الأنفس .. وفي ذلك العالم لم تكن الأجسام مخلوقة ، فضلاً عن أنّه عالمٌ مختلف عن عالم الأجساد هذا الذي نعيش فيه .. فالسياق المحيط بكلمة ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ هو سياقٌ يصـفُ موقفاً في عالمٍ معنويٍّ غير مادّي ..

.. من هنا نرى أنَّ معـــنى العبـــارة القرآنيّـــة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، هو : وإذ حكم وأقرَّ وتناول ربُّك ذريةَ بني آدم ، مـــن خـــلال خروجهم من عالم الأنفس إلى عالم المادّة والمكان والزمان .. يخرجون من عالم الأنفس إلى هذا العالم ، من خلال الذريّة .. بمعنى : من خلال الذريّة يظهرون في هذا العالم المـــادّي الحسّي ، عبر إسكان أنفسهم في أجسامهم المنتمية لهذا العالم ..

.. فالله تعالى يقول : وإذ حكم ربُّك وأقرَّ وتناول آليّة توالد بني آدم في عالمنا الحسّي هذا (ذريّة بني آدم) ، من خلال خروج أنفسهم من عالم الأنفس الذي أشهدهم فيـــه على هذه النفس ، إلى عالم الدنيا ، بإسكان هذه الأنفس في أجسامها .. بمعـــنى : مـــن خلال ظهورهم من عالم الأنفس الذي أشهدهم على أنفسهم فيه (حيـــث لم يكونـــوا ظاهرين في عالمنا المادّي هذا) ، إلى عامنا المادّي الحسيّ هذا ، من خلال أجسام تقطنها هذه الأنفس .. من خلال ذلك .. حكم وتناول وأقرَّ وجعل ناموساً لذلك ، هو مفهوم الذريّة ..

.. فلو أخذنا على سبيل المثال ، من لم يُخلَق بعد من بني آدم .. هـــؤلاء أنفســـهم موجودة الآن في عالمها (عالم الأنفس) ، وهو عالم غير حسّي فلا نشاهده ولا نحسّه .. هؤلاء يخرجون من عالم الأنفس غير الحسّي إلى عالمنا تباعاً ، ويظهرون في عالمنا بأجسام ماديّة ، من خلال كون بعضهم من ذريّة بعض .. هذا ابن لفلان الذي هو ابن لفـــلان ، وهكذا ..... وهذا الظهور بهذه الآليّة (الذريّة) ، هو بهدف امتحانهم في هـــذا العـــالم المادّي الحسّي الذي تنتمي إليه أجسامهم ، حيث اختاروا هم في عالم النفس قبل ظهورهم في هذا العالم ، اختاروا حمْل الأمانة بأن لا يعصوا الله تعالى حينما يظهرون في هذا العالم الحسّي ويُعْطون خلافة الله تعالى في هذه الأرض ، وحيث أشهدهم الله تعـــالى في عـــالم الأنفس على أنفسهم أنَّ الله تعالى ربّهم ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، تصوِّر الحكم الإلهي بظهور أنفس جميع البشر كخلفاء لله تعالى في الأرض ، وذلك من خلال نزول تلك الأنفس في أجسام ماديّة .. لذلك .. تتكامل هذه العبارة القرآنيّة مع الحكم الإلهي ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ..

﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] = ١٤٦

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] = ٢٥٣

١٤٦ + ٢٥٣ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. إذاً .. كلمة ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، لا تعني أنَّ الحيوانات الجنسيّة (المني) التي تعتبر البذرة التي يتكوّن منها لاحقاً جسم الإنسان ، تخرج من منطقة من الجسم هي المتعارف عليه بالظهر .. أبداً .. هذا القول هو مفهوم بشري محكوم لروايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وُضِعَت افتراء وكذباً على الرسول ﷺ ، من خلال خلفيّة ثقافيّة كانت تحكم الأجيال الأولى ..

.. من هنا نرى كيف أنَّ عابدي أصنام التاريخ ، الذين طلَّقوا عقولهم ، مقدِّسين روايات التاريخ التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، على حساب دلالات كتاب الله تعالى .. نرى أنَّهم الوجه الأوَّل لعملة مفلسة ، وجهها الآخر هم عابدو أهوائهم وعصبيّاتهم ، الذين يريدون الإساءة لكتاب الله تعالى من خلال تلك الروايات ..

.. إذاً .. الطعن بكتاب الله تعالى من خلال تفسيرٍ خاطئ معتمدٍ على الموروث ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، على أنَّ الحيوانات الجنسيّة (المني) تخرج من منطقة من الجسم هي المتعارف عليه بالظهر .. هو طعنٌ ساقطٌ

لا أساس له ، لأنَّ دلالات هذه العبارة القرآنيّة لا تقول بذلك .. والطعن يجب أن يُوجَّه إلى الروايات المكذوبة ، والتفاسير الموروثة ، التي أصبحت (هي وعابدوها) عبئاً ثقيلاً على كتاب الله تعالى ..

.. إذاً .. الدلالات المحمولة بقوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ .... ﴾ [الأعراف : ١٧٢]

.. تبيّن مرحلة إشهاد الله تعالى لبني آدم على أنفسهم ، في عالم الأنفس ، قبل وجودهم الحسِّي وخروجهم – عبر الذريّة – من عالم الأنفس إلى عالمي الذي تنتمي إليه أجسامنا ..

.. والحوار بين الله تعالى والملائكة ، حول جعل بني آدم خلفاء في الأرض ، وتعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلّها .. كلُّ ذلك كان في عالم الأنفس ، قبل خلق جسم آدم ، وقبل دخوله وزوجه الجنّة ..

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٠ – ٣٤]

.. الخليفة هو من يخلف غيره ، ويأخذ القوامة على موضوع الخلافة .. والبشر كانوا حتى تلك اللحظة أنفساً مجرّدةً عن عالم المادّة ، وبالتالي ليسوا خلفاءَ على عالم الجزئيّات .. فقوله تعالى للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ يدلّ على أنّ الخلافة — حتى تلك اللحظة — لم تبدأ بعد ..

.. وفي تعلّق هذه المسألة بصفة الربوبيّة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، حيث كلمة الربوبيّةَ ﴿ رَبُّكَ ﴾ واضحة جليّة في ذلك .. في هذا التعلّق بيانٌ أنَّ موضوع الخلافة هو في ساحة الأسباب (المادّة والمكان والزمان) ..

.. إذاً .. موضوع الخلافة هو ذاته موضوع حمل الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال ، وهو امتلاك القدرة على تسخير الأسباب ودفعها باتّجاه المُراد ..

.. وقوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، يعني خلافة الإنسان (نفس + جسم) لله تعالى في الأرض .. فامتلاك القدرة على إدراك الجزئيّات ، والعقل الذي يربط بين هذه الجزئيّات وبين الكلّيّات (امتلاك الإرادة والمشيئة معاً) ، لم يُعطَ لمخلوقٍ غير الإنسان ، هذا إضافة إلى أنّه لا يُوجَدُ أيُّ ذِكْرٍ لأيّ مخلوقٍ يخلفُهُ الإنسان في سياق هذا النصّ .. ولذلك .. لا يُبرَّر لبعضهم توهّمه بأنّ هذه العبارة القرآنيّة تعني خلافة الإنسان لمخلوقٍ آخر ..

.. وقوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ دليلٌ آخر على أنّ موضوع الخلافة التي سيعطيها الله تعالى للإنسان (نفس + جسم) ، هو هذه الأسباب المسخّرة بين أيدينا .. فسواءٌ الفساد أم سفك الدماء ، هما مسألتان ماديّتان ساحتهما هذا العالم المادّي المحسوس ، فليس من المعقول أن يُفسِدَ الإنسانُ ويَسفكَ الدماء خارج إطار ساحة المادّة والمكان والزمان ..

.. ومرتبة الوجود التي تمّ فيها الحوار بين الله تعالى وبين الملائكة ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ هي — كما رأينا في النظريّة الثانية (القدر) — خارج إطار المادّة والمكان والزمان ، وفي هذه الحالة لا غطاء للزمن ، لأنّ الزمنَ وليدُ المادّة وحركتها .. ولذلك رأت الملائكة ما يحصل الآن من فسادٍ ومن سفكٍ للدماء ، نتيجة رفع الله تعالى عنها غطاء الزمن المستقبل ، فقالت ، على سبيل الاستفسار لا الاحتجاج : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ..

.. وفي هذه المرتبة من الوجود حيث الأنفس البشريّة مجرّدة عن عالم المادّة والمكان والزمان ، فإنَّ آدم (النفس) لم يكن يعلم من صفات عالم الجزئيّات (موضوع خلافة الإنسان لله تعالى) شيئاً ، وكذلك الملائكة التي تدرك الكليّات ولا تدرك الجزئيّات .. وكذلك كلُّ المخلوقات ، لأنّ امتلاكَ العقل لإدراك الجزئيّات والانطلاق من هذا الإدراك نحو الكليّات ، خاصٌّ — من بين المخلوقات — بالإنسان (نفس + جسم) ، وهذا هو عطاء الله تعالى لمن سيجعله خليفة له في الأرض ..

.. ولذلك هيّأ الله تعالى آدم النفس (قبل حلول هذه النفس في الجسم) لهذه الخلافة .. فعلّمه صفات الأشياء وخواصّها وميّزاتها ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ .. وحينما يقول الله تعالى ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ، فهذا يعني الأسماءَ كلّها ..

.. ولّما كان هذا التعليم في عالم الأنفس المجرّدة ، ما فوق عالم المادّة والمكان والزمان ، فإنّه بإلهامٍ من الله تعالى دون أيِّ زمنٍ .. فبلازمن تعلّم آدم (النفس) صفات كلّ الأشياء وخواصّها (مسمّياتها) .. ومن هنا ورث العقل البشري إمكانيّة تعلّم خواصّ المادّة والتفاعل معها ، وإمكانيّة تسخيرها وفق مُراد النفس البشريّة ..

.. وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يبيّن لنا أنّ الله تعالى عرض على الملائكة الأشياء (أصحاب الأسماء) التي علّم أسماءَها لآدم عليه السلام .. وكلمة ﴿ عَرَضَهُمۡ ﴾ واضحة في تبيان ذلك .. وفي هذا دليلٌ آخر على أنّ موضوعَ خلافة الإنسان لله تعالى هو القوامة على هذه الأسباب ، بغية تسخيرها ودفعها باتّجاه مُراد الحقّ .. وفي هذا دليلٌ آخر – أيضاً – على أنّ الله تعالى رفع غطاء الزمن المستقبل ، فرأت الملائكة الأشياء التي ستكون حتى قيام الساعة ، والتي منها أعمالُ الفساد وسفك الدماء ، التي استفسرت عنها الملائكة ، حيث قالت ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ..

وقوله تعالى ﴿ قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ ، يبيّن لنا عجز الملائكة عن إدراك الجزئيّات (موضوع الخلافة وموضوع حمل الأمانة) ، وبالتالي يبيّن لنا عدم قدرة الملائكة على إدراك صفات الأشياء كجزئيّات ، وأنّ علم الملائكة وإدراكها هو للكليّات ، وبتعليم مباشر من الله تعالى ..

وقوله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ يؤكّد لنا – من جديد – أنّ امتلاك معرفة صفات الأشياء ، والتفاعل مع الجزئيّات للانطلاق منها – عقلاً – نحو الكليّات ، هو موضوع الخلافة التي أعلمها الله تعالى للملائكة ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ تبيّن لنا كشفَ غطاء غيب الزمن المستقبل أمام الملائكة ، حينما رأت أصحابَ المسمَّيات التي

علَّمها الله تعالى لآدم عليه السلام ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ، فما سيكون من أشياءٍ ، ومن تفاعلٍ للبشر مع هذه الأشياء ، هو غيبٌ لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، ولو لم يرفع الله تعالى عن الملائكة غطاء غيب الزمن المستقبل ، لما رأت ذلك ..

.. ودليلٌ آخر على أنّ أمانة التكليف التي عُرِضَت وحملها الإنسان (وكذلك خلافة الإنسان لله تعالى في الأرض) هي امتلاك القدرة على التفاعل مع الأسباب (الجزئيّات) ، أنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام بعد تسويته جسماً إنساناً حيّاً (نفس + جسم) ، وبعد نفخ الصلة والقربى من الله تعالى (الروح) فيه ، وليس قبل ذلك ..

﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩]

.. فَحَمْلُ الأمانة المعروضة أدّى إلى الخلافة ، والخلافة والامتحان في حمل الأمانة بدأا بعد هبوط النفس البشريّة إلى عالم المادّة ، وبعد الدخول في الجسم ..

.. والأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، والذي هو أمرٌ لهم بالسجود بعد نفخ الروح فيه (في آدم) ، كان قبل معصية آدم عليه السلام .. وبالتالي قبل خطيئته التي هبط بها وخرج بها من الجنّة ..

فأوَّلُ امتحانٍ لخليفة الله تعالى في الأرض ، اُختير له آدم عليه السلام ، في جنّة الاختبار .. وَنَهْيُ الله تعالى لآدم عليه السلام ولزوجه بعدم الأكل من الشجرة التي حدّدها لهما ، هو في الحقيقة امتحانٌ في ساحة المادّة والأسباب (عالم الجزئيّات) ..

.. والجنّة التي اُختبر لدخولها آدم وزوجه ، ليست جنّة الثواب التي يدخلها الصالحون في الآخرة ، وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في كتاب : قصّة الوجود ..

.. ونرى دليلاً آخر على أنّ ساحةَ الخلافة وساحةَ الأمانة المعروضة ، هي ساحة المادّة والأسباب ، أنّ هبوطَ آدم وزوجه من جنّة الاختبار ، هو هبوطٌ في الهيئة والخلقـــة (في ماهيّة الجانب الجسمي) .. فآدم وزوجه قبل الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها

، كانا لا تبدو لهما سوءاهما ، وبدت لهما سوءاهما بعد الأكل من تلك الشجرة ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٢] .. فساحة الاختبار (الجنّة التي اُمتحن فيها آدم وزوجه) ماديّة ، وعنصر الامتحان (الشجرة) مـــاديٌّ ، والنتيجـــة (الهبوط في ماهيّة الخلق وصفات الجسم) ماديّة ..

.. فنتيجة لمعصية آدم عليه السلام وزوجه في جنّةِ الاختبار ، حيث ذاقا الشجرة التي نهاهما ربّهما عنها .. نتيجة لذلك ، تغيّرت الماهيّة الجسميّة لهما ، فبدت لهما سوءاهما ..

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ ﴾ [الأعراف : ٢٢]

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طـــه : ١٢١]

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ، نرى أنَّ كلمة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ هي من الجذر اللغوي (د ، ل ، و) ، وليس من الجذر (د ، ل ، ل) ، وهذا يُؤكِّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه في وصفِ ماهيّةِ الهبوط الذي تمّ لآدمَ عليه السلام وزوجه .. فالدلالات المجرّدة للجذر اللغوي (د ، ل ، و) في القرآن الكريم تحملُ معنى الهبوط ، سواءٌ كان ذلك في الجانب المادّي أم المعنوي :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨]

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف : ١٩]

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٨ – ١٠]

.. فبواسطة الغرور ﴿ بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ، هبط الشيطانُ بآدم عليه السلام وزوجه إلى المعصية ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ، وبالتالي ذاقا الشجرة ، فهبطا كقيمة جسميّة ..

.. ربّما يقول قائل : ما فائدة الغوص في ما سبق ، في سياق بحثٍ عنوانه يتعلّق بخلق جسم الإنسان .. نقول : إدراك هذه المسائل يجعلنا ندرك حقيقة خلق الإنسان من ماء مهين .. وعدم إدراكها هو ما أدّى للتخبّط الذي نراه في التفسير الموروث ، واستغلال الآخرين له ، للطعن في كتاب الله تعالى ..

.. في كتاب الله تعالى ، نرى أنَّ آدم وزوجه ومعهما كلُّ الأنفس البشريّة دون استثناء ، تلقت الحكم الإلهي بالهبوط من الجنّة .. بينما آدم وزوجه فقط أخرجهما الشيطان من الجنّة ، نتيجة أنّه أزلّهما ..

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٥ – ٣٩]

.. هناك هبوط ، بحكم من الله تعالى : [[﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ ،، ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ ﴾]] .. وهناك إخراج بسبب عصيان آدم وزوجه للأمر

الإلهي ، حيث أزلهما الشيطان بذلك ، فأخرجهما (الشيطان نتيجة اتباعهما لإزلاله لهما) من الجنّة : ﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ ..

.. الإخراج .. هو من الفعل المتعدّي (أخرج) ، وهو هنا إخراج من نعيم الجنّة .. ولَمَّا كان آدم عليه السلام وزوجه هما فقط امتحنا في جنّة الاختبار هذه ، نرى أنَّ الإخراج من هذه الجنّة جاء بصيغة المثنّى : ﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ ، كونهما اثنين فقط .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى التالي ، وبذات حيثيّة الصياغة ، حيث المُخرِج من الجنّة هو الشيطان ، نتيجة افتتان الإنسان به ، وحيث أنَّ المُخْرَج ، هما آدم وزوجه فقط ..

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [الأعراف : ٢٧]

.. بينما خروج الشيطان من هذه الجنّة ، كان نتيجة تلقّيه لأمر مباشرٍ من الله تعالى بالخروج ﴿ ٱخۡرُجۡ ﴾ ..

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣]

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨]

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٤ - ٣٥]

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص : ٧٧ - ٧٨]

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة وإطلاقَها .. فالشيطان لن يدخل جنّة الآخرة أبداً ، لأنّه خرج من جنّة الاختبار (التي اُختبر فيها آدم وزوجه) بأمرٍ إلهيٍّ ﴿ ٱخْرُجْ ﴾ .. بينما الإنسان من الممكن له أن يدخل جنّة الآخرة ، إن عمل في حياته الدنيا (التي يُختبَر فيها) بعيداً عن إزلال الشيطان له .. فقد خرج من جنّة الاختبار نتيجة إزلال الشيطان وفتنته له ..

.. بينما الهبوط الذي هو نزول بالكينونة ، نراه – في النصّ الذي بين أيدينا – هبوطين اثنين في القيمة المعنويّة والجسميّة معاً ، تلقته كلُّ الأنفس البشريّة بحكمٍ من الله تعالى .. فالعبارة : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، تصوِّر هبوطاً ، حالُهُ أن يكونوا متعادين فيما بينهم .... والعبارة : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ، نرى فيها كلمة : ﴿ جَمِيعًا ﴾ تبيّن حال المخاطبين المتلقّين لحكم الهبوط هذا ، بأنّهم جميعاً ودون استثناء سينالهم الهبوط ..

.. وممّا يؤكّد أنَّ جميع البشريّة دون استثناء من آدم وزوجه إلى آخر إنسان يُخلق في هذا العالم ، مخاطبون بتلقّي حكم الهبوط هذا .. ممّا يؤكّد ذلك هو العبارات التالية مباشرة لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ..

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

.. وهذا ما نراه أيضاً في النصّين التاليين ..

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

[الأعراف : ٢٤]

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٤]

.. وإبليس هو الآخر تلقّى أمراً بالهبوط ..

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣]

.. إذاً .. جسم آدم الأوَّل ، وقبل أكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى هو وزوجه عن الأكل منها ، لم يكن جسماً هابطاً .. فلم يكن يتغوَّط ، وكان جسمه بعيداً عن كل القذارات التي تخرج من أجسامنا الآن كالبول والخروج والقيح وكلّ الإفرازات القذرة .. ولو لم يعص آدمُ عليه السلام وزوجُه أمرَ الله تعالى ، لما تغيَّرت الماهيّة الجسميّة له ولزوجه ، ولما هبطت عن قيمتها التي كانت عليها ، بمعنى لما بدت لهما سوءاتهما ، وبالتالي لما ورثنا نحن بأجسامنا هذا الهبوط ، فنرى ما نراه ممّا يفرز الجسم الإنساني من قذارات ..

.. ولمعرفة معنى هبوط القيمة الجسميّة لآدم وزوجه – نتيجة هذه المعصية – وبالتالي لمعرفة معنى الهبوط الجسمي لبني آدم في حياتهم الدنيا ، لنقارن بين إنسانٍ لا يغتسل ولا يقلّم أظافره ولا يحلق شعرة ولا يقوم بأيّ نوعٍ من أنواع النظافة .. لنقارنه مع دابّة ما ((لا تقوم بطبيعة الحال بكلّ هذه الأعمال لأنّ ماهيّة جسدها ليست بحاجة إلى كلّ ذلك)) .. سنجد في هذه المقارنة أنّ جسم الإنسان أكثر هبوطاً من غيره ..

.. إذاً .. أكمل جسمٍ بشريٍّ خلقه الله تعالى هو جسم آدم عليه السلام (قبل المعصية والهبوط) .. وهذا الجسم الإنساني الهابط (حيث الأمراض التي تصيب الجسم الإنساني أضعاف الأمراض التي تصيبُ أيّ دابّة) ، وهذه الأعضاء التناسليّة بماهيّتها الدنيويّة ، إنّما نشأت نتيجة تلك المعصية ..... وهذه المعصية وهذا الهبوط ، نتيجته الخروج من جنّة

الاختبار تلك .. ونتيجته التوالد – في هذه الحياة – من خلال الأعضاء التناسليّة التي ظهرت نتيجة تلك المعصية ..

.. فأكملُ جسمٍ بشريٍّ خلقه الله تعالى (جسم آدم قبل المعصية) لم يأت من خلال توالدٍ عبر أعضاء نتجت عن تلك الخطيئة ، إنّما كان نتيجةَ خَلْقِ الله تعالى له مباشرة من تراب ..

.. وهذه السنّة الإلهيّة ، وهذه الفلسفة القرآنيّة المطلقة ، ناموس ثابت لا يتغيّر ولا يتبدّل ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣] .. فالكمال الجسمي لآدم عليه السلام (قبل المعصية) ، وهبوط القيمة الجسميّة له — ولذريّته — نتيجة تلك المعصية .. هذا الناموس الإلهيّ ، ندركه في ماهيّة خلق جسم عيسى عليه السلام .. حيث هذا الجسم وعاء لنفسٍ تتميّز عن باقي الأنفس البشريّة بأنّها وُلدتْ مليئةً بالروح ..

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ [النساء : ١٧١]

.. فقوله تعالى ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ ، يُبيّن لنا أنّ نفسَ عيسى عليه السلام مليئة بالروح منذ ولادتها ، وهذه صفةٌ تتميّزُ بها نفسُ عيسى عليه السلام عن باقي البشر دون استثناء .. ولذلك وُلد عليه السلام نبيّاً ، وآتاه الله تعالى الكتاب في ذات اللحظة التي نُفِخَ روحُه في مريم عليها السلام ..

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٢٩ – ٣٠]

.. هذا الكمال النفسي ، يقتضي – حسب الناموس الإلهي – جسماً مختلفاً عن الأجسام التي تُولد نتيجةَ أعضاءٍ تناسليّة ، ظهرت نتيجة معصية أبينا آدم عليه السلام في جنّة الاختبار ..

.. ولذلك فجسم عيسى عليه السلام لم يُخلق من اجتماعِ حيوان ذكري (٢٣ كروموسوم) مع بويضة أنثويّة (٢٣ كروموسوم) ، لتكوين نطفة ، كباقي البشر .. إنّما خُلق مباشرة من تراب ، وهو في ذلك كمثلِ خَلْقِ جسدِ آدمَ عليه السلام ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

.. ومريم عليها السلام لم تحمل بعيسى عليه السلام كباقي الإناث ، فمدّةُ الحمل لم تتجاوزْ فترةً محدودة ، وفي تتالي فاء التعقيب في النصّ القرآني التالي ، إضافة إلى البيان الإلهي أنّ خلق جسم عيسى عليه السلام كمثلِ خَلْقِ جسم آدم عليه السلام ، من تراب وليس من نطفة كباقي البشر .. في كلٍّ ذلك أكبر برهان على صحّة ما نذهب إليه ..

﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم : ٢٢ – ٢٤]

.. وحتى مريم عليها السلام ، كانت لها خصوصيّتُها التي تميّزها عن باقي الإناث ، فقوله تعالى : **﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾** الذي يتوسّط تصويرَ الله تعالى لقولِ أمّها حين وضعتها : **﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾** [آل عمران : ٣٦] .. هذا القول : **﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾** ، إضافة إلى قول الملائكة

لها : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] ، يُؤكّد تميّزها عن باقي النساء ، ويؤكّد طهارتها — كأنثى — ويُؤكّد أنّها لا تحيض كباقي النساء ((حيث الحيض نقيض الطهارة ، وهي طاهرة دائماً)) .. فهي بهذه الخصوصيّة مهيّأة لحمل جسم عيسى عليه السلام تلك الساعات المحدودة ..

.. وحتّى جسمها عليها السلام ، فقد أنبته الله تعالى نباتاً حسناً من خلال رزقٍ خاصٍّ رزقها إياه اللهُ تعالى ، وكان ذلك نتيجة أن تقبّلها الله تعالى قبولاً حسناً ، حيث أعاذها وذريّتها من الشيطان الرجيم ..

.. فكونُ الله تعالى أعاذها وذريّتها من الشيطان الرجيم ، وهيّأها لتحمل جسماً يحملُ نفساً مليئةً بالروح (عيسى عليه السلام) ، اقتضى — حسب الناموس الإلهي — أن يُنبتها نباتاً حسناً ، وأن يُميّزها — عليها السلام — عن باقي نساء البشر ، بماهيّة جسميّة ونفسيّة ..

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٦ — ٣٧]

.. فالرزق الذي رزقها إياه اللهُ تعالى ، والذي له ماهيّته المختلفة عن رزق الدنيا الذي يأكلُ منه أفرادُ جيلها ، له تعلّقه بكونِها متميّزة عن باقي النساء (كما رأينا) ، وبكونِها مُهيّأةً لحمل عيس عليه السلام ، كجسم — نعني جسم عيسى عليه السلام — خلقه الله

تعالى من تراب ، دون آليّة جنسيّة ودون اجتماع الحيون الذكري مع البويضة الأنثويّة ، وكنفسٍ – نعني نفس عيسى عليه السلام – مليئةٍ بالروح ، آتاها الله تعالى الكتاب في ذات اللحظة التي نُفِخَ فيها روح عيسى في مريم عليهما السلام ..

.. وممّا يُشيرُ إلى أنّ الرزقَ الذي رزقها إياه اللهُ تعالى ، هو تهيأة لحمل عيسى عليه السلام ، وأنّها كانت – قبل ولادة عيسى عليه السلام – لا تأكل إلاّ من ذلك الرزق ، أنّها بعد أن جاءها المخاض ، وفي الوقت الذي نادها عيسى عليه السلام من تحتها ، قال لها : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ :

﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٢ – ٢٦]

.. فأكلها لطعامٍ يختلف عن الرزق الذي يأتيها من عند الله تعالى ((كتهيئة لحمل عيسى عليه السلام)) .. هذا الطعام المختلف عن الرزق الذي آتاها إياه اللهُ تعالى كخرقٍ لناموس الرزق الذي يعلمه أفرد جيلها ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ ، يُساعد في خروج عيسى عليه السلام من فرجها .. فمهمّتها التي هُيِّئت لها ، والتي لها تعلّقها بالرزق الذي يأتيها من عند الله تعالى ، قد انتهت عند المخاض ، حيث ولادة عيسى عليه السلام ..

.. ومريم عليها السلام نُفخ فيها من الروح (بمعنى الصلة والمدد والقربى من الله تعالى) كونها أحصنت فرجها ..

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١]

.. إنَّ كلمة ﴿ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ تعود إلى التي أحصنت فرجها ، وبالتالي تُؤكِّدُ أنَّ الروح – المعني هنا – نُفِخَ في نفس مريم عليها السلام ، بمعنى أنَّ الله تعالى أعطاها الصلة والمدد والقربى منه جلّ وعلا كونها أحصنت فرجها .. وهذا الروح الذي نُفخَ في نفس مريم عليها السلام ، هو أمرٌ آخر غير الروح الذي نُفِخَ في فرجها والذي يتعلّق بعيسى عليه السلام ..

.. بينما في قوله تعالى : ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٢] .. نرى أنَّ نفخَ الروح – هنا – يعني نفخ عيسى عليه السلام (كنفس مليئة بالروح) في فرج مريم عليها السلام .. فكلمة ﴿ فِيهِ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ تُؤكِّد أنّ النفخ في فرج مريم عليها السلام ، وليس في ذاتها كما هو حال نفخ الروح في الآية السابقة ..

ونرى حكمةً عظيمةً في كوْن خلْقِ جسدِ عيسى عليه السلام من تراب مباشرة ، دون نطفةٍ وبويضةٍ كباقي البشر ، وذلك من عدّة مناظير :

١ – نفس عيسى عليه السلام الممتلئة بالروح والتي لا تعرف الخطيئة ، والتي تتميَّز – بذلك – عن أنفس جميع البشر ، لا بدَّ لها من جسم (وعاء لها) خُلق دون أعضاءٍ نتجت عن الخطيئة ، ولذلك كان جسم عيسى عليه السلام دون اجتماع الحيون الذكري مع البويضة الأنثويّة ، ودون آليّةٍ جنسيّةٍ ناتجة عن الخطيئة الأولى ..

٢ – إنَّ امتلاء النفس بالروح يعني أنَّها ستترك الجسم الدنيوي الهابط **[** أجسامنا التي تتوالد من أعضاءٍ نتجت عن الخطيئة الأولى **]** وتعرج إلى الله تعالى ، كما حصل في معراج النبيّ ﷺ ، حيث عرج ﷺ إلى الله تعالى ، حينما امتلأت نفسه الشريفة (وقت المعراج)

روحاً .. ونفس عيسى المليئة بالروح دائماً ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ لا بدَّ لها من جسمٍ مميّزٍ مختلفٍ عن أجسامنا ، حتى تبقى مستقرّةً في عالم الدنيا ، وإلاّ فستترك جسمها وتعرج إلى الله تعالى .. لذلك كان جسم عيسى عليه السلام ، بخصوصيّته التي بيّنها لنا كتاب الله تعالى ..

٣ – جسم عيسى عليه السلام بهذه الخصوصيّة المميّزة عن أجسام باقي البشر ، ضرورة لا بدَّ منها لمعرفة هويّته عليه السلام في عودته التي يؤكّدها القرآن الكريم ، ففي عودته يتمُّ التعرّف عليه عبر خصوصيّة جسمه المختلفة ، وبناء على ذلك يؤمن به كلُّ أهل الكتاب في عودته وقبل موته ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] .. وقد بيّنت ذلك بشكلٍ جليٍّ في كتاب المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، وفي بحث : المسيح بين الصليب والعودة ..

.. إذاً .. ناموس الله تعالى لا يتبدّل ولا يتغيّر ، فبعد خطيئة آدم عليه السلام هبط جسمه إلى ماهيّةٍ أدنى ممّا كان عليه ، وبعد أن تاب الله تعالى عليه واجتباه ، بعد ذلك أتته النبوّة ..

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١ – ١٢٢]

.. فالنبوّة لا تكون إلاّ في دار التكليف والامتحان ، وهي دار خلافة الإنسان لله تعالى على هذه الأرض ..

.. وهكذا .. فنتيجةٌ للامتحان الأوّل في جنّة الاختبار الماديّة لأبوي البشريّة ، يتمّ هبوط جميع الأنفس البشريّة إلى عالم الامتحان (عالم الجزئيّات) في أجسامٍ بشريّةٍ أدنى

خَلْقاً من ماهيّة جسم آدم وزوجه قبل هبوطهما .. فوجٌ يدخل دنيا الامتحان بالميلاد ، وفوجٌ يخرج منها بالموت ، وهكذا في كلِّ لحظة حتى قيام الساعة ..

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨]

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طــه : ١٢٣ – ١٢٤]

.. من كلِّ ما تقدَّم ، نصل إلى أنَّ الجسم البشريَّ الذي نراه في عالمنا هذا ، هو جسمٌ هابطٌ عن الجسم الأوَّل الذي خلقه الله تعالى لآدم مباشرة من تراب .. وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ [التين : ١ – ٦]

.. فالجسم الأوَّل لآدم عليه السلام قبل أكله من الشجرة تشير إليه الآية الكريمة **﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾** .. والجسم الهابط بعد الأكل من الشجرة وظهور السوءة ، وميراث بني آدم لهذا الجسد الهابط ، تشير إليه الآية الكريمة **﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾** .. وإعادة الجسم في الآخرة للمؤمنين إلى ماهيّة الجسم الأوَّل دون هبوط ، تشير إليه الآية الكريمة **﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾** ، فالمؤمنون الذين يدخلون الجنّة ، أجسامهم أفضل حتّى من الجسم الأوّل ..

.. من هنا نرى الحكمة من ورود كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ كصفة لكلمة ﴿ مَّآءٍ ﴾ في آيتين من آيات كتاب الله تعالى ، تصوِّران خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا ..

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠]

.. فكلمة ﴿ مَهِينٌ ﴾ تعني الهابط والوضيع والحقير ..

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ٥١ - ٥٣]

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم : ١٠- ١٦]

.. وكون السلالة التي جُعل منها نسل الإنسان ، ناتجة عن ماهيّة جسمه الهابط ، الذي هو ميراث من الجسم الهابط لآدم عليه السلام ، نرى كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ تصف الماء ﴿ مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ الذي جُعلت منه هذه السلالة ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ .. ونراها أيضاً تصف الماء الذي هو أصل سرِّ الحياة في خلق الإنسان : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ..

.. بينما في وصف الله تعالى لأصل خلق الدواب ، لم نر كلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ .. لأنَّ أجسادها لم تتعرَّض للهبوط الذي تعرَّض له جسم الإنسان ..

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥]

.. هنا الله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ ﴾ .. دون ذكر لكلمة مَهين .. فالدواب التي ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ ، لم تتعرَّض أجسادها لهبوط في القيمة كما حصل مع جسم آدم عليه السلام ، نتيجة أكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى وزوجه عن الأكل منها ..

.. لذلك .. فآدم وزوجه ليسا معنيين بمسألة الخلق من ماء مهين ، كونهما خلقا قبل هذا الهبوط .. ففي قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٢]

.. نرى أنَّ آدم وزوجه ليسا معنيين بذلك .. فلم يُخلقا من ماء مهين ، و لم يجعلا في قرارٍ مكين ، كباقي البشر .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

.. فبعد خلق الإنسان من طين ، حيث خلق الجسم الأوَّل ، بعد ذلك : **﴿ ثُمَّ ﴾** ، وبعد هبوط جسمي آدم وزوجه عليهما السلام ، بعد ذلك ، جعل الله تعالى نسل الإنسان من سلالة ماء مهين : **﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾** ..

.. فالذين خُلقوا من تراب مباشرة دون الماء المهين ، هم فقط آدم (وزوجه) ، وعيسى ، عليهم السلام ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

.. وما نراه أنَّ الله تعالى يقول **﴿ كَمَثَلِ ﴾** ، بمعنى : مثل المثل .. فآدم عليه السلام لم يُوضع في رحم امرأة لتضعه بعد ساعات ، كما حصل مع عيسى عليه السلام ..

.. في كتاب الله تعالى ، نرى أنَّه في بداية خلق السماوات والأرض ، كان سلطان الله تعالى (عرشه) على الماء ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاًۗ ﴾ [هود : ٧]

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ أصل كلِّ الأحياء هو الماء ..

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]

.. الله تعالى لم يقل : (**وجعلنا بالماء كلَّ شيءٍ حيَّاً**) ، ليكون المعنى : بواسطة الماء كلُّ شيء يصبح حيّاً .. أبداً .. الله تعالى يقول **﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ ﴾** ، بمعنى كلُّ الأشياء الحيّة جُعِلَت من الماء ..... وكنّا قد وقفنا عند قوله تعالى **﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ**

كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ .. فالماء إذاً هو أصل خلق كلِّ دابّة ، كونه الأصل الذي جُعل منه كلُّ شيءٍ حي ..

.. الآن .. لنعد إلى العبارة : ﴿ مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، في قوله تعالى ..

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۚ قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ – ٩]

﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ – ٢٢]

.. ما نراه أنَّ كلمة ﴿ مَّآءٍ ﴾ تأتي بصيغة نكرة ، وتوصَف بكلمة ﴿ مَّهِينٍ ﴾ .. ورأينا أنَّ الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، جاءت مبتدئة بكلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ وخلف قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ ... فالعبارة ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ تصف بداية خلق الإنسان ، أي خلق جسم آدم عليه السلام ..

.. ولّما كان جسم آدم عليه السلام (قبل معصيته) ليس هابطاً ، ولّما كان خلقه لا يخرج عن الناموس الإلهي ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَىٍّ ﴾ ، فإنَّ جسم آدم الأوَّل خُلق من ﴿ ٱلۡمَآءِ ﴾ ، وليس من ماء مهين ، كون الهبوط لم يكن حاصلاً عندما خُلق جسم آدم الأوَّل .. فجسم آدم خُلق من ﴿ ٱلۡمَآءِ ﴾ .. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤]

.. الله تعالى لم يقل : (**خلقكم**) بصيغة تشمل كلَّ البشر .. إنّما يقول : ﴿ **خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا** ﴾ .. وذلك كقوله جلَّ وعلا :

﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [الحجر : ٢٨]

﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ** ﴾ [ص : ٧١]

.. فالعبارة ﴿ **خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا** ﴾ ، تخصُّ خلق جسم آدم عليه السلام .. لذلك لم نر كلمة ماء بصيغة نكرة موصوفة بكلمة مهين : ﴿ **مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ .... وما نراه هو كلمة : ﴿ **ٱلْمَآءِ** ﴾ .. فالماء هو الأساس الذي خُلق منه جسم آدم الأوَّل ، إضافة إلى خلقه من تراب ، وما ينتج عنهما من طين ، وما يتحوَّل عن ذلك من حالة صلصال من حمإ مسنون ، وصولاً إلى مرحلة صلصال كالفخّار .. كما سنرى بإذن الله تعالى ..

.. وكلمة ﴿ **نَسَبًا** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًاۗ** ﴾ ، تعني : رابطاً وصلة ..

﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠١]

﴿ **وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الصافّات : ١٥٨ – ١٥٩]

وكلمة ﴿ **وَصِهْرًاۗ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًاۗ** ﴾ ، تعني : فِعل التذويب والتماهي ..

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ [الحج : ١٩ – ٢٠]

.. وما نراه في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ ، أنَّ الضمير الهاء في كلمة : ﴿ فَجَعَلَهُۥ ﴾ يعود على كلمة : ﴿ ٱلْمَآءِ ﴾ ، وليس على كلمة : ﴿ بَشَرًا ﴾ .. فالذي جُعِل ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ ليس جسم آدم عليه السلام ، إنّما الماء الذي كان أساساً في خلق جسم آدم ... هذا الماء جُعِل ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ كماءٍ مهين ، هو أساس خلق أجسام باقي البشر ، بعد هبوط آدم وزوجه من الجنّة ..

.. الله تعالى لم يقل : ((**وهو الذي خلق بشراً من الماء فجعله نسباً وصهراً**)) ليكون البشر المخلوق من الماء هنا هو محور الجعل .. إنّما يقول جلَّ وعلا : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ ، مقدِّماً العبارة ﴿ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ على كلمة ﴿ بَشَرًا ﴾ ، ليكون ﴿ ٱلْمَآءِ ﴾ الذي خُلق منه جسم آدم عليه السلام ، هو محور الجعل الذي تُخلَق منه أجسام ذريَّته ..

.. إذاً .. ﴿ ٱلْمَآءِ ﴾ الذي خُلقَ منه الجسم الأوَّل لأب البشريّة آدم عليه السلام ، قبل هبوط هذا الجسم كما رأينا .. هذا الماء جُعل (وليس خُلق) أساساً لبذرة توالد أبناء آدم ، وذلك بعد هبوط جسم آدم وزوجه كقيمة خلْقيّة كما رأينا .. بمعنى جُعلَ ماءً مهيناً ، يكون أساساً تنتج عنه البذرة التي تتوالد من خلالها أجسام البشر ..

.. وماهيّة جعله هي : ﴿ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ .. بمعنى : جُعل هذا الماء ماءً مهيناً ، رابطاً وصلةً تربط الآباء بالأبناء ، أساساً يُخلق منه الحيوان الذكري المعروف كمني ذكري ، والبويضة المعروفة كمني أنثوي .. وفي الوقت ذاته جُعل تماهياً وذوباناً (انصهاراً) للماء

المهين للأب مع الماء المهين للأم ، في جسم ولدهما ، وذلك عبر انصهار مني الأب الذي يُخلق من الماء المهين للأب مع مني الأم الذي يُخلَق من الماء المهين للأم ، وذلك في النطفة ، التي هي الخليّة الأولى في تكوين جسم المولود ..

.. إذاً .. المني الذكري [[الحيوان الذكري المكوَّن من (٢٣) كروموسوم]] ، والبويضة الأنثويّة [[المكوَّنة من (٢٣) كرموسوم]] ، ليسا هما الماء المهين حسب التعريف القرآني ، إنّما نتجا عن الماء المهين ، ذلك الماء المهين الذي جُعِل من الماء الذي خلق الله تعالى به الجسم الأوَّل للبشريّة .. وهذا ما ينطق به قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٖ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ – ٩]

.. السلالة التي جُعِلَ منها النسل البشري ، جُعِلَت من الماء المهين .. فما بين المرحلة المصوَّرة بالعبارة القرآنيّة **﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾** ، والمرحلة المصوَّرة بالعبارة **﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾** ، هناك مرحلة وسطى هي **﴿ سُلَـٰلَةٖ ﴾** ..

.. إذاً .. في هذا النصِّ الكريم في سورة السجدة ، نرى المراحل التالية :

١ – خلق الجسم الأوَّل من **﴿ طِينٖ ﴾** .. هو خلق جسم آدم عليه السلام : **﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٖ ﴾** .. ومعلوم أنَّ كلمة **﴿ طِينٖ ﴾** تعني : الماء + تراب ..

.. فكما قلنا .. جسم آدم الأوَّل وزوجه (وكذلك جسد عيسى) ، لم يُخلَق من ماء مهين ، كما هو حال أجسام باقي البشريّة .. فالجسم الأوَّل والذي هو بداية خلق الإنسان ، خُلق من **﴿ طِينٖ ﴾** كما نرى في هذه الآية الكريمة **﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٖ ﴾** .. وهذا الطين يتكوَّن من **﴿ ٱلۡمَآءِ ﴾** كمادّة أولى : **﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ**

ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا ﴾ ، ومن ﴿ تُرَابٖ ﴾ كمادّة أولى أيضاً ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، وليس من التراب المعرَّف بأل التعريف ، كما سنرى بإذن الله تعالى ..

.. من هنا نرى أنَّ هاتين المادَّتين هما مسألة كاملة ، كونهما الأساس الأوَّل (كمادّتين متمايزتين غير متحوّلتين عن مادّة سابقة) في خلق جسم آدم عليه السلام ..

﴿ ٱلۡمَآءِ ﴾ = ٩ ،، ﴿ تُرَابٖ ﴾ = ٢٩

٩ + ٢٩ = **٣٨ = ١٩ × ٢**

٢ – هذا الماء الذي خُلق منه الجسم الأوَّل كما رأينا ، أصبح ماء مهيناً بعد هبوط الجسم الأوَّل كقيمة خلْقيّة كما رأينا ، وهذا الماء المهين الذي ورثه الجسد البشري عن الجسم الأوَّل الهابط ، هو سرُّ الحياة المنتقل من الآباء إلى الأبناء .. وهذا ما نراه في هذا النصِّ الكريم مصوَّراً بالعبارة ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ..

٣ – هذا الماء المهين الحامل لسرِّ الحياة في الأجسام البشريّة كسلالة (ينتج عنها النسل البشري) عبر الأجيال ، هو الأساس لهذه السلالة التي يخرج منها النسل البشري .. وهذا ما تصفه كلمة ﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ في هذا النصِّ الكريم .. فالسلالة هي جوهر الماء المهين المتوارث عبر الأجيال في سرِّ الحياة ، حيث ينتج منها النسل البشري .. ولذلك نرى توازناً كاملاً بين كلمة ﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ وبين العبارة ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ..

﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ = **٢٦** ،، ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ = **٢٦**

٤ – النسل البشري والذي ينتج عن نطفة ... بمعنى : ينتج عن اجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع البويضة الأنثويّة (٢٣ كروموسوم) ، تصفه في هذا

النصِّ الكريم كلمة ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ .. فالنسل يكون من خلال ﴿ نُّطۡفَةٍ ﴾ (٤٦ كروموسوم) .. ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [النحل : ٤] ..

.. لذلك نرى أنَّ كلمة ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ تدخل مع كلمة ﴿ نُّطۡفَةٍ ﴾ في مسألة كاملة ..

﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ = ٢٧ ،، ﴿ نُّطۡفَةٍ ﴾ = ٤٩

٢٧ + ٤٩ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. إذاً .. في قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ [السجدة : ٧ – ٨] ، نرى أنَّ كلمة ﴿ طِينٖ ﴾ تصف الأساس المتعلّق بجسم آدم عليه السلام ، والذي منه ورث الجسم البشري سرَّ الحياة عبر ما تصفه العبارة ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ، بواسطة ﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ ، تنتج النسل ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ .. لذلك من الطبيعي أن نرى هذه الكلمات تكوِّن مسألة كاملة ..

﴿ طِينٖ ﴾ = ٣٥ ، ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ = ٢٦ ، ﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ = ٢٦ ، ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ = ٢٧

٣٥ + ٢٦ + ٢٦ + ٢٧ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ، لا يتحدَّث عن مجرَّد خلق المني الذكري والأنثوي كما ذهبت معظم التفاسير القديمة والحديثة .. إنّما يصوِّر خلق النسل البشري من أصلِّ سرِّ الحياة الذي هو الماء المهين ، كون البشر ورثوا ناموس الجسم الهابط كما رأينا .. وهذا يقابل في الدواب الخلق من الماء ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ ﴾ [النور : ٤٥] .. لكن في الدواب الماء ليس مهيناً كما رأينا .. هذا ما نراه في التكامل بين هاذين النصّين ..

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ ﴾ [النور : ٤٥] = ١١١

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] = ١٥٥

١١١ + ١٥٥ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. فقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ لا يعني مجرَّد خلق الدواب من المني الذكري والأنثوي ، إنّما يعني ما هو أبعد من ذلك ، وهو سرّ الحياة والأصل الذي خُلق منه هذا المني .. وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ، الذي يصف جعل النسل البشري من سلالة من الماء المهين الذي هو سرّ الحياة في الجسم الهابط ، الذي ورثه البشر عن جسم أبيهم آدم ، بعد هبوط قيمته الخلْقيّة ..

.. وهذا المعنى المحمول بقوله تعالى ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٧ – ٨] ، لا يختلف مع المعنى الذي نراه في قول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾
[المرسلات : ٢٠ – ٢٢]

.. فالذي جعله الله تعالى في قرارٍ مكين ، ليس الماء المهين ، إنّما ما خُلق من الماء المهين الذي هو مني الرجل (الحيوانات الذكريّة وليس السائل الحامل لها) ومني المرأة الذي هو البويضة .. فالضمير الهاء في كلمة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾ ، يعود على المخلوق من الماء المهين ، وليس على الماء المهين .. أي يعود على النطفة (٤٦ كروموسوم) ..

.. فهذه الآية الكريمة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] ، حيث الضمير في كلمة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾ يعود على المخلوق من الماء المهين وهو النطفة ، وليس على الماء المهين كما قلنا ، تتكامل مع قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون :

١٣] ، في مسألة كاملة تؤكّد هذه الحقيقة ، حيث كلمة ﴿ مَّكِينٍ ﴾ لم ترد في كتاب الله تعالى متعلّقة بخلق الإنسان إلاَّ في هاتين الآيتين الكريمتين ..

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٣] = ١٩٤

﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] = ١٢٩

١٩٤ + ١٢٩ = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٥ – ١٠]

.. الآية الأولى في هذا النصِّ الكريم ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ، تحمل دعوةً من الله تعالى للإنسان ، لينظر في بداية خلقه التي يستطيع النظر إليها بحواسّه ، وهي كما قلنا النطفة (٤٦ كروموسوم) ، وهي ذاته ما جعله الله تعالى في قرارٍ مكين : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] .. وهذا ما نراه في التوازن التالي ..

﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢١] = **١٢٩**

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق : ٥] = **١٢٩**

.. الآية الكريمة ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ ، نرى فيها أنَّ كلمة ﴿ خُلِقَ ﴾ تعود على الإنسان ، وأنَّ العبارة ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ ، تصوِّر سرَّ الحياة الذي ورثه الجسم البشري عن الجسم الهابط لأبيه آدم ، ذلك السرّ الذي منه خُلق المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) .. بمعنى : أنَّ المني الذكري والأنثوي الذي هو أصل خلق

الإنسان ، هذا الأصل للإنسان ، خُلق من ماءٍ دافق .. لذلك .. كون هذه العبارة ﴿ **مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ تحمل في سياقها إجابة كاملة عن خلق الإنسان ، بمعنى : مسألة كاملة في تبيان الماهيّة التي خُلق منها الإنسان ، كسرٍّ حياة هو الأصل الدافق عبر الأجيال أباً عن جد وصولاً لآدم عليه السلام .. لذلك .. نراها مسألة كاملة ..

﴿ **مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ = **٥٧ = ١٩ × ٣**

.. إذاً .. المعنى الذي تحمله الآية الكريمة ﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ [الطارق : ٦] ، والتي تُصوِّر خلقَ الإنسان عبر المني الذكري والأنثوي ، من الماء الدافق الذي هو أصل الحياة المستمرّة ، والمتوارث من آدم وزوجه دافقاً عبر الأجداد والآباء .. هذا المعنى .. يتوازن مع المعنى الذي رأيناه ، الذي تصوِّره الآية الكريمة ﴿ **أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ .. هذا التوازن .. نراه توازناً في القيم العدديّة بينهما ..

﴿ **أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [المرسلات : ٢٠] = **٩٣**

﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ [الطارق : ٦] = **٩٣**

.. ولو أخذنا العبارتين **[[** ﴿ **مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ ،، ﴿ **مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ **]]** ، لرأينا أنَّنا أمام مسألة كاملة ، فخلق الإنسان (عدا جسم آدم وزوجه وجسم عيسى عليهم السلام) كان من ماء يتَّصف بصفتي : **[[** ﴿ **مَّهِينٍ** ﴾ ،، ﴿ **دَافِقٍ** ﴾ **]]** ..

﴿ **مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [المرسلات : ٢٠] = ٢٦

﴿ **مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ [الطارق : ٦] = ٥٠

٢٦ + ٥٠ = **٧٦ = ١٩ × ٤**

.. وفي حين أنَّ كلمة ﴿ **مَّهِينٍ** ﴾ على وزن فعيل ، كونها تصف كينونة الماء الذي خُلق منه الحيوان الذكري والبويضة الأنثويّة ، بأنَّه حقير وهابط ، كونه سرَّ الحياة المتوارث عبر الأجيال من جسم آدم الهابط .. نرى أنَّ كلمة ﴿ **دَافِقٍ** ﴾ بصيغة اسم فاعل ، تصف ليس كينونة ذلك الماء ، إنّما حركته المستمرّة من جيلٍ إلى جيل .... فكلمة ﴿ **دَافِقٍ** ﴾ لا تصف كينونة ذلك الماء الذي تُخلق منه مكوِّنات الإنسان الأولى ، إنّما تصف حركة تدفّقه عبر الأجيال .. فما يصف كينونة ذلك الماء هو كلمة ﴿ **مَّهِينٍ** ﴾ .. لذلك فالعبارة ﴿ **مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ تصف الأساس الذي جُعلت منه السلالة ، التي جُعل منها النسل : ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [السجدة : ٨] .. من هنا رأينا التوازن بين العبارتين التاليتين في هذه الآية الكريمة :

﴿ سُلَٰلَةٍ ﴾ = <u>٢٦</u> ،، ﴿ مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ = <u>٢٦</u>

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ ، نرى فيه أنَّ عبارة ﴿ **مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ تصف حركة الأصل ﴿ **مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ الذي تنتج منه السلالة ، والذي يستمر تدفقه عبر الأجيال ، منتقلاً من أجسام الآباء إلى أجسام الأبناء ..

.. وتأتي الآية الكريمة ﴿ **يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ** ﴾ ، لتصوِّر لنا خروج الإنسان ، وليس خروج المني المخلوق من الماء الدافق .. وما يؤكِّد ذلك هو الضمائر المتتالية في هذا النصِّ الكريم ، التي تعود كلّها على الإنسان ..

.. الضمير المستتر بكلمة ﴿ **خُلِقَ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ واضح أنَّه يعود على الإنسان ، ولا يعود على ذات المني الذكري والأنثوي .. والضمير المستتر المتعلّق بكلمة ﴿ **يَخۡرُجُ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ** ﴾ ، أيضاً يعود

على الإنسان ، أو ممّا خُلق منه الإنسان (ماء مهين دافق) كسرِّ حياة ، ينتج عنه المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) ، ولا يعود على ذات المني الذكري والأنثوي .. فجملة ﴿ يَخۡرُجُ ﴾ تبيِّن حال خلق الإنسان (أو سرّ الحياة المنتج للمني الذكري والأنثوي) بأنَّه خروجٌ من بين الصلب والترائب .. والضمير الهاء في كلمة ﴿ رَجۡعِهِۦ ﴾ في قول تعالى ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ يعود أيضاً على الإنسان .. والضمير الهاء في كلمة ﴿ لَهُۥ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ يعود أيضاً على الإنسان ..

.. فهل يُعقَل أن الضمير الهاء في كلمة ﴿ رَجۡعِهِۦ ﴾ في قول تعالى ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ يعود إلى السائل الحامل للحيوان الذكري ؟!!!!!! .. وهل يعقل أنَّ الضمير الهاء في كلمة ﴿ لَهُۥ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ يعود إلى السائل الحامل للحيوان الذكري ؟!!!!!! .. كل الضمائر كما نرى تعود إلى الإنسان ، أو إلى سرِّ الحياة المتوارث (ماء مهين دافق) عبر الأجيال ، الذي يُخلق منه المني الذكري (٢٣ كروموسوم) والأنثوي (٢٣ كروموسوم) ، وليس السائل الحامل للحيوان الذكري ..

.. وكلمة ﴿ يَخۡرُجُ ﴾ نراها بصيغة المضارع ، ومن الجذر (خ ، ر ، ج) وليس من الجذر (خ ، ل ، ق) .. فالخروج من الشيء هو الانتقال منه إلى غيره .. وهذه هي – إضافة للعبارة قيد البحث – جميع العبارات القرآنيّة الحاملة لكلمة ﴿ يَخۡرُجُ ﴾ متبوعة بكلمة مِن ..

﴿ .... وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ ﴾ [البقرة : ٧٤]

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠]

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٩]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور : ٤٣]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ ﴾ [الروم : ٤٨]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢]

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ١٩ – ٢٢]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ [الحديد : ٤]

.. فالعبارة ﴿ يَخْرُجُ مِنْ ﴾ تعني : ينتقل من المكان الذي هو فيه إلى مكانٍ آخر ..

.. وفي الآية التي بين أيدينا ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ، نرى أنَّ الخروج المستمرَّ المتدفِّق خلال الأجيال أباً عن جد حتى آدم وزوجه عليهما السلام ، نرى أنَّه ليس خروجاً من الصلب ، وليس خروجاً من الترائب .. إنّما هو خروجٌ من بينهما : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ .. وهذا يشابه قوله تعالى ..

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦]

.. فاللبن لا يخرج لا من الفرث ، ولا من الدم ، إنّما من بينهما .. بمعنى : يُستخلص من بينهما ..

.. كما نرى أنَّ كلمة ﴿ ٱلصُّلْبِ ﴾ هي اسم صفة ، وليست اسم ذات لعضوٍ محدَّدٍ بعينه .. وكذلك كلمة ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ..

.. الخطأ التفسيري الأكبر الذي وقع فيه التفسير الموروث ، ويطبِّل ويزمِّر به الكثيرون على الفضائيّات ، ممّن يحسبون أنفسهم أوصياء على كتاب الله تعالى ، واستغله أعداء كتاب الله تعالى للإساءة لكتاب الله تعالى ، هذا الخطأ هو القول بأنَّ الصلب هو الظهر ، والترائب هي الصدر ، وأنَّ قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ يعني : أنَّ المني الذكري يخرج من ظهر الإنسان ، أو يخرج ممّا بين الظهر والصدر ، وأنَّ المني الأنثوي يخرج من صدر المرأة .. في الوقت الذي ثبت به علميّاً أنَّ الحيوان المنوي الذكري يخرج من الخصيتين وليس من الظهر .. والطامّة الكبرى أنّهم يستشهدون على جهلهم هذا بأحاديث ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، تُنسب للرسول ﷺ ظلماً وعدواناً ..

.. وهناك من المعاصرين من حاول تبرير ذلك ، فذهب إلى أنَّ الخصيتين والمبيض (((حيث تُنتَج الحيوانات الذكريّة والبويضة الأنثوية))) ، قد هبطا من منطقة هي بين العمود الفقري (على جانبيه) والأضلاع ، وذلك في مرحلة تكوّن الجنين في بطن أمِّه .. بمعنى : أنَّ الخصيتين للأب ، والمبيض للأم ، أصلهما من الحدبة التناسليّة في منطقة ما بين العمود الفقري والصدر ، حينما كان هذان الأبوان كلّ منهما جنيناً في بطن أمّه .. بمعنى : أنَّ أصل كلٍّ من الخصية والمبيض ، في النشأة الجنينيّة للأبوين ، تكون في ظهري الأبوين ما بين العمود الفقري والأضلاع ، ثمّ تهاجر كلٌّ منهما إلى مكانها المعلوم .. فالخصيّة تهاجر

إلى كيس الصفن ، والمبيض إلى حوض المرأة .. وكلّ ذلك في مرحلة الجنين للأبوين .. ومع ذلك – كما قالوا – تبقى تغذية الخصية والمبيض في حياة الإنسان بعد وضعه ، من حيث أصلهما في الحالة الجنينيّة .. هذا ملخَّص مختصر لما قاله بعض المعاصرين ..

.. لكن .. هذا التبرير الناتج عن خطأ تفسيري وعدم الوقوف على حقيقة الدلالات المحمولة بصياغة العبارات القرآنيّة ، لا تسعفه حقيقة علميّة ، أنَّ المني الذكري للرجل البالغ يخرج (حين خروجه) من الخصيتين ، وكذلك البويضة من المبيض .. فكون الخصيتين والمبيض قد هاجرا (في الحالة الجنينيّة) من مكان آخر ، لا يسعفهم في تبرير ما يذهبون إليه .. لأنّهما (الخصيتين والمبيض) أثناء خروج المني الذكري والأنثوي منهما ، لا يكونان ما بين العمود الفقري والصدر ..

.. بناء على مذهبهم التفسيري القائل بأنَّ المعني بقوله تعالى **﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾** هو المني الذكري والأنثوي ، فإنَّ المني الذكري والأنثوي حين خروجه ، يخرج من الخصيتين والمبيض ، وليس ممّا بين العمود الفقري والأضلاع ، فدلالات كلمة **﴿ يَخۡرُجُ ﴾** لا تسعفهم أبداً فيما يذهبون إليه ..

.. هذه الكلمة **﴿ يَخۡرُجُ ﴾** رأينا (بالنظر إلى جميع مرَّات ورودها في كتاب الله تعالى متبوعة بكلمة مِن) كيف أنَّها تصف مغادرة المعني بالخروج ، للمكان الذي يغادر منه ، حين خروجه من هذا المكان ، ولا تصف أصل خلقه أو أصل مجيئه إلى هذا المكان الذي يتمّ منه الخروج .. والمني الذكري والأنثوي يخرج (أثناء خروجه) من الخصيتين والمبيض ، بمعنى يظهر ويغادر منهما ، بمعنى : أنَّ خروجه (المكان الأخير الذي تركه وغادره) هو من الخصيتين والمبيض .. ولا علاقة لذلك بالمكان الذي هاجرت منه الخصيتان والمبيض ، فالله تعالى يقول : **﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾** ولم يقل : (**خُلِقَ من بين الصلب والترائب**) ..

.. للوقوف على حقيقة معنى كلمة ﴿ ٱلصُّلْبِ ﴾ ، لا بدَّ من العودة إلى مشتقّات الجذر (ص ، ل ، ب) في كتاب الله تعالى ..

.. من دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) في كتاب الله تعالى : وَضْع الإنسان وتثبيته على أداةٍ ثابتةٍ حتى ينتقلَ إلى الحياةِ الأُخرى من على هذه الأداة .. أي : الخروج من الحياة الدنيا إلى الحياةِ الأُخرى ، من خلالِ التثبيت على أداةٍ ثابتة لا يستطيع الانفكاك عنها ..

.. من هنا .. فالصليب : هُوَ الأداةُ الثابتةُ التي يخرجُ من خلالِها المصلوبُ إلى الحيـــاةِ الأخرى ..... وفي هذا الإطارِ من المعنى تُفهم دلالاتُ مشتقّات الجذر (ص ، ل ، ب) في قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧]

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١]

.. وفي حين أنَّ دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) تعني الموتَ على الصليب دون تأثير خارجي ، بمعنى : أنَّ الصليبَ كان البدايةَ لِلخروجِ من الدنيا ، فمن على الصليب يبدأُ المصلوبُ خروجَه من الدنيا نحو الآخرة ، لا قبل ذلك ، دون أيِّ مؤثّرٍ خارجيٍّ مُفتَعَل .. في الوقتِ ذاتِه ، نرى أنَّ دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ، تعني ابتداءَ مُقدِّمات الخروج من الدنيا قبل الوضعِ على الصليب من خلال التعذيب وفعل مُقدّمات القتل ، ثمَّ يأتي الصليبُ ليكونَ النهايةَ للمصلوب ، حيث يخرج المصلوب من الدنيا من خلالِ هذا الصليب نتيجةَ أفعال التعذيب التي تعرّضَ لها قبل الصلب ، إضافةً لوضعِه على الصليب .. يقولُ تعالى واصفاً قولَ فرعون للسحرة :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٤]

.. فالكلمة القرآنيّة : ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ ﴾ تعني الوضعَ على الصليب بعد قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، فالموتُ على الصليب – في هذه الحالة – هو بسبب قطعِ الأيدي والأرجل من خلاف ومن ثمّ بسببِ الترك على الصليب حتى الموت .. والآيتان الكريمتان التاليتان تُؤكّدان هذه الحقيقة :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبۡقَىٰ ﴾ [طه : ٧١]

﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٩]

.. وفي الآية (٧١) في سورة طه ، نرى العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ وذلك بورود كلمة ﴿ فِي ﴾ وليس كلمة (**على**) ، ولا يمكن لكلمة ﴿ فِي ﴾ أن تكون بمعنى كلمة (**على**) ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الصلب لا يعني مجرَّد الوضع على الصليب ، إنّما يعني الموت من على الصليب ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ تعني الموت صلباً ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ ﴾ وذلك من خلال كونهم محاطين في جذوع النخل ﴿ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ ..

.. وفي ذات السياق نفهم كلمةَ ﴿ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾ في قولِه تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣]

.. وهكذا ففي حين تحمل دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) معنى كونِ الصليبِ بدايةَ خروجِ المصلوب إلى الحياة الآخرة ، فإنَّ دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) تحمل معنى كونِ الصليبِ نهايةَ خروجِ المصلوب إلى الحياة الآخرة ، لأنَّ مُقدّمات موتِ المصلوب كانت من خلال التعذيب وفعل كلِّ ما يُودِّي إلى الموت قبل الوضع على الصليب ..

.. ولَمَّا كانت كلمة ﴿ ٱلصُّلۡبِ ﴾ اسمَ صفة ، وليست اسمَ ذات لمكان محدَّد في جسم الإنسان .. ومن خلال ربطها بالسياق القرآني المحيط بها .. واستقراء من دلالات الجذر (ص ، ل ، ب) في كتاب الله تعالى .. نرى أنَّها تعني : الخطّ الثابت الحامل للصفات المتوارثة من آدم عليه السلام إلى الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء ، والذي من خلالِهِ يخرجُ الإنسانُ (عبر سرِّ الحياة الدافق عبر الأجيال كما رأينا) إلى عالم الدنيا ، الذي هُو العالم الآخر بالنسبةِ لمرحلة ما قبل خروج الإنسان إلى الدنيا ..

.. إذاً .. في قولِه تعالى : ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴾ [الطارق : ٥ – ١٠]

.. نرى أنَّ الآيةَ الكريمةَ : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ، تصف خروج الإنسان (أو الماء الدافق كسرٍّ للحياة يُخلَق منه المني الذكري والأنثوي) ، وذلك ، من بين الخطِّ الثابت للصفات الوراثيّة الذي هُوَ : ﴿ ٱلصُّلۡبِ ﴾ ، والممتدُّ من آدم عليه السلام إليه ، وبين الصفاتِ المختلفةِ المكتسبةِ والطفرات الطارئة ، التي يحملُها الإنسان خارجَ

محورِ : ﴿ ٱلصُّلۡبِ ﴾ الذي خرج إلى الدنيا من خلالِه ، وبالتالي تُوصَفُ هذه الصفات المكتسبة والطفرات الطارئة بـــ ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ، أي بالضعف والتفتّت وعدم الثبات ، وذلك مقارنةً مع الصفات التي يحملها الإنسانُ من محور الصُّلْبِ الذي خرج من خلاله إلى الدنيا .. فكلمة ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ هي من الجذر (ت ، ر ، ب) ، ودلالات هذا الجذر تعني كما سنرى بإذن الله تعالى : النعومة واللين والضعف والتفتّت ..

.. وهكذا .. فالصُّلْبُ هو الخطُّ الثابتُ الممتدُ من آدمَ عليه السلام إلى الإنسان ، حيثُ يخرجُ الإنسان من خلالِه إلى حياةٍ أُخرى (الحياة الدنيا) ، تماماً كما أنَّ الصليبَ أداةٌ ثابتةٌ يخرجُ من خلالِها المصلوبُ عليه من الحياة الدنيا إلى الحياةِ الأُخرى ..

.. ولما كان لكلِّ إنسانٍ صُلْبُهُ الذي يخرجُ منه أولادُه إلى الدنيا ، فإنَّ لمختلف البشرِ أصلابَهم التي تلتقي جميعُها عند آدمَ عليه السلام ، والتي يخرجُ منها أولادُهم ..

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ [النساء : ٢٣]

.. إذاً .. الجزم بأنَّ قوله تعالى ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ يعني خروج المني (٢٣ كروموسوم) من بين الظهر والصدر ، هو جهلٌ بدلالات كتاب الله تعالى ، وبثوابت العلم .. وبالتالي هو إساءة لكتاب الله تعالى ، سواء كان ذلك عن قصد ، أو عن

غير قصد .. وسواء كان من يجزم بذلك معتبراً نفسه ناطقاً رسمياً باسم الله تعالى كما يتوهّم بعضهم ، أم قادحاً في كتاب الله تعالى ..

.. وكلمة **﴿ دَافِقٍ ﴾** هي من الجذر (د ، ف ، ق) ، وليس لهذا الجذر في كتاب الله تعالى أيُّ مشتق ، إلاَّ هذه الكلمة ، ونراها اسم فاعل ، فالدفق مستمرٌّ عبر الأجيال إلى قيام الساعة ..... فالماء المهين الذي يُخلق منه المني الذكري والانثوي ، مستمرٌّ في تواصله (دفقه) كسرٍ للحياة عبر الأجيال إلى قيام الساعة ..

.. إذاً .. في كتاب الله تعالى ، عبارت الخلق من ماء مهين ودافق ، تصوِّر خلق الجسم البشري الهابط ، من سرِّ الحياة المتوارث من الجسم الهابط لآدم وزوجه بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها .. وعبارة الخلق من الماء **﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾** تصف كما رأينا خلق الجسم الأوَّل لآدم قبل هبوطة كقيمة خلْقيّة .. ولذلك نرى في كتاب الله تعالى تكامل هذه العبارات في معيارة معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] = <u>١٣٤</u>

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] = <u>١٥٥</u>

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠] = <u>٩٣</u>

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٦] = <u>٩٣</u>

١٣٤ + ١٥٥ + ٩٣ + ٩٣ = <u>**٤٧٥ = ١٩ × ٢٥**</u>

.. من كلِّ ما سبق .. وصلنا إلى نتيجة ، أنَّ الماء المهين والدافق المعني في كتاب الله تعالى ، هو ما ينتقل عبر أجساد البشر أباً عن جد ، من سرِّ التكاثر الذي جعله الله تعالى

أصلاً يُخلَق منه المني الذكري والأنثوي ، ذلك المني الذي هو اللبنة الأولى في خلق جسم الإنسان ..

.. المني الذكري والأنثوي ذُكر في كتاب الله تعالى في الآيات التالية ..

﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩]

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦]

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٣٨]

.. وهذه الكلمات [[﴿ تُمۡنُونَ ﴾ ،، ﴿ تُمۡنَىٰ ﴾ ،، ﴿ مَّنِيٍّ ﴾ ،، ﴿ يُمۡنَىٰ ﴾]] هي من الجذر (م ، ن ، ي) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار جمع الرغبة وطلبها .. فالأماني هي الرغبات الذاتيّة والأهواء التي تطلبها الذات وتريدها ..

﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨]

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١]

﴿ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [الحديد : ١٤]

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ [النساء : ١٢٣]

.. وتمنّى الشيء ، رغبه لذاته وأراده وطلبه ..

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ – ٩٥]

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ [النساء : ٣٢]

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ .... ﴾ [الحج : ٥٢]

.. ومنَّى الآخر ، رغَّبه بأمرٍ ليريده ويطلبه ..

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : ١١٩ – ١٢٠]

.. من هنا نرى أنَّ النشأة الأولى للإنسان ، تكون من خلال الجمع برغبة بين الذكر والأنثى ، حيث المني الذكري والإنثوي يُجمعان بهذه الرغبة ، فتتكوَّن النطفة .. وفور اجتماعهما يتحدَّد جنس المولود ، ذكراً كان أم أنثى ، وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ..

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ – ٤٧]

.. فالآية الكريمة ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ تعني : من نطفةٍ حينما تتكوَّن بجمع رغبتي الذكر والأنثى ﴿ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ .. أي باجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع البويضة الأنثويّة (٢٣ كروموسوم) .. وحين ذلك تبدأ النشأة الأولى ، وفور تكوين هذه

النطفة من عنصريها الذكري والأنثوي لتصبح (٤٦) كروموسوم ، يتحدَّد جنس المولود .. فالنطفة كما نرى هي اجتماع الحيوان الذكري مع البويضة الأنثويّة ..

.. وهذا المني الذي يمنيه الإنسان عبر طبيعته الجنسيّة ، هو من خلق الله تعالى ، وهو بداية النشأة الأولى التي يعلمها الإنسان .. هذه النشأة الأولى ، يريد الله تعالى منّا أن تكون تذكرة للنشأة الآخرة ..

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨ – ٦٢]

.. هذا المعنى القرآني للمني ، وللنطفة ، يتجلّى معنا في قوله تعالى ..

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ – ٤٠]

.. فالنطفة تتكوَّن من مني (ذكري وأنثوي) يُجمَع برغبة **﴿ مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾** ، وهي بداية النشأة الأولى للإنسان : **﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾** .. وكنّا قد رأينا أنَّ تحديد جنس الجنين بالذكورة والأنوثة يكون ببداية الخلق الذي هو تكوين النطفة (٤٦ كروموسوم) من اجتماع الحيوان الذكري (٢٣ كروموسوم) مع البويضة (٢٣ كروموسوم) : **﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾** [النجم : ٤٥ – ٤٦] ..

.. هنا في سورة القيامة .. نرى أنّه بعد تكوين النطفة : ﴿ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ، حيث يتحدَّد جنس المولود ببداية الخلق .. بعد ذلك .. هناك مرحلة هي : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴾ ، وبعد ذلك هناك مرحلة هي : ﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ .. بعد ذلك .. تتمايز الأعضاء الجنسية ما بين الجنين الذكر والجنين الأنثى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ .. وهذا عبَّر القرآن الكريم عنه بكلمة ﴿ فَجَعَلَ ﴾ .. بينما عند تحديد جنس المولود نرى أنَّ التعبير جاء بصيغة الخلق ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ ..

.. وفي حين رأينا سابقاً في الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٨] ، أنَّ كلمة ﴿ نَسْلَهُۥ ﴾ تتكامل مع كلمة ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ ..

﴿ نَسْلَهُۥ ﴾ = <u>٢٧</u> ،، ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ = <u>٤٩</u>

٢٧ + ٤٩ = <u>**٧٦ = ١٩ × ٤**</u>

.. نرى أيضاً في العبارة القرآنيّة ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٧] ، أنَّ كلمة ﴿ نُطْفَةً ﴾ تتكامل مع العبارة القرآنيّة ﴿ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ..

﴿ نُطْفَةً ﴾ = <u>٤٩</u> ،، ﴿ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ = <u>٢٧</u>

٤٩ + ٢٧ = <u>**٧٦ = ١٩ × ٤**</u>

وبالتالي نرى التوازن التالي ..

﴿ نَسْلَهُۥ ﴾ = <u>**٢٧**</u> ،، ﴿ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ = <u>**٢٧**</u>

.. فالنسل : ﴿ نَسۡلَهُۥ ﴾ ، الذي يكون من خلال : ﴿ مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ ، جعله الله تعالى من : ﴿ سُلَٰلَةٖ ﴾ ، من : ﴿ مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ .. وهذا هو ما نراه في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ [السجدة : ٨] .. حيث الماء المهين ليس السائل الحامل للمني كما اعتقدوا ، وليس المني ، إنّما هو سرّ الحياة المتوارث من الجسم الهابط ، والذي منه جُعلت السلالة ، التي منها جُعل النسل ، الذي يبدأ بالنطفة ، التي هي اجتماع المني الذكري والأنثوي ..

.. لذلك .. نرى في كتاب الله تعالى أنَّ خلْق الإنسان المتعلِّق بالنطفة ، لم يُسبَق إلاَّ بمرحلة التراب والطين ، فبداية الإنسان (٤٦ كروموسوم) تبدأ بـــ ﴿ نُطۡفَةٗ ﴾ التي هي اجتماع مني الرجل (٢٣ كروموسوم) مع مني المرأة الذي هو البويضة (٢٣ كروموسوم) : ﴿ مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ .. ومن المعلوم أنَّ وصف الخلق من تراب ومن طين يتعلَّق بخلق جسم آدم أبي البشريّة ..... وهذه النصوص القرآنيّة الحاملة لكلمة ﴿ نُطۡفَةٗ ﴾ ، حيث ترد (١٢) مرّة في كتاب الله تعالى ..

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [النحل : ٤]

﴿ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [الكهف : ٣٧]

﴿ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ ﴾ [الحج : ٥]

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا .... ﴾ [المؤمنون : ١٢ – ١٤]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس : ٧٧]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾ [النجم : ٤٥ – ٤٦]

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ ﴾ [القيامة : ٣٦ – ٣٧]

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ [الإنسان : ٢]

﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس : ١٨ – ١٩]

.. ولمّا كانت العبارة القرآنيّة : ﴿ نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ ﴾ [الإنسان : ٢] ، تصف النطفة من زاوية كونها اختلاطاً للمني الذكري والأنثوي ، وهي الصيغة الوحيدة في كتاب الله تعالى المصوِّرة لذلك .. فإنّنا نراها مسألة كاملة ..

﴿ نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ ﴾ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

.. وفي هذا البحث ، نقف فقط عند مراحل ما قبل خلق النطفة ، عند صيغ الخلق من تراب ، ومن طين ، ومن صلصال من حمإ مسنون ومن صلصال يشبّهه الله تعالى بالفخّار .. لنرى كيف أنَّ كلَّ هذه الصيغ تتعلّق بخلق الجسم البشري الأوَّل (جسم آدم عليه السلام) ، وبعد ذلك وراثة الجسم البشري لذلك ..

.. مشتقّات الجذر (ت ، ر ، ب) تعني : النعومة والضعف والتفكّك واللين وعدم التماسك .. وكنّا قد رأينا كيف أنَّ كلمة ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ تقابل كلمة ﴿ ٱلصُّلۡبِ ﴾ ، لتعني الحالات الطارئة من الطفرات الضعيفة والمفكّكة ، أمام خط الصفة الوراثي الآتي عن طريق الصلب من آدم عليه السلام إلى الإنسان ..

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق : ٥ – ٧]

.. وصفة الضعف ، والتفكّك ، والنعومة ، وعدم التماسك ، وعدم الثبات ، نراها في كلمة ﴿ تُرَابٌ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤]

وهذه الصفة من الضعف كفقر شديد ، نراها في كلمة : ﴿ مَتْرَبَةٍ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد : ١١ – ١٦]

.. وصفة النعومة واللين وعدم القساوة ، نراها في كلمة ﴿ أَتْرَابًا ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٢]

.. ونراها أيضاً في كلمتي [[﴿ أَتْرَابٌ ﴾ ،، ﴿ أَتْرَابًا ﴾]] في قوله تعالى ..

﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٥٢ – ٥٣]

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٥ – ٣٧]

.. فكلمة ﴿ تُرَابٌ ﴾ ليست مجرَّد اسم ذات لموادّ محدَّدة بعينها ، كما يتخيَّل الكثيرون .. لا شكَّ أنَّ الموادَّ الناعمة على وجهة الأرض ، المفكّكة وغير المترابطة والناعمة ، تسمّى ﴿ تُرَابٌ ﴾ .. لكن .. كلمة ﴿ ٱلتُّرَابِ ﴾ تصف جانب التفكّك والنعومة وعدم التماسك واللين والضعف في المواد الموصوفة الموجودة فوق سطح الأرض .. لذلك .. ليس من المصادفة أن ترد في كتاب الله تعالى مرّة واحدة ، لتصف هذه الموادَّ المفكّكة الناعمة غير المتماسكة على وجه الأرض ..

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٩]

.. لكن .. في وصف خلق الإنسان ، لا ترد هذه الكلمة إلاَّ نكرة ﴿ تُرَابٌ ﴾ .. بمعنى : من ضعف ولين وعدم تماسك .. وهذا لا يعني أنّنا نقول بأنَّ جسم آدم عليه السلام (والجسم البشري من بعده) لا يدخل فيه عنصر التراب المعروف .. أبداً .. ما نعنيه .. أنَّ الموادَّ التي دخلت في تركيب جسمه هي من موادِّ الأرض ، وتتّصف باللين والنعومة والتفكّك ، وهي جزء من تركيبة جسمه ، حيث هناك الماء كما نعلم ، والذي جُعلت منه الحياة ..

.. وكنّا قد بيّنا أنَّ الله تعالى خلق آدم وزوجه وعيسى عليهما السلام ، من تراب مباشرة ، وليس كباقي البشر الذين تدخل عناصر التراب في أجسامهم ، كونهم ورثوا هذا عن الجسم الأوّل ، فيدخل التراب في أجسامهم من خلال غذائهم ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

.. آدم وزوجه وعيسى عليهم السلام خُلقوا مباشرة من تراب ، بينما باقي البشر خلقوا من تراب من خلال سلالة من ماء مهين ، لتدخل عناصر التراب في أجسامهم من خلال غذائهم ..

.. لذلك نرى أنَّ النصوص القرآنيّة التي يبيّن الله تعالى فيها أنَّه خلق البشر من تراب ، تعني خلق جسد آدم عليه السلام كأب للبشريّة ، ومن ثمَّ وراثة البشر لناموس الخلق هذا ، من خلال سلالة من ماء مهين كما رأينا ، ليكون تعلّقهم بالخلق من تراب ، من خلال وراثتهم للجسم الأوَّل ، وعبر طعامهم الذي هو في النهاية من مكوّنات تراب الأرض ..

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف : ٣٧]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج : ٥]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر : ٦٧]

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ العبارات القرآنيّة المصوِّرة لجوهر خلق الجسم الأوَّل من تراب ، حيث ورث الجسم البشري ذلك ، هي مسألة كاملة ..

﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] = <u>١٤١</u>

﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [الكهف : ٣٧] = <u>٨٢</u>

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج : ٥] = <u>١٠٧</u>

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الروم : ٢٠] = ١٢٧

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [فاطر : ١١] = ١٠٣

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [غافر : ٦٧] = ١٢٤

١٤١ + ٨٢ + ١٠٧ + ١٢٧ + ١٠٣ + ١٢٤ = **٦٨٤ = ١٩ × ٣٦**

.. وفي نصوص قرآنيّة أُخرى نرى تصويراً بالخلق من طين .. من طين وليس من الطين ، فبما أنَّ خلق الجسم الأوَّل – كما رأينا – كان من تراب وليس من التراب ، وبما أنَّ الطين هو مزج التراب مع الماء ، وآدم عليه السلام خُلق (كباقي الكائنات الحيّة) من الماء ، نرى أنَّ القرآن الكريم يصف خلق الجسم الأوَّل ومن بعده ميراث هذا الناموس لأبنائه بالصفة (الماء + تراب = طين) .. فالوصف جاء بكلمة **[[﴿ طِينٖ ﴾ ،، ﴿ طِينًا ﴾]]** وليس بكلمة (الطين) ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ .... ﴾ [الأنعام : ٢]

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف : ١٢]

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء : ٦١]

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ [المؤمنون : ١٢]

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة : ٧]

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافّات : ١١]

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾ [ص : ٧١]

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [ص : ٧٦]

.. حتّى الحجارة المسوَّمة التي أُرسلت عذاباً من الله تعالى ، كونها ليست من ذات ما نراه بحواسّنا من مزج التراب والماء ، نراها وصفت بكلمة ﴿ طِينٍ ﴾ ..

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣٢ – ٣٤]

.. لكن .. ما أوقد عليه هامان ليجعل صرحاً لفرعون ، هو ﴿ ٱلطِّينِ ﴾ ، بمعنى التراب ذاته المعروف ، ممزوجاً بالماء ..

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِى فَأَوۡقِدۡ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّى صَرۡحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص : ٣٨]

.. وهذه الصيغة المعرَّفة بأل التعريف ، نراها أيضاً في الطين الذي كان يستخدمه عيسى عليه السلام في خلقه بإذن الله تعالى للطير ..

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ۖ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران : ٤٩]

﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِى ۖ ﴾ [المائدة : ١١٠]

.. فما كان يستخدمه عيسى عليه السلام هو هذا التراب ذاته ممزوجاً بالماء .. لذلك نرى ورود كلمة ﴿ ٱلطِّينِ ﴾ معرَّفة بأل التعريف ..

.. إذاً .. جسم آدم الأوَّل ومن بعده أجسام ذريّته كميراث لناموس خلق جسم أبيهم عبر سلالة يتوارثونها ، خُلق من الماء كما رأينا ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .. وهذا الماء عندما يمتزج بتراب ، يكون طيناً ، ولذلك رأينا نصوصاً قرآنيّة تصوِّر الخلق من تراب ، ونصوصاً قرآنيّة تصوِّر الخلق من طين .. وكنّا قد رأينا التكامل بين كلمة ﴿ ٱلْمَآءِ ﴾ وكلمة ﴿ تُرَابٍ ﴾ ، كونهما المادَّتين الأساسيَّتين في خلق الجسم الأوَّل (جسم آدم) كما رأينا ..

﴿ ٱلْمَآءِ ﴾ = ٩ ،، ﴿ تُرَابٍ ﴾ = ٢٩

٩ + ٢٩ = **٣٨ = ١٩ × ٢**

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ العبارات القرآنيّة التي تلقي الضوء على جوهر الخلق من طين ، هي مسألة كاملة ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ [الأنعام : ٢] = ١٣٠

﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] = ١٠١

﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] = ١٦١

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢] = ١٧٧

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧] = ١٣٤

﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] = ١٣٣

﴿ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] = ١٢٧

﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] = ١٠١

١٣٠ + ١٠١ + ١٦١ + ١٧٧ + ١٣٤ + ١٣٣ + ١٢٧ + ١٠١ = **١٠٦٤ =**

١٩ × ٥٦

.. وكون الخلق من ﴿ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ ، يصف مسألة مميّزة هي الوحيدة المذكورة بهذه الحيثيّة في كتاب الله تعالى ، وتصوِّر تفصيلاً في هذا الخلق من طين ، نرى أنَّ العبارة القرآنيّة الحاملة لذلك ، وحدها مسألة كاملة ..

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. حتى الآن .. الآيات الكريمة التي وقفنا عندها تتناول المادَّتين اللتين خُلق منهما الجسم الأوَّل ، وهما الماء ، وتراب ، حيث يُنتج جمعهما مع بعضهما طيناً .. لكن هذه المادّة المركَّبة من : الماء + تراب ، والتي عبَّر عنها القرآن الكريم بكلمة ﴿ طِينٍ ﴾ ، تعرَّضت – في عملية الخلق – إلى تحوّلٍ سريعٍ ممنهجٍ ﴿ مَّسۡنُونٍ ﴾ ، باتّجاه النتن الحامل للرائحة المختلفة ﴿ حَمَإٍ ﴾ ، وذلك في بداية تكوّن الصلصال .. بمعنى : تؤخذ مادّة الخلق في هذه المرحلة من استعجال حالة الصلصال حيث يكون نتناً ، قبل اكتمال تحوّله ..

.. هناك حالة تغيّر سريعة منتنة تكون جزءاً من مرحلة الصلصال ، وتكون قبل أوان اكتمال مرحلة تحوّله .. حيث يكون الصلصال في بداية تحوّله وقبل اكتمال هذا التحوّل نتناً .. هذه الحالة يصفها القرآن الكريم بالعبارة : ﴿ صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴾ .. بمعنى : يُخلق من : ﴿ صَلۡصَٰلٍ ﴾ ، من حالة النتن : ﴿ حَمَإٍ ﴾ ، المحكوم بنهج التحوّل والتغيّر : ﴿ مَّسۡنُونٍ ﴾ ..

.. لذلك لا نرى في كتاب الله تعالى نصوصاً تبيّن لنا خلقاً من مرحلة مستقلّة من حمإ مسنون .. فجميع النصوص الحاملة للخلق من حمإ مسنون ، نراها تصوِّر الحمإ المسنون

كحالة يتحوَّل منها الصلصال .. فلم ترد العبارة ﴿ **حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ إلاَّ متعلّقة في سياقها بكلمة ﴿ **صَلْصَـٰلٍ** ﴾ .. وذلك بالصيغة : ﴿ **صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ ..

.. هذه الحالة السريعة من التحوّل ، في بداية تكوّن مرحلة الصلصال قبل اكتمال تحوّله ، حيث تُؤخذ مادة الصلصال قبل أوان اكتمال تحوّلها ، تصوِّرها العبارة القرآنيّة : ﴿ **خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ [الأنبياء : ٣٣] .. فالعجلة .. هي طلب الشيء قبل أوانه .. وهذه العجلة ، هي في مرحلة الصلصال قبل أوان اكتماله ... بمعنى .. هناك مرحلة من الخلق تكون من حالة التغيّر السريع المنتن من الصلصال قبل اكتمال تحوّله ، بمعنى : من طلب حالته قبل اكتمالها ﴿ **مِنْ عَجَلٍ** ﴾ ، وذلك في طريق تحوّل هذا الصلصال إلى حالته ﴿ **صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ** ﴾ ..

.. وفي العبارة القرآنيّة : ﴿ **خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ ، نرى أنَّ الله تعالى لم يقل : (**خُلق الإنسان عجولاً**) ، أو : (**خُلق الإنسان على عجل**) أو : (**خُلق الإنسان في عجل**) .. أبداً .. الله تعالى يقول : ﴿ **خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ .. فالخلق المعني في هذه العبارة القرآنيّة هو : ﴿ **مِنْ** ﴾ حالة تغيِّر سريع ﴿ **عَجَلٍ** ﴾ تؤخذ كما رأينا من الصلصال قبل أوان اكتمال تحوّله ..

.. وكما قلنا .. لا نرى في كتاب الله تعالى نصّاً يصوِّر مرحلةً مستقلّةً من الخلق من حمإ مسنون وحده ، كما هو الحال في الخلق من الماء ، ومن تراب ، ومن طين ، ومن صلصال كالفخّار .. فجميع النصوص القرآنيّة التي تصف الخلق من حمإ مسنون تتعلّق بالصلصال ﴿ **صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ ..

.. نرى في كتاب الله تعالى ثلاثة نصوص قرآنيّة تصوِّر هذه الحالة التي يتمّ فيها الخلق من عجل ، حيث تُؤخذ المادّة من حالة الصلصال المنتنة قبل أوان اكتمال تحوّل الصلصال وصولاً لحالته كالفخار .. ونرى في هذه النصوص ورود صيغة النكرة ، سواء لكلمة صلصال ، أم للعبارة حمإ مسنون ، وذلك على غرار ورود كلمتي تراب وطين بصيغة النكرة كما رأينا .. ونرى أنَّ هذه النصوص تتكامل مع العبارة القرآنيّة ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] = ٢١٧

﴿ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٧] = ٢٠٠

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] = ٢٩٩

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] = ١٠١

٢١٧ + ٢٠٠ + ٢٩٩ + ١٠١ = **٨١٧ = ١٩ × ٤٣**

.. وما نراه أنَّ مرحلة الخلق من صلصال (بعد اكتماله) ترد مستقلّة في كتاب الله تعالى ، ونراها ترد بصيغة النكرة شأنها شأن الخلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون .. لكن .. المشبَّه به ﴿ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ نراه بصيغة المعرفة ... ومرحلة الخلق من صلصال (بعد اكتمال تحوّله) ترد مرّة واحدة في كتاب الله تعالى ، كمسألة كاملة ..

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] = **١٧١ = ١٩ × ٩**

.. إذاً .. الخلق من الماء .. والخلق من تراب .. والخلق من طين .. والخلق من عَجَل تؤخذ فيه المادّة من حالة الصلصال المنتنة قبل أوان اكتمال تحوّله ، والخلق من صلصال

كالفخّار .. كلُّ ذلك تصوير لمراحل خلق الجسم الأوَّل .. وتصوير لحقيقة أجسامنا التي ورثت هذا الناموس من خلال سلالة وراثيّة كما بيّنا ..

.. هذه الحقائق القرآنيّة هي غيب بالنسبة لخلق الجسم الأوّل لأبينا آدم .. فالله تعالى يقول ..

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ [الكهف : ٥١]

.. لكن .. من خلال كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ، علمنا هذه المراحل من خلق جسم آدم عليه السلام .. ومن خلال كتاب الله تعالى المنشور (الكون الذي نعيش فيه) نرى إشارة إلى هذه المراحل .. فالموت عكس الحياة .. ولو نظرنا إلى جسم من يموت بيننا ، لرأينا أنه يسير في تفسّخه عكس مراحل خلق الجسم الأول تماماً ..

.. فخروج النفس من الجسم (خروجاً نهائيّاً) الذي هو أوَّل مرحلة بعد الموت ، يقابل سكن النفس في الجسم بعد اكتمال خلقه ، والذي هو آخر مرحلة في الخلق ..

.. وتصلّب الجسم .. يقابل مرحلة ﴿ صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ ..

.. وما يتبعه ذلك مباشرة ، من إنتان للجسم وخروج الروائح الكريهة منه .. يقابل مرحلة ﴿ صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ ..

.. وتحلّل الجسم إلى عنصريه الأساسيين ، وهما كما رأينا (الماء + تراب) .. يقابل مرحلة الخلق ﴿ مِن طِينٖ ﴾ ..

.. وفي النهاية .. يتبخَّر الماء ، ويبقى تراب الأرض فيها .. وهذا ما يقابل الخلق ﴿ مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ ، والخلق ﴿ مِّن تُرَابٖ ﴾ ..

.. فقصّة الخلق الأوَّل لجسم أبينا آدم عليه السلام ، موجودة في كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) .. وموجودة أيضاً في كتاب الله تعالى المنشور (الكون) .. لكن .. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

المهندس عدنان الرفاعي

أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

.. سبل الله تعالى لا يتمُّ الوصول إليها إلاّ بمجاهدة النفس ، وتفعيل طاقاتها عقلاً وفكراً ، والخروج بها من مستنقعات العصبيات النتنة ، وهذا من درجات الإحسان ، كونه يجعل النفس في صراط الله تعالى ، وفي تأييده جلَّ وعلا ورحمته .. وإلاّ .. فستغرق النفس في هواها ، وستُؤسَر في قفص وسوسة الشيطان ، وستذهب بعيداً في دياجير الظلام ، مُبتعدة عن سبل الله تعالى ..

.. وسبل الله تعالى محمولة في كتابه الكريم .. ولذلك .. فتدبّر كتاب الله تعالى لإدراك دلالاته العميقة ، يحتاج لتفعيل طاقات النفس عقلاً وفكراً وخلاصاً وإخلاصاً .. وإلاّ فسنتيه في ظلمات القال والقيل من أهواء رجالات الماضي والحاضر ..

.. في سياق هذا البحث سنقف عند النصِّ الكريم التالي ، مبحرين بمركب العقل والمنطق في أعماق دلالاته ، بين شاطئي صياغته اللغويّة وثوابت العلم ..

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ – ٥٠]

.. ما نراه في الصياغة اللغويّة لهذا النصِّ الكريم ، أنَّ آليّة خلق الإنسان من مرحلة النطفة وكتكاثر وولادة ، يُلقى الضوء عليها من زاوية الأسباب التي يُسخِّرها الله تعالى في هذا السبيل ، بدليل تعلّقها بالمشيئة التي ترد ثلاث مرّات في هذا النصِّ الكريم ..

.. وما نراه في هذا النصِّ الكريم ، أنَّ الإناث والذكور هما وهبة من الله تعالى ، وأنَّه خصَّ كلاً من الإناث والذكور بهبة مستقلة ، حيث تكرَّرت كلمة **﴿ يَهَبُ ﴾** مرَّتين ، مرّة للإناث ومرّة للذكور .. وأنَّه جلَّ وعلا قدّم الإناث على الذكور .. وأنَّه جاء بالإناث بصيغة النكرة وبالذكور بصيغة المعرفة بأل التعريف : **﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾** ..

.. ونرى أيضاً أنَّ الآية الثانية تبدأ بكلمة : **﴿ أَوْ ﴾** وليس بالحرف (وَ) .. ونرى صيغة الزوجيّة **﴿ يُزَوِّجُهُمْ ﴾** .. ونرى صيغة **﴿ ذُكْرَانًا ﴾** وليس صيغة الذكور كما هو في الآية الأولى .. ونرى في صيغة الزوجيّة هذه دمجاً للذكران والإناث في إطار زوجيّة واحدة ، بمعنى : ورود كلمة **﴿ يُزَوِّجُهُمْ ﴾** مرّة واحدة تُجمع فيها الذكران والإناث معاً **﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ ﴾** ..

.. وفي مسألة العقم نرى صيغة الجعل **﴿ وَيَجْعَلُ ﴾** .. ونرى العودة لكلمة **﴿ مَن ﴾** كما هو في الآية الأولى **﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾** ..

.. إدراك دلالات هذا النصِّ الكريم بما يتناسب مع ما يحمله كتاب الله تعالى لعصرنا ، يتطلَّب الوقوف على بعض الحقائق العلميّة في مسألة خلق الإنسان من الحيوان الذكري والبويضة الأنثويّة .. فهذا النصِّ الكريم كما سنرى – إن شاء الله تعالى – تحمل صياغته اللغويّة أبعاداً علميّة لم تُكتشف إلاّ في العصر الحديث ..

.. من المعلوم أنَّ الحيوان الذكري ((المُسمَّى خطأ بالنطفة ، حيث النطفة في كتاب الله تعالى تعني البويضة الملقَّحة)) يتكوَّن من (٢٣) كروموسوماً ، منها (٢٢) لا علاقة لها بتحديد جنس المولود ، وكروموسوم واحد هو ما يُحدِّد جنس المولود .. وهنا علينا أن نميِّز بين نوعين من الحيوان الذكري :

١ – حيوان ذكري يحوي (٢٢) كروموسوماً لا علاقة لها بالجنس ، وكروموسوماً واحداً يتعلَّق بتحديد جنس الذكورة ، وتمت تسميته : (y) ..

٢ – حيوان ذكري يحوي (٢٢) كرموسوماً لا علاقة لها بالجنس ، وكروموسوماً واحداً يتعلَّق بتحديد جنس الأنوثة ، وتمت تسميته : (x) ..

.. ومن المعلوم أنَّ البويضة تتكوَّن من (٢٣) كروموسوماً أيضاً ، منها (٢٢) لا علاقة لها بتحديد جنس المولود ، وكروموسوم واحد هو ما يُحدِّد جنس المولود .. وتمت تسميته : (x) ..

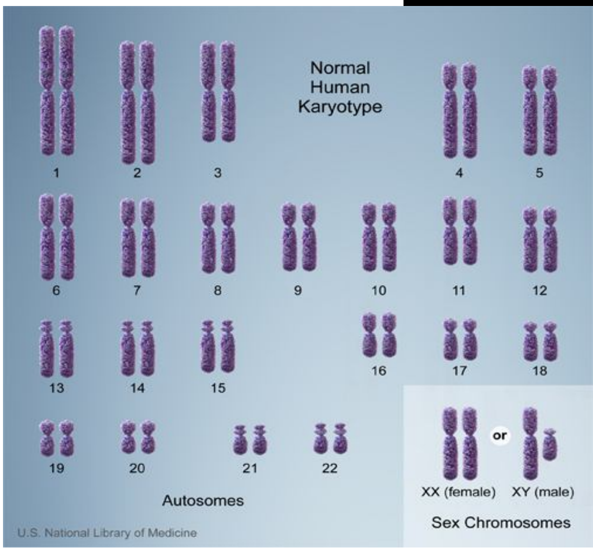
.. فإن وصل الحيوان الذكري الذي كروموسومه الجنسي (y) إلى البويضة ، وتمَّ التلقيح ، فسيزاوج مع الكرموسوم الجنسي للبويضة (x) ليكون المولود ذكراً .. حيث كل كروموسوم من الكروموسومات ال (٢٢) للحيوان الذكري يُزاوَج مع الكروموسوم التوأم له من الكروموسومات ال (٢٢) للبويضة .. ويُزاوج الكروموسوم الجنسي (y) المحمول بالحيوان الذكري مع الكروموسوم الجنسي (x) المحمول بالبويضة ، ليكون المولود ذكراً ، كل خليّة من خلاياه تحمل (٤٤) كروموسوماً لا علاقة لها بالجنس ، إضافة للزوج الجنسي (x y) ..

.. وإن وصل الحيوان الذكري الذي كروموسومه الجنسي (X) إلى البويضة ، وتمّ التلقيح ، فسيزاوج مع الكرموسوم الجنسي للبويضة (X) ليكون المولود أنثى .. حيث كل كروموسوم من الكروموسومات ال (٢٢) للحيوان الذكري يُزاوَج مع الكروموسوم التوأم له من الكروموسومات ال (٢٢) للبويضة .. ويُزاوج الكروموسوم الجنسي (X) المحمول بالحيوان الذكري مع الكروموسوم الجنسي (X) المحمول بالبويضة ، ليكون المولود أنثى ، كل خليّة من خلاياه تحمل (٤٤) كروموسوماً لا علاقة لها بالجنس ، إضافة للزوج الجنسي (X X) ..

.. إذاً .. يُورث كروموسوم (X) بالنسبة للذكر من الأم ، فيكون بالنسبة للذكر الزوج (X Y) .. أما بالنسبة للأنثى فإنه يورث من الأم و الأب معاً ، فيكون بالنسبة للأنثى الزوج (X X) .. بمعنى : الأنثى لا تحمل كروموسوم الذكورة ، بينما الرجل يحمل كروموسوم الأنوثة .. ومن هنا كانت الأنوثة المحمولة بالكروموسوم (X) هي السائدة .. كونه في مجموع الرجال (X Y) مع النساء (X X) نرى : (3X + Y) ..

.. إذاً .. الصبغي (Y) هو صانع الذكورة ، وهو الصبغي المُختلف بماهيّته ، وبحجمه الصغير ((مقارنة مع حجم الصبغي X)) ، وبما يحمله من نسبة ضئيلة جداً من المادّة الوراثيّة (الجينات) ، فعدد الجينات فيه بالنسبة للإنسان لا يتعدى (٧٨) إلى (١٥٠) جيناً من أصل عشرات آلاف الجينات التي يمتلكها الإنسان ، ومن هنا تنخفض ضرورته (مقارنة مع الكروموسومات الأُخرى) للحياة ، كون الجينات التي يتضمّنها لا تدخل في الوظائف الفيسيلوجية الضرورية للجسم ..

.. وهو بذلك يختلف عن الكروموسوم (X) الذي يُعتبر من الكروموسومات المتوسطة أو الكبيرة و يحتوي على (١١٠٠) جين تقريباً ، والجينات التي يتضمّنها كروموسوم (X) هي جينات ضرورية ، تساهم في الوظائف الفيسيلوجية الضرورية للجسم ..



.. إذاً .. الإنسان الطبيعي الذي يهبه الله تعالى لوالديه ، يكون إمّا أنثى حيث الزوج الأخير من الكروموسومات هو (X X) .. وإمّا يكون ذكراً حيث الزوج الأخير من الكروموسومات هو (X Y) .. وبالتالي بالنسبة للإنسان بشكل عام (كإناث وذكور) وكوجود في الطبيعة بشكلٍ عام ، هناك ثلاث كروموسومات موجودة في الطبيعة ، يتعلّق بها تحديد الجنس : اثنان منها (X) ((واحد يعود لأحد نوعي النطفة ، وواحد يعود للبويضة)) ، وواحد منها (Y) يعود لأحد نوعي الحيوان الذكري ..

بمعنى آخر .. لو أخذنا خلية جسميّة من إنسان ذكر وخليّة جسميّة من إنسان أنثى ، فإنَّ فيهما (٤٦ + ٤٦ = ٩٢) كروموسوماً .. منها كروموسوم واحد (Y) وثلاث كروموسومات (X) .. والكروموسوم (X) أقرب [[مقارنة مع الكروموسوم (Y)]] إلى باقي كروموسومات الخلية ، أي – نسبياً – إلى طبيعة الحالة السائدة من الكروموسومات ، فوصول الحيوان الذكري ذي الطبيعة (X) إلى البويضة حيث فيها كرموسوم (X) أيضاً ، يُكوِّن طبيعة أقرب إلى الحالة السائدة ، وأبعد عن التميّز بالمخالفة فيما لو وصل الحيوان الذكري (Y) ..

.. من هنا ندرك عظمة الصياغة القرآنيّة ، بتقديم الإناث على الذكور ، وبورودها نكرة .. في حال نرى الذكور بصيغة المعرفة وتمّ تأخيرها : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ..

.. فالحالة المميَّزة كثيراً بمخالفتها النسبية لطبيعة باقي الكروموسومات [[مقارنة مع الكروموسوم (X)]] هو الكروموسوم (Y) ، أي حالة ولادة الذكر .. هذه الحالة المميَّزة بمخالفتها للسائد [[مقارنة مع الكرموسوم (X)]] تنتج حالة مميَّزة مُعرَّفة بابتعادها عن السائد ، مقارنة مع الخيار الآخر .. وهذا التمايز والمخالفة النسبيّة بالابتعاد عن الحالة السائدة ، والذي يُنتج أحد زوجي الحياة الإنسانيّة كضرورة لاستمرار الحياة ، تناسبه صيغة التعريف ﴿ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، كحالة مُميَّزة مُخالفة (نسبيّاً) لطبيعة الحالة السائدة كما رأينا .. ويناسبه في الوقت ذاته التأخير عن الحالة الأقرب للسائد .. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ..

.. وفي كتاب الله تعالى وبالنظر إلى مشتقّات الجذر (و ، هـــ ، ب) نرى أنَّ الهبة هي : العَطِيَّة الخالية عن الأَعْواضِ والأَغْراض ، وهذا يكون حينما يهب الله تعالى الإناث وكذلك الذكور للوالدين .. من هنا نرى دلالات كلمة ﴿ يَهَبُ ﴾ التي تتكرَّر مرتين ، مرَّة للإناث ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا ﴾ ، ومرّة للذكور ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ..

.. ولّما كانت آليّة نمو البويضة الملقَّحة بالنطفة [التي فيها الكروموسوم (X)] ، تسير بحيثيّات مستقلّة ومختلفة – من حيث طبيعة الخليّة الأولى – عن آليّة نمو البويضة الملقّحة بالنطفة [التي فيها الكروموسوم (Y)] ، ولّما كانت النتيجة ما بين هاتين الحالتين ، مختلفة تماماً ما بين أُنثى وذكر ، لذلك نرى تكرار صيغتي كلٍّ من الهبة والمشيئة ما بين هذين السبيلين المتمايزين .. بمعنى : تكرار كلمة ﴿ يَهَبُ ﴾ ما بين حالتي الأنوثة

والذكورة ، وكذلك كلمة ﴿ يَشَآءُ ﴾ .. ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ..

.. والضمائر في هذا النصِّ الكريم نراها تتعلَّق بالوالدين ، وليس بالمولود ، فما يهبه الله تعالى هو للوالدين .. وكلمة : ﴿ لِمَن ﴾ التي تتكرَّر مرتين كما نرى ، واضحة في ذلك بشكلٍ جليٍّ ، حيث تتعلَّق بالوالدين .. فما يهبه الله تعالى من إناث وذكور هو للوالدين : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ..

.. هذا هو ما يهبه الله تعالى للوالدين ، أنثى ، أو ذكر ، وهذا ما يتحدَّد كجنس للمولود فور التلقيح كما رأينا طبيّاً ، وهذا ما أخبر الله تعالى عنه في كتابه الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً .. يقول تعالى :

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ – ٤٦]

.. فالآية الكريمة : ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ ، تعني حين تمنى ، بمعنى حين اجتماع الحيوان الذكري مع البويضة الأنثويّة لتكوين النطفة .. فخلق الذكورة والأنوثة ﴿ خَلَقَ ﴾ ، يكون في لحظة التلقيح ..

.. وبعد تشكيل النطفة ، والتي تتكوَّن كما رأينا من (٤٦) كروموسوم ، تبدأ الخليّة الأولى بالتكاثر كما هو معلوم علمياً ، للوصول في النهاية إلى أنثى ، أو إلى ذكر ..

.. ولكن .. الأعضاء التناسلية للذكر وللأنثى تبدأ في التمايز في مرحلة من مراحل نمو الجنين ، وهي مرحلة لاحقة على التلقيح بالتأكيد ، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ، بصيغة الجعل ﴿ فَجَعَلَ ﴾ .. فمن المعلوم في كتاب الله تعالى أنَّ الجعل مرحلة لاحقة على الخلق .. يقول تعالى :

﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة : ٣٧ – ٣٩]

.. لكن .. هذا النمو الطبيعي للجنين حيث تتمايز أعضاؤه الجنسية في مرحلة ما ، له مقابل مضاد له لا يجتمع معه ، وهو وجود جينات (محمولة بالكروموسومات) مشوهة غير قادرة على التمايز الطبيعي للأعضاء الجنسيّة للجنين ، أو وجود خلل هرموني نتيجة حمل الأم وما تتناوله من غذاء ودواء ، فتحدث عيوب في سير مرحلة تمايز الأعضاء الجنسيّة للجنين ، فتختلط الذكورة بالأنوثة ، وتكون هناك حالات (نادرة) يُجمع فيها جهازا الذكورة والأنوثة معاً ، كوجود مبيض وخصية في ذات المولود ، وكوجود أعضاء تناسلية ظاهرة لكلا الجنسين ، فيكون هناك اختلاط لدى المولود – الذي يمثل هذه الحالة – ما بين الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية ..

.. هذه الحالة المُضادّة للحالتين في الآية السابقة ، والناتجة عن هذا الخلل ، والتي تُنتج مولوداً تتداخل فيه الذكورة والأنوثة ، نراها مُصوَّرة بقوله تعالى : ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ ﴾ ..

.. وهنا نرى أنَّ الضمير (هم) في كلمة ﴿ يُزَوِّجُهُمۡ ﴾ ، نقل السياق من التعلّق بالوالدين في العبارات السابقة ، إلى المولود في هذه العبارة القرآنيّة ﴿ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ ﴾ .. فما نراه هو غياب الصيغة ﴿ يَهَبُ لِمَن ﴾ والمتعلّقة بالوالدين كما رأينا ، ونرى تعلّق الذكران والإناث بذات المزاوجة ، بمعنى : عطفهما على مزاوجة واحدة .. وبالتالي .. فالمزاوجة هي بينهما ، كصفتين متقابلتين ، ومذكورتين في السياق السابق .. فالكلمتان ﴿ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ ﴾ هما في محل نصب حال ، للمزاوجة ما بين الذكورة والأنوثة في ذات شخص المولود ، سواء كانت الكروموسومات له ذكريّة أم أنثويّة ..

.. الذكورة والأنوثة المذكورة في السياق السابق ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، حيث الخطاب كما رأينا يتعلّق بما يهبه اللهُ تعالى للوالدين من إناث وذكور ، تمَّ الانتقال إليها .. ولذلك نرى الصيغة ﴿ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ مختلفة عن صيغة السياق السابق ... بمعنى : كمواليد ، يناظرهم كأزواج تجتمع فيها الذكورة والأنوثة في ذات الشخص .. ومن هنا نرى الكلمتين ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ في محل نصب حال لكينونة مزاوجة الذكورة والأنوثة في ذات المولود ..

.. فليس من المنطق ربط الضمير في كلمة ﴿ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ بالوالدين ، وذلك بمعنى : يهب للوالدين إناثاً وذكوراً في الوقت ذاته ، كما ذهبت تفاسيرنا الموروثة .. هذا ليس من المنطق إطلاقاً .. فما يهبه الله تعالى من أولاد (ذكوراً كانوا أم إناثاً) للوالدين ، ليس مزاوجة للوالدين .. وحتى في التفسير الموروث ذاته يُعيدون – في الشرح – المزاوجة للأولاد وليس للوالدين ، وقولهم في شرح هذه العبارة القرآنيّة : يهب الله تعالى الوالدين ذكوراً وإناثاً ، يعني أنَّهم يُعيدون المزاوجة إلى الأولاد وليس إلى الوالدين ..

.. ودلالة كلمة ﴿ أَوْ ﴾ واضحة في هذا النصِّ الكريم ، وتؤكِّد هذا المعنى .. فهذه الحالة ، هي المقابل والبديل للحالة الطبيعيّة المُصوَّرة في الآية السابقة ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، والمزاوجة المعنيّة والتي هي بديل الحالتين المذكورتين في العبارتين السابقتين ، هي بينهما ، كصفات ذكريّة وأنثويّة في ذات شخص المولود .... واختيار كلمة ﴿ ذُكْرَانًا ﴾ دون كلمة (ذكور) يُؤكِّد ذلك ..

.. كلمة ذكران على وزن (فعلان) ، تفيد تفاعل مسألة الذكورة كذكورة في سياقها غير الطبيعي ، وهذا ما يكون في تفاعل الصفات الذكريّة مع الأنثويّة في ذات

شخص مولود هذه الحالة غير الطبيعيّة .. وقد وردت هذه الكلمة على وزن (فعلان) مرّة أخرى فقط في كتاب الله تعالى لتصوِّر تفاعل الذكورة في سياقها الشاذ غير الطبيعي :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥ – ١٦٦]

.. وبما أنَّ الصفات الذكريّة المتعلّقة بالكروموسوم (Y) مُخالفة للصفات السائدة **[[** مقارنة مع الكروموسوم (X) **]]** كما رأينا .. وبما أنَّ هذه الحالة غير طبيعيّة حيث تختلط فيها الصفات الذكريّة مع الأنثويّة .. لذلك .. نرى تقديم كلمة **﴿ ذُكْرَانًا ﴾** على كلمة **﴿ وَإِنَٰثًا ﴾** .. ونرى ورودها بصيغة النكرة ، كون الذكورة مختلطة بالأنوثة وليست مستقلّة ..

.. بعد العبارة القرآنيّة **﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾** ، حيث الضمير كما نرى يعود للمولود ، يعود السياق القرآني إلى الصيغة : **﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾** ، وهي صيغة مشابهة للصيغة في العبارات التي رأيناها في الآية السابقة : **﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾** .. ولكن بالفعل **﴿ وَيَجْعَلُ ﴾** وليس بالفعل **﴿ يَهَبُ ﴾** ..

.. وهنا جَعْل الإنسان عقيماً ، يتناول الزوجين الرجل والمرأة ، ويتناول الجنين أيضاً ، فاحتمالات العقم واردة في كلِّ المراحل ، ابتداء من تكوّن النطفة حتى على كامل مراحل حياة الإنسان بعد ولادته .. ولذلك نرى صيغة الجعل **﴿ وَيَجْعَلُ ﴾** دون غيرها ، لتشمل الحالات اللاحقة على خلق الجنين ..

.. ونرى أيضاً الحكمة في توسّط العبارة : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ بوقوعها خلف قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، وقبل قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ ..

.. ففي حين تعلَّق الضمير في العبارات الأولى بالوالدين : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، نرى أنَّ تعلَّق الضمير بالمولود في العبارات التالية لها مباشرة : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ وبورود كلمة ﴿ أَوْ ﴾ ، يفيد كون تلك الحالة – كما رأينا – بديلاً لما يهبه الله تعالى للوالدين .. وبعد ذلك يعود الضمير في العبارات الأخيرة من النصِّ الكريم : ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ ليتعلَّق بكلِّ حالات العقم ، سواء كان العقيم عقيماً في مرحلة الجنين ، أم في مرحلة ما بعد ولادته وعلى كامل حياته ..

أَلْفَ سَنَةٍ

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. النور يضيء الحقَّ ويجلّيه ، والحقُّ يشعُّ نوراً ، فكلاهما من مشكاة واحده .. والظلام يُخفي الحقيقة بما ينتجه من جهل ، والجهل يغمس صاحبه في دياجير الظلام .. هذه سنّةُ الله تعالى في الحياة ، وهي سنّة لا تتبدَّل ولا تتحوَّل ..

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣]

.. ويتجلّى الغرق في دياجير الظلام حينما تكون الحقيقة التي يطمسها الجهلاء ، حقيقةً يحملها كتاب الله تعالى .. ويزداد الغرق في مستنقع الجهل حينما يظهر الجهلاء بمظهر الحاملين لمنهج الله تعالى ، المالكين لتوكيلٍ رسميٍّ غير قابلٍ للعزل ، بحقِّ التصرّف بكتاب الله تعالى كما تشتهي أنفسهم ، معتبرين أقوال أسلافهم وخصوصيّاتهم المذهبيّة والفكريّة

عين منهج الله تعالى ، جاعلين من دلالات نصِّ كتاب الله تعالى وصياغته تابعاً لأصنامهم المذهبيّة ورواياتهم التاريخيّة ..

.. الأمثلة التي تثبت ذلك كثيرة وكثيرة جداً ، والباحث – بتجرّد – في التفسير الموروث لكتاب الله تعالى وما يدندن به عابدو هذا التفسير ، يرى ذلك بشكلٍ جلي ..

.. من هذه المسائل .. والتي تناقلتها الأجيال ويدندن بها معظمهم ، تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ في الآية الكريمة ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]

.. معظمهم راح يدندن حول ما خلاصته : أنَّ السنة تكون في الحول الذي فيه الشدّة والجدب والقحط ، والعام يكون في الحول الذي فيه الغيث والرخاء والخصب .. وراحوا يدورون حول هذه الفكرة التي ينقضها كتاب الله تعالى كما سنرى ، في محاولة منهم لعدم اعترافهم أنّهم – بانطلاقهم من مبدأ الموروث والقال والقيل – عاجزون عن إدراك الدلالات الحقّ في قوله تعالى : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ..

.. وهناك من ذهب مذهباً آخر خلاصته : أنَّ ورود كلمتي سنة وعام في هذه العبارة القرآنيّة ، هو للدلالة على كمال العدد ، فحسب قولهم : لأن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ، ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة لأنها أول ما تقرع السمع ، فحسب قولهم : ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه ، أوقع وأوصل إلى الغرض .. وقالوا : إنَّ من قال : عاش فلان ألف سنة ، يمكن أن يتوهم أنه يدعي ذلك تقريبا لا تحقيقاً ، فإذا قال : إلا شهرا أو إلا سنة ، زال ذلك الوهم ..

.. وقالوا : لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة .. ولذلك جاء بالتمييز في المستثنى مخالفاً لما في المستثنى منه ، تجنبا من التكرار الخالي عن

الفائدة ، وتوسعة في الكلام .. فتكرار كلمة (سنة) مرتين في أقل من سطر واحد ، يربك النطق ويوحش السمع ، من هنا – حسب قولهم – كان التنويع ما بين سنة وعام في هذه العبارة القرآنيّة ، للحفاظ على سياق موسيقى الآية الكريمة ..

.. ومنهم من قال : العام هو السنة القمرية ، والسنة هي الشمسيّة ، وراحوا يحتجون بآيات (احتجاجاً غير منطقي) مُعرضين عن آيات أُخرى تنقض ما يذهبون إليه جملةً وتفصيلاً .. وسنرى – بإذن الله تعالى – أنَّ السنة القمرية لا وجود لها على الإطلاق في كتابي الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) والمنشور (الكون) ..

.. كلُّ هذه الأقوال هي محاولات – غير موفَّقة – للالتفاف على حقيقة دلالات هذه العبارة القرآنيّة ﴿ **أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾ .. فموسيقى نصوص كتاب الله تعالى لا تعاير على تخيّلات البشر وأذواقهم .. ولو قال تعالى (تسعمائة وخمسين) لما ذهب ذهن أيِّ متدبّر لكتاب الله تعالى إلى أنَّ ذلك يعني ما يقرب من (٩٥٠) .. وقولهم : لتجنّب تكرير اللفظ الواحد في ذات الجملة ، هو قول غير صحيح ، فكان من الممكن أن تأتي العبارة القرآنيّة ﴿ **أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾ على الشكل : (ألف سنة إلاّ خمسين) دون ذكر كلمة عام ..... والمسألة ليست مجرَّد مسألة تسلية للنبي ﷺ كما قالوا في محاولة لتغطية عدم إدراكهم لحقيقة دلالات هذه العبارة القرآنيّة ، فالآية الكريمة تخاطب كلَّ حاملٍ لمنهج الله تعالى في كلِّ زمانٍ ومكان .... هذه كلُّها تخيّلات مردّها أمران :

١ – عدم إتّباع منهج بحثي مجرَّد سليم في تدبّر آيات كتاب الله تعالى ، بعيداً عن الموروث والقال والقيل ..

٢ – عدم الاعتراف بما يجب الاعتراف به ، أنَّ الموروث الذي يتَّبعه أصحاب هذه الأقوال ، عاجز عن تبيان الدلالات الحقّ لهذه العبارة القرآنيّة ، كونه في الأصل ليس ناتجاً عن تدبّرٍ سليم لآيات كتاب الله تعالى ..

.. كلمة عام في كتاب الله تعالى ، هي مسألة تتعلَّق بقضايا مختلفة حسب السياق القرآني المحيط ، وليست خاصّة بأيِّ حركة فلكيّة ، أو بأيِّ قضيّة أُخرى ، فدلالاتها في كلِّ نصٍّ تتعلَّق بدورة صفة المسألة المعنيّة في هذا النص دورة كاملة .. ولذلك نرى في كتاب الله تعالى أنَّ كلمة عام لم ترد معرّفة بأل التعريف ..

.. وممّا يدلُّ على صحّة ما نذهب إليه ، هو أنَّ كلمة عام أضيفت في ذات رسم الكلمة لمسألة أُخرى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٨]

.. فكلمة **﴿ عَامِهِمْ ﴾** تبيّن أنَّ العام المعنيَّ هنا هو عامٌ يتعلَّق بالمشركين دون غيرهم ، وإلاَّ لما أضيف إليهم .. ونرى خلف كلمة **﴿ عَامِهِمْ ﴾** ورود كلمة **﴿ هَـٰذَا ۚ ﴾** .. فللمشركين أعوامهم المختلفة ، والمعني هنا في هذا النصّ ، هو عامهم هذا المتعلِّق بدلالات النصِّ المحيط بكلمة **﴿ عَامِهِمْ ﴾** في هذه الآية الكريمة ..

.. كلمة عام تعني اكتمال حيثيات دورة كاملة للصفة المعنيّة في السياق المحيط بها .. فالمشركون نجس **﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾** ، وهذه صفة (من مجموعة صفات) يتَّصفون بها ، ولا يخرجون منها إلاَّ بالخروج من شركهم هذا ، وبالتالي ما داموا بهذه الصفة فالله تعالى يمنع من اقترابهم للمسجد الحرام **﴿ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾** ، وسبب ذلك هو اتّصافهم بهذه الصفة (الشرك وما ينتج عنه من نجس) .. وسبب منعهم هو هذه الصفة ، ولو أنّهم خرجوا من هذه الصفة لما مُنعوا ..

.. ولا مانع من اقترابهم من المسجد الحرام إن خرجوا من صفتهم هذه : **﴿ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾** .. من هنا نرى الحكمة من إضافة كلمة عام لهم : **﴿ عَامِهِمْ ﴾** ، وإتْباع ذلك بكلمة **﴿ هَٰذَا ۚ ﴾** ..

.. ولو كانت كلمة عام تُطلق على السنة القمريّة – كما زعم بعضهم – لما أضيفت للمشركين **﴿ عَامِهِمْ ﴾** ، ولما أُتْبعت بكلمة **﴿ هَٰذَا ۚ ﴾** .. فالسنة القمريّة (التي لا وجود لها في كتاب الله تعالى المنشور ، وهي مجرَّد حسابات بشريّة) تمرّ على الجميع ، وليست خاصّة بالمشركين والنجس الذي يتَّصفون به ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة **﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾** ، تعني : بعد هيئة صفة حالهم هذا ، وصفة دورة شركهم هذه وما تنتجه من نجس .. وإلاَّ – كما قلنا – لما أضيفت كلمة عام لهم **﴿ عَامِهِمْ ﴾** ، ولما أُتبعت بكلمة **﴿ هَٰذَا ۚ ﴾** ..

.. هذا المفهوم لكلمة عام نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ....... ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

.. فالذي مرَّ على هذه القرية ، رأى أنَّ ما على عروشها (من العنب وغيره من الأشجار المرفوعة على عروشها) ، صفة حالها أنَّها خاوية على تلك العروش ، بمعنى رآه حطباً لا حياة فيه من ورق ونمو وثمر .. واستفسر عن كيفيّة تغيير هذه الصفة بإحياء هذا الحطب الخاوي على عروشه ، وكيفيّة إعادة الحياة لهذه الصفة ، وحمله للثمر **﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾** ..

.. جاء البيان الإلهي له بأن أماته الله تعالى مائة مرّة ، من مرّات تغيير هذه الصفة بإحياء هذا الحطب دورة كاملة ، يورق فيها ويثمر ويعود إلى حالة الحطب هذه .. بمعنى : أحيى الله تعالى هذا الحطب ليورق ويثمر ويعود إلى حالة صفة الحطب الميتة التي رآها من مرَّ على هذه القرية ، مائة مرّة ، وهذا الذي مرَّ على هذه القرية في حالة الموت ..

.. من هنا نرى ورود كلمة عام دون غيرها ، ليقول الله تعالى بذلك له : هذا الحطب الذي سألت عن كيفيّة إحيائه وثمره ، أحييته مائة مرّة أثمر بها وعاد إلى حالة الحطب التي استفسرت عن كيفيّة إحيائها ، وأنت في حالة الموت .... فكلمة عام هنا تتعلَّق بدورة صفة الحياة لهذا الحطب دورة كاملة يعود فيها إلى حالته هذه ، وهي هنا تقابل سنة شمسيّة وليس قمريّة .. هنا في هذه الآية الكريمة العام يقابل سنة شمسيّة ، فدورة الإخصاب للعنب وما شابهه كما نعلم هي سنة شمسيّة كاملة ، وليس سنة قمريّة ، وإلاّ سنرى بعد فترة أنه يثمر في الشتاء وليس في الصيف ..

.. وهذا المفهوم لكلمة عام ، بأنَّه دورة كاملة لحيثّيات صفة مسألة تتعلَّق بأمر ما ، نراه في قوله تعالى ..

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٦]

.. هنا كلمة **﴿ عَامٍ ﴾** ، ليست متعلّقة بسنة شمسيّة أو قمريّة ، فهناك من يُفتَن في الشهر أو الأسبوع الواحد مرّة أو مرَّتين .. وهناك من يُفتَن كلّ بضع سنين مرّة .. كلمة **﴿ عَامٍ ﴾** هنا تعني دورة اختبار من الله تعالى لهؤلاء ، تتعلَّق بصفة تفاعلهم مع آيات كتاب الله تعالى ، وهذا يتعلَّق بما يحيط بهم من ظروف .. ففي كلِّ دورة اختبار من الله تعالى لهؤلاء ، يفتنون (في هذه الدورة) مرّةً أو مرَّتين ..

.. هذا المعنى لكلمة عام يتجلّى معنا في النصِّ التالي ..

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٧ – ٤٩]

.. العبارة ﴿ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ تعني دورة من الخصب تمتد لسبع سنين ، والعبارة ﴿ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ تعني دورة من القحط والجفاف والشدّة تمتدّ لسبع سنين أيضاً .. وقول يوسف عليه السلام ﴿ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ هو محاكاة وتفصيل لتأويل العبارة ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ ، وكذلك قوله ﴿ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ هو محاكاة وتفصيل لتأويل العبارة ﴿ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ ..

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾

.. وكلمة ﴿ عَامٌ ﴾ في العبارة ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ تعني دورة جديدة ، صفتها بأنّها يُعادُ فيها الخصب والخير .. ولا يمكن تخصيصها بسنة كما ذهبت تفاسيرنا الموروثة .. بمعنى تأتي دورة جديدة صفتها الخصب ، فيها يُغاث الناس ، وفيها يعصرون .. فهذه الدورة قد تكون سنة ، وقد تكون سنين ..

.. أيضاً نرى هذا المعنى لكلمة عام في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٣٧]

.. كلمة ﴿ عَامًا ﴾ هنا جاءت بهذه الحيثيّة لتصف دورة تحليلهم ودورة تحريمهم ، وذلك ليحلّوا ما حرَّم الله تعالى ، وهي بذلك ضمن دلالات كلمة عام التي نراها .. فقد يستمر تحليلهم سنة أو أكثر ، وكذلك تحريمهم ، لكن دورة التحليل (مهما كانت مدّتها) تُسمَّى عاماً ، ودورة التحريم (مهما كانت مدّتها) تُسمَّى عاماً ..

.. وهذا المعنى لكلمة عام نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]

.. لا يمكن إدراك دلالات هذه الآية الكريمة بشكلٍ سليم ، دون مقاطعة دلالاتها مع قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ومع دلالات قوله تعالى ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥] ..

.. الفصال المعني في قولِه تعالى : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ، يعني : بلوغ المولود مرحلة يتّصف فيها بأنَّه أصبح مستغنيّاً عن غذائه المباشر على أمّه ، وذلك في مرحلتين لكلٍّ منهما صفتها الخاصّة التي تميِّزها عن صفة المرحلة الأُخرى ..... كل مرحلة منهما تحمل صفة دورة كاملة (عام) ..

.. نحن نعلم أنَّ الولادة الطبيعيّة تتمّ بعد بداية الحمل بتسعة شهور .. ولكن .. قد تكون هناك ولادة قبل ذلك ، ويكون المولود فيها مكتملاً ، وعنده مقوِّمات الاستمرار في الحياة .. ووسطيّاً فإنَّ الحدَّ الأدنى لهذه الولادة تكون باكتمال ستّة شهور من بداية الحمل .. فبشكلٍ عام .. الولادة التي يعيش فيها المولود ، لا بدَّ لها من اكتمال ستّة شهور على بداية الحمل ..

.. المرحلة الأولى .. التي يعتمد فيها المولود في غذائه المباشر على أمّه بعد اكتماله ، هي (٣) شهور ، من الشهر السادس في الحمل إلى الشهر التاسع ، ويكون فيها داخل رحم أمه .. والمرحلة الثانية هي بعد ولادته .. وبحيث لا تتجاوز مدة الحمل مع الفصال (داخل الرحم وخارجه) ، (٣٠) شهراً .. ﴿ **وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ** ﴾ ..

.. ولذلك نرى أنَّ الفارق بين جمع الحمل مع الفصال : ﴿ **وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ** ﴾ ، وبين الفصال وحده : ﴿ **وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ** ﴾ ، هو (٦) شهور ، وهو المدّة التي لا بدّ منها في الحمل لولادة الإنسان في هذه الحالات الطارئة ..

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ **وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ** ﴾ لم تُوضَع فيها كلمة : ﴿ **فِى** ﴾ عبثاً وحشواً لا فائدة منه .. فالله تعالى لم يقل : (**وَفِصَالُهُ عَامَان**) ، إنّما يقول : ﴿ **وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ** ﴾ ، بمعنى يتمُّ الفصال ، خلال فترّة تمتد حتّى عامين .. وهذا نراه في دلالة كلمة : ﴿ **فِى** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ** ﴾ ..

.. من هنا نرى أنَّ المولود الذي ولد لتمام ستّة شهور يكون فصاله (٢٤) شهراً .. حمله (٦) شهور ، و لم يستفد من الفصال داخل رحم أمّه ، ليكون فصاله (٢٤) شهراً ، كلّها خارج رحم أمّه ... وبالتالي يكون : ﴿ **وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ** ﴾ ..

.. والمولود الذي ولد لسبعة شهور ، يكون قد استفاد شهراً واحداً من الفصال داخل رحم أمّه ، هو ما بعد شهور الحمل الستة التي اكتمل فيها خلقه ، ليكون فصاله خارج رحم أمّه (٢٣) شهراً .. وبالتالي يكون : ﴿ **وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ** ﴾ .... (٦) شهور اكتمال خلقه في رحم أمّه ، وشهر واحد فصال داخل رحم أمّه ، و (٢٣) شهراً هي فصاله خارج رحم أمّه ..

.. والمولود الذي ولد لثمانية شهور ، يكون قد استفاد شهرين اثنين من الفصال داخل رحم أمّه ، هما ما بعد شهور الحمل الستة التي اكتمل فيها خلقه ، ليكون فصاله خارج رحم أمّه (٢٢) شهراً .. وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ .... (٦) شهور اكتمال خلقه في رحم أمّه ، وشهران اثنان فصال داخل رحم أمّه ، و (٢٢) شهراً هي فصاله خارج رحم أمّه ..

.. والمولود الذي ولد لتسعة شهور ، يكون قد استفاد ثلاثة شهور من الفصال داخل رحم أمّه ، هي ما بعد شهور الحمل الستة التي اكتمل فيها خلقه ، ليكون فصاله خارج رحم أمّه (٢١) شهراً .. وبالتالي يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ .... (٦) شهور اكتمال خلقه في رحم أمّه ، وثلاثة شهور فصال داخل رحم أمّه ، و (٢١) شهراً هي فصاله خارج رحم أمّه ..

.. الرَّضاعة هي في معناها المجرَّد : اعتماد المولود (بعد اكتماله) على أمّه في غذائه بشكلٍ مباشرٍ منها ، كونه ليس مؤهّلاً لأخذ غذائه كالكبار .. فهناك مرحلة قبل الولادة سقفها حوالي (٣) شهور ، ومرحلة بعد الولادة سقفها (٢٤) شهراً ..

.. ورود كلمة ﴿ عَامَيْنِ ﴾ بهذه الصياغة دون صياغة أُخرى (سنتين أو حولين) ، يضيف دلالة لا يمكن إضافتها إلاَّ بهذه الكلمة ﴿ عَامَيْنِ ﴾ من الجذر اللغوي : (ع ، و ، م) .. فإضافة للدلالة المعروفة (٢٤) شهراً ، نرى بهذه الصياغة ﴿ عَامَيْنِ ﴾ ، دلالة لوصف مرحلتي اعتماد المولود على أمّه (بعد اكتماله) ، مرحلة في رحم أمّه تمتد من بعد حمله بستة شهور إلى تسعة ، ومرحلة ما بعد وضعه ، بحيث يكون : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ ..

.. هذه الدلالة ، ما كان لنا أن نصل إليها إلاّ بورود الكلمة **﴿ عَامَيْنِ ﴾** بهذه الصياغة حصراً من الجذر (ع ، و ، م) دون أيِّ صيغة أُخرى .. فلا ترادف أبداً أبداً بين كلمات كتاب الله تعالى ، فكلٌّ كلمة تستمدّ دلالاتها من جذرها اللغوي الذي تفرَّعت عنه ..

.. ومن مشتقّات الجذر (ح ، و ، ل) ، التي تدور دلالاته في إطار المنع والإحاطة ، نرى كلمة **﴿ حَوْلَيْنِ ﴾** في نصٍّ يصوِّر موضوع الرَّضاعة ..

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ...... ﴾

[البقرة : ٢٣٣]

.. فإتمام الرضاعة (تعويض نقصها ومنع المضاعفات المترتّبة على هذا النقص) ما بين مرحلة الرَّضاعة في رحم الأم والتي تمتد – كما رأينا – من بعد حمل المولود بستة شهور إلى تسعة ، ومرحلة ما بعد وضعه ، يكون بمنع تعرّض المولود لنقصٍ في تغذيته ، ما بين هاتين المرحلتين .. من هنا نرى الحكمة الإلهية بورود كلمة **﴿ حَوْلَيْنِ ﴾** من الجذر (ح ، و ، ل) ، فإتمام الرَّضاعة يكون بمنع حصول نقص في تغذية المولود في المرحلتين اللتين رأيناهما .. فالصياغة القرآنيّة لكلمة **﴿ حَوْلَيْنِ ﴾** من الجذر (ح ، و ، ل) في هذه الآية الكريمة ، لا تنوب عنها أيُّ صياغة أُخرى من أيِّ جذرٍ لغويٍّ آخر ، في إيصال هذا المعنى ، إضافة إلى أنَّ كلمة **﴿ حَوْلَيْنِ ﴾** تعني (٢٤) شهراً كما رأينا ..

.. وهذا المعنى المتفرّع من دلالات الجذر (ح ، و ، ل) نراه في كلمة **﴿ ٱلْحَوْلِ ﴾** في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ...... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

.. فورود كلمة ﴿ ٱلْحَوْلِ ﴾ دون كلمة عام أو سنة ، وبهذه الصيغة المعرَّفة بأل التعريف ، يحمل دلالة المنع لوقوع أيِّ حاجة للمرأة المتوفّى عنها زوجها في هذه الفترة بعد وفاة زوجها .. هذه الدلالة .. ما كان من الممكن أن تصل إلينا بهذه الحيثيّة دون هذه الكلمة ﴿ ٱلْحَوْلِ ﴾ من مشتقّات الجذر (ح ، و ، ل) ..

.. وهنا .. علينا أن نميِّز بين دلالات كلمة عام من جهة ، وبين دلالات كلمة يوم من جهةٍ أُخرى .. ففي حين أنَّ كلمة عام تعني دوران هيئة صفة من صفات الذات دورة كاملة .. نرى أنَّ كلمة يوم تعني دوران حيثيّات الذات (بما تحمل من صفات وأحداث) حول نفسها دورة كاملة ..

.. فعلى سبيل المثال : يوم القيامة يشمل جميع صفات الأحداث فيه ، من بدايته إلى نهايته .. وكذلك يوم الدين .. واليوم الآخر .. ويوم الحج الأكبر .. ويوم الوقت المعلوم .. ويوم البعث .. ويوم الفصل .. ويوم الحساب .. و ....

ولو تصوَّرنا عبارة مفترضة هي (عام القيامة) أو (عام الدين) أو .... لكان المعنى متعلِّقاً بيوم القيامة كهيئة تامّة لصفة حدث من صفات أحداث يوم القيامة ، ولما تعلَّقت الدلالات بدورة ذات يوم القيامة من بدايته إلى نهايته ، بكلِّ ما يحمل من صفات وأحداث ..

بينما العبارة (يوم القيامة) تعني دورة جميع الأحداث وصفاتها في هذا اليوم من بدايتها إلى نهايتها .. وتتجلّى معنا هذه الحقيقة في أيام خلق السماوات والأرض ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨]

.. فالمادّة الأولى التي خلقها الله تعالى بكلمة (كُن) ، دارت حول نفسها ست دورات كاملة (بما يشمل ذلك من أحدث وتفاعلات لجميع الصفات التي تتّصف بها تلك

المادّة) حتى أخذ الكون شكله الحالي .. فالذي دار ست دورات كاملة هو ذات المادّة الأولى التي خُلق منها الكون ، وليس مجرَّد هيئة صفة محدّدة منها ..

.. وكلمة يوم ترد – في كتاب الله تعالى – معرَّفة بأل التعريف .. وتُوصَف في كتاب الله تعالى بمفردات عديدة ، كونها تصوِّر ذات أمرٍ ما ، وتأتي الصفة لتلقي الضوء على جانبٍ تتّصف به هذه الذات ..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]

﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ [هود : ١٠٣]

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ [إبراهيم : ١٨]

.. بينما كلمة عام ، كونها بذاتها دورة هيئة صفة ، وليست دورة ذات .. لم تُوصَف بمفردات ((إنّما وُصفت بجملة ، أو احتمال ضعيف – كما ذهب بعضهم – لوصف باسم إشارة وليس بمفردة لها دلالاتها المشتقّة من جذرها لغوي)) ..

﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٩]

﴿ .... فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ .... ﴾ [التوبة : ٢٨]

.. والسنة في كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ، وفي كتاب الله تعالى المنشور (الكون) ، هي مسألة فلكيّة مجرّدة عن خصوصيّات البشر وحساباتهم وصفاتهم ، وهي الدورة التّامة من بدايتها إلى نهايتها ، لحركة الأرض في دورانها حول الشمس .... وقوله تعالى التالي دليلٌ على ذلك ..

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ [الكهف : ٢٥]

.. هم لبثوا في كهفهم (٣٠٠) سنة شمسيّة ، بمعنى (٣٠٠) دورة كاملة للأرض حول الشمس ، وهي السنة الشمسيّة المعروفة ، والتي تساوي (٣٦٥,٢٤٢٢) يوماً ..

ولكن .. كونهم وقومهم كانوا يحسبون بالسنين القمريّة ، بمعنى : يعتبرون كل (١٢) شهراً قمرياً سنة .. وكون السنة القمريّة (التي لا وجود لها كونيّاً كونها اعتباريّة من صنع البشر) هي : (٣٥٤,٣٦٧) يوماً ، يكون الفرق بين السنة الشمسية ، وبين السنة القمرية (التي عليها حسابهم) هو : (١٠,٨٧٥٢) يوماً .. وبالتالي فإنَّ حسابهم سيسجل مزيداً من الأيام مقداره : (٣٠٠ × ١٠,٨٧٥٢ = ٣٢٦٢,٥٦) يوماً .. وهذا يعادل (٩) سنين ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة ، بإلحاق الفاعل في مسألة الزيادة في السنين ، للبشر : ﴿ **وَٱزۡدَادُواْ** ﴾ ، وذلك في العبارة القرآنيّة : ﴿ **وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا** ﴾ .. فهذه الزيادة في عدد السنين التي لبثوها هي نتيجة حسابهم هم ، كونهم يأخذون بالحساب القمري للسنين ، وليس بالحساب الشمسي .. ولو كانت السنة القمريّة حقيقة فلكيّة لها وجود فلكي في كتاب الله تعالى المنشور ، ووجود دلالي في كتاب الله تعالى المقروء ، لما تعلَّق الفاعل في كلمة ﴿ **وَٱزۡدَادُواْ** ﴾ بالبشر .. فالزيادة الناتجة في الحساب ، هي نتيجة حساب البشر ، وليست نتيجة كونيّة ..

.. في كتاب الله تعالى المنشور (الكون) السنة شمسيّة وليست قمريّة ، ولذلك نرى في كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) أنَّ كلمتي (يوم ، يوماً) ترد فيه (٣٦٥) مرّة .. بينما الشهر في كتاب الله تعالى المنشور هو قمري ، كونه يعني دورة كاملة للقمر حول الأرض .. ولذلك نرى أنَّ كلمة شهر مفردة بالصيغة (شهر ، شهراً) في كتاب الله تعالى المقروء (القرآن الكريم) ترد (١٢) مرّة ..

.. إذاً .. عدد السنين والحساب (للسنين والشهور) ، يعلمه الإنسان من الحركة الكونيّة للثلاثيّة : (الشمس ، الأرض ، القمر) ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢]

.. فالسنة بالنسبة لنا كمخلوقات تعيش على الأرض ، ومحكومة بدوران الأرض حول الشمس ، هي دورة الأرض دورة كاملة حول الشمس (٣٦٥,٢٤٢٢) يوماً ، بحيث تعود إلى النقطة التي بدأت منها هذا الدوران ..

.. وما ذهب إليه معظمهم بأنَّ : السنة تكون في الحول الذي فيه الشدّة والجدب والقحط ، والعام يكون في الحول الذي فيه الغيث والرخاء والخصب .. فهذا – كما رأينا – ما ينقضه كتاب الله تعالى من أساسه ..

.. ففي قصّة يوسف عليه السلام ، وفي رؤيا الملك وتأويل يوسف عليه السلام ..

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٣]

.. رأينا أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ ، أوَّلها يوسف عليه السلام بسبع سنين من الخير والخصب ، بدليل أنَّ فيها من الخير والخصب وما ينتج فيها ، ما يكفي لمعاش الناس فيها ، وأيضاً لمعاش هؤلاء الناس في سبع سنين تليها من الجدب والقحط : ﴿ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ ..

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٧ – ٤٩]

.. فكيف إذاً يجزمون بأنَّ السنة تعني حصراً الحول الذي فيه الشدّة والجدب والقحط ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! ..

.. ألم يمنّ فرعون على موسى عليه السلام ، بأنّه لبث في بيته سنين من عمره ؟!!! .. فهل في بيت فرعون قحطٌ وجدبٌ وقلّة طعام ؟!!!!!!! ..

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨]

.. هذه الآية الكريمة تصوِّر الأمر من الزاوية التي ينظر منها فرعون ، ومن هذه الزاوية ، يمنّ فرعون على موسى عليه السلام ، بما كان يتمتَّع به موسى من خير دنيويٍّ في بيت فرعون ..

.. وهل عروج الأمر والملائكة والروح إلى الله تعالى له علاقة بالجدب والقحط ؟!! ..

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥]

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤]

الآن .. بعد تعريف مفهوم السنة ، وبعد تعريف مفهوم العام .. لنعد إلى قوله تعالى ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]

.. المدّة ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ، هي حصراً مدّة لبث نوح عليه السلام في قومه أثناء فترة رسالته ، من بداية إرساله ، إلى أخذهم بالطوفان .. فالفاء في كلمة : ﴿ فَلَبِثَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ، تبيِّن لنا أنَّ بداية مدّة اللبث هذه هي بعد إرساله .. والفاء في كلمة : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ ، تبيّن لنا نهاية هذه المدّة والتي تنتهي مع أخذهم بالطوفان .. فالمدّة المحمولة بقوله تعالى ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ، هي من بداية فترة إرساله ، إلى أخذهم بالطوفان ..

.. وبالنظر بعمق في هذه العبارات القرآنيّة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ، نرى أنَّه منذ بداية إرسال نوح عليه السلام إلى قومه ، حتّى أخذ قومه بالطوفان ، توزَّع لبثه عليه السلام بين مرحلتين :

١ – مرحلة لبث فيها في قومه يدعوهم فيها و لم يغادرهم ، وهي (٩٥٠) سنة ..

٢ – مرحلة لم يلبث فيها في قومه وهي (٥٠) سنة .. .بمعنى : كان فيها خارج قومه .. .بمعنى هجرهم وابتعد عنهم و لم يدعهم بها ..

.. إذاً .. استمرَّت فترة الرسالة (١٠٠٠) سنة ، من بداية إرساله إلى أخذهم بالطوفان ، منها (٩٥٠) سنة كان فيها نوح لابثاً في قومه يدعوهم ، ومنها (٥٠) سنة كان فيها نوح مهاجراً لابثاً خارج قومه ..

.. ولكن .. هذه المدّة (٥٠) سنة التي كان فيها لابثاً خارج قومه ، كانت خمسين مرَّة منفصلة ، كلّ مرّة منها هي سنة كاملة ، بحيث في كلِّ مرّة كان يخرج فيها من قومه ، ثمَّ يعود بعدها إليهم .. .بمعنى خمسين دورة هجران كاملة مستقلّة .. وهذا – كما رأينا

في تبياننا لكلمة عام في كتاب الله تعالى – مما تحمله كلمة ﴿ **عَامًا** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾ ..

.. كنّا قد رأينا أنَّ كلمة عام تصف حيثّيات دورة كاملة لمسألة ما .. ورأينا أنَّها أتت – فيما أتت به في كتاب الله تعالى – لتصف سنة شمسيّة ..

﴿ **أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ.......** ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

.. ولو جاءت العبارة القرآنيّة ﴿ **أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾ ، بالشكل : (ألف سنة إلاَّ خمسين سنة) ، أو : (ألف سنة إلاّ خمسين) ، لحملت أيضاً معنى (٩٥٠) سنة كنتيجة .. ولكن .. لكان من الممكن أن يكون نوح عليه السلام قد غادر قومه في هذه الفترة خمسين سنة دفعة واحدة ، أو بمرّات ليست خمسين مرّة مستقلّة كلّ مرّة هي سنة شمسيّة بالضبط ..

.. لكن بورود الصيغة ﴿ **عَامًا** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾ ، وحسب ما رأيناه من دلالات مشتقّات الجذر (ع ، و ، م) في كتاب الله تعالى ، نرى بياناً جليّاً بأنَّ نوحاً عليه السلام غادر قومه في فترة الرسالة ، خمسين مرَّة مستقلّة بعينها يعود بعدها إلى قومه ، وكلّ مرّة هي سنة كاملة ..

.. وفي قوله تعالى ..

﴿ **فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ** ﴾

[العنكبوت : ١٤] **= ٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. وبالتخصيص في العبارة القرآنيّة ..

﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] =١٩٠ = ١٩ × ١٠

.. نرى أنَّ كلمة ﴿ فَلَبِثَ ﴾ ، تصوِّرُ لبثه في فترة الرسالة وهي (١٠٠٠) سنة ، وجاءت بعدها كلمة ﴿ فِيهِمۡ ﴾ ، لتخصِّص لبثه معهم من لبثه العام .. بمعنى : لتخرج لبثه حال هجرانه لهم من مدّة الرسالة .. بمعنى : (١٠٠٠ – ٥٠ = ٩٥٠) ، وهذا هو عين ما تصوِّره العبارة القرآنيّة : ﴿ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ ..

.. فدعوة الإيمان والالتزام بمنهج الله تعالى بما تحمله من سلام ، التي سعى بنشرها نوحٌ عليه السلام في العالمين : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ٧٩] ، كونه الأب الثاني للبشريّة كما نعلم ، هي ذاتها فترة دعوة قومه لمنهج الله تعالى ، وهي ذاتها فترة لبثه في قومه : ﴿ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ .... هذه المعادلة .... نراها تنعكس معادلة توازن في القيم العدديّة ، ما بين هاتين العبارتين القرآنيّتين ..

﴿ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] = ١١١

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ٧٩] = ١١١

.. لذلك .. وفق آليّة عدِّ الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ، والمستنبطة من كتاب الله تعالى ، من مقدِّماتها إلى نتائجها ، كما بيّنت في كتبي وبرامجي ، والتي لا تخرج من مقدِّماتها إلى نتائجها ، عن ثوابت رسم حروف كتاب الله تعالى ، رأينا – وفق هذه الآليّة القرآنيّة – أنَّ سورة نوح مكوَّنة من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً ، كلّ حرف يقابل سنة من السنين التي لبثها عليه السلام في قومه ، أثناء فترة الرسالة ..

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ = ٥١ حرفاً

قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ = ٢١ حرفاً

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ = ٢٥ حرفاً

يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ = ٦٥ حرفاً

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا = ٢٦ حرفاً

فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا = ٢١ حرفاً

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا = ٧٨ حرفاً

ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا = ١٦ حرفاً

ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا = ٢٨ حرفاً

فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا = ٢٧ حرفاً

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا = ٢١ حرفاً

وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا = ٤١ حرفاً

مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا = ٢٠ حرفاً

وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا = ١٤ حرفاً

أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا = ٢٩ حرفاً

وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا = ٣١ حرفاً

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا = ٢٣ حرفاً

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا = ٢٥ حرفاً

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا = ٢١ حرفاً

لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا = ٢٠ حرفاً

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا = ٤٩ حرفاً

وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا = ١٥ حرفاً

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا = ٥٣ حرفاً

وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا = ٣٣ حرفاً

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا = ٥٢ حرفاً

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا = ٣٦ حرفاً

إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا = ٤١ حرفاً

رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا = ٦٨ حرفاً ﴾

.. المجموع هو (**٩٥٠**) **حرفاً مرسوماً** ، كلُّ حرفٍ يقابلُ وِحدةً زمنيّةً من مُــدّةِ لَبْثِهِ عليه السلام في قومه أثناء حمله للرسالة ..

.. هذه المدّة المُصَوَّرة بقوله تعالى **﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾** ، والتي تساوي عدد الحروف المرسومة في سورة نوح ، هي المدّة الوحيدة التي ذُكرت في كتاب الله تعالى لمدّة لبث رسول في قومه .. وهي من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) ..

٥٠ × ١٩ = ٩٥٠

.. وحتّى لو فرزنا حروف سورة نوح ، بين حروف نورانيّة (المذكورة كحـــروف مقطّعة في بداية بعض السور) ، وحروف غير نورانيّة ، لرأينا أنَّ كلَّ قسمٍ منـــها مـــن المضاعفات التامّة للعدد (**١٩**) ..

الحروف النورانيّة : **ا = ١٨٦ ،، ح = ٣ ،، ر = ٦٠ = س = ٢٠ ،، ص = ٤ ،، ط = ٥ ،، ع = ٢٥ ،، ق = ٢١ ،، ك = ٣٢ ،، ل = ١٠٦ ،، م = ٧٧ ،، ن = ٦٠ ،، ــه = ٣٤ ،، ي = ٥١**

المجموع = **٦٨٤ = ١٩ × ٣٦**

الحروف غير النورانيّة : **ى = ٤ ،، ب = ٢٧ ،، ت = ٣٤ ،، ــة = ٠ ،، ث = ٦ ،، ج = ١٩ ،، خ = ١٠ ،، د = ٢٥ ،، ذ = ١٠ ،، ز = ٤ ،، ش = ٢ ،، ض = ٦ ،، ظ = ٢ ،، غ = ٨ ،، ف = ١٨ ،، و = ٨٨ ،، ء = ٣ ،، ئ = . ..**

المجموع = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. وهذا كلّه يتعلّق بكون سورة نوح هي المعيار لآليّة اعتبار الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى .. وما نراه أيضاً أنَّ حرف الجيم الذي قيمته العدديّة تساوي (**١٩**) ، يرد في سورة نوح (**١٩**) مرّة ..

.. والحكمة الإلهيّة تحيط بكلِّ حرفٍ من حروف كتاب الله تعالى ، فورود العبارة القرآنيّة **﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾** ، بهذه الحيثيّة من الصياغة ، التي يُذكَر فيها العددان (١٠٠٠) و (٥٠) ، دون ذكر العدد (٩٥٠) ، مع أنَّ النتيجة كما رأينا هي (٩٥٠) .. هذا الورود بهذه الحيثيّة ، والذي رأينا كيف أنّه يحمل دلالة تبيّن هجران

نوح عليه السلام لقومه خمسين مرّة مستقلّة ، كلّ مرّة هي سنة شمسيّة .. نرى – في الوقت ذاته – أنَّه ضرورة لا بدَّ منها في معيار بعدٍ إعجازيٍّ آخر ، هو مجموع الأعداد المذكورة في كتاب الله تعالى كمسألة كاملة ..

.. ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّه تمّ ذكر (٣٠) عدداً ، هي الأعداد التالية ، والتي مجموعها من المضاعفات التامّة للعدد (**١٩**) كونها مسألة كاملة في كتاب الله تعالى :

١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ٨ – ٩ – ١٠ – ١١ – ١٢ – ١٩ – ٢٠ – ٣٠ – ٤٠ – ٥٠ – ٦٠ – ٧٠ – ٨٠ – ٩٩ – ١٠٠ – ٢٠٠ – ٣٠٠ – ١٠٠٠ – ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ – ٥٠٠٠ – ٥٠٠٠٠ – ١٠٠٠٠٠

المجموع هو : ١٦٢١٤٦ = ١٩ × ٨٥٣٤

.. من هنا نرى جانباً من الصياغة المطلقة للعبارة القرآنيّة : **﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾** ، بهذه الحيثيّة بالذات ، بحيث يستحيل استبدالها بأيِّ صيغةٍ أُخرى ..

المرأة والزوجة

من منظار نوعي عقد النكاح

في كتاب الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

عندما قدَّمتُ برنامج المعجزة الكبرى (الجزء الأوَّل) وتعرَّضتُ فيه للفارق بين دلالات كلمتي المرأة والزوجة في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، حدث عند بعض الإخوة المشاهدين شيءٌ من الضبابيّة في التمييز بين هاتين الدلالتين لهاتين الكلمتين ، ويعود ذلك إلى التعرّض السريع – في هذا البرنامج – لهذه المسألة دون إعطاء الشرح حقّه ، وذلك كون التعرّض لهذه المسألة كان بشكلٍ جانبي وفي سياق شرح مسألة أُخرى .. وعلى الرغم من أنّني عدت فشرحت ذلك في الجزء الثاني من هذا البرنامج ، أودُّ – هنا – أن ألقي الضوء على هذه المسألة لكي أبيّن حقيقة الأمر ..

.. في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) **العقد بين الرجل والمرأة** :

إمَّا يتّصف بالزوجيّة ، أي بالتماثل في العقيدة بين طرفيّ عقدِ النكاح ، أي أنّ الرجلَ زوجٌ للمرأةِ (بمعنى أنّه مُماثلٌ لها في العقيدة) ، وأنّ المرأةَ زوجٌ للرجل (بمعنى أنّها مُماثلةٌ له في العقيدة) .. وحين ذلك تُسمّى المرأةُ زوجَ الرجل ، وتُسمّى امرأتَهُ في الوقت

ذاته ، كامرأة إبراهيم وامرأة زكريّا عليهما السلام .. وكلٌّ ذلك من منظار نوعي عقد النكاح ، وليس من منظار الإطار العام الذي تُصوِّره دلالات الجذر (ز ، و ، ج) .. فصفةُ الزوجيّةِ لا تُلغي كونَ الزوجةِ امرأةً لزوجها ..

وإمّا لا يتّصف بالزوجيّة ، وبالتالي يتّصف بعدمِ التماثلِ في العقيدة بين طرفي عقد النكاح ، وحين ذلك لا تُسمّى المرأةُ زوجَ الرجل ، إنّما تُسمّى امرأته فقط ، وذلك من منظار نوعي عقد النكاح .. وحين ذلك يُسمّى هذا العقدُ — من هذا المنظار — عقْدَ نكاحِ مُلكِ يمين ، بمعنى أنّهُ عَقْدُ نكاحٍ لِمُلْكِ الوطء ، دونَ تحقّقِ الزوجيّةِ من تناظرٍ وتماثلٍ في العقيدة ..

.. ومثال ذلك ، امرأةُ نوحٍ وامرأةُ لوطٍ عليهما السلام ، وامرأةُ فِرعون ..

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
[التحريم : ١٠ — ١١]

.. اللهُ تعالى يقول **﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾** ويقول جلّ وعلا **﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾** ، ولم يقل (زوجَ نُوحٍ وزوجَ لُوطٍ) ، ولم يقل (زوجَ فِرْعَوْنَ) .... فورودُ كلمةِ زوج يُشيرُ إلى التماثل في العقيدة ، بينما ورودُ كلمةِ امرأة ليس دليلاً على عدم التماثل في العقيدة ، أو على التماثل ..

وأكبر دليلٍ على ذلك هو امرأة إبراهيم عليه السلام ، فلا شكَّ أنَّها زوج لإبراهيم عليه السلام ، ولكنَّ اتّصافها بالزوجيّة لا يمنع من كونها امرأته ..

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]

.. وأيضاً نرى في امرأة زكريا عليه السلام دليلاً آخر ..

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٤٠]

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴾ [مريم : ٨]

.. فامرأة زكريا هي ذاتها وصفها الله تعالى بصفة الزوجيّة في مكانٍ آخر ..

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ – ٩٠]

.. إذاً .. صفة الزوجيّة تُلقي الضوء على التناظر ، فحينما يكون هناك تناظر في العقيدة تُوصف المرأة بأنّها زوج للرجل ، والرجل زوج للمرأة ، ولكن هذا لا يمنع من كونها امرأة لهذا الرجل ، وأكبر مثال على ذلك هو امرأة إبراهيم عليه السلام .. فكلمة امرأة تُلقي الضوء على صفة أخرى .. ولكن كون المرأة هي امرأة لمن تتعلّق معه بعقد نكاح لا يقتضي حتميّة كونها زوجة له ، وأكبر مثال على ذلك هو : امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون ..

.. الزوجيّة مسألة واسعة الدلالة .. ولكنّها تتمحور في إطار النظير والمقابل .. ولكنْ .. النظير والمقابل المعني في مسألة ، يتمُّ تحديده وفق سياق النصِّ القرآني المحيط ..

ففي النصوص التالية نرى أنَّ الزوجيّة مسألة تشمل ما نتحدّث عنه ..

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد : ٢٣]

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس : ٥٦]

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢ – ٢٣]

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٠]

.. وفي هذا السياق لا نريد التوسّع في شرح هذه الآيات الكريمة .. ولكنْ .. هؤلاء المعنيّون في هذه الآيات الكريمة أليسوا ذكوراً وإناثاً ؟ .. أليس الخطاب – في هذه الآيات الكريمة – بصيغة الجمع الذي يشمل كلَّ المعنيّين من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ؟ .. إذاً .. الدلالات المحمولة فيها تشمل – بالتأكيد – ما نتحدّث عنه ..

.. وإن قال قائل : ترد مشتقّات الجذر (ز ، و ، ج) في بعض آيات كتاب الله تعالى بسياقات يُفهم منها أنَّها تعني المرأة المتعلّقة مع الرجل بأيِّ عقد نكاح ، وتعني أحياناً التقابل بين المرأة (كأنثى) والرجل (كذكر) .. نقول : نعم .. إنَّ دلالات هذا الجذر اللغوي واسعة جداً .. فالبروتون هو زوج الإلكترون .. والموجب هو زوج السالب .. لكنْ .. علينا أن ننظر إلى السياق القرآني المحيط ، فما ألقينا الضوء عليه هو نوعا عقدِ النكاح ، واستشهدنا بأسماء ومواقف فرديّة محدّدة (امرأة نوح ، امرأة لوط ، امرأة فرعون) ضمن سياقات تؤدّي المعنى الذي تحدّثنا عنه ..

.. ففي النصِّ القرآني التالي ، نرى أنَّ الزوجيّة المعنيّة فيه تشمل العلاقة بين الرجل (الذكر) وامرأته (الأنثى) ، والسياق المحيط هو ما يحدِّد ذلك ..

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النحل : ٧٢]

.. فلا يمكن لعاقل أن يقول : إنَّ البنين والحفدة لا يُولدون إلاّ في حالة توافق عقدي بين الرجل وامرأته ..

ولا شكَّ أنَّ الزوجيّة المعنيّة في النصِّ التالي لا تقتضي تناظراً في العقيدة ..

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة : ١٠٢]

.. ولا شكَّ أنَّ الزوجيّة المعنيّة في النصِّ التالي هي زوجيّة ذكورة وأنوثة ، ولا علاقة لها بالتماثل العقدي بين الرجل وامرأته ..

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥]

.. إذاً .. الزوجيّة تعني في إطارها العام النظير والمقابل ، ولكنَّ السياق القرآني المحيط بها هو ما يحدِّد ساحة التقابل بين الزوجين ..

.. وهكذا .. **كون هذه النصوص القرآنيّة تأتي وفق خطاب بصيغة الجمع** ((أو بصيغة المفرد الذي يعني الجنس الذي هو – في النهاية – يعني جمعاً)) لتخاطب المجتمع الإنساني ككل ، **وكون الغالبيّة العظمى بين المتعلّقين بعقد نكاح تتّصف بصفة التماثل في العقيدة بين الرجل وامرأته** ..... لذلك .. نرى ورود هذه الصيغ المتفرّعة من الجذر (ز ، و ، ج) بالحيثيّة التي ترد بها ..

.. ونحن عندما تحدَّثنا عن الزوجيّة من منظار عقد النكاح ، إنّما تحدَّثنا من منظارٍ ضيّق هو منظار التقابل في العقيدة بين الرجل وامرأته ، ومن منظار نوعي عقد النكاح المصوَّرين في كتاب الله تعالى ..

وما تحدَّثنا عنه من الزاوية التي ألقينا منها الضوء على هذا الجانب ، نراه جليّاً في قوله تعالى التالي ، حيث نرى نوعي عقد النكاح ، عقد الزوجيّة حينما يكون هناك تناظر في العقيدة ، وعقد ملك الوطء (ملك اليمين) حينما لا يكون هناك تناظر في العقيدة ..

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥ – ٧]

.. فعطفُ مُلكِ اليمين على الأزواجِ في هذا النصِّ ، هو عَطْفٌ لِنوعيِّ عَقْدِ النكاح ، من منظارِ التماثلِ في العقيدةِ ، وعدمِهِ ، بين طرفي هذا العقد ..

.. وَعَقْدُ مُلْكِ الوطءِ الذي يُسمّى عقدَ مُلْكِ يمينٍ كما بيّنا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) وفي كتاب المعجزة الكبرى ، وكما شرحنا في برنامج (المعجــزة الكــبرى) ، يتجلّى في الآية التالية ، حيث يأمرُ الله تعالى بالابتعادِ عنه ، إلاّ عندَ الضرورة ، وضــمنَ شروط ..

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنْۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَ ٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَ ٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النساء : ٢٥]

.. إذاً .. النصُّ القرآني **﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَ ٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَ ٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾** [المؤمنون : ٥ – ٧] ، يُلقي الضوء على نوعي عقد النكاح الشرعي الذي على المؤمن ألاّ يبتغي وراءهما .. وهما – كما قُلنا – عقدُ زوجيّة **﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَ ٰجِهِمْ ﴾** ، حين وجودِ التناظرِ في العقيدة ، وعقد مُلكِ يمين **﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾** ، حين عدم وجودِ هذا التناظر ..

.. وممّا يُؤكّدُ حقيقةَ ما نذهبُ إليه في بياننا لهذا النوعِ من مسألةِ مُلكِ اليمين ، وبأنّ خيارَ نَكْحِ الكتابيّة – في هذه الآية الكريمة – مشروطٌ بشروطٍ أهمُّها عدمُ الاستطاعةِ من تناولِ نكحِ المُسلمة .. ممّا يُؤكِّدُ ذلك .. هو العطف بكلمة **﴿ أَوْ ﴾** دون العطف بالحرف (وَ) في العبارة القرآنيّة **﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَ ٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾** ..

.. ولو كان الأمرُ كما فُسِّرَ تاريخيّاً ، وبأنّه تُنكَحُ المرأة (في ملك اليمين) دونَ أيِّ شرطٍ وذلك بجمعِها مع الحرّةِ كما زُعم ، لو كان الأمرُ كذلك لتمَّ العطفُ بين الأزواجِ وهذا النوعِ من مُلك اليمين بالحرف (وَ) وليس بالكلمة ﴿ **أَوْ** ﴾ .. أي لأتتْ هذه العبارة القرآنيّة على الشكل (**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**) ..

.. ولذلك نرى أنّه حين عطفِ مُلكِ اليمين على الأزواجِ من زاويةِ التعلّقِ بعلمِ اللهِ تعالى وليس من زاويةِ تحديدِ نوعي عقدِ النكاح ، نرى أنّ العطفَ يكونُ بالحرف (وَ) الذي يُفيدُ الجمع ، وليس بالكلمة ﴿ **أَوْ** ﴾ التي تُفيد التخيير .. فعلمُ الله تعالى يُحيطُ إحاطةً مُطلقة بكلِّ شيء في الآن ذاته ..

﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

.. هذا هو – باختصار – تبيانٌ للفارق بين نوعي عقد النكاح في كتاب الله تعالى ، وتبيانٌ للزاوية التي نظرنا من خلالها إلى مسألة الزوجيّة في إطار نوعي عقد النكاح ..

تفسير

سورة الفلق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور : ٣٥] .. فلا نور إلاّ من الله تعالى .. وكتاب الله تعالى وُصف بالنور ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وبالتالي فالصلة مع الله تعالى تكون بإتّباع نور كتابه الكريم ..

.. والنور لا يجتمع مع الظلام ، كون الظلام ليس أكثر من دليل على عدم وجود النور ، وبالتالي فأيّ محاولة لفهم آيات كتاب اله تعالى بأدوات تاريخيّة أقل – بالتأكيد – من كتاب الله تعالى ، هي محاولة لإبعاد النفس عن النور ، وبالتالي هي محاولة نتيجتها تيه النفس في دياجير الظلام ..

.. تفسير آيات كتاب الله تعالى من منظار نور كتاب الله تعالى ذاته ، ضرورة لا بدّ منها ، لصبغ النفس بنور كتاب الله تعالى ، وإلاّ فستهبط النفس فكراً وثقافة واعتقاداً أكثر في مستنقعات ظلمات الأهواء والعصبيات ..

.. في هذا البحث سنتناول تفسير سورة الفلق ، وهي من السور القصيرة ، والتي يحفظها معظم المسلمين ، ويتباركون بها ، ويضعونها في منازلهم ، لنرى كيف أنَّ منهجية تفسير آيات كتاب الله تعالى بمعايير قرآنيّة من المقدمات إلى النتائج ، توصلنا إلى الوقوف على حقيقة ما تحمله آيات كتاب الله تعالى من دلالات ..

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ١ – ٥]

.. السورة الكريمة تبدأ بكلمة **﴿ قُلۡ ﴾** ، وهي أمرٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ ومن بعده لكلِّ إنسانٍ مؤمنٍ بكتاب الله تعالى ، بأن يقول كلمات هذه السورة الكريمة ..

.. وكلمة **﴿ أَعُوذُ ﴾** ، من الجذر : (ع ، و ، ذ) ، حيث دلالاته تدور في إطار الاستجارة والاحتماء واللجوء والاعتصام ، فكلمة **﴿ أَعُوذُ ﴾** بمعنى : أستجير وألوذ وأحتمي وألجأ وأعتصم .. والاستعاذة تتكوَّن من ثلاثة عناصر :

أ – مُستعيذ ، وهو من يَطلب الاحتماء واللجوء والاعتصام ، وهو هنا المخاطب بكلمة : **﴿ قُلۡ ﴾** ..

ب – ومن مُستعاذ به ، وهو هنا الله سبحانه وتعالى ، الآمر بهذه الاستعاذة عبر كلمة : **﴿ قُلۡ ﴾** ، وبحيثيّة الربوبيّة المتعلَّقة بالفلق : **﴿ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾** ..

ج – ومن مُستعاذ منه ، حيث يطلب المستعيذ الاحتماء بالمستعاذ به خوفاً من المستعاذ منه ، وهو هنا أربعة عناصر كما تبيّن لنا هذه السورة الكريمة :

١ – ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

٢ – ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

٣ – ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾

٤ - ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

.. الله تعالى في هذه السورة يأمر الإنسان بأن يستعيذ بـــ ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، فماذا تعني كلمة : ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ ؟ .. هذه الكلمة من الجذر (ف ، ل ، ق) ، ولهذا الجذر في كتاب الله تعالى أربعة مشتقات ، هي هذه الكلمة التي نحن بصدد دراستها ، وثلاثة مشتقات في النصين التاليين ..

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٥ - ٩٦]

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣]

ومشتقات الجذر (ف ، ل ، ق) ، تدور في إطار الشق والتمايز ، فانفلق الشيء يعني : انشق وتمايز وانفصل إلى فِرْقَين ، مجموعهما هو هذا الشيء في هيئة جديدة ، بمعنى : خروج حالة جديدة من حالة سابقة .. وهذا ما ينطق به قوله تعالى :

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣]

.. فنتيجة لضرب موسى للبحر بعصاه ، انشق وتمايز وانفصل إلى فِرْقَين ﴿ فَٱنفَلَقَ ﴾ .. بمعنى : نتجت حالة جديدة للبحر عن حالته السابقة ، تمايز بها نتيجة انشقاقه إلى فِرْقَين .. وهذا المعنى نراه في اسم الفاعل ﴿ فَالِقُ ﴾ ، سواءٌ للحبِّ والنَّوى ، أم للإصباح ..

فالعبارة : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ، تبيّن فعل الله تعالى المستمر بشقِّ الحبِّ والنوى وتمايزه وانفصاله ، وذلك لإنتاج حالة جديدة من الحياة نتيجة هذا الانشقاق والتمايز ..

.. والحبُّ والنوى ذاته خلقه الله تعالى نتيجة انشقاق مكوِّنات النبات الذي نتج منه ، ونتيجة تمايز في مكوّناتها ، ونتيجة تمايز مكوّناته من حالة الحياة وهو في نباته ويأخذ الغذاء منه وينمو ، إلى حالة الثبات وعدم النمو وعدم التفاعل مع الوسط المحيط ، وهذا أيضاً محمول بقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ..

.. فالنبات في حالة النمو والاخضرار (حالة الحياة) ينتج الحبَّ والنوى ، ليتحوَّل من حالة الاخضرار التي يتغذى بها من نباته ، إلى حالة كامنة لا تنمو (حالة الموت) ، حيث تخزن بحالتها هذه ، سواءٌ بهدف استخدامها لاحقاً من أجل إعادة غرسها ، أم بهدف الطعام ، وهذه ما تصوِّره العبارة القرآنيّة في السياق التالي مباشرة ، وفي ذات الآية الكريمة : ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ ..

.. وعندما تُهيَّأ (للحبِّ والنوى) الظروف المناسبة من تربة وماء وهواء ، تنشقُّ وتتمايز ، لتبدأ دورة الحياة لنبات حي من جديد ، وهذا محمول بقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ، وهذا ما تصوِّر حيثيّته العبارة القرآنيّة التالية مباشرة لهذه العبارة ، وهي : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ ..

.. ما بين هاتين الحركتين ، حيث الله تعالى يقول : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ .. تتمُّ عملية الفَلْق ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ..

.. وما دمنا في هذه الآية الكريمة ، أودّ أن نقف عند حكمة الانتقال من صيغة المضارع : ﴿ يُخْرِجُ ﴾ إلى صيغة اسم الفاعل : ﴿ وَمُخْرِجُ ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ ..

.. في النصوص الأخرى نرى صيغة المضارع دون صيغة اسم الفاعل ، سواء لإخراج الحي من الميّت ، أم لإخراج الميّت من الحي ..

﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران : ٢٧]

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١]

﴿ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الروم : ١٨ - ١٩]

.. ففي كلِّ هذه المسائل ، نرى إطاراً عامّاً ، لإخراج الحيِّ من الميت وإخراج الميّت من الحي ، وهما أمران (ضمن هذا الإطار العام) مستمران بتفاعل أسباب حدوثهما التي يسخرها الله تعالى من أجل ذلك ، لذلك نرى الصيغة الفعلية ..

.. بينما في مسألة الحبِّ والنوى ، نرى أنَّ اتّجاه الحب والنوى من حالة الاخضرار (الحياة) إلى حالة اليابس وعدم النمو (الموت) ، تسير بشكل طبيعي دون الحاجة لتأمين شروط مناسبة من تربة وماء وهواء ، فهي بكينونتها تسير بهذا الاتجاه لتصل إلى حالة اليابس والكمون وعدم التفاعل مع عناصر الحياة ، دون الحاجة لفعل مستمر من أجل ذلك ، ويبقى على حالته هذه حتى يتمُّ استعماله لغرس جديد ، ولذلك تتجلى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود الإخراج لهذه الحالة بصيغة اسم فاعل : ﴿ وَمُخۡرِجُ ﴾ ..

.. بينما إنتاش الحب والنوى ، للخروج من حالة الموت إلى حالة الحياة ، بحاجة إلى عمل مستمر يتمّ فيه تأمين العناصر الضروريّة من تربة وماء وهواء ، ويستمرُّ النمو مع تفاعله مع هذه العناصر ، ولذلك ترد الإخراج لهذه الحالة بالصيغة الفعليّة ﴿ يُخْرِجُ ﴾ ..

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٥]

.. ولمعرفة دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ ، لا بدَّ من معرفة دلالات كلمة ﴿ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ ، كمشتق من الجذر (ص ، ب ، ح) ..... والمعنى المجرّد لهذا الجذر اللغوي هو : اكتمال ضياء الشيء ، فأصبح بمعنى صار وانتقل لحالٍ جديد ، وأصبح الشيء بمعنى : انتقل انتقالاً كاملاً إلى حالٍ جديدٍ ، ولا يعني مجرّد دخوله في وقت محدَّد هو وقت الصبح الزمني ..

.. وقول تفاسيرنا الموروثة بأنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ ، تعني : فالق الظلمة بالصبح ، بمعنى فالق ظلمة الإصباح بنور الإصباح ، أو فالق الإصباح ببياض النهار ، ليس صحيحاً ، فظاهر صياغة العبارة القرآنيّة ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ يدلُّ على أنَّ ساحة فعل اسم الفاعل ﴿ فَالِقُ ﴾ هي ﴿ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ وليس الظلمة .. فالله تعالى هو شاقُّ الإصباح وجاعله فِرْقَين ، مجموعهما في هيئتهما الجديدة ، هو هذا الإصباح قبل شقّه وتمايزه .. فهذا الإصباح بفلقة يتمايز إلى فِرقين ، بمعنى : بشقِّه ، يكون الضياء (الصبح) في جانب من الأرض ، تاركاً الظلمة في الجانب الآخر ..

.. إذاً .. يأمر الله تعالى الإنسان المؤمن بكتابه الكريم ﴿ قُلْ ﴾ بأن يستعيذ بـــ ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، والفلق يصوِّر حالة الشقّ والتمايز والانفصال ، وخروج حالة جديدة من حالة سابقة .. ومن المعلوم أنَّ صفة الربوبيّة ﴿ بِرَبِّ ﴾ تصف حالة التربية والعطاء والتسخير

وصاحب الملك والسيِّد والمُنعم والمُدبِّر .. فالمُقسَم به ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ هو : مالك الانفصال والشق والتمايز وولادة أيِّ حالة جديدة من حالة سابقة ، ومدبّر ذلك ومُسخِّر أسبابه وراعيه والمنعم فيه ، وذلك لكلِّ حالات التمايز والانفصال والتباين ، التي تحصل لكلِّ الأشياء ..

.. فكلُّ المخلوقات ، سواء بخلقها وولادتها ، أم بتمايزها وانفصالها ، أو بتحوّلها من حالة لحالة ، إنّما هي بذلك تتعرَّض باستمرار لما تصفه كلمة ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، ككلمة معرَّفة بأل التعريف .. وتعرُّضها هذا لما تصفه كلمة ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، إنّما يكون بتسخير ربِّ العالمين لذلك ، وبتدبيره ورعايته والإحاطة بأسباب وقوعه ..

.. إذاً .. كلُّ ما خلقه الله تعالى على مختلف أشكاله وينتمي لعالم الخلق ، يتعرَّض لعملية ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ باستمرار ، عبر تسخير الله تعالى لأسباب ذلك (صفة الربوبيّة) ، سواءٌ كان ذلك بتمايز ولادته وتكاثره ، أم بانفصاله إلى مكوّناته لإنتاج هيئة جديدة ، أم بشقّه وتمايزه وتحوّله من حالة لأُخرى .. وهذا ما تبيّنه العبارة القرآنيّة المُصوِّرة للمستعاذ به : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ..

.. وفي لغة كتاب الله تعالى ، هناك رابط بين حيثيّة فعل المستعاذ به ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، وبين ماهيّة المستعاذ منه .. وكنّا قد رأينا أنَّ المستعاذ منه يتكوَّن من أربعة عناصر ..

١ - ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

٢ - ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

٣ - ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾

٤ - ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

.. وكلُّ عنصر (وليس فقط العنصر الأوَّل) من هذه العناصر تتعلَّق حيثيّته بماهيّة فعل المُستعاذ به ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ .. وما نراه أنَّ الاستعاذة ليست من هذه الأشياء ، وإنّما من شرِّها ، فتكرار كلمة ﴿ شَرِّ ﴾ بعد كلمة ﴿ مِن ﴾ في كلِّ هذه العناصر ليس عبثاً ..

.. وما دامت الاستعاذة هي من شرِّ كلٍّ من هذه العناصر ، وليس منها بذاتها ، فهذا يعني أنَّ أيّاً من هذه العناصر له وجهان ، وجه شرّ يطلب الله تعالى منّا الاستعاذة منه ، ووجه خير ..... ولمّا كان كلُّ من هذه العناصر الأربعة تتعلَّق حيثيّته بفعل المستعاذ به : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، وبعد تعريفنا لدلالات كلمة ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ ورؤية خضوع كلّ ما ينتمي لعالم الخلق لفعلها ، وكون حيثيّة المستعاذ منه تتعلَّق بفعل المستعاذ به .. نستنتج من كلِّ ذلك أنَّ وجهي : الشرِّ (المطلوب الاستعاذة منه) ، والخير ، هُما فِرْقا كلِّ عنصر من هذه العناصر الأربعة ، فعملية ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾ التي يتعرَّض لها باستمرار كلُّ عُنصر من هذه العناصر الأربعة ، تفرقه (بالنسبة لتفاعلنا معه) إلى فِرقين ، فيهما وجه شر ، ووجه خير ، والاستعاذة هي من وجه الشرِّ حصراً ..

.. العنصر الأوَّل المطلوب الاستعاذة منه هو : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ .. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ مَا ﴾ تفيد الإطلاق ، فكلُّ ما ينتمي لعالم الخلق له وجهٌ من الشرِّ (وبالتأكيد له وجهٌ من الخير) ، والله تعالى يطلب منّا الاستعاذة من وجه الشَّرِّ هذا ..

.. وما نراه أنَّ الفاعل لكلمة : ﴿ خَلَقَ ﴾ هو ربُّ الفلق : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ .. وأنَّ الشرَّ ليس مضافاً إلى ربِّ الفلق ، وإنّما مضافٌ إلى ﴿ مَا خَلَقَ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل : (من الشرِّ الذي خلق) ، إنّما يقول : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ..

.. فالشرُّ في الوجود لا يعود إلى الله تعالى ، إنّما يعود للمخلوق ذاته ، وحكمة الله تعالى في إيجاد المخلوقات في عالم التكليف هذا الذي نعيش فيه ، اقتضت بأن يُترَكَ (لأيِّ

مخلوق) وجهٌ للشرِّ يُقابل وجهَ الخير ، فمن أهمِّ ميزات عالم الخلق هو الزوجيّة لكلِّ عنصر من مكوّناته ..

﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات : ٤٩ – ٥٠]

.. فالشرُّ ليس بكون كلِّ شيءٍ مكوَّناً من زوجين ، الشرُّ هو ما تعارض مع مصلحة الإنسان في موقفٍ مُحدَّد .. فالسخونة التي هي زوج البرودة ، تكون خيراً في حالات ، وتكون شرّاً في حالات أُخرى ، وكذلك البرودة .. فالشرُّ ليس بزوجيّة السخونة والبرودة ، الشرُّ في تعارض أيٍّ منهما كاختيار لموقفٍ محدَّدٍ بعينه .. وكذلك أيُّ مكوِّن من مكوِّنات عالم الخلق ، الذي خُلقَت كلُّ مكوّناته – دون استثناء – من زوجين : **﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾** ..

.. وهذا الخلق لمكوّنات عالم الخلق (حيث يُمتَحَن الإنسان فيه) من زوجين **﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾** ، هو دافع لأن يتذكَّر الإنسان **﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾** ، وأن يبتعد في اختياره عن وجه الشرِّ ملتزماً بوجه الخير فارّاً بذلك إلى الله تعالى **﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾** ..

.. فالشرُّ ليس مخلوقاً بذاته كشرٍّ دائم ، فلربّما نحسب الشرَّ خيراً ، ونحسب الخير شرّاً ، فما هو خيرٌ لموقفٍ محدَّد هو ذاته شرٌّ في موقفٍ آخر ، وما هو شرٌّ في موقفٍ محدَّد هو ذاته خيرٌ في موقفٍ آخر ..

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦]

فالشرُّ والخير مسألتان نسبيتان ، لا يخرجان عن دائرة اختبار الإنسان في دار الامتحان ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

.. وحتى يوم الحساب في الآخرة هو شرٌّ لبعض الناس ، وخيرٌ لبعضهم الآخر .. وحتى لذات الإنسان المؤمن الذي سيلقى ثوابه بدخول الجنّة ، فيه (أعني يوم الحساب) جانبٌ من الشرِّ تمّت وقاية من سيدخلون الجنّة منه ..

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان : ١٠ – ١١]

.. إذاً .. بسبب فلْقُ المخلوقات إلى فِرقين (كما رأينا) وما ينتج عن ذلك من وجهِ شرٍّ لأيِّ عنصرٍ منها نتيجة ذلك ، حسب الحال النسبي للإنسان ، وإحاطة هذا الشرِّ بالإنسان كونه يعيش في عالم الخلق هذا .. بسبب هذا الفلق وما ينتج عنه .. يأمر الله تعالى الإنسان ، بأن يعتصم ويلجأ إلى المسخّر والراعي والمدبّر لمسألة الفلق : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، من الشرِّ الناتج عن زوجيّة وجهي الخير والشرِّ بالنسبة لأيِّ مخلوق ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ..

.. وحيثيّة الربط بين المُستعاذ به : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ وبين المستعاذ منه : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ، باتت واضحة أمامنا ، فالاستعاذة من الشرّ الناتج عن عملية الفلق للمخلوقات : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ، تكون بالاعتصام واللجوء إلى المسخّر والمدبِّر والقيّوم على عملية الفلق هذه ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ .. فما يصيب الإنسان من شرور في عالم الخلق ، يكون إمّا نتيجة الشرِّ الكائن بجوانب المخلوقات كما بيّنا ، دون علم الإنسان ودون اختياره ،

ويكون الاعتصام منه باللجوء والاحتماء بمن يسخّر الأسباب ويدبّرها ويعطيها حيثيّات وجودها في كلِّ لحظة ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، وإمّا نتيجة الشرِّ الناتج عن مخالفة الإنسان لمنهج الله تعالى بعلم واختيار ، ويكون الاحتماء من النتائج المترتّبة على ذلك ، بالالتزام بمنهج الله تعالى الذي أنزله الله تعالى لمصلحة الإنسان ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ..

.. بالنتيجة نرى أنَّ العنصر الأوَّل من عناصر المُستعاذ منه : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يشمل كلَّ الشرور الناتجة عن عالم الخلق ، فصيغة الإطلاق : ﴿ مَا ﴾ المتعلِّقة بعالم الخلق : ﴿ خَلَقَ ﴾ تشمل كلَّ مكوّنات عالم الخلق ، وبالتالي فالعبارة : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ تشمل كلَّ شرٍّ ينتج عن عالم الخلق ..

.. فمن الطبيعي أنَّ المُستعاذ به هو مُسَخِّر الأسباب (عطاء ربوبيّة) ، وليس الإله (عطاء الإلوهيّة) ، لأنَّ كلَّ عناصر المُستعاذ منه هي في ساحة الربوبيّة (عالم الخلق) كما سنرى بإذن الله تعالى .. وكما قلنا تتعلَّق ماهيّة المستعاذ منه (وهي في عالم الخلق كعطاء ربوبيّة) بساحة فعل المستعاذ به ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، وهذا يختلف عن حالة كون المُستعاذ منه قيمة معنويّة تتعلَّق بسلب الروح والتأثير على النفس كقيمة معنويّة (غير ماديّة) ، حيث يقتضي ذلك أن يكون المُستعاذ به هو الله تعالى (مقام إلوهيّة) ..

﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨]

.. العنصر الثاني من عناصر المُستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ .. فما هو الغاسق ؟! .. كلمة ﴿ غَاسِقٍ ﴾ من الجذر (غ ، س ، ق) .. ولهذا الجذر أربعة مشتقّات في كتاب الله تعالى ، هذا المشتق في سورة الفلق ، والمشتقّات التالية ..

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨]

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص : ٥٥ – ٥٧]

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ : ٢١ – ٢٦]

.. ما نراه أنَّ كلمة : [[﴿ وَغَسَّاقٌ ﴾ ،، ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾]] تُعطَف على كلمة : [[﴿ حَمِيمٌ ﴾ ،، ﴿ حَمِيمًا ﴾]] وذلك في وصف حال أهل جهنّم وشرابها .. وهي بذلك تصف : نقيض الصفاء ، وعدم إمكانيّة الاطلاع والرؤية لحقيقة الحال والشراب ، وهذا يتعلّق بالفساد والضرر وعدم النفع ..

ففي قوله تعالى ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ ، نرى أنَّ كلمة : ﴿ حَمِيمًا ﴾ تقابل كلمة : ﴿ بَرْدًا ﴾ .. وأنَّ كلمة : ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ تقابل كلمة : ﴿ شَرَابًا ﴾ .. ومن المعلوم أنَّ أهل الجنّة شرابهم يتَّصف بالبياض كصفة للشفافيّة والصفاء ، وبالطهارة كصفة لعدم الرجس وعدم الفساد والضرر ، وبالمزاج العالي ..

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات: ٤٥ – ٤٦]

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : ٥]

﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١]

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٥ – ٢٨]

.. وبالمقابل يتّصف شراب أهل جهنّم بنقيض ذلك ..

﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٠]

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يونس : ٤]

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم : ١٦ – ١٧]

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩]

﴿ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥٤ – ٥٥]

.. إذاً .. مشتقّات الجذر : (غ ، س ، ق) تعني : الكدر وعدم الصفاء وعدم الرؤية في تناول ذلك الكدر ، وهذا ما يتجلّى في قوله تعالى :

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم : ١٦ – ١٧]

.. فذهاب الشفافية والصفاء والنقاء والفائدة وعدم رؤية ذلك ، محمولٌ بدلالات الجذر (غ ، س ، ق) .. ومن هنا نُدرك دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨]

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ تعني : إلى بداية دخول ظلام الليل (وهو المغرب) ، وبداية سدُّ المناظر وذهاب النور والرؤية والحركة والمعاش ، حيث غيبوبة الشفق الأبيض وبداية تراكم الظلمة واشتدادها ..

.. فالقاسم المشترك لدلالات الجذر (غ ، س ، ق) في كتاب الله تعالى هو : الظلمة وسدُّ الرؤية ، والكدر ، والعكر ، وعدم الصفاء ، وذهاب النفع ، وتوقّف حركة الفائدة والحياة ..

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ غَاسِقٍ ﴾ بصيغة اسم فاعل ، لتصف القائم بأفعال دلالات الجذر (غ ، س ، ق) ، وليس هذه الأفعال بعينها ..... وكلمة ﴿ إِذَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ تحمل دلالة حتمية الوقوع ، فالله تعالى يقول : ﴿ إِذَا ﴾ و لم يقل : (إن) .. وكلمة ﴿ وَقَبَ ﴾ هي المشتق الوحيد للجذر (و ، ق ، ب) في كتاب الله تعالى ..

.. من هنا نرى أنَّ الفعل الدنيء الفاسد الضار للغاسق حين ﴿ إِذَا ﴾ يحلُّ ويتجمّع ويفعل فعله الفاسد والمضر والحاجب للنور والرؤية ، يكون قد ﴿ وَقَبَ ﴾ ..

.. فقوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ يعني : ومن شرِّ الفاسد المُظلم العاصي الضار البعيد عن الحق ، ومن أذيته ، حينما يحلُّ فساده وظلمه وضرره وأذاه .. فالاستعاذة من شرِّ فساده وضرره وظلمه وأذيته حينما يحلّ ذلك ويتجمَّع ويفعل فعله ..

.. والعلاقة بين صفة المُستعاذ به : ﴿ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ وبين فعل المستعاذ منه : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ بيّنة .. فكلُّ أفعال الفساد والظلم والضرر والإيذاء التي يقوم بها الغاسق وحلولها وتجمّعها وإحاطتها بالمستعيذ ، هي نتيجة تسخير الأسباب في عالم الامتحان هذا ، تلك الأسباب التي تنتج بآلة الفلق التي ربّها الله تعالى ﴿ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ ..

.. العنصر الثالث من عناصر المُستعاذ منه هو : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾

.. وكلمة ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ هي المشتقّ الوحيد للجذر : (ن ، ف ، ث) في كتاب الله تعالى .. والمعنى المُجرَّد لدلالات هذا الجذر اللغوي هو : التأثير في المنفوث فيه ، معنويّاً أو ماديّاً ، بغية التأثير عليه ، ووضعه بحال يُريدها النافث .. بمعنى : بثُّ ما يريده النافث في ذات المنفوث فيه ..

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ هي جمع مؤنّث سالم لكلمة (النفّاثة) ، على وزن (الفعّالة) ، فورودها بهذه الصيغة ، ومعرَّفة بأل التعريف : ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ ، يصوِّر حالات ثابتة ومعروفة في كونها فعّالة في بث الشرِّ في العقد ، فصيغة المؤنث المعرّفة بأل التعريف تصف النفوس المُظلمة التي تبثّ الضرر والفساد في العقد ، أو الحالات الكونيّة التي تبثّ ذلك بكينونتها .. فالاستعاذة ليست من النفّاثات بعينها ، وإنّما من شرِّ بثِّها في العقد ..

.. وكلمة ﴿ ٱلْعُقَدِ ﴾ هي من الجذر (ع ، ق ، د) ، ودلالات هذا الجذر في كتاب الله تعالى تدور في إطار : الربط والثبات والرسوخ والتوكيد والعهد والميثاق ..

.. فالعهود الثابتة المؤكَّدة المفروضة على الإنسان بقوة التزامه بها ، تسمى عقوداً ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١]

.. والأيمان المؤكَّدة والمُحكمة والموثّقة تسمّى أيماناً مُعقَّدة ..

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [المائدة : ٨٩]

.. وعهد النكاح بتوثيقه وميثاقه الغليظ وربط طرفي عقد النكاح مع بعضهما بهذا الميثاق ، يُسمّى ﴿ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾ ..

﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

.. وربط اللسان وتوثيقه وحدّ حريته في الانطلاق في النطق ، يُسمّى ﴿ عُقْدَةً ﴾. ..

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٢٧ – ٢٨]

.. فكلُّ ما هو ثابت وراسخ من عهود أو أفكار أو عقائد أو ثوابت ، تُسمَّى عقداً ..

من هنا نرى أنَّ المستعاذ منه ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ يعني : من شرِّ ما تبثّه النفوس (في الجانب المعنوي) أو الحالات الكونيّة (في الجانب المادّي) من شرٍّ يهدف لتفكيك ما هو راسخ وثابت وقيِّم ، سواء كان ذلك عهوداً ومواثيق (مع الله تعالى ، أم بين البشر ، أم بين الزوج والزوجة) ، أم قيماً وأفكاراً وعقائد .. فكلُّ ما ينفث في سبيل تفكيك هذه العقد النبيلة وحلِّها لنشر الفوضى والانحلال والفساد مكانها ، يأمر الله تعالى بالاستعاذة منه : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ ..

والعلاقة بين المُستعاذ منه ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ والمُستعاذ به ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ بيّنة ، فشقّ هذه العُقد وفرقها وحلها بغية الانتقال بها إلى حالة جديدة ، ماهيّتها الانحلال من القيم والمبادئ والثوابت والعقائد ، هو فلْق هذه العُقد بهدف نشر وجه الشرّ بذلك ..... وهذه الأسباب التي تُستخدم في ذلك ، يُسخّرها ربُّ الفلق سبحانه وتعالى بغية امتحان الإنسان في هذه الحياة الدنيا ..

.. والاستعاذة ليست من النفّاثات في العقد ، فالنفث في العقد له وجه خير .. الاستعاذة هي من النفث الشرّير في هذه العقد ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ ..

.. العنصر الرابع من عناصر المُستعاذ منه هو : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ..

وما نراه أنَّ كلمتي : [[﴿ حَاسِدٍ ﴾ ، ﴿ حَسَدَ ﴾]] ، في هذه الآية الكريمة من الجذر (ح ، س ، د) ، ودلالات هذه الجذر اللغوي تعني : تمنّي الحاسد زوال النعمة عن المحسود وأن تكون من نصيب الحاسد ..

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩]

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٥٤]

.. وهنا نرى كلمة ﴿ حَاسِدٍ ﴾ بصيغة اسم فاعل ، وورود كلمة ﴿ إِذَا ﴾ وليس كلمة (إن) ، بمعني : حين يحسد .. وصيغة العنصر الرابع من عناصر المُستعاذ منه تُشابه صيغة النصر الثاني : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ .. وبالتالي يكون معنى الآية الكريمة : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ : ومن شرِّ من يريد زوال النعمة ، حينما يُفعِّل حسده ويمارسه كضرر وسوء يريد إلحاقه بالُمستعيذ ..

والعلاقة بين المُستعاذ منه : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ والمُستعاذ به : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ بيّنة ، فالأسباب التي يستخدمها الحاسد حينما يجمع أمره لإيذاء المُستعيذ ، مخلوقة لله تعالى ، ويُسخّرها ربُّ الفلق سبحانه وتعالى بغية امتحان الإنسان في هذه الحياة الدنيا ..

.. والاستعاذة ليست من الحاسد ، فالحاسد كقيمة معنويّة سلبيّة لا يؤثّر شيئاً .. الاستعاذة هي من الشرِّ المتولّد عن فعل الحاسد وهمّه بإيذاء المُستعيذ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ..

.. بعد هذا التفسير لهذه السورة الكريمة ، بتنا نُدرك أكثر من قبل عظمة صياغة النصِّ القرآني .. فالمُستعاذ به في هذه السورة الكريمة هو عنصر واحد : ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، وهو صفة الربوبيّة لله تعالى ، والمُستعاذ منه هو أربعة عناصر : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ..

وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فكون عناصر المُستعاذ منه كلُّها لها تعلُّقها بعالم الربوبيّة (عالم الخلق) ، وهو عالم محسوس ، كان المُستعاذ به هو عنصرٌ واحد هو ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ..

.. بينما لو نظرنا في سورة الناس التالية مباشرة ، لرأينا عكس ذلك ، لرأينا أنَّ عناصر المُستعاذ به ثلاثة ، بينما المُستعاذ منه هو عنصر واحد .. وسنبيّن ذلك بالتفصيل – إن شاء الله تعالى – في تفسير سورة الناس ..

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ - ٦]

تفسير

سورة العاديات

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

التفسير الموروث لسورة العاديات لا يتّكئ على أيّ منهجيّة علميّة تعتمد على الصياغة اللغويّة للنصّ القرآني ، ولذلك ابتعد – هذا التفسير – عن حقيقة الدلالات المحمولة بالعبارات القرآنيّة في هذه السورة الكريمة ..

واستغلّ بعضهم هذا الشطط في تفسير هذه السورة الكريمة للإساءة لكتاب الله تعالى ، معتبرين شطط الموروث التفسيري على أنَّه عين ما يعنيه كتاب الله تعالى ، مقدّمين هذا الشطط مادّة يريدون سكبها في قوالب التشكيك بمصداقيّة كتاب الله تعالى ..

سنقف – إن شاء الله تعالى – عند عبارات هذه السورة الكريمة لنشهد عظمة صياغتها اللغوية وما تحمله من دلالات ..

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ
نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [العاديات : ١ – ١١]

.. كلمة ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ﴾ هي جمع العادية ، والعادية من الجذر (ع ، د ، و) ، ومن الفعل (عدا) دون تعدّي بالهمز أو التضعيف .. ومشتقات الجذر (ع ، د ، و) في كتاب الله تعالى لا تعني الجاريات بسرعة (الخيل والإبل ....) كما هو في عرفنا اللغوي البعيد عن دلالات كتاب الله تعالى ، إنّما تعني : تجاوز المسموح به إلى غيره .. وبالعودة إلى مشتقّات الجذر (ع ، د ، و) في كتاب الله تعالى ، نرى هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ ..

فالعاديات هي جمع العادية (على وزن فاعلة) ، بمعنى : جمع حالة القيام بتجاوز المسموح به إلى غيره .. فالعادية هي بذاتِها تتجاوز المسموح به إلى غيره ، ولا تفعل ذلك في غيرها ، فالله تعالى لم يقل : والمُعدِيات ، إنّما يقول : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ﴾ ..

.. وفي الآية الكريمة : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ ، نرى أنَّ الواو هو حرف قسم وجر ، وكلمة العاديات مجرورة بواو القسم ، والجار والمجرور متعلّقان بفعل القسم المحذوف ، وكلمة (ضبحاً) هي مفعول مطلق لفعل محذوف ، ويكون تقدير الكلام : والعاديات تضبح (هي) ضبحاً ، وجملة تضبح ضبحاً هي حال من العاديات ، بتقدير : والعاديات حال كونهن ضابحات ..

.. وهذه الصيغة المعرَّفة بأل التعريف ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ﴾ كجمع مؤنَّث سالم لاسم فاعل هو (العادية) ، ليست جمعاً لذوات محدَّدة بعينها ، وإنّما هي جمع لصفات من الممكن أن تتَّصف بها عدة ذوات .. والقسم ليس بهذه الصفات كمجرَّد صفات مجرَّدة عن حركة الفعل المتولّد عنها ، وإنّما هو قسم بها حال كونها تفعل في إطار الصفة المعنيّة (العادية) ،

بمعنى : وأقسم بالعاديات حال كونها تضبح ضبحاً .. فالقسم ليس بالعاديات ، وإنّما بالعاديات حال كونها تضبح ضبحاً ..

.. وتعريف العاديات ﴿ **وَٱلۡعَـٰدِيَـٰتِ** ﴾ بأل التعريف له دلالته في كتاب الله تعالى ، فحالات تجاوز المسموح به إلى غيره ، هي حالات معلومة مبيَّنة في كتاب الله تعالى في ظاهر دلالاته وباطنها ، فكلٌّ ما ينهى الله تعالى عن تجاوزه وتعديّه مشمولٌ بكلمة العاديات ..

.. إذاً .. الله تعالى يُقسم بالحالات التي يتمُّ فيها تجاوز المسموح به إلى غيره لعظمه ، ولكونه خروجاً على مراده جلَّ وعلا ..

.. وكلمة ﴿ **ضَبۡحًا** ﴾ هي المشتق الوحيد للجذر (ض ، ب ، ح) في كتاب الله تعالى .. ولذلك لا بدَّ من مقاربة المعنى من السياق القرآني المحيط ، ولا بأس من النظر في قواميس اللغة للبحث عن رابط معنى له تعلّقه بهذا السياق ..

ورد في معجم لسان العرب :

[[.. ضَبَحَ العُودَ بالنار يَضْبَحُه ضَبْحاً أَحرق شيئاً من أَعاليه ، وورد أيضاً : والمَضْبوحةُ حجارة القَدّاحَةِ التي كأَنها محترقة ، وورد أيضاً : والمَضْبُوحُ حجر الحَرَّة لسواده ، والضِّبْحُ الرَّمادُ وهو من ذلك الأَزهري أَصله من ضَبَحته النار وضَبَحَتْه الشمسُ والنار تَضْبَحُه ضَبْحاً فانْضَبَحَ لَوَّحته وغيَّرته وفي التهذيب وغَيَّرَتْ لونَه ، وورد أيضاً : والانْضِباحُ تغير اللون ، وقيل ضَبَحَتْهُ النارُ غيرته ، وورد أيضاً : وانْضَبَحَ لونُه تغير إلى السواد قليلاً ، وورد أيضاً : وضَبَحَت الخيلُ في عَدْوِها تَضْبَحُ ضَبْحاً أَسْمَعَتْ من أَفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حَمْحَمَة ، وقيل تَضْبَحُ تَنْحِمُ وهو صوت أَنفاسها إِذا عدون ..]] ..

.. إذاً .. الضبح بمعناه المجرَّد هو تغيُّر الحال والابتعاد عن الحالة الطبيعيّة باتجاه السواد والاجهاد وفقدان الطبيعة النقيّة الصافية ..

.. من هنا نرى أنَّ القَسَم هو بالحالات التي يتمُّ فيها تجاوز النفسُ للمسموح به إلى غيره ، تجاوزاً تتغيّر به العادية إلى حالٍ تبتعد به عن طبيعتها باتجاه السواد وتغيّر الطبيعة النقيّة الصافية .. فكلُّ حالة تعدّي يقوم بها الإنسان لما ينهى الله تعالى عنه ، تغيّره في نفسه وحاله نحو السواد وفساد طبيعته التي فطره الله تعالى عليها .. هذه الحالات من التعدّي لكلِّ ما نهى الله تعالى في كتابه الكريم ، والتي تغيّر نقاء النفس وحالها وصفاءها باتّجاه الابتعاد عن الفطرة النقيّة نحو الظلام والسواد ، هذه الحالات يقسم الله تعالى بها في الآية الأولى من هذه السورة الكريمة ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ ..

.. الآية الكريمة : ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾ ، تبتدأ بالفاء ، وورود حرف الفاء دون حرف الواو له دلالته في كتاب الله تعالى ، فإضافة لعطف الحالة المحمولة بهذه الآية الكريمة على الحالة المحمولة بالآية السابقة ، ولدلالة الترتيب والتعقيب المباشر ما بين هاتين الحالتين ، إضافة لذلك ، نستشفُّ أنَّ دلالات هذه الآية الكريمة ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾ هي نتيجة لدلالات الآية الكريمة السابقة لها ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ ..

.. وكلمة ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ ﴾ ، هي جمع المورية ، وهي من الجذر : (و ، ر ، ي) على وزن مُفعِلات ، من الفعل المتعدّي بالهمز (أورى) .. فالله تعالى لم يقل : (فالواريات) على وزن : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ﴾ ، إنما يقول ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ ﴾ ..

.. وكون كلمة الموريات من الفعل المتعدّي بالهمز (أورى) ، وكون الإخفاء تقوم به المُوريات كفعل على غيرها ، هذا يدفعنا للقول : إنَّ كلمة قدحاً هي مفعول به لفعل

محذوف تقديره تُوري ، بمعنى : فالموريات تُوري قدحاً .. وجملة تُوري قدحاً هي حال من الموريات ، بتقدير : والموريات حال كونها تُوري قدحاً ..

.. وهذه الصيغة المعرَّفة بأل التعريف ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ كجمع مؤنَّث سالم لاسم فاعل هو (المورية) ، ليست جمعاً لذوات محدَّدة بعينها ، وإنّما هي جمع لصفات من الممكن أن تتَّصف بها عدة ذوات .. والقسم ليس بهذه الصفات كمجرَّد صفات مجرَّدة عن حركة الفعل المتولّد عنها ، وإنّما هو قسم بها حال كونها تفعل في إطار الصفة المعنيّة (المورية) ، بمعنى : وأقسم بالموريات حال كونها تُوري قدحاً .. فالقسم ليس بالموريات ، وإنّما بالموريات حال كونها تُوري قدحاً ..

.. ومشتقات هذا الجذر (و ، ر ، ي) في كتاب الله تعالى ، تعني : الخفاء وعدم الظهور .. وتحمل معنى الخلف من زاوية خفائه وعدم ظهوره ... وبذلك تكون كلمة : ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ بمعنى : فالمُخْفِيَات ..

.. وكلمة ﴿ قَدْحًا ﴾ هي من الجذر (ق ، د ، ح) ، وهذه الكلمة ﴿ قَدْحًا ﴾ هي المشتق الوحيد لهذا الجذر في كتاب الله تعالى ، ولذلك لا بدَّ من مقاربة المعنى من السياق القرآني المحيط ، ولا بأس من النظر في قواميس اللغة للبحث عن رابط معنى له تعلّقه بهذا السياق ..

.. ورد في معجم لسان العرب :

[[.. القَدَّاحُ والقَدَّاحة الحجر الذي يُقْدَحُ به النار ، وورد أيضاً : وقَدَحَ الشيءُ في صدري أَثَّر من ذلك ، وفي حديث عليّ كرم الله وجهه يَقْدَحُ الشكُّ في قلبه بأَوَّلِ عارِضةٍ من شُبْهةٍ وهو من ذلك ، واقْتَدَحَ الأَمرَ دَبَّره ونظر فيه ، وورد أيضاً : وقال أَبو حنيفة القِدْحُ العُودُ إِذا بلغ فَشُذِّبَ عنه الغُصْنُ وقُطِعَ على مقدار النَّبْل الذي يراد من الطُّول والقِصَر]] ..

ومن استشفاف المعنى من السياق القرآني نرى أنَّ قوله تعالى ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ يعني : فالمخفيات لأيِّ ومضة فكر وعقل من الممكن أن تُولد في ساحة فطرة النفس النقية ، سواء داخل النفس ذاتها أم في نفسٍ أُخرى ..

وتعريف ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ بأل التعريف له دلالته في كتاب الله تعالى ، فحالات إخفاء ومضات النور والتعقّل ، هي حالات معلومة مبيَّنة في كتاب الله تعالى في ظاهر دلالاته وباطنها ، فكلٌّ حالات إخفاء ومضات النور والتعقّل مشمولةٌ بكلمة ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ ..

.. وورود الفاء في كلمة ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ له دلالته التي تفيد عطف الترتيب والتعقيب وكون الإخفاء لأي ومضة نور وتعقّل هو نتيجة لما تحمله الآية الأولى من دلالات كما بيّنا .. فتجاوز النفس للحدود التي عليها ألا تتجاوزها ، وتغيّر نقائها باتجاه السواد والابتعاد عن الفطرة النقية : ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ ، هو مقدمة تؤدي بها إلى مرحلة ثانية هي إخفاؤها لأي ومضة نور وتعقّل وتدبّر من الممكن أن تولَد ، سواء فيها أم في غيرها : ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ ..

.. الآية الكريمة : ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ ، تبتدأ أيضاً بالفاء ، وكما قلنا : ورود حرف الفاء دون حرف الواو له دلالته في كتاب الله تعالى ، فإضافة لعطف الحالة المحمولة بهذه الآية الكريمة على الحالة المحمولة بالآية السابقة ، ولدلالة الترتيب والتعقيب المباشر ما بين هاتين الحالتين ، إضافة لذلك ، نستشّف كون دلالات هذه الآية الكريمة ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ هي نتيجة لدلالات الآية السابقة لها ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ .. فكما أنَّ الحالة المحمولة بالآية الكريمة ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ هي مقدمة للحالة المحمولة بالآية الكريمة ﴿

فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴾ ، كذلك فإن الحالة المحمولة بالآية الكريمة ﴿ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴾ هي مقدّمة للحالة المحمولة بالآية الكريمة ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴾ ..

.. وكلمة ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ ﴾ ، هي جمع المغيرة ، وهي من الجذر : (غ ، ي ، ر) ، من الفعل المتعدّي بالهمز ... ومشتقات هذا الجذر (غ ، ي ، ر) في كتاب الله تعالى تعني : سوى الشيء وخلافه وبديله .. ولا تحمل كلمة ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ ﴾ معنى الهجوم على الشيء كما هو في اللغة الوضعيّة .. فكلمة ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ ﴾ تعني : فالمُبْدِلات ..

وكلمة ﴿ صُبۡحٗا ﴾ هي من الجذر (ص ، ب ، ح) .. والمعنى المجرّد لهذا الجذر اللغوي هو : اكتمال ضياء الشيء ، ومنه المصباح والمصابيح ، وأصبح بمعنى صار وانتقل لحالٍ جديد .. ولا يمكن حصر كلمة ﴿ صُبۡحٗا ﴾ بأنَّها لا تعني إلاَّ وقتاً زمنيّاً محدَّداً .. فالصبح بمعناه المجرَّد هو الحال الجديد حين اكتمال ضيائه ، ومن هنا نرى أنَّ القول : أصبح الشيء بمعنى : انتقل انتقالاً كاملاً إلى حالٍ جديدٍ ، ولا يعني مجرّد دخوله في وقت محدَّد هو وقت الصبح الزمني ..

﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٣٠]

﴿ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴾ [الكهف : ٤٥]

.. وكون كلمة ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ ﴾ من الفعل المتعدّي ، فإنَّ الفعل الذي تقوم به المُغيرات هو على غيرها .. وبذلك يكون المعنى : فالمغيرات تُبدل صبحاً .. وجملة تُبدل صبحاً هي حال من المغيرات ، بتقدير : فالمغيرات حال كونها تُبدل صبحاً ..

.. وهذه الصيغة المعرَّفة بأل التعريف ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ ﴾ كجمع مؤنَّث سالم لاسم فاعل هو (المغيرة) ، ليست جمعاً لذوات محدَّدة بعينها ، وإنّما هي جمع لصفات من الممكن أن

تتَّصف بها عدة ذوات .. والقسم ليس بهذه الصفات كمجرَّد صفات مجرَّدة عن حركة الفعل المتولّد عنها ، وإنّما هو قسم بها حال كونها تفعل في إطار الصفة المعنيّة (المغيرة) ، بمعنى : وأقسم بالمغيرات حال كونها تُبدل صبحاً .. فالقسم ليس بالمغيرات ، وإنّما بالمغيرات حال كونها تُبدل صبحاً ..

وهذه هي المرحلة الثالثة في الإعراض .. فبعد تجاوز الحدود عبر تعدّي حدود الله تعالى ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ ، تأتي مرحلة إخفاء أي ومضة نور يمكنها أن تُولَد في النفس أو في غيرها لمعرفة الحقيقة والأخذ بها ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾ ، بعد ذلك تأتي مرحلة التبديل والتغيير بالدفع إلى ساحة الخطيئة ، وتبنّيها والاستيقان بها ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ ..

.. من هنا نرى أنَّ الحالة الثالثة المحمولة بقوله تعالى ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ تعني : فالمُبدلات حقيقة جلية مضيئة .. فتجاوز الحدود التي على النفس ألاّ تتجاوزها يؤدّي إلى إخفاء الحقيقة عن النفس وغيرها ، وهذا يؤدي إلى إبدال الحقيقة مهما كانت جلية ومضيئة .. هذه هي المرحلة التي تمَّ الوصول إليها بهذه الحالات الثلاث ..

.. قوله تعالى : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ ، انتقال للنتيجة التي بدأت بالآية الأولى وانتهت بالآية الثالثة السابقة مباشرة ، فكلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ تتعلَّق بالحال والموقف الذي آلت إليها النتيجة المحمولة بالآيات السابقة .. فحالات تجاوز الحدود وما يتبعه من حالات إخفاء للحقيقة وما يتبعة من حالات تبديل للنور إلى ظلام ، هذه الحالات بما وصلت إليه من حال ، أثارت بهذا الحال نقعاً .. فإثارة النقع عملٌ تقوم به النفوس التي تتجاوز الحدود ، والتي تخفي ومضات النور والحق ، والتي تُبدل النور بظلام ..

وكلمة ﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ مشتقّة من الجذر (ث ، و ، ر) ، ومن الفعل المتعدّي (أثار) .. وإثارة الشيء تحريكه ..

وكلمة ﴿ نَقۡعٗا ﴾ هي المشتق الوحيد للجذر (ن ، ق ، ع) في كتاب الله تعالى ..

ولا بأس من العودة إلى قواميس اللغة العربيّة للاستئناس ، ومن ثمَّ استشفاف المعنى من السايق القرآني المحيط لهذه الآية الكريمة ..

.. ورد في معجم لسان العرب :

[[.. واسْتَنْقَعَ اجْتَمَعَ واسْتَنْقَعَ الماءُ في الغَدِيرِ أَي اجتمع وثبت ، وورد أيضاً : والنَّقْعُ مَحْبِسُ الماءِ والنَّقْعُ الماءُ الناقِعُ أَي المُجْتَمِعُ ونَقْعُ البئرِ الماءُ المُجْتَمِعُ فيها قبل أَنْ يُسْتَقَى ، وورد أيضاً : ونَقَعَ السّمُّ في أَنْياب الحيَّةِ اجْتَمعَ ، وورد أيضاً : واسْتَنْقَعَ في الماء ثَبَتَ فيه يَبْتَرِدُ ، وورد أيضاً : والنَّقْعُ رَفْعُ الصوتِ ونَقَعَ الصوتُ واسْتَنْقَعَ أَي ارْتَفَع ..]] ..

.. إذاً .. ما نستشفّه من قوله تعالى : ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴾ ، أنَّ الحال الذي وصلت به النفس نتيجة حالات : ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴾ ، تمَّ به إثارة ثابت فكري مجتمع في النفس والذهن ، وتحريكه باتجاه التبديل والتجاوز للحدود الفطريّة ..

.. بعد ذلك .. هذا الحال الذي وصلت به النفس نتيجة حالات ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴾ ، والذي تمَّ به إثارة ثابت فكري مجتمع في النفس والذهن ، وتحريكه باتجاه التبديل والتجاوز للحدود الفطريّة ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴾ .. تمَّ به الانتقال إلى وسط جمعٍ لفرض هذا الحال عليه ، وهذا ما نقرؤه قي دلالات الآية الكريمة : ﴿ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴾ ..

.. إذاً .. الآيات المصوِّرة للمُقسَم به : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ ، تصوّر لنا ناموساً كونيّاً في حركة الابتعاد عن الفطرة النقيّة الطاهرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، ابتداء بتجاوز حدود الفطرة النقيّة وما يتعلَّق به من تغيّر وتلوّن باتجاه السواد داخل النفس ، ثمّ الانتقال إلى إخفاء ومضات النور التي يمكنها أن تُولَد من رحم هذه الفطرة ، ثمَّ الوصول إلى حال تبديل الحقيقة الجليّة النيره بغيرها ، ثمّ إثارة ثابت فكري مجتمع في النفس والذهن ، وتحريكه باتجاه التبديل والتجاوز للحدود الفطريّة .. ثمَّ الانتقال إلى وسط جمعٍ لفرض هذا الحال عليه .. وبذلك تكون الصورة قد اكتملت بنقل الهوى ومحاربة الفطرة النقيّة من الذات إلى المجتمع ..

.. هذا الناموس ، لذي يختزل أسس الجحود ومحاربة الفطرة النقيّة في نفس الإنسان : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ ، هو المقسَم به لإثبات المُقسَم عليه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ..

.. ووجه الرابط بين المُقسَم به والمُقسَم عليه واضح جلي ، فرحلة نفس الإنسان في تجاوزها للفطرة النقيّة باتجاه الجحود والابتعاد عمّا فطر الله تعالى الإنسان عليه ، وصولاً إلى زرعها لهذه الخطيئة في وسط المجتمع الإنساني ، وهذا ما رأيناه في المُقسَم به ، بالتأكيد له تعلّقه بكون الإنسان كافراً بنعم ربّه جلّ وعلا عليه ، مستحضراً ما يصيبه من مصائب ناسياً أنّه هو من يرمي نفسه في المصائب ، وهذا ما تحمله دلالات الآية الكريمة من المُقسَم عليه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ ..

.. والمُقسَم به له تعلّقه أيضاً بكون الإنسان يعيش حال هذا الجحود في حياته ، عبر حبّه للخير لنفسه ، وهذا ما تحمله دلالات الآيتين الكريمتين من المُقسَم عليه ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ..

.. ولا شكّ أنَّ كلمة : ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ في هاتين الآيتين الكريمتين تعودان إلى الإنسان ، وقول المفسِّرين بأنَّ الضمير في الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ يعود إلى الله تعالى ، لا دليل عليه ، ويخالف روح السياق القرآني في هذا النصِّ الكريم ..

.. كلمة ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ معطوفة على قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ .. وقوله تعالى ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ يتعلّق بقوله تعالى ﴿ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ .. فالإنسان شهيد على كونه كافراً بنعم ربّه جلّ وعلا عليه ، مستحضراً ما يصيبه من مصائب ناسياً أنّه هو من يرمي نفسه في المصائب ..

.. وما نراه هو ورود كلمة ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ وليس (لشاهد) .. فكلمة شهيد على وزن (فعيل) ، ودلالاتها تقتضي الحضور والوجود في الأمر الذي تقع عليه الشهادة ، بمعنى : المباشرة والمعاينة في موضوع الشهادة عبر الحضور مع الأمر الذي تتمُّ الشهادة عليه في ذات إطار الوجود ..

.. وهذا أمر طبيعي ، فكفر الإنسان بنعم ربّه جلّ وعلا ، واستحضاره لما يصيبه من مصائب ناسياً أنّه هو من يرمي نفسه في المصائب ، كلُّ ذلك يتفاعل معه الإنسان من خلال وجوده الحسّي في ذات إطار الوجود الحاوي للمواضيع التي يكفر بها ويستحضر ما يصيبه من مصائب ناسياً أنّه هو من يرمي نفسه في تلك المصائب .. وهذا مل تصفه كلمة (شهيد) وليس كلمة (شاهد) ..

.. وفي الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ نرى ورود كلمة ﴿ عَلَىٰ ﴾ التي تفيد الاستعلاء ، فالإنسان مطّلعٌ على جحوده وإنكاره لما يجب عليه ألا يجحده وينكره ، وذلك كون هذا الجحود نابعاً منه ..

.. وما نراه في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ هو تقديم الكلمتين ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على كلمة ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ ، فالجحود عمل الإنسان وهو فعله الذي ينبع من ذاته ، وبالتالي يسبق أيَّ شهادة عليه ، حتى شهادته هو ذاته على ذلك .. من هنا نرى عظمة التصوير القرآني بتقديم الكلمتين ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على كلمة ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ ..

.. قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، نرى فيها تكرار كلمة ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ ، وفي هذا بيانٌ أنَّنا أمام مسألة أُخرى جديدة تصف حالاً من صفات الإنسان ..

.. وكلمة ﴿ ٱلْخَيْرِ ﴾ من الجذر (خ ، ي ، ر) ، والخير ضد الشر ، وهو المفَضَّل والموافق للحاجة والمنفعة والفائدة المرجوة .. ومن هنا كان الاختيار بمعنى التفضيل والاصطفاء ، والتخيير هو التفويض لانتقاء المُراد .. والخِيَرَةُ التفويض بالتفضيل والانتقاء ..

.. ولا يمكن حصر كلمة ﴿ ٱلْخَيْرِ ﴾ بالمال فقط ، فالتفضيل والحاجة والمنفعة والفائدة المرجوة للإنسان مسائل كثيرة ليست مقتصرة فقط على المال ..

.. وكلمة ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ من الجذر (ش ، د ، د) ، والشِّدَّةُ هي الصَّلابةُ ونَقِيضُ اللِّين ، وكلُّ ما أُحْكِمَ فقد شُدَّ ، وشدَدَ الشيء قوّاه وجعله ثابتاً ، والشديد القوي والصلب والراسخ ..

.. وما نراه أنَّ الله تعالى لم يقل : (وإنَّه لشديد حبّ الخير) ، فالتصوير القرآني لم يقدِّم شدّة الإنسان لحبّ الخير على حبِّ الخير ، فحبُّ الإنسان للخير نابعٌ من ذاته ابتداء

وكينونة ، وتأتي الشدّة في ذلك نتيجة تفاعله مع حيثّيات الدنيا كتفاعل لاحقٍ على كينونة خلقه .. من هنا نرى عظمة التصوير القرآني في تقديم الكلمتين ﴿ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ على كلمة ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ ..

.. قوله تعالى ﴿ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ ، نرى فيه أنَّ الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء للعطف على مقدَّر تقديره : أيفعل ما يفعل من الجحود والإنكار وهو شهيد على ذلك ، ولا : نافية .. فيكون التقدير : ومع كلِّ ما يفعل ، لا يعلم أنَّ الله تعالى يجازيه حينما يُبعثر ما في القبور ..

.. والبعثرة قلب المُبعثَر واستخراجه واستكشافه وتفريقه وإخراج ما به ، وقد وردت في كتاب الله تعالى في نصٍّ آخر ، وجاءت – أيضا – متعلّقة بالقبور ، وبالآخرة ..

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ [الانفطار : ١ – ٥]

.. وكلمة ﴿ ٱلۡقُبُورِ ﴾ من الجذر (ق ، ب ، ر) ، والقبر في كتاب الله تعالى هو مدفن الإنسان وجمعه قبور ، وهنا نرى جانباً معنويّاً في الأمر ، فخروج الإنسان من الحياة الدنيا إلى عالم البرزخ هو إقبار هذا الإنسان في ذلك العالَم ، فالقبر هو دفن الإنسان كنفس في عالم البرزخ .. ومن هنا نرى معنى قوله تعالى :

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس : ١٧ – ٢٢]

.. فكلمة ﴿ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾ تعني وضع نفسه في قبرها في عالم البرزخ ، أي وضع الإنسان كنفس في قبره ، ولا تعني مجرَّد دفن الجسد فاقد الحياة تحت التراب ، فهناك بعض الحالات

يتطاير فيها الجسد ولا يُوضَع تحت التراب ..... ومكان دفن الجسد تحت التراب هو مقبرة وجمعه مقابر ، يقول تعالى :

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر : ١ – ٢]

.. إذاً .. قوله تعالى : ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ يعني : مع كلِّ ما يفعل الإنسان من جحود وإنكار ومخالفة ، لا يقف على حقيقة كان عليه أن يعلمها وهي أنَّ الله تعالى يجازيه حينما يُخرَج من قبره ويظهر ما بكينونته من الجحود والعصيان ..

.. وما نراه انَّ الله تعالى يقول ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ ولم يقل : (من في القبور) ، فورود كلمة ﴿ مَا ﴾ دون كلمة (من) له دلالته في كتاب الله تعالى .. فالبعثرة ليست مقصورة على نفوس البشر بتفريقها عن بعضها وإخراجها من قبورها ، إنّما تطال أيضاً مكنونات كل نفس وما بداخلها ممّا كانت تخفيه في حياتها الدنيا .. فورود كلمة ﴿ مَا ﴾ دون كلمة (من) تصويرٌ مطلق لحقيقة الدلالات المحمولة في السياق السابق واللاحق لهذه الآية الكريمة ، وتصويرٌ مطلق لحقيقة تعلّق المقسَم به بالمقسَم عليه في بداية هذه السورة كما بيّنا ، فالناموس الذي يحكم رحلةَ الخطيئة في نفس الإنسان ابتداء بصدر الإنسان وانتهاء بالمجتمع ، يتعلّق بمكنونات النفس وبتفاعلها مع ما حولها في حياتها الدنيا ... ولذلك نرى الآية التالية مباشرة تتابع تصوير هذه المسألة : ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ ..

.. كلمة ﴿ وَحُصِّلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول على نسق ﴿ بُعْثِرَ ﴾ .. وكلمة ﴿ وَحُصِّلَ ﴾ تعني : وأُبرزَ ومُيِّز وأُظهِر الحقُّ وذهب ما سواه .. وكلمة ﴿ ٱلصُّدُورِ ﴾ من الجذر (ص ، د ، ر) ، وصدرَ الشيء بمعنى ذهب وانصرف ..

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ [القصص : ٢٣]

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [الزلزلة : ٦]

.. من هنا كان الصَّدْر مخزن ما تنصرف به النفس في حركة حياتها تجاه ما يحيط بها ، فهو مخزن مكنونات النفس ، بمعنى ما تُخفيه ، وبالتالي ما تحتويه من مكنونات .. فالصدر كمخزن لتلك المكنونات التي ينصرف بها الإنسان في تفاعله مع الحياة ، ينشرح ويضيق ..

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

.. ومن الممكن أن يخفي الإنسان حقيقة هذا المخزون الذي ينصرف به في تفاعله مع ما يحيط به ، ومن الممكن أن يعلن عنه ..

﴿ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [غافر : ١٩]

.. والوسواس الخنّاس يوسوس في هذا المخزون النفسي لينصرف به الإنسان وفق مراد الشيطان ..

﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤ – ٥]

.. ودلالات هذه الآية الكريمة ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ معطوفة على ما قبلها ﴿ بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ ، بمعنى : مع كلِّ ما يفعل الإنسان من جحود ومعصية ، لا يعلم أنَّ

الله تعالى يجازيه حينما يُخرَج من قبره ويظهر ما كان يُخفيه ، وحينما يَبرز ويتميَّز ويظهر مخزونه النفسيّ الذي كان ينصرف به في جحوده وتفاعله في حياته الدنيا ..

.. ودلالات الآيتين الكريمتين ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ تؤكِّد صحّة ما نذهب إليه في تفسيرنا لآيات المُقسَم به والمُقسَم عليه في بداية هذه السورة ، فالناموس الكوني في حركة نفس الإنسان في الابتعاد عن الفطرة النقيّة الطاهرة ، ابتداء بتجاوز النفس لحدود الفطرة النقيّة وما يترتّب على ذلك من تلوّنها باتجاه السواد ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ ، ثمّ الانتقال إلى نتيجة ذلك وهي إخفاء هذه النفس لومضات النور التي يمكنها أن تُولَد من رحم هذه الفطرة ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾ ، ثمَّ الانتقال إلى نتيجة ذلك وهي الوصول إلى حال تبديل الحقيقة الجليّة بغيرها ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ ، ثمَّ إثارة ثابت فكري مجتمع في النفس والذهن ، وتحريكه باتجاه التبديل والتجاوز للحدود الفطريّة ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ .. ثمَّ الانتقال إلى وسط جمعٍ لفرض هذا الحال عليه ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ .. وكلُّ ذلك يتعلَّق بدلالات المُقسَم عليه ، أي بجحود الإنسان وبكونه شهيداً على ذلك وبحبّه الشديد للخير ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .. كلُّ ذلك (المُقسَم به والمُقسَم عليه) قضايا نفسيّة تتعلَّق بمخزون النفس وانصرافها به تجاه حركة حياتها فيما يحيط بها ، وهذا ما رأيناه في الآيتين : ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ ..

.. الآية الأخيرة في السورة ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ نرى فيها تعليلاً لقوله تعالى ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ ، بمعنى : مع كلِّ ما يفعل

الإنسان من جحود وإنكار ومخالفة (وهذا ما رأيناه في الآيات الحاملة للمقسم به والمقسم عليه) ، لا يقف على حقيقة كان عليه أن يعلمها وهي أنَّ الله تعالى يجازيه حينما يُخْرَج من قبره ويظهر ما بكينونته من الجحود والعصيان ، وحينما يَبرز ويتميَّز ويظهر مخزونه النفسيّ الذي كان ينصرف به في جحوده وتفاعله في حياته الدنيا .. ثمَّ جاءت الآية الكريمة ﴿ **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ** ﴾ تعليلاً لذلك ..

.. وكلمة ﴿ **لَّخَبِيرٌ** ﴾ من الجذر (خ ، ب ، ر) .. وفي كتاب الله تعالى الخُبْر المعرفة والعلم والدراية ..

﴿ **كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** ﴾ [الكهف : ٩١]

والخبَر هو النبأ والعلم والمعرفة ..

﴿ **إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ** ﴾ [القصص : ٢٩]

.. وأخبار الشيء أموره وحوادثه ..

﴿ **قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ** ﴾ [التوبة : ٩٤]

.. والخبير بالشيء هو العالم به والذي يحيط معرفة به وبأحداثه ..

﴿ **وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [البقرة : ٢٧١]

﴿ **وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٣]

.. وكلمات الآية الكريمة ﴿ **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ** ﴾ متعلّقة بكلمة ﴿ **لَّخَبِيرٌ** ﴾ .. ونرى أنَّه تمَّ تقديم الكلمتين ﴿ **بِهِمْ يَوْمَئِذٍ** ﴾ على كلمة ﴿ **لَّخَبِيرٌ** ﴾ ، وأنَّه تمَّ تقديم كلمة ﴿ **بِهِمْ** ﴾ على كلمة ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ .. فالتصوير القرآني الكريم يُلقي الضوء عليهم في ذلك اليوم كأساس بياني ، يجعل من وصف حقيقتهم في ذلك اليوم مركز البيان الدلالي في هذه الآية

الكريمة .. فأولوية التصوير القرآني في هذه الآية الكريمة ليس الحديث عن كون ربِّهم خبيراً ، وليس الحديث عن ذلك اليوم ، وإنما الأولويّة لبيان حالهم في ذلك اليوم من زاوية كون ربِّهم بهم خبيراً ..

.. وما نراه أيضاً هو ورود صيغة الربوبيّة المضافة لهم ﴿ رَبَّهُم ﴾ دون صيغة الإلوهيّة ، وهذا يتعلَّق بكون المسائل المحمولة في الآيات السابقة لا تخرج عن ساحة الربوبيّة من تسخير للأسباب بين يدي الإنسان ، وهذا ما يتجلّى في الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ من المُقسَم عليه ، حيث ورود صيغة الربوبيّة ﴿ لِرَبِّهِۦ ﴾ ، وحيث الجحود في النعم المسخّرة بين يدي الإنسان ﴿ لَكَنُودٌ ﴾ ..

.. وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ ، نرى تخصيص كلمة ﴿ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ في ذلك اليوم ، وذلك بورود كلمة ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، مع العلم أنَّ الله تعالى خبيرٌ دائماً بكلِّ شيء ، سواء في ذلك اليوم أو في غيره .. وهذا التخصيص يعود إلى كون مركز البيان المحمول في هذه الآية الكريمة يتعلّق بماهيّتهم ، ولذلك نرى كلمة ﴿ بِهِمْ ﴾ تتقدّم الكلمتين ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ .. فكما بيّنا ، أولوية التصوير القرآني في هذه الآية الكريمة ليس الحديث عن صفة الخبير لله تعالى ، إنّما لبيان حالهم في ذلك اليوم ، كون دلالات السورة القرآنيّة بمجملها تتناول مكنونات النفس ورحلتها مع حيثيّات جحودها وابتعادها عن الفطرة النقيّة ..... من هنا نرى تأخير كلمة ﴿ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ ، وتعلّق الكلمات ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ بها ، وتخصيصها بكلمة ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ..

.. ما نراه في هذه السورة الكريمة أنَّنا أمام وحدة متكاملة متناسقة ، من أوَّل آية فيها إلى آخر آية ، وأنَّ مذهب التفسير الموروث بكون المقسم به في بدايتها يتعلَّق بالخيل

وحوافرها وهجومها على القوم ، هو مخالفة صريحة للكلمات الحاملة لهذه السورة الكريمة ، وإساءة لكتاب الله تعالى ..

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ

.. ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] .. فالقرآن الكريم يسَّره الله تعالى للذكر .. وبالتالي .. فكلُّ تيه في إدراك دلالات أيِّ نصٍّ من نصوصه ، ناتجٌ عن ابتعاد التائه عن حقيقة المنهج السليم في تدبّر آيات كتاب الله تعالى .. وكل تناقضٍ واختلافٍ بين المُفسِّرين ناتجٌ عن تناقضات المناهج غير السليمة التي يسلكها أولئك المفسِّرون في تفسيرهم لدلالات نصوص كتاب الله تعالى ..

.. المطّلع على موروثنا التفسيري لكتاب الله تعالى ، يرى الكثير من هذا التيه ، والكثير من التناقضات بين المفسِّرين ، والتي تدور من النقيض إلى نقيضه .. وفي هذا البحث سنقف عند تفسير عبارة من عبارات كتاب الله تعالى لنرى ذلك بأمِّ أعيننا ، وكيف أنَّ المنهج السليم في تدبّر آيات كتاب الله تعالى يُسقط كلَّ تلك الأوهام والتناقضات .. هذه العبارة هي قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾ [البقرة : ١٨٤]

.. كالعادة .. اختلف المفسِّرون في تفسير هذه العبارة القرآنيّة ، لدرجة أنّه تمَّ زعم قراءات أُخرى تمَّ فيها استبدال كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ ، ولا يُوجد داع لهدر الوقت بهذا التلبيس على كتاب الله تعالى والغرق قي مستنقعات هذا التلبيس .... من هذا التلبيس ما نراه في الرواية التالية ..

البخاري (**٤١٤٥**) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءٍ **سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ** هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا

.. لقد تمَّ التيه في إدراك دلالات كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ ، ولم يتمّ التمييز بينها وبين دلالات كلمة (**يَطوقونه**) .. وزعموا أنَّ هذه العبارة القرآنيّة (بل الآية كاملة) منسوخة حيث قالوا : المراد من قوله ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ** ﴾ هو المقيم الصحيح ، فخيَّره الله تعالى أولاً بين هذين الحكمين (الصيام ، الإفطار) ، ثم نسخ ذلك وأوجب الصوم عليه في الآية التالية التي زعموا أنَّها ناسخة لهذه الآية الكريمة ..

.. ومنهم من قال : ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ أي وعلى الذين يقدرون على الصوم مع الشدة والمشقة .. ومنهم من قال : إنها تتناول الشيخ الهرم والحامل والمرضع .. وقال معظمهم : إنَّ الشيخ الهرم إذا أفطر فعليه الفدية .. باختصار .. عدم وقوفهم على حقيقة دلالات هذه الآيات الكريمة ، وعدم تحليلهم اللغوي السليم لدلالة كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ ، جعلهم يدخلون أنفاق هذا التيه ..

.. وأقتبس حرفيّاً النصَّ التالي من كتابي : النظريّة الثالثة (الحقّ المطلق) لإلقاء الضوء على بعض مواطن تيه المفسّرين في تفسيرهم لهذا النصِّ الكريم :

.......]]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣ – ١٨٧]

.. قالوا : الآية الأولى في هذا النصّ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ناسخة لصوم يوم عاشوراء ،

ومعناها – حسب قولهم – كُتب عليكم صيام ثلاثة أيّام من كلِّ شهر ، ثمّ نُسخَت هذه الآية بصوم رمضان ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ ..

.. وقالوا أيضاً : إنَّ الآية الأولى في هذا النصّ كتبت على الجيل الأوّل ما كُتِبَ على الأمم السابقة ، وهو إذا نام الرجل بعد المغرب لم يأكل و لم يقرب النساء ، ثمّ نُسخ ذلك بقوله ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ ، وكذلك بقوله ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ ..

وقالوا أيضاً : إنَّ الصورة القرآنيّة ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ عندما نزلت كان من شاء صام ومن شاء أن يفتدي فعل ، ثمّ نسختها الآية التي بعدها ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ ..

وحاصل الأمر – حسب تصوّرهم ومن منظار الناسخ والمنسوخ المزعوم – أنَّ العبارات القرآنيّة المنسوخة في هذا النصّ الكريم ، تحمل أحكاماً مرحليّةً لفترةٍ مُحدَّدة من زمن الجيل الأوّل ..

إنّ التشبيه في العبارة القرآنيّة ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ يعود إلى أصل إيجاب الصوم ، وأنّ الإسلام لم يبتدع مسألة الصوم وإن اختلفت شكليّة الصوم واختلف وقته وقدره ، فالصوم كفريضة كُتب على الأمم السابقة .. وإنّ قولهم بأنَّ الآية الأولى في هذا النصّ هي أمرٌ للمؤمنين في الجيل الأوّل بأن يصوموا ثلاثة أيام من كلّ شهر ، هو قولٌ لا برهان عليه ، والقرآن الكريم ينفي هذا التصوّر نفياً قاطعاً ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ﴾ هي خطابٌ لكلِّ مؤمن ملتزم بتكليف الله في كلِّ مكان وزمان ، ولا تخصّ جيلاً دون الآخر ..

ولو كان زعمهم بأنّ الآية الثالثة في النصّ الكريم ناسخة للآيتين الأولى والثانية صحيحاً ، لتعارض ذلك مع ما تحمله الآية الثالثة – الناسخة على زعمهم – من أحكامٍ ومعانٍ .. ففي الآيتين الأولى والثانية – المزعوم نسخهما – نرى أحكاماً على سبيل التخيّر ، وهذا يحمل اليسر للمؤمنين ويرفع عنهم العسر ، بينما نرى في الآية الثالثة أنَّ الله تعالى يُوجب فيها الصوم ، وبالتالي يكون ذلك – مقارنة مع أحكام الصوم في الآية الثانية – على سبيل التضييق ، وبالتالي رفعاً لليسر واستبداله بالعسر .. ولكن ما نراه في الآية الثالثة هو نقيض هذا التصوّر ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ ، فلو كانت الآية الثالثة ناسخة للآيتين الأولى والثانية – كما زعموا – لكانت الحقيقة الحاصلة نقيض ما تحمله الآية الناسخة ذاتها ..

وإن كانت الصورة القرآنيّة ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ لا تعني – حسب ما ذهبوا إليه – إلاّ الصيام المفروض على جميع المؤمنين ، والذي اُستبدل – كما يزعمون – بصيام رمضان ، فكيف يُؤذَن لمن يطيق الصوم بالفدية ، بدلاً من الصوم ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ ﴾ ، في حين يقول الله تعالى للمريض والمسافر في الآية ذاتها ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ ، ويقول أيضاً في الآية ذاتها ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ ..

ولو كانت الآية الثانية التي تحمل رخصة الفداء منسوخة – كما يزعمون – فمن أين لهم أن يرخّصوا لمن لا يستطيع الصوم مدى حياته بالفدية ؟!!! .. كيف يزعمون نسخها ثمّ يستشهدون بها على رخصة الفدية ؟!!! ..

ولو تمّ سحب الضمير في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ على الفداء ، لكانت الفدية مقدَّمة على الصوم المفروض (الذي اُستبدل حسب قولهم بصوم رمضان)

، ولتعارض ذلك – بناءً على تصوّرهم – مع العبارة القرآنيّة في الآية ذاتها ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ ، ومع فريضة الصوم التي هي ركنٌ من أركان الإسلام ..

ولو نظرنا إلى الآية الثانية لرأينا – إضافة إلى التخيير بين الفدية والصوم – أنَّ هناك خيراً يمكن أن يتطوّع به المؤمن في ساحة هذا التكليف ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ﴾ ، وهذا الخير إمّا أن يكون تطوّعاً في الصيام فوق ما هو مفروض ، أو الصيام مع الإطعام ، أو إطعام أكثر من مسكين عن اليوم الواحد ، أو إطعام المسكين الواحد أكثر من يوم ..

ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنّ تكليف الصوم كحكم من الله تعالى ليس محصوراً فقط في رمضان ، فهناك حالات يقع فيها الصوم على بعض المؤمنين ، وأحياناً يكونون مخيَّرين بين الصيام والفدية ، وأحياناً تكون الفدية مقدّمة على الصيام ، وبالتالي فالصيام يقع على من لم يستطع دفع هذه الفدية ، وأحياناً يكون الصيام وفاءً لنذرٍ نذره المؤمن ، وأحياناً يكون صيام النفل قُربة من الله تعالى ..

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء : ٩٢]

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٩]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة : ٩٥]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المجادلة : ٣ – ٤]

وهكذا نرى أنَّ الآيتين الأولى والثانية – المزعوم نسخهما – تصوّران لنا الصيام بإطاره العام ، الذي يشمل كلَّ ما أمر الله تعالى به بالنسبة لمسألة الصوم .. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ لا نستطيع حصرها بصيام رمضان ، فإطار حكم الصيام – كما رأينا – أوسع من إطار صيام رمضان المفروض على جميع المسلمين دون استثناء ..

وممّا يؤكّد أنَّ الآية الثانية – المزعوم نسخها – تُصوِّرُ لنا إطار الصيام بشكله العام ، وأنَّ الآية الثالثة – الناسخة حسب زعمهم – تصوّر لنا صيام رمضان فقط .. ممّا يؤكّد ذلك هو النقاط التالية ، إضافة لما بيّناه من دلائل تُثبت ما نذهب إليه ..

١ – ابتداء الآية الثالثة بعبارة قرآنيّة متعلِّقة بشهر رمضان ، ومن ثمّ أمر صيام هذا الشهر ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ .. فمطلع هذه الآية الكريمة بهذه الصياغة الإخباريّة المصوِّرة لشهر رمضان وبأنّه أُنزل فيه القرآن ، يؤكّد أنّه تمّ الانتقال إلى مسألة جديدة ، جوهرها شهر رمضان وصيامه ..

٢ – تكرار العبارة القرآنيّة التي تصوّر حكم المريض والمسافر ، ما بين الآيتين الثانية والثالثة .. ففي الآية الثانية المصوِّرة للصوم بإطاره العام نرى العبارة القرآنيّة ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ ، وفي الآية الثالثة المصوِّرة لصيام رمضان حصراً نرى العبارة ذاتها ، ولكن مع استبدال حرف الفاء بحرف الواو ، وحذف كلمة ﴿ مِنكُم ﴾ : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ .. فتكرار هذه الصورة القرآنيّة في الآيتين يؤكّد تمايز أحكام المسألتين المحمولتين بهاتين الآيتين ..

٣ – في العبارة القرآنيّة من الآية الثانية المُصوِّرة للصوم بإطاره العام ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ ، نرى في ابتدائها بالفاء (وليس بحرف الواو) وفي ورود كلمة ﴿ مِنكُم ﴾ ، نرى دلالاتٍ تحملُ أحكاماً أكثر خصوصيّة ، وأكثر تعلّقاً بالعبارات السابقة لها ، وهذا يعود إلى كون أحكام الصيام الأُخرى (غير صيام رمضان) متعلّقةً بالأعمال التي بسببها فُرضت تلك الأحكام (من كفّارات وغير ذلك) .. بينما في العبارة القرآنيّة الخاصّة بصيام شهر رمضان ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ ، لا نرى هذه الفاء ، ولا نرى كلمة ﴿ مِنكُم ﴾ ، فما نراه هو واو العطف في بدايتها ، وهذا يتعلّق بكون صيام رمضان حكماً عامّاً مفروضاً على الجميع دون أيِّ تعلّق بكفارات أو غير ذلك ..

وبالنسبة لربط بعضهم دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ ، بتاريخيّة محدّدة تخيّلوها محمولة بالعبارة السابقة لهذه العبارة مباشرة ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ ﴾ ، هذا الربط ناتجٌ عن عدم إدراك دلالات كلمة ﴿ عَلِمَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، فقد رأينا كيف أنَّ كلمة ﴿ عَلِمَ ﴾ بصيغة الماضي التي ترد بها ، تتعلّق بعلم الله تعالى الكاشف أزلاً ..

فالله تعالى علم بعلمه الكاشف – أزلاً – أنَّ الإنسان بكينونته البشريّة يختان نفسه في المسألة المحمولة بهذه العبارات ، وبناءً على علم الله تعالى الكاشف شرع – أزلاً – في كتابه الكريم حُكْمَه : ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ ..... فهذا الحكم الذي شرعه الله تعالى بالعبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ ، يتعلّقُ بعلم الله تعالى

الكاشف ، ولا يتعلّق بحادثة حدثت زمن الجيل الأوّل ، كما يتخيّل من يحسبون كتاب الله تعالى مثل أشعارهم وأحاديثهم ..

وهكذا نرى أنَّ الآيات الناسخة والمنسوخة على زعمهم ، هي آيات متكاملة متعاضدة في وصف أحكام هذه المسألة ، ونرى أنّه لا تعارض بين هذه الآيات ، وأنَّ دلالاتها متعلّقة بعلم الله تعالى الأزلي ، وليست ناتجةً عن أحداثٍ تاريخيّة كما يتوهّمون .. **]]** .. انتهى الاقتباس ..

.. وفي هذا البحث .. سنركّز الضوء على دلالات العبارة القرآنيّة : **﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾** ، محاولين النظر إليها – حسب استطاعتنا – من كلِّ الزوايا ، عبر منظار المنهج العلمي السليم في تدبّر آيات كتاب الله تعالى ..

.. بناء على فهمهم الخاطئ ، فإنَّ هذه العبارة القرآنيّة تُخيِّر المؤمن بين الصوم والفداء ، بمعنى : بإمكانه ألا يصوم إطلاقاً ، وذلك بأن يفدي ، وهذا ما ذهب إليه بعضهم ممن لا يجيزون النسخ .. وأيضاً فهمهم الخاطئ بأنَّ كلمة : **﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾** بمعنى يستطيعون الصيام ، جعلهم يفترون على كتاب الله تعالى بأنَّه هناك كلمة مضمرة هي كلمة (**وأفطروا**) ، بمعنى : وعلى الذين يستطيعون الصيام ويقدرون عليه (**وأفطروا**) فديةٌ طعام مسكين ، وهذا إساءة لصياغة دلالات كتاب الله تعالى ، شأنّها شأن إساءة زعم النسخ .. واحتجّوا على مذهبهم هذا بالعبارة القرآنيّة : **﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾** التي ترد في السياق التالي للعبارة القرآنيّة قيد البحث ، مُعرضين عن كونها بصيغة المخاطَب ، في حين أنَّ العبارة القرآنيّة قيد البحث هي بصيغة الغائب كما سنرى بإذن الله تعالى : **﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾** ..

.. جوهر التيه في كلٍّ هذه الأقوال المتناقضة من السابقين إلى اللاحقين حتى المعاصرين ، يكمن في عدم الوقوف على حقيقة دلالات كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ .. فما هو معنى كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ ؟ ..

.. في كتاب الله تعالى نرى ناموساً لغويّاً يتجلّى في الكثير من الأفعال الواردة فيه ، مفاده : أنَّ همزة التعدّي تغيِّر اتّجاه حركة الفعل ، فتعكسه ناقلةً إياه إلى جهةٍ أخرى ، وهذا ما لا خلاف فيه ..

.. وقد تعرَّضت لذلك حينما وقفت عند مشتقّات الجذر (ع ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى .... وأقتبس – فيما يلي – النصَّ التالي من كتابي : المعجزة الكبرى ، فيما يخصُّ هذا الأمر :

[[.. إنَّ دلالاتِ الكلماتِ القرآنيَّةِ المُتَفَرِّعَةِ عن هذا الجذرِ اللغويِّ (ع ، ر ، ب) في كِتابِ اللهِ تعالى ، تدورُ داخلَ إطارٍ من المعنى هو : الكمالُ والتمامُ والخلوّ مـــن العيـــبِ والنقص .. ولذلك نرى – في كتابِ اللهِ تعالى – أنَّ صفةَ العَرَبِ لمْ تتعلّقْ بالبشرِ أبـــداً ، وإنّما تأتي متعلّقةً بكتابِ اللهِ تعالى ، وباللاتي سينشئهنّ اللهُ تعالى في الآخرة ، وبآليّةِ اللغةِ وأُسلوبِ المخاطبةِ وطريقةِ التبيان ، أيْ اللسان ... وما تَعَلَّقَ بالبشرِ ، هو صفةُ الأعرابِ ، وليس العرب ..

.. فكلمةُ ﴿ **عُرُبًا** ﴾ في قولِه تعالى .. ﴿ **إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا** ﴾ [الواقعة : ٣٥ – ٣٧] .. تعني كاملاتٍ ، تامّاتٍ ، خالياتٍ من أيِّ عيبٍ أو نقص .. ولا يُمكنُ لعاقلٍ أنْ يتصوَّرَها بمعنى انتمائِهنِّ إلى قومِ العرَب ، من سورية ، أو من مصر ، أو من المغرب ، على سبيل المثال .....

.. وكلمةُ ﴿ **عَرَبِيّٗاۚ** ﴾ في قولِه تعالى .. ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ** ﴾ [الرعد : ٣٧] .. لا يُمكنُ أن تصفَ الحكمَ الذي أنزلَهُ اللهُ تعالى بأنَّهُ لِقومِ العرب .. فالحكمُ الذي

أنزلَهُ اللهُ تعالى كاملٌ تامٌّ خالٍ من أيِّ عيبٍ أو نقص .. وإلاَّ لماذا يُصلّي الأتراك ، ولماذا يصومُ أهلُ إيران ، ولماذا يحجُّ أهل الباكستان ..

.. في هذا الإطارِ من المعنى تُدرَكُ دلالاتُ كلمة ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] .. فالقرآنُ أنزلَهُ اللهُ تعالى كاملاً تامّاً خالياً من أيِّ عيبٍ أو نقصٍ ، لعلَّ الناسَ جميعاً يعقلونَه .. فقولُهُ تعالى ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ في هذه الآيةِ الكريمةِ خِطابٌ لِلبشريّةِ جمعاء ، وليس خاصّاً بقومِ العرب .. وفي ذات الإطارِ من المعنى نُدرِكُ دلالاتِ قولِهِ تعالى .. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] ..

.. وكلمة ﴿ لِسَان ﴾ في كِتابِ اللهِ تعالى ، تعني أُسلوبَ المخاطبةِ ، ووسيلةَ التبيان .. يقولُ تعالى .. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٠] .. وبالتالي فأُسلوبُ إنذارِ الرسولِ ﷺ نتيجةَ نزولِ جبريل عليه السلام بالقرآنِ الكريمِ على قلبِه ، ووسيلَةُ تبيانِهِ ﷺ ، كاملٌ تامٌّ خالٍ من أيِّ عيبٍ أو نقصٍ .. هذا ما نُدرِكُهُ من دلالاتِ كلمةِ ﴿ عَرَبِي ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥]

.. أمَّا كلمةُ الأعراب فهي مُشتَقَّةٌ من الفعل (أعرَبَ) .. ولذلك فهمزةُ التعدِّي هذه نَقَلتْ المعنى إلى النقيض .. فالأعرابُ يتظاهرونَ بالكمالِ والتمامِ والخلوِّ من العيبِ والنقص ، معَ أنّهم نقيضُ ذلك ...

.. ومسألةُ نقلِ هذه الهمزةِ للمعنى إلى النقيضِ واردةٌ في كتابِ اللهِ تعالى .. ففي الجذر اللغويِّ (ق ، س ، ط) نرى أنَّهُ في الانتقال من الفعل (قَسَطَ) إلى الفعلِ (أقْسَطَ) ننتقل من المعنى إلى نقيضه .. فالقاسطون [من الفعل الثلاثي (قسط)] الذين سيكونون

لجهنّمَ حطباً ، نقيضُ المقسطين [من الفعل الرباعي (أقسط)] الذين يُحبّهم الله تعالى ..]] .. انتهى الاقتباس ..

.. إذاً .. صفة عربي [من الفعل الثلاثي (عرب)] نقيض صفة أعراب [من الفعل الرباعي المتعدّي بالهمز (أعرب)] .. وصفة القاسطين [من الفعل الثلاثي (قسط)] نقيض صفة المُقسطين [من الفعل الرباعي المتعدِّي بالهمز (أقسط)] ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

.. الجذر اللغوي (خ ، و ، ف) .. الفعل الثلاثي منه : خاف ، ومضارعه : يخاف . واسم الفاعل هو : خائف .. وخاف الخائف : تملكته الخشية وعدم الطمأنينة ..

.. الفعل الرباعي المتعدّي بالهمز من الجذر اللغوي (خ ، و ، ف) هو : أخاف ، ومضارعه : يُخِيف .. واسم الفاعل هو : مُخيف .. وأخاف المُخيف فلاناً : جعله خائفاً ، بمعنى : تمَّ نقل الخوف إليه ..

ففي حين أنَّ دلالات الفعل الثلاثي : خاف ، تتعلَّق بتملك الخشية وعدم الطمأنينة في نفس الإنسان الخائف ، نرى أنَّ دلالات الفعل الرباعي المتعدِّي بالهمز تعكس حركة دلالة مسألة الخوف لتزرعها في نفس الآخر ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

.. الجذر اللغوي (ذ ، و ، ق) .. الفعل الثلاثي : ذاق ، ومضارعه : يذوق .. واسم الفاعل هو : ذائق .. وذاق الشيء : لامس هو طعمه ..

.. الفعل الرباعي المتعدّي بالهمز : أذاق ، ومضارعه : يُذِيق .. واسم الفاعل هو : مُذيق .. وأذاق فلانٌ فلاناً الشيء : جعله يلامس طعم الشيء .. فحركة فعل الذوق انتقلت من ذات الذائق في الفعل الثلاثي ، إلى غيره عبر دخول همزة التعدّي عليه ليصبح : أذاق ..

.. والأمثلة كثيرة جداً .. فلا شكَّ أن الفعل الثلاثي (شرب) يصف حركة فعل الشرب للشارب ذاته ، بينما همزة التعدّي بدخولها على الفعل الثلاثي ليصبح (أشرب) تنقل هذه الحركة للآخر ، بمعنى : جعل الآخر (وليس الذات) هو من يقوم بعملية الشرب .. وكذلك : لبس وألبس .. وطعم وأطعم .. وذهب وأذهب .... الخ ..

.. الآن .. لنعد إلى كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ .. الجذر اللغوي لهذه الكلمة هو : (ط ، و ، ق) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار القدرة والاستطاعة ، فطاقة الشيء قدرته واستطاعته ..

﴿ **قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩]

﴿ **رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

.. والفعل الثلاثي منه هو : طاق ، ومضارعه : يَطوق .. واسم الفاعل هو : طائق .... وطاق فلانٌ الشيء ، تعني : استطاعه وقدر عليه ، بمعنى أنَّ الشيء أصبح تحت قدرة فلان واستطاعته .. ويطوق فلانٌ الشيءَ يعني : يُصبح الشيءُ تحت مقدور فلان واستطاعته ..

.. الآن .. الفعل الرباعي المتعدِّي بالهمز هو : أطاق ، ومضارعه يُطيق .. واسم الفاعل هو : مُطيق .. وأطاق فلانٌ الشيءَ ، عكس طاق فلانٌ الشيءَ ، كون همزة التعدي عكست حركة دلالة الفعل الثلاثي (طاق) .. وبالتالي فقولنا : أطاق فلانٌ الشيءَ ، يعني : أصبح فلانٌ في مقدور الشيء ، أي : أصبح الشيءُ قادراً على فلان .. وكذلك : يُطيقُ فلانٌ الشيءَ يعني : يُصبح فلانٌ تحت مقدور الشيء واستطاعته ..

.. من هنا نرى أنَّ كلمة : ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ ، تحمل دلالة معاكسة تماماً لدلالة كلمة : (**يَطوقونه**) .. فهذه الكلمة هي من الفعل الرباعي أطاق ، بينما كلمة (**يَطوقونه**) هي

من الفعل الثلاثي (طاق) .. وفي حين أنَّ دلالة كلمة (**يَطوقونه**) تعني يستطيعونه ويقدرون عليه ، نرى أنَّ دلالات كلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ تعني : لا يقدرون عليه ولا يستطيعون ذلك .. فكلمة ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ تعني : (**لا يَطوقونه**) ..

.. من هنا نرى أنَّ قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ** ﴾ يعني : وعلى الذين لا يطوقونه فديةٌ طعام مسكين ، أي : وعلى الذين لا يستطيعون صيامه من غير سفر أو مرض فديةٌ طعام مسكين .. ومثال هذه الحالة الطاعن في السن هزيل الجسم الذي لا يقوى على الصيام على كامل مدار السنة ..

.. وهكذا نرى أنَّ النصَّ القرآنيَّ : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ** ﴾ ، يُغطِّي كلَّ حالات عدم استطاعة الصيام .. فقوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ** ﴾ يشمل من لا يستطيع الصيام لعذر مؤقت له نهايته ، فسواء المريض أم المسافر ، سيأتي عليه يوم يخرج فيه من مرضه أو سفره .. وقوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ** ﴾ ، يشمل كلَّ من عنده عذرٌ دائمٌ بحيث لا يستطيع الصيام على مدار السنة ..

.. واحتجاجهم بالعبارة القرآنيّة ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ ، على أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ** ﴾ تعني تخييراً بين الصوم والفدية ، هو احتجاجٌ غيرُ سليم ، لأنَّ صيغة العبارة ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ ، هي بصيغة المخاطب المماثلة لصيغ العبارات القرآنية السابقة للعبارة قيد البحث : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ**

عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ ، وبعد ذلك تأتي العبارة قيد البحث بصيغة الغائب : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ﴾ ، ومن ثمَّ تعود الصياغة للمخاطب في قوله تعالى ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ..

.. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ، بصيغتها التي ترد بها ، تتعلّق بالإطار العام للصوم ، وليست متعلّقةً بتخييرٍ بين الصوم والإفطار كما ذهب بعضهم ..

.. وهنا لسائل أن يسأل .. ما دامت الفدية تُدفَع للمسكين ، بمعنى أنّها عملية إطعام للمسكين .. فلماذا نرى ورود العبارة : ﴿ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ دون العبارة : (**إطعام مسكين**) ؟! .. فكون المسألة هي مسألة تقديم طعام للمسكين يقوم بها من عليه دفْع الفدية ، فالظاهر أنَّ المناسب هو كلمة : (**إطعام**) وليس كلمة ﴿ **طَعَامُ** ﴾ .. هكذا من الممكن أن يسأل سائل ..

.. عظمة الصياغة القرآنيّة تتجلّى في كلِّ كلمة من كلمات كتاب الله تعالى ، فكون العبارة القرآنيّة تشمل من لم يستطع الصوم كنتيجة لحالة لم يرتكب بها خطيئة ، كون

جسمه لا يتحمل الصيام على كامل مدار السنة ، ولا ذنب له بذلك ، وكونه من الممكن لهذه الحالة أن تشمل المسكين ذاته الذي لا يملك ما يتصدّق ويفدي به ، نرى ورود كلمة **﴿ طَعَامُ ﴾** دون كلمة (إطعام) في العبارة القرآنيّة **﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾** ، ليكون فداؤه هو طعام نفسه الذي يأكله .. بمعنى : طعامه الذي يُقدِّمه لنفسه هو فداؤه ..

.. إذاً .. كلمة **﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾** بصياغتها اللغويّة التي ترد بها في كتاب الله تعالى ، تصف وصفاً مطلقاً الذين لا يقدرون على الصيام على مدار السنة ، كالطاعنين في السنِّ هزيلي الأجسام ، وهي كدلالة تعادل العبارة : (**لا يَطوقونه**) كما رأينا ..

تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾

[الأنعام : ٢١]

.. قمَّةُ الظلم .. الافتراءُ على الله تعالى ، من خلال تحريف الكلم عن مواضعه في تناول كتاب الله تعالى ، وإنكار الحقائق التي تحملها نصوص كتاب الله تعالى ، وفرض الأكاذيب والأهواء عليها ، انتصاراً لهبوط القيمة الإنسانيّة في نفوس الظالمين ، وللنتن المذهبي والطائفي الذي يتيهون في أنفاقه ..

.. وضحايا هذا الظلم كثر .. ونتيجته غمس المجتمعات في مستنقعات الحقد والكره واحتكار الخلاص وتكفير الآخرين والاقتتال الديني والمذهبي والطائفي والفكري ، إضافة إلى إعراض بعض الناس عن منهج الله تعالى ، وربّما إلحادهم ،كونهم لم يستطيعوا تخيّل

الإله جلّ وعلا ظالماً يأمر بإكراه الناس وقتلهم وسبي نسائهم ، كما هو للأسف في فقهنا الموروث ، افتراءً على منهج الله تعالى ..

.. سبب هذا البحث هو رسالة من أخ عزيز بعثها لي ، مفادها أنَّ صديقاً له كان من حفظة القرآن الكريم والملتزمين ، لكنَّ نفسه لم تنسجم مع ما رآه في الموروث محسوباً على منهج الله تعالى ، كتكفير للآخرين ، وسبي لنسائهم ، وكتفاسير موروثة لأمور علمية فلكيّة لا تحمل لكتاب الله تعالى إلاَّ الإساءة .. فما كان منه إلاّ أن ألحد ، وأصبح داعية للإلحاد حتى على الفضائيّات ..

.. الأمور التي استوقفته هو ومن سار على هذا الدرب ، كثيرة .. لكن .. ما أبلغني عنه الأخ العزيز هو وقوف صديقه عند قوله تعالى : ﴿ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ ﴾ في الآية الكريمة ..

﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦]

.. قرأ التفاسير وسمعها من شيوخه وحسبها ذات مراد الله تعالى .. ومحور ما تذهب إليه هذه التفاسير ، هو أنَّ العبارة : ﴿ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ ﴾ ، تعني : تقاتلونهم حتى يسلموا .. بمعنى : يجب مقاتلة كلّ من لم يُسلِم ، حتى يُسلِم ..

.. فقد ورد في تفسير الطبري بما يخصّ هذه العبارة القرآنيّة :

[[وقوله (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمخلَّفين من الأعراب تقاتلون هؤلاء الذين تُدعون إلى قتالهم ، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال ..

وقد ذُكر أن ذلك في بعض القراءات (تُقَاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُوا) .... **]]**

.. وورد في تفسير ابن كثير :

[[وقوله : { تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ } يعني : يشرع لكم جهادهم وقتالهم ، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ، ولكم النصرة عليهم ، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار ..]]

.. وورد في تفسير الألوسي :

[[وقوله تعالى : { تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } على معنى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما ، فأو للتنويع والحصر لا للشك وهو كثير]]

.. وورد في تفسير فتح القدير :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } أي : يكون أحد الأمرين : إما المقاتلة ، أو الإسلام لا ثالث لهما ، وهذا حكم الكفّار الذين لا تؤخذ منهم الجزية . قال الزجاج : التقدير : أو هم يسلمون ، وفي قراءة أبيّ (أو يسلموا) أي : حتى يسلموا]]

.. وورد في تفسير زاد المسير :

[[وقال بعض أهل العِلْم : لا يجوز أن تكون هذه الآية إِلاّ في العرب ، لقوله : { تُقاتِلونهم أو يُسْلِمُونَ } ، وفارس والروم إِنما يقاتَلون حتى يُسْلِموا أو يؤدُّوا الجزية]]

.. وورد في تفسير الرازي :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } إشارة إلى أن أحدهما يقع ، وقرئ { أَوْ يسلموا } بالنصب بإضمار أن على معنى تقاتلونهم إلى أن يسلموا]]

.. وورد في نظم الدرر للبقاعي :

[[قال تعالى : { تقاتلونهم } أي بأمر إمامكم { أو يسلمون } أي يدعوكم إليهم ليكون أحد الأمرين المظهرين لأن كلمة الله هي العليا : المقاتلة منكم أو الإسلام منهم ، فإن لم يسلموا كان القتال لا غير ، وإن أسلموا لم يكن قتال]]

.. وورد في بحر العلوم للسمرقندي :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } قرأ بعضهم (أَوْ يُسْلِمُوا) بألف من غير نون ، وقراءة العامة بالنون . فمن قرأ : { أَوْ } يعني : حتى يسلموا ، أو إلى أن يسلموا . ومن قرأ : بالنون . فمعناه : تقاتلونهم أو هم يسلمون .]]

.. وورد في تفسير البيضاوي :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإِسلام لا غير كما دل عليه قراءة « أو يسلموا » ، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطي الجزية .]]

.. وورد في تفسير النسفي :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام . ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لأن فارس مجوس تقبل منهم الجزية]]

.. وورد في تفسير أبي السعود :

[[{ تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ } أي يكون أحدُ الأمرينِ إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لا غير ، كما يفصح عنه قراءة أو يسلمُوا . وأما من عداهُم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهِي بالإسلام .]]

.. وورد في التحرير والتنوير :

[[{ تقاتلونهم أو يسلمون } يشعر بأن القتال لا يرفع عنهم إلا إذا أسلموا ، وإنما يكون هذا حُكماً في قتال مشركي العرب إذ لا تقبل منهم الجزية .]]

.. وورد في تفسير القطان :

[[ستُدعون إلى قتال قوم ذوي شدة وبأس في الحرب ، فعليكم أن تخيّروهم بين أمرين ، إما القتل أو الإسلام]]

.. وورد في المحرِّر الوجيز :

[[وقال منذر بن سعيد : رفع الله في هذه الجزية ، وليس إلا القتال أو الإسلام ، وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة .]]

.. وورد في تفسير السعدي :

[[{ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ } أي : إما هذا وإما هذا ، وهذا هو الأمر الواقع ، فإنهم في حال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام ، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم ، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية ، بل إما أن يدخلوا في الإسلام ، وإما أن يقاتلوا على ما هم عليه ، فلما أثخنهم المسلمون ، وضعفوا وذلوا ، ذهب بأسهم ، فصاروا إما أن يسلموا ، وإما أن يبذلوا الجزية]]

.. وورد في أيسر التفاسير لأسعد حومد :

[[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُخَيِّروهُمْ بَيْنَ أَمْرَين : إِمَّا السَّيفُ وَإِمَّا الإِسْلاَمُ – وهذا حَكْمٌ عَامٌّ في مُشْرِكي العَرَبِ وَالمُرْتَدِّين]]

.. هذه عيّنة من التفاسير الموروثة وما سار على دربها .. وقد أتيت بها ليرى القارئ أنَّ هذا الافتراء على منهج الله تعالى ، عليه إجماع ، فالغرق في مستنقع تحريف الكلم عن مواضعه ، لم ينج منه إلاَّ ما رحم الله تعالى ..

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

.. ونرى أنَّ هذه التفاسير بجملتها ، تذهب إلى ما يحمله الحديث التالي ، الذي تمّ افتراؤه على الرسول ﷺ ..

البخاري (**٢٤**) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ**

اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

البخاري (**٣٧٩**) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا نُعَيْمٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** قَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا يُحَرِّمُ دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ فَقَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ

مسلم (**٣١**) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ عَنْ الْعَلَاءِ ح و حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**

.. من الواضح لمن يملك حدّاً أدنى من الإدراك ، ويأبى أن يطلّق عقله وفطرته النقيّة ، أنَّ هذه التفاسير وهذه الروايات ، تتناقض مع مجمل ما جاء به كتاب الله تعالى ، كالآيات الكريمة :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]

.. هذه التناقضات .. تؤدّي في المجتمعات التي تتبنّاها فكراً وفقهاً ، إلى فرزٍ في أفرادها بين ثلاثة أصناف :

١ – هناك صنف يعي أنَّ العقل الذي وهبه الله تعالى للإنسان ، وميَّزه به عن غيره من المخلوقات ، وأنَّ الفطرة النقيّة التي فطره الله تعالى عليها ، لا يمكن أن يتعارضا مع ما أنزله الله تعالى .. وبالتالي يدرك أنَّ هذه التفاسير وهذه الروايات مكذوبة من أساسها .. ولا يزيده ظلام الآخرين إلاّ نوراً وتمسّكاً بالحق ، فلا يطلّق عقله ، ولا ينكر كتاب الله تعالى ، ما ينكره هو هذه المهازل التي لبِّست على كتاب الله تعالى والسنّة الشريفة ..

٢ – هناك صنف انطلت عليه أكاذيب المشايخ وأسلافهم ، بأنَّ هذه التفاسير تنطق بما يريده الله تعالى وما تحمله آيات كتابه الكريم ، وأنَّ هذه الروايات صحيحة قالها ﷺ .. وهؤلاء الذين لا يستطيعون تطليق عقولهم وفقدان الشفافيّة والرحمة من نفوسهم ، من هذا الصنف ، ولم يدركوا حقيقة كذب هذه الروايات وما عكسته على تفسير آيات كتاب الله تعالى ، يدفعهم هذا إلى الإلحاد والكفر بكتاب الله تعالى ، انطلاقاً من يقينهم أنَّ الإله العظيم ربّ العالمين لا يمكن أن تكون هذه صفاته وأحكامه ..

٣ – هناك صنف طلَّق عقله ، وفقد الروح والشفافيّة والفطرة النقيّة ، فانسجمت هذه التفاسير الموروثة وهذه الروايات المكذوبة مع هوى نفسه وظلامها ، فتعامى عن الدلالات الحقّ لكتاب الله تعالى ، وتنكَّر للمنطق وللفطرة النقيّة ، وراح يغوص في مستنقعات الظلام التي تحملها هذه الروايات وما انعكس عنها في تفاسيرنا الموروثة ، مكفِّراً الآخرين ، ومنغمساً في دياجير ظلام الموروث ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾ [الفتح : ١٦] ، في الآية الكريمة التالية ، هي نموذج ممّا تمَّ فيه تحريف الكلم عن مواضعه ، انتصاراً لثنائيّة هوى النفس من جهة والروايات المكذوبة من جهة أخرى ..

﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [الفتح : ١٦]

.. هذه الآية الكريمة كما نرى تبدأ بكلمة ﴿ قُل ﴾ .. وهي أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ ، ومن بعده لكلِّ حامل لمنهج الله تعالى .. وهذا القول الذي يأمر الله تعالى رسوله ﷺ (ومن بعده كلّ حامل لمنهج الله تعالى) بقوله ، موجَّهٌ لصنفٍ مُحدَّدٍ من البشر دون غيرهم : ﴿ لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ ..

.. وعبارة المخلَّفين من الأعراب بهذه الصيغة ، ترد في كتاب الله تعالى مرَّتين ، هما في السورة ذاتها ، في هذه العبارة التي هي قيد البحث ، وفي السياق السابق لها ببضع آيات كريمة .. فما بين الآية (١١) والآية (١٦) في سورة الفتح ، نرى بياناً في مسألة المُخَلَّفين من الأعراب ..

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ۝١١ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ۝١٢ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ

سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [الفتح : ١١ – ١٦]

.. كلمة ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ في كتاب الله تعالى تعني الذين لم يؤمنوا (بالمفهوم القرآني للإيمان) من المسلمين العارفين بلغة كتاب الله تعالى .. لذلك .. كونهم مسلمين ومطّلعين على كتاب الله تعالى ، ولغتهم هي اللغة التي نزل بها كتاب الله تعالى ، فإنَّ إعراضهم عن الخضوع لحقيقة ما يحمل كتاب الله تعالى من دلالات ، يجعلهم أكثر الناس كفراً ونفاقاً ..

.. وانتماء ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ إلى ساحة الإسلام (الخضوع الظاهر) ، لا ينفي كونهم أشدّ الناس على وجه الأرض كفراً ونفاقاً ، وذلك كونهم مطّلعين على كتاب الله تعالى ويعرفون لغته ..... فجحودهم بدلالات كتاب الله تعالى هو عن معرفة ..

﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة : ٩٧] = ٤٥٧

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤] = ٦٦٤

٤٥٧ + ٦٦٤ = **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

.. عبارة ﴿ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ تصف جزءاً من الأعراب ، خُلِّفوا لدرجة وُصفوا بها بصفة ﴿ ٱلۡمُخَلَّفُونَ ﴾ التي تعني : (المجعولون في الخلف) .. فهؤلاء نتيجة بخلهم ، وحبِّهم للدنيا ، ونفاقهم ، وعدم إيمانهم (كونهم من الأعراب) ، جُعلوا في الخلف متأخِّرين عمَّا يجب أن يكونوا ..

.. هؤلاء : ﴿ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ .. هم ذاتهم من يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ .. وهم ذاتهم من يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴾ .. وهم ذاتهم من يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ .. وهم ذاتهم من يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ ﴾ .. وهم ذاتهم من يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ..

.. والسؤال الآن .. هل يعقل أنَّ هؤلاء الموصفين بهذه الصفات ، يكلِّفهم الله تعالى بمقاتلة الناس ، ليتَّبعهم الناس ، فيدخل هؤلاء الناس – على أيديهم – في منهج الله تعالى ؟!!!!!! .. هل يعقل ذلك ؟!!!!!! .. كيف إذاً يعتبرون – في التفسير الموروث – هؤلاء المخلَّفين من الأعراب الموصوفين بهذه الصفات ، رسلَ الله تعالى الذين يعطيهم صلاحيّة قتل الناس إن لم يسلموا ؟!!!!!! ..

.. وبماذا يأمر الله تعالى حامل منهجه ، في قوله لهؤلاء المُخلَّفين من الأعراب ؟ .. يأمره بأن يقول لهم : ﴿ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن

تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

.. فالكلمة الأولى هي ﴿ سَتُدۡعَوۡنَ ﴾ ، ونراها مبدوءة بحرف السين الذي يفيد الزمن المستقبل بالنسبة لتلقِّيهم هذا القول ، وذلك كحكمٍ مجرَّدٍ له إسقاطاته النسبيّة في كلِّ زمانٍ ومكان .. ونرى أنَّ كلمة ﴿ سَتُدۡعَوۡنَ ﴾ ، بصيغة المبني للمجهول .. فلم يُبيِّن لنا النصُّ القرآني مَن يدعو هؤلاء المخلَّفين من الأعراب .. هم سيُدْعَون .. لكن من قِبَل مَن ، لم يُبيِّن كتاب الله تعالى في ظاهر صياغته اللغويّة ، ومعرفة ذلك تحتاج لقراءة ما بين الحروف في السياق المحيط ، كما سنرى إن شاء الله تعالى ..

.. وهؤلاء المخلَّفون من الأعراب ، سيُدعَون : ﴿ إِلَىٰ قَوۡمٍ ﴾ ، صفتهم : ﴿ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ ﴾ .. وهذه العبارة : ﴿ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ ﴾ ، ترد – إضافة للآية قيد البحث – مرَّتين في كتاب الله تعالى ، مرَّة بصيغة الرفع ، حيث يصف البشر أنفسهم بهذه الصفة ..

﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ [النمل : ٣٣]

.. ومرَّة (بصيغة مطابقة للصيغة الواردة في الآية الكريمة قيد البحث) ، كصفة يصف الله تعالى بها عباداً من عباده ..

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدًا مَّفۡعُولًا ﴾ [الإسراء : ٥]

.. فهل الذين بعثهم الله تعالى على بني إسرائيل ، لوضع حدٍّ لإفسادهم الأوَّل ، قبل الإسلام ، وقبل المسيحيّة ، ووصفهم الله تعالى بالصفة : ﴿ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ ﴾ ، هل هم ذاتهم ، ستكون دعوة المخلَّفين من الأعراب إليهم بعد مجيء الإسلام : ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ

مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ ﴾ ، وذلك كإسقاط أكبر لدلالات الآية الكريمة قيد البحث ؟ ..

.. إذاً .. المُخلَّفون من الأعراب بعد مجيء الإسلام ، وفي الزمن المستقبل بالنسبة لنزول القرآن الكريم وهذه الآية فيه ، سيُدعَون ﴿ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ ﴾ .. فإلى ماذا سيُدعَون إلى هؤلاء القوم ؟ ..

.. المفسِّرون – كما رأينا – قالوا : من أجل أن يُقاتلوا هؤلاء القوم لإرغامهم على الإسلام ، بمعنى يستمرّ القتال معهم حتى يُسلموا .. بمعنى : يطلب الله تعالى من المخلَّفين من الأعراب مقاتلة هؤلاء القوم حتى يسلموا .. وهذا المذهب من التفسير (والذي أدى إلى ارتداد بعضهم كما بيَّنا في بداية البحث) ليس صحيحاً على الإطلاق ، وذلك من عدّة وجوه ، كلٌّ واحدٍ منها يكفي لنقض التفسير الموروث من أساسه :

١ – موضوع إكراه الآخرين على دخول الإسلام وتخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب ، هو كذب وافتراء باطل ، ينقضه كتاب الله تعالى من أساسه جملةً وتفصيلاً ، وقد بيّنت ذلك في كتبي وبرامجي .. وهناك بحث خاص في ذلك على موقعي ، بعنوان : أكذوبة الجزية ..

٢ – هؤلاء : ﴿ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ ... الذين يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ ۚ ﴾ .. وبقوله : ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورًا ﴾ .. وبقوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ .. وكذلك بقوله : ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ ۖ ﴾ .. وكذلك بقوله : ﴿ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .. هل هؤلاء المنافقون الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في

قلوبهم ، والذين حكم الله تعالى عليهم بأنَّهم لن يتَّبعوا المؤمنين ، هل هم من يكلِّفهم الله تعالى بحمل رسالته وقتل الآخرين للدخول بها ، في الوقت الذي يريدون به تبديل كلام الله تعالى ولا يفقهون إلاّ قليلا ؟!!!!!!! .. هل يُوجَد عاقل يمكن لفطرته النقيّة أن تستسيغ هذا الافتراء على منهج الله تعالى ؟ ..

٣ – الأهم من السببين السابقين ، هو أنَّ صياغة العبارة القرآنيّة : **﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾** ، لا تسعف التفسير الموروث فيما يذهب إليه .. إطلاقاً .. ولذلك رأينا كيف أنَّ بعضهم ، راح يحرِّف دلالات كلام الله تعالى ، بالضبط كما يصفهم الله تعالى : **﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾** ، فيزعم أنَّه هناك من يقرأ كلمة : **﴿ يُسۡلِمُونَۖ ﴾** ، على أنَّها : (**يُسْلِمُوا**) ، جاعلاً المعنى : (إلى أن يُسلموا) .. وذلك بإضمار (أن) ، بمعنى : تقاتلونهم إلى أن يسلموا ..

.. لو كان كلامهم صحيحاً أنَّ دعوة هؤلاء المخلَّفين من الأعراب إلى القوم أولي البأس الشديد من أجل أن يقاتلوا هؤلاء القوم أو أن يسلم هؤلاء القوم ، لكانت العبارة القرآنيّة **﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾** بالشكل : (**لتقاتلوهم أو يسلموا**) .. فإضافة العبارة (من أجل أن) تقتضي النصب ، وبالتالي تقتضي الصيغة : (**لتقاتلوهم أو يسلموا**) .. لكن هذا الذي فرضوه على كتاب الله تعالى ، تنقضه الصياغة **﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾** ..

.. هذا التيه الذي دخلوا فيه ، جعلهم يعربون هذه العبارة **﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾** صفة لكلمة **﴿ قَوۡمٍ ﴾** .. وهنا تبلغ المهزلة ذروتها .. وحتى لو سلّمنا لهم بما يريدونه ، فالمخلَّفون من الأعراب (حسب تفسيرهم المغلوط) هم دُعوا إلى قتال القوم ، وليس الأمر أنهم دُعوا إلى قوم موصوفين بالمقاتلة أو الإسلام .. فمن يحرِّف الكلم عن مواضعه ،

سيغرق بمثل هذه المستنقعات ، كون أهوائه الضالّة من المستحيل أن تتقاطع مع أحكام كتاب الله تعالى التي كلُّها عدلٌ وحق ..

.. كيف يأتون بأن المضمرة لتخدم أهواءهم في تحريف الكلم عن مواضعه ، وهم يرون بأمِّ أعينهم أنَّ العبارة القرآنيّة ليست بالشكل : (**لتقاتلوهم أو يسلموا**) إنّما هي : **﴿ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ﴾** .. كيف ؟!!!!!!! .. السبب هو أنَّ هذا التحريف للكلم عن مواضعه : **﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾** يخدم أهواءهم ، وينسجم مع رواياتهم التي وُضعت أصلاً لخدمة ذات الأهواء عند السابقين ..

.. الحقيقة التي مُنعوا من رؤيتها بسبب عبادتهم لأصنام التاريخ ، هي أنَّ الدعوة التي سيُدعى إليها المُخلَّفون من الأعراب ، ليست لتخيير هؤلاء القوم بين القتال أو الإسلام ، إنّما هي دعوة للوقوف معهم في خندقٍ واحد ، في قضية تُفرَض على الطرفين في أن يواجهوا عدواً مشتركاً .. فالدافع هو عدوٌ مشترك ، ينال من هؤلاء المخلَّفين من الأعراب ، ومن القوم أولي بأس شديد ، مما يتوجَّب وقوف هذين الطرفين في مواجهة ذلك العدو المشترك ..

.. فالذي يدعو المخلَّفين من الأعراب ، ليس مَن يحمل منهج الله تعالى فقط ، وليس القوم أولي بأس شديد فقط ، وليس العدو المشترك لهؤلاء المخلَّفين من الأعراب وللقوم أولي بأس شديد بعدوانه عليهما وعلى مقدَّساتهما فقط .. ما يدعوهم هو كلٌّ هذه الأمور مجتمعة ، بما تنتجه من ظروف يتوجَّب عليهم بها الوقوف مع هؤلاء القوم أولي بأس شديد في مواجهة هذا العدو المشترك .. لذلك رأينا كيف أنَّ كلمة **﴿ سَتُدۡعَوۡنَ ﴾** تأتي بصيغة المبني للمجهول ..

.. لكن .. هؤلاء المخلَّفون من الأعراب ، وأثناء دعوتهم إلى القوم أولي بأس شديد للوقوف معهم أمام عدوٍّ مُشترك ، يكونون في حالة اقتتال مع القوم أولي بأس شديد

ومحاولة لإخضاعهم .. من هنا نرى أنَّ الجملة ﴿ **تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ** ﴾ هي حال هؤلاء المخلَّفين من الأعراب مع أولئك القوم أولي بأس شديد ، حين يُدعون للذهاب إليهم ، للوقوف معهم في وجه عدوٍّ مشترك .... ففي حال كونهم (مع هؤلاء القوم) في حالة اشتباك وقتال ومحاولة للإخضاع ﴿ **تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ** ﴾ ، يُدعون إلى هؤلاء القوم أولي بأس شديد ليقفوا معهم ضد عدوٍّ مشترك : ﴿ **سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِى بَأۡسٍ شَدِيدٍ** ﴾ ..

.. إذاً .. الجملة : ﴿ **تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ** ﴾ ليست صفة للقوم أولي بأس شديد كما زعموا .. إنَّما هي حال للواقع بين المخلَّفين من الأعراب والقوم أولي البأس الشديد ، حينما يضطرهم عدوٌّ مشترك للوقوف في خندقٍ واحد أمامه : ﴿ **سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِى بَأۡسٍ شَدِيدٍ** ﴾ .. بمعنى : والمخلَّفون من الأعراب في حالة اشتباك وقتال وتناحر بهدف إخضاع القوم أولي بأس شديد ، وهم في هذا الحال من ذروة اشتباكهم مع القوم أولي بأس شديد ﴿ **تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ۖ** ﴾ ، يُدعون (نتيجة اعتداء عدو مشترك لهم ولهؤلاء القوم أولي بأس شديد) إلى الوقوف مع هؤلاء القوم في خندقٍ واحد ضدَّ هذا العدو المشترك ﴿ **سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِى بَأۡسٍ شَدِيدٍ** ﴾ ..

.. ولَّما كان هذا العدو المشترك يهدف إلى النيل من المقدَّسات المشتركة بين المخلَّفين من الأعراب والقوم أولي بأس شديد ، وهي مقدَّسات لا بدَّ من الدفاع عنها انتصاراً لمنهج الله تعالى ، فإنَّ طاعة هؤلاء المخلَّفين من الأعراب للدعوة في الوقوف مع القوم أولي بأس شديد في خندقٍ واحد ، يجعلهم يحصلون من الله تعالى على أجرٍ حسن .. وبالمقابل فإنَّ التولّي عن هذه الدعوة والاستمرار في غيِّهم وحالهم التي هم عليها ، يجعلهم ينالون من الله تعالى عذاباً أليماً ..

﴿ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة : ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾ ، لا تعني تكليفاً من الله تعالى للمنافقين الذين يريدون تبديل كلام الله تعالى ، والذين حكم الله تعالى بأنّهم لن يتّبعوا المؤمنين ، بأن يشنّوا حروباً ظالمة على الناس لفرض الإسلام عليهم بالقوّة ، ذلك الإسلام الذي لم يؤمن به أصلاً هؤلاء المخلّفون من الأعراب ..

.. وكلُّ ما يترتّب على افتراءات الموروث من إساءة لكتاب الله تعالى عبر تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن إساءة لعقائد الناس ، ومن ارتداد لبعضهم ، يتحمّل مسؤوليته المتاجرون بهذا الموروث ، الذين يذرّون الرماد في أعين الناس ، لإيهامهم أنّ هذه الموروث هو ذات مراد الله تعالى ..

.. وهذا لا يعني إعفاء المرتدّين من المسؤوليّة ، كونهم كان باستطاعتهم البحث عن الحقيقة خارج مستنقع هذا الموروث ، فالحياة في أساسها امتحانٌ من الله تعالى ، وسعي وبحث عن الحقيقة ..

المهندس عدنان الرفاعي

وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. كتاب الله تعالى نورٌ تتلاشى بوجوده ظلمات النفوس ، وأوهام الضلال ، وأكاذيب المنافقين .. ولا يُعرِض عن نور كتاب الله تعالى إلاّ الظالمون المُظلمون الذين عُميت قلوبهم وسُكِّرت أبصارهم ..

عابدو أصنام التاريخ يتعامون عن رؤية الحق في كتاب الله تعالى لأنّه يُسقط أصنامهم التاريخيّة ، ويبحثون في مستنقعات التاريخ عن أكاذيب لفَّقها أسلافهم لخدمة الاستمرار بعبادة أصنامهم التاريخيّة ، ويسوِّقون أكاذيبهم على أنَّها علمٌ لا يأتيه الباطل ، ويرفعونها إلى درجة تعطي الروايات التاريخيّة الناتجة عنها ، صلاحية نسخ آيات كتاب الله تعالى ..

.. في هذا البحث سنقف عند آية واحدة من كتاب الله تعالى ، هي قوله تعالى :

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. لنرى كيف أنَّ هذه الآية الكريمة وحدها تنسف ما يُسمَّى بعلم الحديث من أساسه ، هذا إضافة إلى أنَّ مجمل آيات كتاب الله تعالى تنسف خزعبلاتهم ، وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في كتاب : محطّات في سبيل الحكمة .. لكن في هذا البحث سنقف عند هذه الآية الكريمة ، لنرى كيف أنّها تبيّن فساد ما يُسمّى بعلم الحديث من أساسه ..

.. الآية الكريمة تحمل عتاباً للنبيِّ ﷺ ومن بعده لكلِّ قائد حامل لمنهج الله تعالى ، بأن لا يأذن لمن يستأذنه إلاَّ بعد أن : ﴿ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾

.. وما نراه في هذه الآية الكريمة ، أنَّ الله تعالى لم يبيِّن ماهية الأمر الذي حصل فيه الاستئذان ، هل هو في القعود ، أم في الخروج ، مع أنَّ السياق المحيط بهذه الآية الكريمة يصوِّر مسألة الخروج للجهاد ..

.. وفي هذا البحث .. لن نقف عند العبارة القرآنيّة : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ ، فما نريد إلقاء الضوء عليه هو الحقيقة العلمية المتعلّقة بمعرفة حقيقة النفوس البشرية ، والمحمولة بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ ..

.. إذاً .. العتاب من الله تعالى لنبيّه ﷺ ، هو بسبب استجابته للاستئذان الذي طلبوه : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ .. وتكملة الآية الكريمة تبيّن أنّه على النبيّ ﷺ – قبل إعطاء الإذن لمن يستأذنه – إتّباع آليّة سليمة توصله للنتيجة : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ .. فهذه الآلية المطلوبة في معرفة حقيقة الناس وتقييمهم ، ونتيجتها ، بهدف اتّخاذ قرار بناء على هذا التقييم ، تذكّرنا بما يُسمّى بعلم الحديث ، وبالذات بما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل ، كون ما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل هو الأساس في تزكية الرجال ، لمعرفة الصادق الثقة الذي يُؤخذ منه الحديث ..

.. ما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل ، هدفه فرز الرواة ، هذا ثقة ، وذاك ليس بثقة ، بهدف الوقوف على الثقات الذين يُؤخذ منهم الحديث .. فالنتيجة المطلوبة والتي يسعى إليها ما يُسمَّى بعلم الحديث ، هي علم أسماء الثقات ، كمقدمة لأخذ الروايات منهم .. بمعنى : ما يُسمَّى بعلم الجرح والتعديل ، يهدف إلى علم الصادقين الذين هم أهلٌ لأخذ الروايات منهم ..

.. هذه النتيجة التي يهدف إليها ما يُسمَّى بعلم الحديث ، تنسفها هذه الآية الكريمة من أساسها ، من خلال ما تحمله من تبيان للنتيجة التي يمكن الوصول إليها بإتّباع آلية البحث السليمة في معرفة حقيقة أحوال الناس ، بين الصدق والكذب ..

.. الكلمة الأولى هي : ﴿ حَتَّىٰ ﴾ ،، ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾ ، وهي حرف جر وغاية ، بمعنى : إلى أن .. فهذه الآلية الواجب إتباعها ، يتمُّ السعي إليها ، إلى أن يتم الوصول إلى النتيجة : ﴿ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾ ..

.. ونتيجة أيِّ آليّة علميّة سليمة في محاولة معرفة حقيقة الناس بين وجهي الصدق والكذب ، هي فرزهم إلى صنفين ، ليبقى هناك صنفٌ ثالث هو بقية الناس بعد استثناء الصنفين المذكورين في هذه الآية الكريمة :

١ – هناك حالات محدَّدة متعلّقة بأفعال محدّدة بعينها ، يتبيّن لنا فيها صدق بعض الناس في هذه الحالات فقط ، وليس صدقهم كصفة يتَّصفون بها في مجمل حياتهم .. وهذا ما نراه في صياغة العبارة القرآنيّة : ﴿ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ ..

.. كلمة : ﴿ يَتَبَيَّنَ ﴾ ، هي من الجذر : (ب ، ي ، ن) ، وفي دلالات مشتقات هذا الجذر ، نرى توسّطاً وفرزاً بين قسمين ، فتبيّن الشيء ، فُرز وظهر ، وبان من شيءٍ آخر ..

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾
[البقرة : ١٨٧]

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ يَتَبَيَّنَ ﴾ هي بصيغة المبني للمعلوم المتبوعة بكلمة ﴿ لَكَ ﴾ ، فما يتبيّن ليس لكلِّ الناس ، إنما فقط لمتّبع الآليّة السليمة في معرفة أحوال الناس ... وفي بعض الحالات المتعلّقة بأحداث معيّنة ، يظهر (لمتَّبع الآليّة السليمة في معرفة أحوال الناس) صدق بعض الناس في هذه الحالات ، وليس صدقهم في مجمل حياتهم ، كصفة يتّصفون بها ..

.. وما هو الذي يتبيّن لمتّبع هذه الآليّة في البحث عن مصداقية الناس ؟ .. الذي يتبيَّن هو ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ ... فهذه العبارة ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ ، مكوَّنة من كلمتين تؤكِّدان أنَّ ما يتبيّن لمتّبع آلية البحث السليمة في أحوال الناس ، هو صدق بعضهم كأفراد ، ولحالات محدَّدة بعينها تتعلَّق بأحداث محدَّدة بعينها ، فورود كلمة ﴿ صَدَقُواْ ﴾ بالصيغة الفعلية ليس عبثاً .. بمعنى : صدقوا في تفاعلهم مع هذه الأحداث المحدَّدة بعينها ..

.. فما هو من الممكن أن يتبيّن لنا ، هو صدق الأفراد في قضايا محدَّدة بعينها ، وليس صدقهم كصفة يتّصفون بها .. فالله تعالى لم يقل : (**حتى تعلم الصادقين**) كصيغة مشابهة للعبارة : ﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ .. إنّما يقول جلَّ وعلا : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ ..

.. بمعنى : لا تُوجَد آليّة من الممكن إتّباعها للجزم بصدق إنسانٍ ما ، كصفة يتَّصف بها في تفاعله مع كلِّ أحداث حياته ، أبداً ، لأنّنا نتفاعل مع البشر من خلال أحداث محدّدة بعينها ، وقد يستطيع الإنسان أن يخفي كذبه عنّا عقوداً من الزمن ..

.. وكلامنا هذا لا يعني أنَّه لا يُوجَد من هو صادق ، أبداً ، ما نعنيه أنّنا نحن البشر لا نستطيع أن نجزم بصدق إنسانٍ ما كصفة يتّصف بها على مدار حياته ..

٢ – هناك حالات نستطيع بها التيقن من كذب بعض الناس ، كصفة يتَّصفون بها ، لأنَّ الإنسان الذي استطاع خداعنا عقوداً من الزمن ، تنكشف حقيقته ككاذب في أحداث محددة ، فنعلم أنّه كاذب .. وهذا ما تنطق به العبارة القرآنيّة : **﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾** .... فكلمة : **﴿ وَتَعۡلَمَ ﴾** تعني : تقف على حقيقة الأمر ، وكلمة : **﴿ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾** نراها صيغة اسميّة (اسم فاعل) معرَّفة بأل التعريف .. وبالتالي فالعبارة **﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾** تعني : وتقف على حقيقتهم ككاذبين يتَّصفون بصفة الكذب ..

٣ – هناك حالات تبقى مجهولة بالنسبة لنا ، على الرغم من إتّباعنا لأيِّ آلية بحث سليمة في محاولة لمعرفة أحوال الناس ، فلا يتبين لنا صدقهم بأحداث محدَّدة **﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾** ، ولا نعلم حقيقتهم ككاذبين **﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾** .. وهذه الحالات المجهولة بالنسبة لنا ، بالتأكيد فيها الكاذبون والمنافقون ، فحتى النبيُّ ﷺ ذاته لم يكن يعلم الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ، وهم الذين كانوا يعيشون معه في مكان جغرافي صغير نسبيّاً ..

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡ ۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ ۚ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. إذاً .. آليّات البحث في أحوال الناس وحقيقة أنفسهم لمعرفة صدقهم من كذبهم ، لا توصلنا إلى تحديد الصادقين منهم كصفة يتّصفون بها .. أبداً .. ومن الممكن أن توصلنا إلى معرفة بعض الكاذبين منهم كصفة يتّصفون بها .. هذا ما تؤكّده الآية الكريمة التي

نقف عندها : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ ، وهذا ما تؤكّده كلُّ نظريّات علم النفس الناتجة عن مناهج علميّة صادقة ..

.. بعد هذا البيان المستنبط من كتاب الله تعالى ، لنعد إلى ما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل ، الذي يُعدّ الأساس الأكبر فيما يُسمّى بعلم الحديث .. ولنسأل السؤال التالي : ما يُسمَّى بعلم الجرح والتعديل ، هل هدفه النهائي الخروج بقائمة الكاذبين ، أم بقائمة الصادقين ليتم أخذ الحديث من أفواههم ؟ .. ولنسأل السؤال التالي : في كتب الحديث ، وفي السند ، هل يقومون بعرض أسماء الكاذبين ، أم بعرض أسماء الذين يعتقدون أنَّهم صادقون ؟ .. بمعنى : عندما نقرأ في السند : حدثنا فلان عن فلان عن فلان ..... هل فلان وفلان وفلان ، تمّ أخذ الأقوال من أفواههم على أنَّهم كاذبون ، أم على أنَّهم صادقون ؟ ..

.. إذاً .. ما يسمّى بعلم الجرح والتعديل ، هدفه النهائي هو الخروج بقائمة الصادقين الثقات الذين يُؤخذ الحديث من أفواههم .. وهانحن نرى فساد هذا المبدأ من أساسه ، فلا تُوجَد آلية نستطيع – نحن البشر – من خلالها الوصول إلى قائمة الصادقين كصفة يتّصفون بها ، بحيث نطمئن إلى كلِّ ما يقولون ..

.. وقد أكَّد كتاب الله تعالى هذه الحقيقة في الكثير من آياته الكريمة ، فأمرنا ألاّ نزكي أنفسنا ، ووصف تزكية الأنفس بالكذب والإثم المبين ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٤٩ – ٥٠]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢]

.. من هنا نرى فساد مبدأ ما يسمّى بعلم الحديث من أساسه ، فلو أنّهم اتّبعوا آلية لمعرفة الكاذبين **﴿ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾** ، لكان من الممكن أن يصلوا إلى قائمة بأسماء بعض الكاذبين ، ولكن ، هذه القائمة لا تفيدهم في شيء ، لأنَّ المطلوب بالنسبة لما يسمّونه بعلم الحديث هو قائمة بأسماء الثقات الصادقين كصفة يتَّصفون بها ، من أجل أن يُؤخذ الحديث من أفواههم ، وذلك – حسب أوهام ما يُسمّى بعلم الحديث – على أنَّهم يتّصفون بالصدق ، وبالتالي لا يعرفون الكذب ..

.. ونرى – تاريخيّاً – هذه الحقيقة (فساد مبدأ ما يسمّى بعلم الجرح والتعديل) باختلافهم هم ذاتهم في تحديد أسماء الصادقين الذين يتمّ أخذ الحديث من أفواههم .. فعلى سبيل المثال – لا الحصر – ونقلاً عن **الحاكم أبي عبد الله الحافظ النيسابوري في كتابه : (المدخل إلى معرفة المستدرك)** ، **وذلك من كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ورد أنَّ عدد الذين خرّج لهم البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرّج لهم مسلم (٤٣٤) شيخاً ، وعدد من احتجَّ بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح (٦٢٥) شيخاً .. وهكذا يكون مجموع الذين اختلف في الأخذ عنهم البخاري ومسلم هو (١٠٥٩) شيخاً ..**

.. وهذا الأمر طبيعي .. فالمبدأ فاسد من أساسه ، وفوق فساد هذا المبدأ من أساسه غرقوا في مستنقع الأهواء والعصبيات والرؤى المتناقضة .. فعلى سبيل المثال – لا الحصر – نرى أنَّ أبا هريرة الذي يطبّل له المطبّلون ويزمر له المزمّرون ، كان يُعدُّ كذّاباً عند بعض الصحابة ذاتهم ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ **قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ** أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ

لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا و حَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى

.. ألم يشك الصحابة ذاتهم ببعضهم ، فيما كانوا ينسبونه إلى النبيِّ ﷺ ؟ ..

أحمد (١٩٠٤٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَيْ مُطَرِّفُ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنِّي **لَوْ شِئْتُ حَدَّثْتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ لا أُعِيدُ حَدِيثاً ثُمَّ لَقَدْ زَادَنِي بُطْئاً عَنْ ذَلِكَ وَكَرَاهِيَةً لَهُ أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدْتُ كَمَا شَهِدُوا وَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ** وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لا يَأْلُونَ عَنْ الْخَيْرِ فَأَخَافُ أَنْ يُشَبَّهَ لِي كَمَا شُبِّهَ لَهُمْ فَكَانَ أَحْيَانًا يَقُولُ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ صَدَقْتُ وَأَحْيَاناً يَعْزِمُ فَيَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِئٌ الْأَعْوَرُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ زَادَ فِيهِ رَجُلاً

.. ألم يُخدَع النبيُّ ﷺ ذاته ببعض أصحابه ، حيث خرج من الدنيا وهو يعتبرهم من أمَّته ومن الثقات الصادقين ، ويُفاجأ في الآخرة أنَّ حقيقتهم عكس ذلك ؟ ..

البخاري (٦٠٩٨) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ **أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ قَالَ **يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى** وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُجْلَوْنَ وَقَالَ عُقَيْلٌ فَيُحَلَّئُونَ وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٦٠٩٠) :

و حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** تَابَعَهُ عَاصِمٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ وَقَالَ حُصَيْنٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٦١٠٤) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ تَرْجِعُونَ عَلَى الْعَقِبِ

مسلم (٤٢٤٦) :

و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ**

بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ

مسلم (٤٢٤٥) :

قَالَ وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا

.. آيات كتاب الله تعالى بمجملها تؤكّد فساد مبدأ ما يُسمّى بعلم الحديث من أساسه ، وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في كتاب : محطّات في سبيل الحكمة .. ولكن .. في سياق هذا البحث ، وقفنا عند آية واحدة فقط ، هي قوله تعالى ..

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

المهندس عدنان الرفاعي

وَجَدَهَا تَغْرُبُ

فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

.. سبل الله تعالى ، يهدي الله تعالى إليها المحسنين ، الباحثين بكلِّ جهدهم عنها ، المتَّبعين لرضوانه جلَّ وعلا ، عبر تدبّر كتابه الكريم ..

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦]

.. وكلُّ السبل الأخرى غير سبيل الله تعالى ، ليست مستقيمة ، وإتّباعها يؤدّي إلى التفرّق والضلال والابتعاد عن التقوى ..

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

.. فسلوك سبل أُخرى غير سبيل كتاب الله تعالى ، في تفسير دلالات عبارات كتاب الله تعالى ، يؤدِّي إلى الضلال ، وإلى نتائج متناقضة ، كلٌّ منها يتبع للسبيل الذي تمّ سلوكه ..

.. من الضلال الذي خاض به الكثيرون ، ما بين متَّبع للموروث كإتِّباع القطيع لمن يقوده ، وبين باحثٍ عن نقصٍ وعيبٍ يريد إلحاقه بكتاب الله تعالى .. من هذا الضلال .. تفسيرهم لقول الله تعالى عن ذي القرنين : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف : ٨٦] ، بأنَّه : شاهد الشمس كأنها تغرب في عينٍ حمئة ، وشبَّهوا ذلك براكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط ، فحملوا كلمة ﴿ وَجَدَهَا ﴾ على أنَّها تعني رؤية العين فقط ، وهي هنا – كما زعموا – رؤية لا تطابق الحقيقة .. بمعنى : أنَّ الناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار .. بمعنى : ما وجده هو مشاهدة غير حقيقيّة للعين ، وليس واقعاً وحقيقة ، وبالتالي – حسب قولهم – القرآن لا يقول بغروب الشمس في عين حمئة ..

.. باختصار .. قالوا : كلمة ﴿ وَجَدَهَا ﴾ هي بمعنى : حسبِها ، وتوهَّمها ، وتخيَّلها .. وهذا بعيدٌ جداً عن دلالات الجذر (و ، ج ، د) في كتاب الله تعالى ..

.. الآخرون .. أخذوا هذا الخطأ التفسيري ، وبيَّنوه ، وحمَّلوه على كتاب الله تعالى ، بغية الطعن بمصداقيّته كونه من عند الله تعالى .. وقالوا : ذو القرنين وُصف في القصّةِ ذاتها بأنه ممكَّن من قبل الله تعالى في الأرض ، وأن الله تعالى قد آتاه من كلِّ شيء سبباً ، وأنَّه بلغ مغرب الشمس من خلال سببٍ أتبعه لما آتاه الله تعالى من الأسباب ، ومن خلال

تمكينه في الأرض ، وهذا يقتضي أنَّ الشمس تغرب في عينٍ حمئة كحقيقة ، وليس كوهم وتخيّل ..

.. وقالوا أيضاً .. لو كانت كلمة ﴿ **وَجَدَهَا** ﴾ تعني رؤية غير مطابقة للحقيقة ، لاقتضى ذلك إمكان انكار ثوابت كثيرة يحملها كتابُ الله تعالى .... فلو كانت كلمة ﴿ **وَجَدَهَا** ﴾ تعني رؤية غير حقيقية (هي رؤية العين فقط) ، ومجرد رؤية شخص أو مجموعة من الناس دون مطابقة للواقع ، فكيف بنا أنَّ نفهم النصوص التالية ..

﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا** ﴾ [آل عمران : ٣٧]

﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ٣٢]

﴿ **وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا** ﴾ [الأعراف : ٤٤]

﴿ **وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ** ﴾ [يوسف : ٦٥]

﴿ **................. وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا** ﴾ [الكهف : ٤٩]

﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا** ﴾ [الكهف : ٦٥]

﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ** ﴾ [الكهف : ٧٧]

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ..........** ﴾ [الكهف : ٩٠]

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا ....** ﴾ [الكهف : ٩٣]

﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ** ﴾ [النور : ٣٩]

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٢٣ - ٢٤]

﴿ ...... فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ .... ﴾ [القصص : ١٥]

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص : ٢٣]

.. والحقيقة .. أنَّ كلامهم (في هذه الجزئيّة) منطقي ، وأنَّ تحليلهم سليم ، فكلمة : ﴿ وَجَدَهَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف : ٨٦] لا يمكن أن تعني : حسِب وتوهَّم وتخيَّل ، ولا يمكن أن تعني مجرَّد رؤية شخصيّة ، مخالفة لحقيقة واقع مغرب الشمس المعني في هذه القصّة في كتاب الله تعالى ..

.. بداية قصّة ذي القرنين تبدأ بكلمة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ .. وهذه الكلمة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ نراها بصيغة المضارع .. فالسؤال عن ذي القرنين ، وحقيقته ، لن ينتهي .. وفي كلِّ زمان ومكان سيبقى الأمر مطروحاً للسؤال ، كون دلالات هذا النصِّ الكريم ، تحمل لكلِّ جيل ما يناسب آخر ما وصل إليه العلم ، في ذلك الجيل ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ ، نرى فيها كلمة ﴿ قُلْ ﴾ ، وهي أمرٌ من الله تعالى ، لحامل القرآن الكريم ، بأن يجيب السائلين في كلِّ زمانٍ ومكان .. وكلمة ﴿ سَأَتْلُواْ ﴾ ، نراها بصيغة المضارع التي يتصدَّرها حرف السين ، بمعنى : سوف أخبركم منه ذكراً ، سأقصّ عليكم منه خبراً ، بما يتناسب مع درجة التدبّر لهذا

النصِّ الكريم ، ومع درجة التطوّر الحضاري في العصر الذي تُطرح فيه الأسئلة .. وما سوف يقصّه حامل القرآن الكريم في كلِّ زمانٍ ومكان للسائلين هو ﴿ **ذِكْرًا** ﴾ ، ممّا يحمل هذا النصِّ الكريم من قصّة ذي القرنين ﴿ **مِّنْهُ ذِكْرًا** ﴾ .. ومن هنا نرى أنَّ هذا النصَّ الكريم يحمل ذكراً لكلِّ عصر ، بما يتناسب مع المعطيات الحضاريّة لذلك العصر ، ولا ينتهي الذكر المحمول بهذا النصِّ الكريم ، عند عصرٍ من العصور يتمُّ الإخبار به عن هذا الذكر وينتهي الأمر .. أبداً .. هناك ذكرٌ لكلِّ عصر ، حسب درجة التطوّر العلمي في ذلك العصر ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ ، تعني إنّا وطَّأنا له الأرض وأعطيناه القوّة (بمختلف أشكالها) فيها .. والعبارة القرآنيّة ﴿ **وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ ، تعني أنَّ الله تعالى آتاه مفتاحاً لكلِّ شيء ، من العلم والقدرة والآلة ، بحيث أنَّه إن سار في سبيل هذا المفتاح الذي آتاه الله تعالى إيّاه ، نحو إدراك حقيقة الشيء الذي يريده ، سيتوصّل إلى تحصيل ذلك الشيء الذي يبتغيه ..

.. ومسألة إتيان الله تعالى من المفاتيح لكلِّ شيء ، ما يمكّن من الدخول عبرها إلى إدراك الجزئيّات التي تؤدّي – فيما لو تمّ الاستثمار الكامل لهذه المفاتيح – إلى إدراك الأشياء .. هذه المسألة ، نراها في قصّة داود وسليمان عليهما السلام ..

﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ** ﴾ [النمل : ١٦]

.. هذا الإتيان من كلِّ شيءٍ ، والذي يعني – كما قلنا – وضع مفاتيح إدراك الجزئيّات في هذا العالم المادّي المحسوس ، بين يديٍّ من آتاه الله تعالى هذه المفاتيح ، قد وُضِعَ بين يديّ ملكة سبأ كما يؤكّد القرآن الكريم ، ولكنَّ ملكة سبأ لم تهتد إلى استخدام

هذه المفاتيح كما اهتدى داود وسليمان عليهما السلام ، بسبب كفرها وصدّها عن سبيل الله تعالى ..

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [النمل : ٢٣ – ٢٤]

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ [النمل : ٤٣]

.. وهنا في قصّة ذي القرنين نرى أنَّ الله تعالى آتاه من كلِّ شيءٍ : ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ .. لكن .. نرى خصوصيّة له ، بورود كلمة ﴿ سَبَبٗا ﴾ كمفعول به ثاني .. إضافة إلى عطاء الله تعالى له ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ..

.. إذاً .. آتاه الله تعالى من المفاتيح لكلِّ شيء سبباً ، يتوصّل من خلاله إلى هذا الشيء ، وبإمكانه أن يستخدم هذه الأسباب استخداماً سليماً كمفاتيح لاكتشافاتٍ جديدة ، ولرؤية مفاتيح جديدة ، بمعنى : بإمكانه أن يُتبع أسباباً جديدة انطلاقاً من الأسباب التي آتاها إياه الله تعالى .. فالأسباب التي آتاه الله تعالى إيّاها ، هي مقدّماتٌ يسير بها إلى نتائجَ واكتشافاتٍ ، ومن ثمّ تكون هذه النتائج أسباباً ومقدِّماتٍ لنتائجَ جديدة .. وهكذا .. وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى : ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ .. بمعنى : اكتشف طريقاً جديداً مستفيداً ممّا آتاه الله تعالى إيّاه من تلك الأسباب ، وسار به ليوصله إلى مراده ..

.. وهذا السبب الذي أتبعه ، قاده إلى أن بلغ مغرب الشمس ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ .. فإتباعه للسبب وسيره فيه ، استمرَّ إلى أن بلغ مغرب الشمس .... فما هو ﴿ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ ..

.. المشارق هي للأرض ، وليس للشمس ، وترد مقابل مغاربها (مغارب الأرض) ..

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا .... ﴾ [الأعراف : ١٣٧]

.. وعندما يتعلَّق الأمر بغروب الشمس ، فإنَّ المقابل لذلك هو طلوعها ، وليس شروقها ..

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩]

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه : ١٣٠]

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ .... ﴾ [الكهف : ١٧]

.. وكلمة المَغْرِب المعرَّفة بأل التعريف ، لا ترد إلاّ مقترنة بكلمة المَشْرِق المعرَّفة بأل التعريف ، ومسبوقة بها ، وكذلك المَغْرِبَين والمَشْرِقَين ، وكذلك المَغَارِب والمَشَارِق ..

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٥]

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢]

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ .... ﴾ [البقرة : ١٧٧]

﴿ .... قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٨]

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن : ١٧]

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠]

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل : ٩]

.. الكلمتان : **[﴿ ٱلْمَشْرِقِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَغْرِبِ ﴾]** ، تصوّران موضعي الشروق والغروب بالنسبة للأرض ، بمعنى : جهة طلوع الشمس بالنسبة لأيِّ مكان على سطح الأرض ، وجهة غروبها .. فبالنسبة لأيِّ مكان على سطح الأرض ، هناك جهة تطلع منها الشمس ، اسمها **﴿ ٱلْمَشْرِقِ ﴾** ، وجهة تغرب فيها الشمس اسمها **﴿ ٱلْمَغْرِبِ ﴾** ..

.. والكلمتان **[﴿ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ ،، ﴿ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾]** تصوِّران المواضع المختلفة (ما بين يوم وآخر) للمطالع التي تطلع منها الشمس ، والمواضع المختلفة (ما بين يوم وآخر) للمغارب التي تغرب فيها الشمس ، وذلك بالنسبة لأيِّ مكان على وجه الأرض .... فمن المعلوم أنَّه بالنسبة لمكان ما على سطح الأرض ، تطلع الشمس من مكان مختلف عن المكان الذي تطلع منه في اليوم التالي ، وذلك تابع لتغيّر ميل شعاع الشمس على سطح الأرض ، أثناء دورانها حول الشمس .. وهذه المطالع المختلفة معروفة ومحدَّدة وتتكرَّر كل سنة ، لذلك نراها ترد في كتاب الله تعالى معرَّفة بأل التعريف : **﴿ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾** .. ومن المعلوم أنَّه بالنسبة لمكان ما على سطح الأرض ، تغرب الشمس في مكان مختلف عن المكان الذي تغرب فيه في اليوم التالي ، وذلك تابع لتغيّر ميل شعاع الشمس على سطح

الأرض ، أثناء دورانها حول الشمس .. وهذه المواضع المختلفة لغروب الشمس معروفة ومحدَّدة وتتكرَّر كل سنة .. لذلك .. نراها ترد في كتاب الله تعالى معرَّفة بأل التعريف : **﴿ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾** ..

.. وكون هذه المغارب المختلفة (ما بين يوم وآخر) للشمس **﴿ وَٱلْمَغَـٰرِبِ ﴾** ، ناتجة عن المواضع المختلفة (ما بين يوم وآخر) لطلوع الشمس **﴿ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾** ، وتتعلَّق بالمكان ذاته في أي نقطة على سطح الأرض .. لذلك .. نراها تعطف عليها في ذات الإضافة لكلمة **﴿ بِرَبِّ ﴾** .. فالله تعالى لم يقل : (**فلا أقسم بربّ المشارق وبربّ المغارب**) ، أو : (**فلا أقسم بربّ المشارق وربّ المغارب**) ، بما يشابه قوله تعالى **﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾** .. إنّما يقول تعالى : **﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴾** ..

.. وهذا التغيّر في المطالع المختلفة للشمس من يومٍ لآخر **﴿ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴾** ، بحيث نرى مطالع الشمس تتغيّر من يوم ليوم .. هذا التغيّر يصل إلى نقطة قصوى في الصيف (بالنسبة لنا كوننا نعيش في النصف الشمالي من الأرض) ، بعدها تبدأ هذه المطالع في العودة من يوم ليوم ، لتصل إلى نقطة قصوى في الشتاء ، ثم تعود تتغيّر لتعود إلى ذات النقطة القصوى التي كانت عندها في الصيف ، ثمّ تعود لذات النقطة القصوى في الشتاء .. وهكذا ..

.. فأحد المَشْرِقين هو أقصى ما تطلع منه الشمس في الصيف ، ليكون المشرق الآخر هو أقصى ما تطلع منه في الشتاء .. وأَحد المَغْرِبين هو أَقصى ما تَنْتَهي إِليه الشمس في الصيف ليكون الآخَر أَقْصَى ما تَنْتَهِي إِليه في الشتاء .. وما بين هاتين الذروتين ، تكون المشارق والمغارب .... هذا ما يصوِّره قوله تعالى **﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾** ..

.. هذا كلُّه من زاوية النظر ، إلى زاوية سقوط أشعة الشمس على سطح الأرض ، من منظار مكانٍ ما على سطح الأرض .. فالموجود على مكانٍ ما من سطح الأرض ، يرى أنَّ زاوية سقوط أشعة الشمس تتغيّر من يوم لآخر على مدار السنة ، وهذا هو ما تصفه كلمتا [﴿ ٱلْمَشَرِقِ ﴾ ،، ﴿ وَٱلْمَغَرِبِ ﴾] .. لتكون حركة هذه الزاوية ما بين الشمال والجنوب والمتنقِّلة ما بين يوم وآخر ، محصورة بين ذروتين ، تصفهما في كتاب الله تعالى الكلمتان [﴿ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾] ..

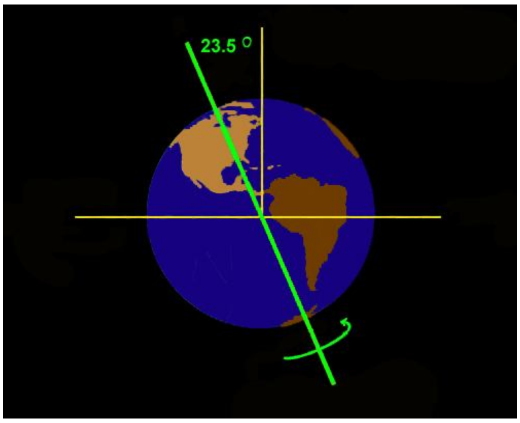


.. كلُّ ذلك .. من منظار الواقف على مكانٍ ما على سطح الأرض .. لذلك .. نرى أنَّ الكلمات المصوِّرة لهذه الأمور : [﴿ ٱلْمَشْرِقِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَشَرِقِ ﴾ ،، ﴿ وَٱلْمَغَرِبِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ ،، ﴿ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾] تتعلّق بالأرض ، كجهتي طلوع وغروب للشمس ، وكزوايا طلوع وغروب للشمس ، نسبة لمكان ما على سطح الأرض ، بمعنى : من منظار الواقف على مكانٍ ما على سطح الأرض ..

.. لكن .. هناك منظارٌ آخر .. هو النظر إلى حركة الشمس ذاتها ليس بالنسبة لمكانٍ ما على سطح الأرض ، وإنّما من منظار الحركة النسبيّة ما بين الشمس كنجم والأرض ككوكب ، باتّجاه محور الأرض الشمالي الجنوبي .. بمعنى : ارتفاع الأرض وانخفاضها

ككوكب ، بالنسبة للشمس كنجم تسقط أشعته على الأرض ، وذلك باتجاه الشمال والجنوب ، وما يترتّب على هذه الحركة ، من زحف تعامد أشعة الشمس ما بين مداري السرطان والجدي ..

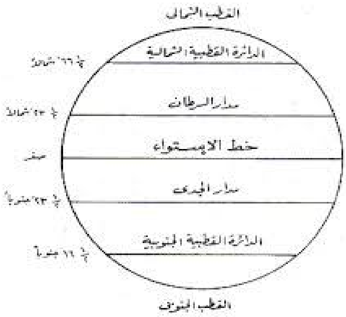
.. من المعلوم فلكيّاً أنَّ الأرض أثناء دورانها حول نفسها ، يكون محورها مائلا بمقدار : (٢٣,٥) درجة عن الخط العمودي على مستوى المدار الذي تدور فيه الأرض حول الشمس ..



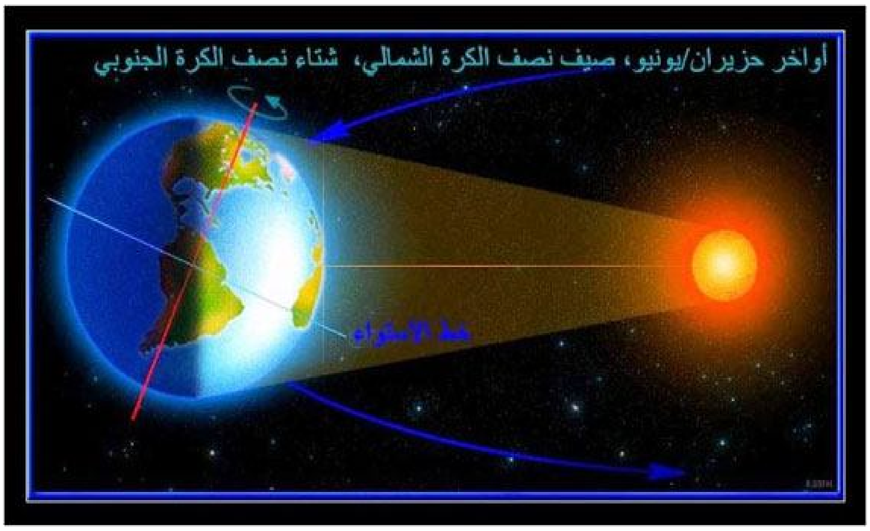
.. فالمستقيم الواصل بين القطبين والذي هو محور دوران الأرض حول نفسها ، وما ينتج عنه من أيّام ، ليس عمودياً على المستقيم الواصل بين الشمس والأرض ، إنّما يميل عن العمود على الخط الواصل بين الأرض والشمس بمقدار (٢٣,٥) درجة كما نرى في الصورة ..

.. وخلال السنة .. وبدوران الأرض حول الشمس ، وتنقّلها على مدارها حول الشمس من يومٍ إلى آخر ، نرى أنَّه على المحور الشمالي الجنوبي للأرض ، وبالانتقال على خطوط العرض ، شمالاً وجنوباً ، وفيما بينها ، تختلف زاوية سقوط أشعة الشمس على الأرض ، من يوم لآخر .. ففي (٢١) حزيران تتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان في نصف الكرة الشمالي ، حيث نصف الكرة الشمالي يكون في ذروة ميله نحو الشمس ، والمناخ يكون صيفاً ، ويكون النهار في أطول حالاته ، والليل في أقصر حالاته .. وبالمقابل

يكون المناخ في نصف الكرة الجنوبي شتاء ، حيث يكون الليل في أطول حالاته والنهار في أقصر حالاته ..



.. هنا في هذه الحالة .. نلاحظ أنَّ الدائرة القطبيّة الشماليّة تكون في مركز حالة نهارٍ مستمرٍّ (حيث هي في حالة نهار منذ ثلاثة شهور) ، لأنَّ دوران الشمس حول نفسها لا يدخلها في حالة الليل ، بسبب كون نصف الكرة الشمالي في ناحية الشمس ، وتعامد الشمس على مدار السرطان هو في ساحة القطب الشمالي .. وبالتالي تكون الدائرة القطبيّة الجنوبيّة في ليلٍ مستمرٍّ ، لأنَّ نصف الكرة الجنوبي يكون الأبعد عن تعامد سقوط أشعة الشمس على سطح الأرض ..



.. هذه الذروة في زحف تعامد أشعة الشمس على سطح الأرض ، حيث نهاية هذا الزحف شمالاً ، وبحيث تكون الشمس في أقصى حالة لها باتجاه الشمال ، تُسمّى في التعبير القرآني ﴿ **مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ .. كونها النقطة الأولى شمالاً التي تطلع منها الشمس في حركتها النسبيّة شمالاً جنوباً بالنسبة لسطح الأرض ، وكون نصف الكرة الشمالي (الذي هو مهد نشوء الإنسان ، ومهد الحضارات ، ومهد الرسالات السماويّة) هو الأقرب إلى هذه الذروة ، مقارنة مع الذروة المقابلة لها ..

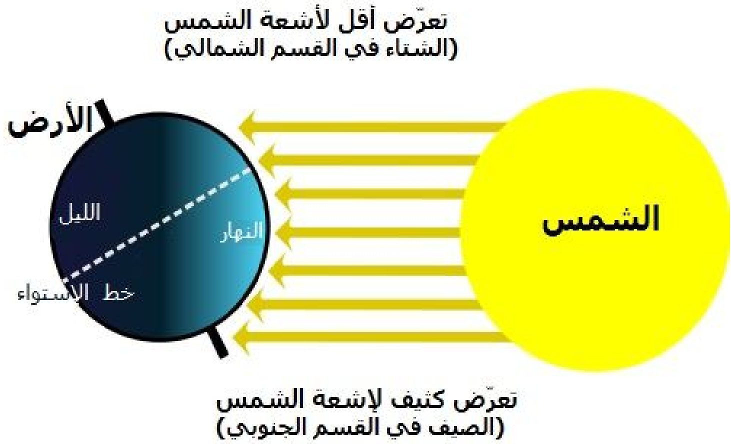
.. واعتباراً من هذا المطلع للشمس ، نرى أنَّ القطب الشمالي في مركز نهارٍ دائم (حيث هو في حالة نهار منذ ثلاثة شهور) .. وكما نرى في الصورة ، فإنَّ دوران الأرض حول نفسها لا يُدخل الدائرة القطبيّة الشمالية في حالة الليل ، لأنَّ نصف الكرة الشمالي يكون مائلاً نحو الشمس ، وكل نقاط الدائرة القطبية الشماليّة لا يُوجد ما يسترها عن أشعة الشمس ، كونها كلها في مواجهة دائمة مع الشمس ، مهما دارت الأرض .. وبالمقابل .. نرى في هذه الحالة أنَّ القطب الجنوبي في مركز حالة ليلٍ دائم (حيث هو في حالة ليل منذ ثلاثة شهور) ، لأنَّ دوران الأرض حول نفسها لا يُدخل الدائرة القطبيّة الجنوبيّة في حالة النهار ، لأنَّ نصف الكرة الجنوبي يكون الأبعد في ميله عن الشمس ، وكل نقاط الدائرة القطبية الجنوبيّة لا تعرف النهار (في هذه الحالة) ، مهما دارت الأرض حول نفسها ..

.. هذه الحالة لتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان ، حيث الذروة ﴿ **مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ ، يبدأ منها هذا التعامد زحفه باتجاه الجنوب يوماً بعد يوم ، ليصل في (٢٣) أيلول إلى تعامد أشعة الشمس على خط الاستواء ، فيحل الخريف في نصف الكرة الشمالي ، والربيع في نصف الكرة الجنوبي ، ويتساوى الليل والنهار ..

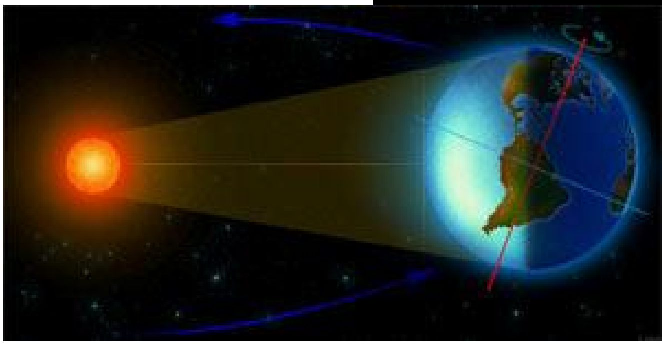
.. وهنا ينتهي النهار الدائم في الدائرة القطبيّة الشماليّة ، حيث استمرَّ ستة شهور (ثلاثة قبل الذروة وثلاثة بعدها) ، لتبدأ (من هذه الحالة) دخولها في ليلٍ دائم .. وبالمقابل .. ابتداء (من هذه الحالة) ينتهي الليل الدائم للدائرة القطبيّة الجنوبيّة ، حيث استمرَّ ستة شهور (ثلاثة قبل الذروة وثلاثة بعدها) ، ليبدأ في مرحلة نهار دائم ..

.. ويستمر أيضاً زحف تعامد أشعة الشمس على سطح الأرض باتجاه الجنوب ، ليصل في (٢١) كانون أول إلى تعامد أشعة الشمس على مدار الجدي في نصف الكرة الجنوبي ، وهنا يبتعد نصف الكرة الشمالي عن الشمس إلى أقصى مدى ..

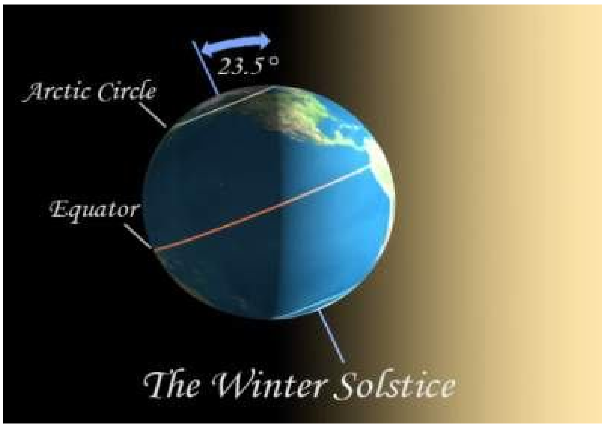
.. وهنا .. تدخل الدائرة القطبيّة الجنوبيّة ذروتها في حالة النهار الدائم ، كون تعامد أشعة الشمس في ساحة نصف الكرة الجنوبي ، وبالمقابل تدخل الدائرة القطبيّة الشماليّة ذروتها في حالة الليل الدائم ، كون نصف الكرة الشمالي يكون الأبعد عن تعامد أشعة الشمس ..



.. وهذه الحالة التي تكون فيها الشمس في أقصى نقطة جنوباً ، بالنسبة لزاوية تعامد أشعة الشمس على سطح الأرض ، تُسمَّى في التعبير القرآني ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ .. بمعنى منتهى ابتعاد الشمس عن نصف الكرة الشمالي ، مهد الحضارات والرسالات السماويّة ..



.. فحركة الشمس باتجاه (الشمال – الجنوب) بالنسبة لسطوعها على سطح الأرض ، تبدأ من مطلعها شمالاً في (٢١) حزيران ، ثم تبدأ بالزحف جنوباً إلى ذروة في (٢١) كانون أول ، تكون فيها في مغربها .. وهذا المطلع ، والمغرب ، حيث يتعلّقان بالشمس في حركتها النسبيّة شمالاً جنوباً بالنسبة لسطوع أشعتها على الأرض ، نراهما – في كتاب الله تعالى – يضافان للشمس : [﴿ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ ،، ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾] ..

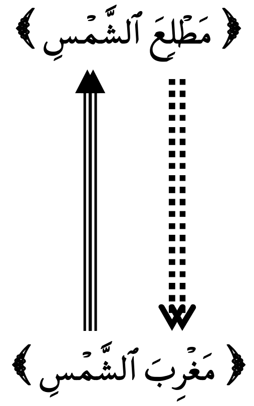


.. هكذا يكون قد مرَّ نصف سنة .. بعد ذلك يبدأ زحف تعامد أشعة الشمس باتجاه الشمال في حركة معاكسة ، لتتعامد أشعة الشمس على خط الاستواء في (٢١) آذار ، ليتساوى (مرة ثانية) الليل مع النهار ، ويحل الربيع في نصف الكرة الشمالي ، والخريف في نصف الكرة الجنوبي ..

.. ويستمر زحف تعامد أشعة الشمس على سطح الأرض باتجاه الشمال ليعود إلى النقطة التي بدأ منها ، وهي (٢١) حزيران ، لتتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان في نصف الكرة الشمالي ، فيعود نصف الكرة الشمالي إلى ذروة حالته المائل بها نحو الشمس .. وبذلك تكون قد انقضت سنة كاملة ..

.. إذاً .. هذه المسألة لتعامد أشعة الشمس على سطح الأرض ، هي مسألة أخرى غير مسألة دوران الأرض حول نفسها ، حيث طلوع الشمس من جهة الشرق ينتج مفهوم المشرق ، وحيث غروبها في جهة الغرب ينتج مفهوم المغرب .. هذه المسألة تتعلّق بالحركة النسبيّة شمالاً وجنوباً ، ما بين الشمس كنجم والأرض ككوكب ..

.. ففي الحالة ﴿ **مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ تكون الشمس بالنسبة للأرض (على المحور شمالاً جنوباً) في أعلى نقطة شمالاً ، وتكون الأرض في أدنى نقطة جنوباً .. وفي الحالة ﴿ **مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ تكون الشمس بالنسبة للأرض (على المحور شمالاً جنوباً) في أدنى نقطة جنوباً ، وتكون الأرض في أعلى نقطة شمالاً ..



.. فالحركة النسبيّة على المحور شمالاً جنوباً تكون بين ذروتين ، بحيث يتمّ الانتقال من حالة ﴿ **مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ حيث الشمس في أعلى المحور والأرض في أدناه ، إلى أن تصبح

الشمس في أدنى المحور والأرض في أعلاه حيث الحالة ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ ، يتمّ ذلك في ستة شهور ، كما هو مبيّن في السهم المنقّط .. بعدها تنعكس المسألة في الشهور الستة الأخرى ، فتعود الشمس إلى أعلى المحور والأرض إلى أدناه ، لنعود إلى نقطة البداية وهي ﴿ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ ، كما هو مبيّن في السهم الآخر غير المنقَّط ، وبذلك تكون قد انقضت سنة كاملة .. لتعود هذه الدورة من جديد في سنة أُخرى .. وهكذا ..

.. إذاً .. مطلع الشمس ، ومغرب الشمس ، المذكورين في قصّة ذي القرنين ، يصوِّران ذروتي حركة الشمس النسبيّة (على المحور شمال جنوب) مقارنة مع الأرض .. وأرجِّح (والله تعالى أعلم) أن يكون بلوغ ذي القرنين هاتين الذروتين في رحلتيه الأولى والثانية (كما سنرى بإذن الله تعالى) ، سبباً في وصفه بهذه الصفة ﴿ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ ..

.. إتباع ذي القرنين للسبب في رحلته الأولى ، كان باتِّجاه النقطة التي ينتهي عندها تأثير ذروة حركة أشعة الشمس في تعامدها مع سطح الأرض جنوباً .. أي باتّجاه القطب الجنوبي .. وما نراه في هذه الرحلة ، أنَّ هدفه منها هو معرفة نهاية ابتعاد الشمس في زحفها نحو الجنوب ، فهدفه هو بلوغ مغرب الشمس ، ليعلم ماهيّة غروبها هذا ..

.. فما بين بلوغه هذه النقطة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ ، وبين الحقيقة الكونيّة التي كان يبحث عنها ووجدها (حقيقةً وليس وهماً) ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ .. ما بين هذين الوجهين ، توازن كاملٌ ، ينعكس توازناً في القيم العدديّة ..

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = ١٧٨

﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ = ١٧٨

.. وكون ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ الذي بلغه في رحلته الأولى هذه ، هو الذروة الأخرى ، ذروتها المقابلة لها هي ﴿ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ .. وكون الشمس تتناوب في ابتعادها وغيابها (غروبها) بين هاتين الذروتين .. نرى أنَّ القيمة العدديّة للعبارتين المصوِّرتين لهاتين الذروتين تساوي القيمة العدديّة للعبارة ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ..

﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ = **١٧٨**

﴿ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = ٨٧ ،، ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = ٩١

٨٧ + ٩١ = **١٧٨**

.. وهنا سؤالٌ يطرح نفسه .. ما دلالة العبارة القرآنيّة ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ؟ .. بمعنى : لماذا لم ترد مثلاً بالصيغة : (**وجدها تغرب على عين حمئة**) ؟ ، أو : (**وجدها تغرب عند عين حمئة**) ؟ ..

.. لا شكّ أنَّه بلغ مغرب الشمس ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ كمكان على سطح الأرض ، هو الذروة القصوى باتّجاه التأثّر بحركة تعامد الشمس على سطح الأرض ... بمعنى : بلغ آخر مدى في جهة الجنوب يتأثَّر بحركة ميل أشعة الشمس في سطوعها على سطح الأرض ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ، تعني : وجد الشمسَ من منظار وجوده في هذه الذروة ، وجدها تغرب في عين حمئة .... ولمعرفة معنى كلمة ﴿ عَيْنٍ ﴾ ، علينا العودة إلى مشتقّات الجذر : (ع ، ي ، ن) في كتاب الله تعالى ..

.. العين في كتاب الله تعالى ، هي منفذ تفاعل حاسّة الرؤية للإنسان ، مع العالم الخارجي .. أي : يتواصل مع العالم الخارجي (خارج ذاته) كرؤية ، من خلال العين ..

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة : ٤٥]

﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤]

.. وعين الماء ، هي منفذ إخراج الماء من داخل الأرض إلى سطحها ..

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر : ١٢]

.. وعين القطر هي منفذ إسالته وإخراجه ..

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾ [سبأ : ١٢]

.. وقرَّ عيناً : هدأ باله ، واطمأن ، واستقرَّت نفسه ، وذلك في رؤيته وتفاعل نفسه وتواصله مع ما يحيط به ..

﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ ﴾ [مريم : ٢٦]

﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ﴾ [طه : ٤٠]

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان : ٧٤]

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ ﴾ [القصص : ٩]

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص : ١٣]

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥١]

.. وعين الله تعالى هي مراقبته ورؤيته الموجِّهة وإشرافه وتوجيهه وإشفاقه وعونه ..

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٧]

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه : ٣٩]

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧]

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨]

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٣ - ١٤]

.. ولإدراك دلالات كلمة عِين ، لا بدَّ من إدراك معنى كلمة حُور ، ولإدراك معنى كلمة حُور لا بدَّ من العودة إلى دلالات الجذر (ح ، و ، ر) في كتاب الله تعالى ..

.. التحاور هو التواصل مع ذات أُخرى ، والتفاعل معها ، والتشارك معها ، في مسألة تهمّ الذات ..

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا .... قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف : ٣٤ - ٣٧]

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١]

.. من هنا نرى أنَّ كلمة ﴿ يَحُورَ ﴾ في قوله تعالى التالي تعني : التواصل والمشاركة والتفاعل في حياة أُخرى بعد موته ..

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق : ١٠ - ١٥]

.. والحواريُّون وُصفوا بهذه الصفة ، كونهم كانوا على تفاعلٍ مستمرٍّ وتشارك وخدمة لعيسى عليه السلام ، كأنصار معه لله تعالى ..

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [الصف : ١٤]

.. من هنا نرى أنَّ كلمة حُور تعني مسألة يزوِّجها الله تعالى لأهل الجنّة (ذكوراً كانوا أم إناثاً) ، تشاركهم وتساعدهم وتتواصل معم في تنفيذ ما يريدونه ..

.. فالنفس البشريّة الموجودة في عالم البرزخ ، ستُزَوّج – بعد النفخة الثانية – بجسد يُخلَق لها في الآخرة : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] ، وهذا الجسد له ماهيّته المختلفة عن جسد الدنيا ، فهو مخلوق وفق معيارٍ له تعلّقه بنتيجة العمل التي خرج بها الإنسان من حياته الدنيا ..

.. وكُنَّا قد رأينا كيف أنَّ الأعضاء الجنسيّة – بماهيّتها الدنيويّة – ظهرت لآدم عليه السلام وزوجه نتيجة الخطيئة وبعد معصية الله تعالى في جنّة الاختبار .. فجسدُ آدم وجسد زوجه قبل تلك الخطيئة لم تظهر فيهما السوءة ، وبالتالي فالماهيّة الجنسيّة لآدم وزوجه قبل الهبوط الجسدي تختلف عمّا هي عليه الآن بالنسبة للبشر .. فالسوءة الظاهرة للإنسان في حياته الدنيا ، ليست كذلك في الآخرة ، وبالتالي فلقاء الزوجيّة بين أهل الجنّة وأزواجهم ليس بالآليّة التي تحدث في الدنيا ..

.. بل إنَّ التمايز بين الأنوثة والذكورة الذي نعلمه في الحياة الدنيا ، يختلف عنه في الآخرة .. ومفهوم الطمث الوارد في القرآن الكريم بالنسبة للحور في الآخرة ، ليس كمفهوم اللقاء الجنسي في الحياة الدنيا ..

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن : ٥٤ – ٦٠]

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : ٧١ – ٧٤]

.. وبالتالي فأهل الجنّة الذين يُزوّجهم الله تعالى بحورٍ في الجنّة ، هم المؤمنون من ذكور الدنيا وإناثها .. فالسياق القرآنيّ المحيط بعبارة تزويج أهل الجنّة بتلك الحور ، ليس خاصّاً بالذكور من أهل الجنّة دون الإناث ..

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَـٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٥١ – ٥٦]

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَـٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور : ١٧ – ٢٠]

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : ٧١ – ٧٤]

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَٰخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة : ١٠ – ٢٦]

.. إنّنا نرى أنّ السياق القرآني المحيط بالعبارات القرآنيّة ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ، ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ ، ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ، ليس خاصّاً بالرجال دون النساء ، فمرتبة المتّقين والسّابقين في الجنّة يدخلها الرجال المتّقون والنساء ، وبالتالي فكلّ العبارات المحيطة بعبارات التزويج بالحور ، تتعلّق بأصحاب مراتب الجنّة ذكوراً كانوا أم إناثاً ..

.. وَمِمَّا يُؤكّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه بأنّ الحور العين ليست إناثاً – على غرار إناث الدنيا – يُزوّجُها الله تعالى لذكور الجنّة حصراً دون الإناث الداخلات في الجنّة ، كما يتوّهم الكثيرون ، ممّا يُؤكّدُ ذلك أنّ الله تعالى لم يقل : (**وَزَوَّجْنَاهُمْ حوراً عِيناً**) ، بصيغة مشابهة لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ، ولم يقل : (**زوجناك بها**) ..... فالزواج في الدنيا كلقاء بين الذكورة والأنوثة ليس زواجاً بالآخر .. وبالتالي لا يتعلّق بباء الواسطة والوسيلة ..

.. بينما في النصّين القرآنيّين في سورتي الدخان والطور يقول تعـالى : ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ، أي يتمّ تزويج الذكور والإناث الداخلين إلى الجنّة بواسطة الحور العين ،

فالحور العين – إذاً – هي واسطة زواج أهل الجنّة ذكوراً كانوا أم إناثاً ..

.. هكذا يُبيّن لنا اللهُ تعالى في كتابه الكريم .. أمّا مسألة إسقاط حيثيّات اللقاء بين الأزواج في الحياة الدنيا على لقاء الأزواج في الجنّة ، وأنّ الحور في الآخرة هنّ فقط للرجال الأتقياء الذين يدخول الجنّة دون النساء ، وأنّ لقاء هؤلاء الرجال معهنّ في الجنّة كلقاء الزوجيّة في الحياة الدنيا .. كلُّ ذلك هو تصوّر بشري محكوم بتصوّرات دنيويّة لا دليل عليها في كتاب الله تعالى ، بل تناقض دلالات كتاب الله تعالى الخاصّة في هذا الشأن ..

.. إذاً .. كلمة ﴿ حُورٌ ﴾ تعني مسألة يزوِّجها الله تعالى لأهل الجنّة (ذكوراً كانوا أم إناثاً) ، تشاركهم وتساعدهم وتتواصل معم في تنفيذ ما يريدونه ..

.. لنعد الآن إلى كلمة ﴿ عِينٌ ﴾ التي ترد صفة لكلمة ﴿ حُورٌ ﴾ .. نرى أنّها تصف جانب منفذ الاستقرار والاطمئنان والعون والرؤية ، للحور التي يزوِّج الله تعالى بها الإناث والذكور من أهل الجنّة ، وذلك في تفاعلهم مع نعيم الجنّة ..

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات : ٤٨]

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان : ٥٤]

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور : ٢٠]

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة : ٢٢ – ٢٣]

.. خلاصة المعنى لدلالات مشتقّات الجذر (ع ، ي ، ن) هي : الرؤية ، ومنفذ التفاعل والإشراف والإطلالة على الخارج ..

.. وكلمة ﴿ حَمِئَةٍ ﴾ هي من الجذر (ح ، م ، أ) ، الذي يعني الناقص غير المكتمل وغير الطبيعي المائل للفساد .. ومنه صفة ﴿ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ التي تصف نتن الصلصال قبل اكتمال تكوّنه ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦]

.. وكلمة ﴿ تَغْرُبُ ﴾ هي من الجذر (غ ، ر ، ب) ، الذي يعني ابتعد وغاب ..

.. من هنا نرى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ، تعني : وجدها ، عند ذروة ميلان أشعتها عن سطح الأرض ، ومنفذ إطلالتها على هذه الذروة ، تغيب وتبتعد وتنتهي في رؤية غير مكتملة ، وغير طبيعيّة ، مخالفة الرؤية الطبيعيّة الواضحة السليمة التي اعتاد عليها ..

.. فما اعتاد عليه من المغيب الطبيعي السليم الواضح للشمس في حياته ، وجد بإتباعه للسبب الذي سلكه في بحثه ، أنَّه عند ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ الذي هو ذروة ابتعاد تعامد أشعة الشمس على سطح الأرض ، وذروة تأثيرة عليها ، وجد أنَّ الشمس عند هذه الذروة تبتعد وتغيب في رؤية ناقصة غير واضحة مختلفة عن الرؤية الطبيعيّة الكاملة السليمة التي اعتاد عليها هو وغيره من البشر ..

.. فما وجده عند مغرب الشمس ليس ظنّاً وليس تخيّلاً ووهماً ، إنّما هو حقيقة فلكية وصل إليها نتيجة بلوغه مغرب الشمس ، مفادها : أنَّ الذروة التي تزحف بها الشمس كنجم مقارنة مع الأرض ككوكب ، وذلك باتجاه الجنوب على المحور (شمال جنوب) ، يجعل من الشمس عند ذروة تأثير هذا الزحف ، وهي القطب الجنوبي ، تبتعد وتنتهي في رؤية ناقصة غير مكتملة مخالفة للرؤية الكاملة الواضحة السليمة التي اعتاد عليها البشر ..

.. وبالتأكيد هناك ما بين حروف هذه العبارات القرآنيّة الكثير من الحقائق العلميّة التي تمَّ اكتشافها ، والتي ستكتشف مع الزمن .. فميِّزة القطب الجنوبي ، وما يُكتشَف فيه من

حقائق تميِّزه ، سواء ببرودته المميّزة ، أم بما يعتقد تحت طبقة الجليد فيه من براكين نشطة ، أم بخصوصيّة الغلاف الجوي فوقه ومن ذلك طبقة الأوزون ، أم غير ذلك من الحقائق المدهشة ..



.. كلُّ ذلك .. ندعه للمستقبل ، وللأجيال القادمة التي تقرأ كتاب الله تعالى من منظار الحقائق العلميّة المكتشفة في عصورها ..

.. فكما رأينا .. بداية قصّة ذي القرنين هي كلمة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ .. فلا يمكن لجيل أن يجيب على كلِّ الدلالات المحمولة بقصّة ذي القرنين في كتاب الله تعالى ..... فالعبارة القرآنيّة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ ، تحمل بياناً باستمرار الأسئلة حول هذه القصّة إلى قيام الساعة ..

.. وهنا في الرحلة الأولى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ، لم تكتمل الفكرة العلميّة تماماً عند ذي القرنين ، فكان لا بدَّ له من إتباع سببٍ آخر يسلكه ، ليعلم الذروة الأخرى التي ابتدأ منها زحف ميلان

أشعة الشمس ، وماهية انعكاس هذه الرؤية غير المكتملة وغير الطبيعيّة والمخالفة لما اعتاد عليه ، على الأرض والناس الساكنين فيها عند تلك الذروة ..... لذلك .. أتبع سبباً آخر بالاتّجاه الآخر ، الذي هو القطب الشمالي ..

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

.. في بداية الرحلة الأولى ، لم تكن عنده أيّة فكرة مسبقة ، لذلك رأينا أنَّه بعد بلوغ مغرب الشمس **﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾** ، علم أنَّها تنتهي وتبتعد وتغيب في رؤية غير مكتملة ، وغير طبيعيّة ، مخالفة للرؤية الطبيعيّة السليمة الواضحة التي اعتاد عليها : **﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾** .. فما بين بلوغه مغرب الشمس من جهة ، وبين علمه أنَّها تغيب وتبتعد في رؤية غير واضحة وغير مكتملة وغير ما اعتاد عليه من جهة أخرى ، توازنٌ رأيناه ينعكس توازناً في القيم العدديّة بين العبارتين الحاملتين لطرفي هذه المعادلة ..

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = __١٧٨__

﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ = __١٧٨__

.. وفي رحلته الأولى حيث أدرك أنَّ مغرب الشمس عند أحد ذروتي ابتعادها كنجم مقارنة مع الأرض على المحور (شمال جنوب) ، يكون في رؤية ناقصة غير مكتملة وغير طبيعيّة وغير واضحة .. في هذه الرحلة تكوَّن لديه تصوّرٌ مبدئيٌّ عن الذروة الأُخرى وهي مطلع الشمس .. وكنّا قد رأينا كيف تنعكس دلالات ذلك ، في التوازن التالي في القيم العدديّة بين طرفي هذه المعادلة ..

﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ = __١٧٨__

﴿ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = ٨٧ ،، ﴿ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ = ٩١

٨٧ + ٩١ = **١٧٨**

.. الرحلة الثانية إلى الذروة الأُخرى ﴿ **مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ** ﴾ هي رحلة تهدف إلى الإحاطة التامّة بهذه النتيجة التي وصل إليها في رحلته الأولى .. وقد اكتملت الفكرة عنده في رحلته الثانية ، عندما وصل إلى الحقيقة الكونيّة المحمولة بالعبارة : ﴿ **وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** ﴾ .. والتي نراها مسألةً كاملة ..

﴿ **وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** ﴾ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. هنا .. وصل إلى القطب الشمالي ، حيث النهار يبقى مستمراً ستة شهور ، وكون النهار مستمرّاً ولا يُوجَد ليلٌ يغطّيه ، فبالتأكيد لا يُوجد ما يحجب الشمس عن القوم عند تلك الذروة .. وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى : ﴿ **لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** ﴾ ..

.. وكما بيّنا .. الهدف من هذه الرحلة الثانية هو الاكتشاف العلمي ليحيط بالحقيقة العلميّة التي وصل إليها في رحلته الأولى ، وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ﴿ **كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** ﴾ .. فهذه المعلومة التي أحاطت بما لديه خبراً ، ناتجة عمّا تحمله الآيتان التاليتان كمسألة كاملة ..

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** ﴾ = **٦٤٦ = ١٩ × ٣٤**

.. في هذا البحث .. سأقف بإذن الله تعالى عند هذه النقطة ، تاركاً الرحلة الثالثة لبحثٍ آخر .. وتاركاً لأبحاثٍ أُخرى تفسير عبارات قرآنيّة أُخرى في رحلتيه هاتين ، كالعبارات : ﴿ **وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ**

فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

[الكهف : ٨٦ – ٨٨]

فالهدف من هذا البحث هو تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ، رداً على وجهي العملة المفلسة ، سواء الرد على المتاجرين بروايات الموروث التي تشوّه دلالات هذه العبارات القرآنيّة ، أم الرد على من يستغل ذلك للإساءة لكتاب الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي

جريمة
الزواج من الطفلة

.. عابدو أصنام التاريخ الذين لا همَّ لهم إلاّ عبادة أصنامهم من رجال وروايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، يُطبِّلون ويزمِّرون لزواج الطفلة التي لم تبلغ بعد ، وذلك بناءً على موروثٍ لا علاقة له بمنهج الله تعالى ، ومن ذلك ، الرواية الموضوعة التالية ..

البخاري (٤٧٦١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ **تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ** وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا

مسلم (٢٥٤٨) حسب ترقيم العالميّة :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ هُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ**

.. الكارثة ليست فقط في كون عائشة – كما يُفترى في هذه الرواية – كان عمرها ستّ سنين ، الكارثة أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ والذي يفترون أنَّه تزوّجها بهذا السنّ كان عمره (

٥٣) سنة .. وليت الأمر ينتهي هنا .. يفترون ويكذبون على النبيِّ ﷺ بأنَّه أُعطي قوّة جنسيّة تعادل القوّة الجنسيّة لعشرات الرجال ..

البخاري (٢٦٠) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ **قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ** قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ **أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ** وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعُ نِسْوَةٍ

وإجابة على تخاريف من لم ولن يروا الحقيقة في حياهم لأنَّهم لا يريدوها ، لأنَّها تُسقط أصنامهم ، الذين يقولون إنَّ البنات في ذلك العصر كنَّ يبلغن في هذا السنِّ (ست سنين) ، وذلك هروباً من الاعتراف بعدم صحّة هذه الرواية .. إجابة على هؤلاء نعرض لهم الحديث التالي الذي يؤمنون هم بصحّته ..

أحمد (٦٤٠٢) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ دَاوُدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعاً وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْراً وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** قَالَ أَبِي وَقَالَ الطُّفَاوِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سَوَّارٌ أَبُو حَمْزَةَ وَأَخْطَأَ فِيهِ

إنَّ ورود العبارة **[[وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ]]** ، خلف العبارتين **[[مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعاً وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْراً]]** ، له دلالته على أنَّ هذا التفريق في المضاجع والذي هو سابق لفترة بداية البلوغ ، إنّما يكون بعد هذا العمر الذي يؤمرون فيه بالصلاة ويُضربون فيه على تركها ..

وإن قال قائل ممّن لم ولن يروا الحقيقة أبداً ، الكلام **[[وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ]]** مستأنف ولا علاقة له بالعبارات السابقة ، وبالتالي فالبلوغ يكون قبل هذه الفترة !!! .. نقول إجابة على ذلك : لو فرضنا جدلاً أنَّ الأمر كما تهوى أنفسكم ، كيف تُؤجِّلون – بناء على هوى أنفسكم – تعليم الصبيان للصلاة إلى مرحلة ما بعد البلوغ ؟!!!!! .. وهل الطفلة التي لم تتهيّأ بعد لتقلّد أفعال حركات الصلاة بسبب صغرها ، هل هي مهيَّأة لأخذ القرار في مسألة زواجها ؟!!!!!! .. وهل تأخير العبارة **[[وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ]]** خلف العبارتين **[[مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعاً وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْراً]]** ، هل هو عبث كما تهوى أنفسكم ؟!!!!!! .. أليس أمر التفريق في المضاجع هو بسبب وصول الصبيان إلى بداية مرحلة البلوغ ، وهي مرحلة من العمر تتعدَّى مرحلة الإدراك التي يتمكَّن فيها الطفل من تقليد هيآت حركات الصلاة ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. وللأسف ذهب الكثير من المفسِّرين إلى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ في الآية الكريمة التالية ، تعني الصغيرات في السنِّ اللاتي لم يبلغن بعد مرحلة الحيض ..

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق : ٤]

.. وبناءً على فهمهم الخاطئ هذا وعلى روايات موضوعة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، راحوا يجيزون الزواج من الطفلة التي لم تبلغ بعد ، وذلك جريمة إنسانيّة لها أكثر من بعد .. فمن جهة مَنْ لم تبلغ المحيض هي طفلة غير بالغة وغير مهيَّأة أصلاً للزواج ، ومن جهة أُخرى هي غير قادرة وعياً وإدراكاً على اختيار شريك حياتها .. فالمسألة جريمة إنسانيّة بكلِّ المقاييس ..

.. والجريمة الأكبر هي اتِّهام النبيِّ ﷺ بالقيام بها كمشرِّع ، وهو ﷺ البريء من كلِّ ذلك ، والذي يصفه جلَّ وعلا بقوله ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤] ، والجريمة الكبرى تتمثّل باتّهام كلِّ غيور على منهج الله تعالى وعلى كرامة النبيِّ ﷺ بأنَّه كافر ومنكر للسنّة الشريفة وغير ذلك من اتّهامات لا تنطبق إلاَّ على المتَّهمين ذاتهم الذين لا يعبدون إلاَّ أصنامهم التاريخيّة ..

.. في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هناك عبارة قرآنيّة تبيِّن لنا الحكم العام في عدّة المطلَّقة : ﴿ **وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، وهو حكمٌ عامٌّ في ذلك ، وليس كلامَ عمومٍ يُراد به الخصوص كما يفترون على دلالات كتاب الله تعالى ، وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في كتاب : المعجزة الكبرى ..

والآية الكريمة التالية ..

﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : ٤]

.. تبيّن عدَّة المرأة في حالتين خاصّتين هما : **[[** ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ** ﴾ ، ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ **]]** .. فما هي حدود الدلالات الخاصّة بكلٍّ من هاتين العبارتين القرآنيّتين ؟ ..

.. كلمة ﴿ **يَئِسْنَ** ﴾ تعني فقدان أملهن ورجائهم في المحيض ﴿ **يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ** ﴾ .. وتعني اللاتي امتنع عنهن المحيض :

- إمّا بسببٍ صحّيٍّ طرأ عليهنّ في فترة من العمر ، قبل بلوغ الفترة الطبيعيّة التي ينقطع فيها المحيض بالنسبة لعموم النساء ..

● أو بسبب بلوغهنّ مرحلة من العمر انقطع فيها المحيض بشكلٍ طبيعيٍّ كعموم النساء ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ** ﴾ تبيِّن لنا أنَّ اليأس المعني هو من منظار تلك النساء ، بمعنى حسب معرفتهن هن ، وحسب تجربتهن هن ، فاليأس هو يأسهن الذي وصلن إليه نتيجة انقطاع المحيض عنهنّ على غير العادة ، سواءٌ لحالة صحيّة بالنسبة للنساء اللاتي لم يصلن إلى مرحلة انقطاع المحيض كما هو عند عموم النساء ، أم اللاتي وصلن إلى هذه المرحلة ..

.. من هنا ندرك دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ** ﴾ ، بمعنى إن دخل الشكُّ في نفوسكم حول طبيعة الدم وانقطاعه ، هل هو بالفعل منقطع ، أم أنَّه غير منتظم وربّما يعود ، وإن عاد هل هو حيض بالفعل ، أم حالة صحيّة خاصّة ، أم .... ومن هنا ندرك – أيضاً – دلالات صياغة العبارة ﴿ **إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ** ﴾ بهذه الحيثيّة ، وذلك بنسب الريب للمجتمع ككل ، من مشرِّع وقاضي وزوج وامرأة وكلّ من له قول في ذلك .. فالعبارة ليست ((**إن ارتبن**)) ، إنّما هي ﴿ **إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ** ﴾ ..

وورود كلمة ﴿ **إِنِ** ﴾ دون كلمة (إذا) في العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ** ﴾ دليلٌ أنَّ الأمر يتحدَّث عن إمكانيّة وقوع الريب ، فالريب ممكن أن يقع وممكن ألاَّ يقع ، وهذا أمر طبيعي كوننا أمام احتمالات عديدة تتعلّق بالدم وانقطاعه ، وبكونه منتظماً أم لا ، وهل سيعود أم لا ، وإن عاد هل هو حيض بالفعل أم حالة صحيّة خاصّة ، أم ....

.. إذاً الحالة الخاصّة الأولى ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ** ﴾ تبيّن لنا نوعين خاصّين من النساء كما بيّنا وهنّ اللاتي امتنع عنهن المحيض :

● إمّا بسببٍ صحّيٍّ طرأ عليهنّ في فترة من العمر ، قبل بلوغ الفترة الطبيعيّة التي ينقطع فيها المحيض بالنسبة لعموم النساء ..

● أو بسبب بلوغهنّ مرحلة من العمر انقطع فيها المحيض بشكلٍ طبيعيٍّ كعموم النساء ..

.. هذان النوعان .. يحدِّدُ الله تعالى عدَّقمنَّ بثلاثة أشهر ﴿ **فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٍ** ﴾ ..

ولكن .. بقي نوعٌ خاصٌّ آخر ، هو النساء اللاتي تجاوزن بعمرهنّ مرحلة البلوغ والمحيض و لم يحضن ، وذلك لسببٍ صحيٍّ خاصٍّ بهن .. ولذلك .. تأتي العبارة التالية مباشرة ، لتبيّن لنا هذا النوع الخاصّ من النساء ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ .. وهذا النوع الخاصّ من النساء عدَّة المرأة فيه هي أيضاً ثلاثة أشهر ، بمعنى : واللائي لم يحضن عدَّقمن ثلاثة أشهر ..

.. وفي الصياغة اللغويّة للعبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ نرى ما يلي :

(١) – تكرار كلمة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي** ﴾ ما بين هاتين الحالتين الخاصّتين [[﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ** ﴾ ، ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾]] ، وفي هذا بيانٌ على أنّنا أمام حالتين خاصَّتين متميِّزتين .. بمعنى أنَّ كلمة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي** ﴾ تصوِّر في كلِّ حالة خصوصيّة من هاتين الخصوصيّتين ... فكلمة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ ، تبيّن خصوصيّة أُخرى مختلفة عن الخصوصيّة التي تبيّنها في العبارة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ** ﴾ ..

.. بينما الطفلة التي لم تبلغ مرحلة المحيض هي حالة عامّة تشمل جملة النساء في تلك المرحلة من العمر ، وليست خصوصيّةً على الإطلاق .. فالطفلة بطبيعتها لا تحيض ،

وحصر دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ بالصغيرات اللاتي لم يحضن كما تزعم تفاسيرنا الموروثة يتنافى مع هذه الصياغة اللغويّة ، ويحتاج صياغةً أُخرى ..

(**٢**) **–** هذا النوع من النساء اللائي لم يحضن أبداً في حياتهن ، تمَّ تأخير ذكرهنّ إلى ما بعد الانتهاء من ذكر النوع الأوّل والانتهاء من ذكر الحكم فيه .. وهذا يعني خصوصيّة بهذا النوع ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ على الرّغم من اجتماعه في حكم واحد مع النوع الأوّل ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ** ﴾ ..

٣ – في هذا النوع لا يوجد ريب ، فالنساء هنا لم يحضن أصلاً ، ولذلك أُخِّرت العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ إلى ما بعد العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ** ﴾ .. فإمكانيّة الريب التي رأيناها في النوع الأوَّل غير موجودة في هذا النوع ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ ..

٤ – ورود كلمة ﴿ **لَمۡ** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ يؤكِّد أنَّهن لم يحضن حتّى وقت العدّة ، وهذا لا يعني الجزم بأنَّهنَّ لن يحضن في المستقبل .. فالعبارة القرآنيّة ليست على الشكل ((**واللائي لا يحضن**)) إنّما نراها ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، ماذا يعني قوله تعالى ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ : هل يعني البالغات اللاتي تجاوز عمرهن مرحلة المحيض و لم يحضن ومن الممكن أن يحضن في المستقبل ؟ ... أم يعني كما يقول عابدو أصنام التاريخ الصغيرات اللاتي لم يبلغن بعد ؟ ..

في كتاب الله تعالى هناك مرحلة من العمر اسمها مرحلة بلوغ النكاح ، أي مرحلة بلوغ فترة زمنيّة يتعدّى فيها الإنسان مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ (جنسيّاً) ودخوله في ساحة النضج وإمكانيّة الزواج .. يقول تعالى ﴿ **وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ** ﴾ [النساء : ٦] .. فبتعدّي الإنسان لمرحلة بلوغ النكاح وهي مرحلة البلوغ جسديّاً بكون الإنسان ناضجاً وقادراً على الزواج ، بهذا البلوغ تنتهي مرحلة اليتم ..

.. والنكاح في كتاب الله تعالى ، هو العقد الذي لا بدَّ منه للدخول .. يقول تعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا** ﴾ [الأحزاب : ٤٩] .. فلا دخول دون عقد نكاح ، وبالتأكيد لا عقد نكاح دون بلوغ مرحلة النكاح ، فقوله تعالى ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ** ﴾ [النساء : ٦] يعني أنَّه هناك مرحلة هي مرحلة بلوغ النكاح ، يكون فيها الطفل قد تعدَّى مرحلة الطفولة ..

.. من هنا نرى أنَّه لا يجوز تزويج أيِّ طفلة على الإطلاق ، لأنَّها لم تبلغ النكاح ، بمعنى لم تبلغ المرحلة التي تكون فيها صالحةً للزواج .. وأيُّ عقدٍ لأيِّ طفلة هو مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى ، لأنّه عقد نكاحٍ لطفلة لم تبلغ مرحلة النكاح ، أي لم تبلغ المرحلة التي من الممكن فيها أن يُعقَد عليها بعقد نكاح ..

.. وبالنسبة للمرأة فإنَّ البلوغ لا يكون قبل تجاوز فترة معروفة بشكلٍ عامٍّ هي فترة المحيض .. فكلُّ طفلة لم تصل إلى فترة المحيض زمناً لم تبلغ النكاح ، وبالتالي فأيُّ عقدٍ عليها هو عقدٌ باطل .. ولكن .. إن كانت هناك حالات خاصّة لأسباب صحيّة خاصّة ، بحيث تتعدّى المرأة بعمرها الفترة المتعارف عليها للوصول إلى فترة المحيض دون أن تحيض ، فهذه حالات خاصّة ، كالحالات الخاصّة في كون بعض النساء لم يلدن ، وكالحالات الخاصّة الأُخرى المتعلّقة بخصوصيّات بعض النساء ..

هذه المرأة التي تجاوزت بعمرها فترة المحيض و لم تحض ، وتزوّجت بناء على عمرها الذي تجاوز تلك الفترة ، هذه المرأة عدّتها ثلاثة أشهر ، وهي وفقط هي المعنيّة بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ ..

ولا يمكن لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ أن تعني النساء غير البالغات – كما يذهب عابدو أصنام التاريخ – وذلك لأكثر من سبب ، منها :

(**١**) **–** المرأة التي لم تبلغ النكاح ، بمعنى لم يتجاوز عمرها الزمن المعروف للحيض عند النساء ، لا يجوز أن تتزوَّج أصلاً ، لأنَّها لم تبلغ النكاح ، أي لم تبلغ المرحلة التي من الممكن أن يُعقَد عليها .. فكيف يبيِّن الله تعالى لنا وبحكمٍ جليٍّ أنَّ فترة بلوغ النكاح تكون بعد البلوغ الكامل جنسيّاً ، وبأنَّ عقد النكاح لا يكون إلاَّ بعد بلوغ هذه المرحلة ، فالعبارة ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ** ﴾ واضحة وجليّة ، كيف يبيّن جلَّ وعلا ذلك ثمَّ يعود ليصوِّر حكماً آخر للمرأة المتزوِّجة غير البالغة ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! ..

(**٢**) **–** العبارة القرآنيّة بهذه الصياغة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ لا تعني إلاَّ اللاتي تجاوز عمرهن الفترة الزمنيّة المعروفة للحيض و لم يحضن بعد هذه الفترة .. ولا تعني أبداً الطفلة التي لم يبلغ عمرها فترة الحيض .. فالعبارة القرآنيّة ﴿ لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ تعني خصوصيّة لبعض النساء اللاتي تجاوزن فترة زمن الحيض .. كيف ؟!!! ..

لو فرضنا جدلاً أنَّ المعنيّة بهذه العبارة القرآنيّة هي الطفلة التي لم يبلغ عمرها فترة الحيض ، لما كانت الصياغة بهذا الشكل .. و لكانت بصياغة كالشكل ((**واللائي لم يبلغن النكاح**)) ، وذلك بشكلٍ مشابهٍ للعبارة القرآنيّة ﴿ **بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ** ﴾ ..

.. فالصغيرات اللاتي لم يحضن هن لم يبلغن النكاح ، هكذا نقرأ من كتاب الله تعالى الذي يُعرِض عنه عابدو أصنام التاريخ ..... وتفسيرهم للعبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ**

تَحِضۡنَۚ ﴾ على أنَّها تعني الصغيرات دون سنِّ الحيض ، أي دون سنِّ بلوغ النكاح ، يناسبه – كما بيّنا – الصياغة ((**واللائي لم يبلغن النكاح**)) ..

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ يعني اللاتي تجاوز عمرهن فترة النكاح المتعارف عليها ، والذي عادة تحيض فيه المرأة ، ولكنَّهنَّ ولأسباب صحيّة خاصّة بهنَّ لم يحضن ..

.. وهكذا نرى أنَّ الزعم بأنَّه يجوز العقد على الطفلة التي لم تحض ولم تبلغ فترة الإخصاب الجنسي ولم يتجاوز عمرها الزمن المعروف لذلك ، هو خروج على أحكام كتاب الله تعالى ، وتفسيرهم للعبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ** ﴾ على أنَّه يعني الصغيرات غير البالغات هو تفسيرٌ باطلٌ باطلٌ باطل ..

.. واعتمادهم على روايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، والنبيُّ ﷺ بريءٌ منها كلّ البراءة ، وإسقاط شهواتهم وأهواءهم على عبارات كتاب الله تعالى عبر تفسيرات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، كلُّ ذلك لا يعني إلاَّ أنَّ التاريخ برجالاته ورواياته أكبر – عندهم – من كتاب الله تعالى ، ومن ثوابت العلم والعقل والمنطق ، تلك الثوابت التي يأمرنا الله تعالى بتفعيلها ..

لذلك نقول لهم : ارفعوا أيديكم عن كتاب الله تعالى ، وكفاكم تذرّون الرماد في أعين البسطاء ، متاجرين بعواطفهم النبيلة وبحبِّهم للدين لدفعهم إلى أصنامكم التاريخيّة التي لا علاقة لها بالدين الحقِّ ، لا من قريب ولا من بعيد ، وكفاكم من التضليل والإبعاد عن كتاب الله تعالى ..

.. الرواية التي يُنكر عابدو أصنام التاريخ دلالات كتاب الله تعالى من أجلها ، ويطلّقون عقولهم ويُغرقون أنفسهم (ومن يقودونهم بسياسة القطيع) في مستنقعات العصبيّات النتنة من أجلها ..

البخاري (٤٧٦١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ **تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ** وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا

مسلم (٢٥٤٨) حسب ترقيم العالميّة :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ هُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ**

والتي ينقضها كتاب الله تعالى الذي يصف نبيَّه ﷺ بقوله **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** [القلم : ٤] ، وينقضها العقل والمنطق والفطرة السويّة ..... هذه الرواية المكذوبة يستخدمها أعداء الإسلام في الإساءة للنبيِّ ﷺ كمقدِّمة للإساءة لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. لذلك .. فعابدو أصنام التاريخ وأولئك المسيئون لمنهج الله تعالى عبارة عن وجهين لعملة واحدة .. عابدو أصنام التاريخ يأتون بروايات مكذوبة لا تحمل إلاَّ الإساءة للإسلام ويقولون هذا ديننا الذي نكفِّر من ينكر نصّاً منه ، ويترجموها ويضعوها بين أيدي الآخرين .. والآخرون يستخدموها في إساءاتهم للنبيِّ ﷺ ولكتاب الله تعالى ..

من هنا نقول لعابدي أصنام التاريخ ارفعوا أيديكم عن كتاب الله تعالى ، فأفضل ما يمكن أن تخدموا به كتاب الله تعالى والنبيَّ ﷺ هو أن ترفعوا أيديكم عن الإسلام الحقّ الذي لا تقدِّمون له إلاَّ كلّ إساءة ..

المهندس عدنان الرفاعي

المسيح عليه السلام

بين الصليب والعودة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. النصارى يقولون : إنَّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام صُلب ومات على الصليب ، وقام بعدها ، ثم رُفِع إلى السماء .. والمسلمون يقولون : لم يُصلَب و لم يُقتَل ، ويقولون ألقى الله تعالى شبهَه على آخر ، حيث صُلب هذا الآخر ونجا عيسى عليه السلام من الوضع على الصليب ..

وحجّةُ المسلمين في هذا المذهب من القول هو ما ورد في الموروث من تفسير لدلالات قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ ..

.. سنقف بإذن الله تعالى عند تفسير هذه العبارة القرآنيّة من منظار العبارات القرآنيّة المحيطة بها ، لنلقي الضوء على حقيقة ما تحمل من دلالات ، لنرى كيف أنَّ عدم الوقوف على حرفيّة الصياغة القرآنيّة ، وفرضَ التصوَّرات المُسبقة الصنع على دلالات النصوص القرآنيّة ، يُوصل إلى فهمٍ مُشوَّهٍ لدلالات كتاب الله تعالى ..

﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ

عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٥ – ١٥٧]

.. ما نراه في البداية أنَّ القول بقتل المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام ، هو قول مذمومٌ ، لأنَّه يُخالف الحقيقة ، وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى **﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾** ..

وما نراه أيضاً في هذا النصِّ الكريم أنَّ قولهم بقتل المسيح عيسى ابنِ مريم وبصلبه ، هو قولٌ يمتاز بما يلي :

١ – الذين اختلفوا فيه منهم هم في شكٍ من هذا القول **﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾** .. وهذا الشكّ له أسبابه كما سنرى بإذن الله تعالى ..

٢ – هو قولٌ ناتجٌ عن عدم علمٍ بحقيقة ما حصل ، وحامل هذا القول هو الظن الذي لا يُغني من الحقِّ شيئاً : **﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾** ..

٣ – لم يتيقّنوا يقيناً كاملاً من قتله عليه السلام **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾** ..

٤ – عدم التيقّن هو في جانب القتل **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾** .. والقتل له حدوده من الدلالات التي تميّزه عن الصلب ، على الرغم من أنَّ كليهما يؤدّي إلى لموت ..

٥ – العبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾** تبيّن لنا أنَّ مرادهم هو قتله ، وبالتالي هم حاولوا ذلك ، ولكنَّ النتيجة لم يتيقّنوا منها .. بمعنى أنَّ محاولتَهم بصلبه من أجل قتله ، لم يتيقّنوا من نتيجتها ..

كلُّ ذلك يدفعنا للوقوف عند العبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾** بشكلٍ عميق ، نُحَلِّل فيه هذه العبارة القرآنيّة حرفاً حرفاً للوصول إلى الحقيقة ..

.. في العبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾** داخل هذه الآيـــة الكريمة ، نرى أنَّ الضمير في كلمة **﴿ قَتَلُوهُ ﴾** يعود إلى **﴿ ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾** ، وكذلك الأمر بالنسبة للضمير في كلمة **﴿ صَلَبُوهُ ﴾** .. فالكلمتان **[[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ،، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]]** صيغتهما متماثلة ، فعل ماضي بصيغة المبني للمعلوم ، والضمير فيهما لا يعود إلاّ إلى عيسى عليه السلام ..

ولا خلاف في ذلك على الإطلاق .. فلا يمكن لعاقل أن يعيد هذين الضـــميرين في كلمتي **[[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ،، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]]** إلى غير المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام ..

.. ولكن .. إلى ماذا يعود الضمير المستتر المتعلّق بكلمة **﴿ شُبِّهَ ﴾** ؟ ..

كلمة **﴿ شُبِّهَ ﴾** نراها بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول ، وليس بصـــيغة المـــبني للمعلوم كما رأينا في كلمتي : **[[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ،، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]]** .. وإعادة الضمير إلى عيسى عليه السلام ، بمعنى أنَّ شبه عيسى أوقعه الله تعالى على إنسانٍ آخر ليُصلَب بـــدلاً من عيسى عليه السلام ، أمرٌ غير ممكن ، لأنَّ عيسى عليه السلام (وفق هذا التصـــوّر) مشَبَّهٌ به ، وليس بمشبَّه ..

فالله تعالى لم يقل (**ولكن شبَّه اللهُ به لهم**) ، إنّما يقول ﴿ **وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ** ﴾ .. إذاً الروايات الملفّقة والمتناقضة فيما بينها ، من أنَّ الله تعالى أوقع شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ، تنقضها الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة ..

ومن جهةٍ أُخرى .. لا يمكن إعادة الضمير المستتر المتعلّق بكلمة ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ إلى أيِّ إنسان آخر ، كالذي زُعم أنّه صُلب بدلاً من عيسى عليه السلام ، لأنَّ هذا الآخر المفترض لم يرد له ذكرٌ في السياق السابق لهذه العبارة القرآنيّة ، ولا حتّى في اللاحق ..

هذه هي حقيقة الدلالات التي تحملها الصياغة اللغويّة لهذه العبارات القرآنيّة ، دون فرض أيِّ تصوّرٍ مسبق الصنع عليها ..

أمَّا محاولات تخريج ذلك كالقول بأنَّ الضمير المستتر مُسنَد إلى الجار والمجرور ﴿ **لَهُمۡ** ﴾ ، بمعنى ولكن وقع لهم الشَبَه ، أو كالقول بأنَّ الضمير مُسند إلى ضمير المقتول ، في العبارة ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ** ﴾ ، تصوّراً بأنّه يدلّ على أنّه وقع القتل على غيره ، فصار ذلك الغير مذكوراً بهذا الطريق ، فحسُن إسناد ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ إليه .. هذه التخريجات لا تُسعفها الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة ، وهي نتيجة فرض تصوّر مُسبَق الصنع على دلالات هذا النص الكريم ..

وهذه القصّة التاريخيّة الملفّقة ، بأنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ليُصلَب بدلاً منه ، يتبيّن فسادها من أكثر من سبب :

١ – القول بأنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ليُصلَب بدلاً منه ، دون أيِّ ذكرٍ لذلك في كتاب الله تعالى ، وبناءً على روايات متناقضة مناقضة لكتاب الله تعالى ، ولسننه الكونيّة التي لا تتبدّل ولا تتغيّر ، هذا القول يفتح باب السفسطة ، ويُعطي حيثيّات الشك بما يراه الإنسان .. وكلُّ ذلك يتعارض مع منهج الله تعالى الذي لا يأتيه الشك لا من قريب ولا من بعيد .. يقول تعالى :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]

.. إذاً .. القول بأنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر لِيُصلَب بدلاً منه هو قولٌ يتنافى مع سنّة الله تعالى التي لا تتبدَّل ولا تتغيّر ..

٢ – الزعم بأنَّ الله تعالى ألقى شبهَ عيسى على إنسانٍ آخر لِيُوْضَع على الصليب بدلاً من عيسى ، بمعنى أنَّ الله تعالى أوهمهم بأنَّ الذي وُضِعَ على الصليب هو عيسى ، هذا الزعم يعني أنَّهم صادقون فيما شاهدوه ، فهم شاهدوا صورة عيسى عليه السلام على الصليب ..

٣ – الروايات في هذا الأمر ، نعني إلقاء شبه عيسى عليه السلام على إنسان آخر لِيُصلَب بدلاً منه ، هذه الروايات متناقضة فيما بينها تناقضاً جلياً .. ولمعرفة حقيقة هذا التناقض سننظر في النصّ التالي الذي أنقله بحرفيّته من تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ، طباعة دار الفكر ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥) م ، وذلك في تفسير هذه الآية الكريمة :

[[....... اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وُجوهاً :

الأوَّل : قال كثيرٌ من المتكلّمين : إنَّ اليهود لّما قصدوا قتلَه رفعه الله تعالى إلى السماء فخاف رؤساءُ اليهود من وقوع الفتنة من عوامّهم ، فأخذوا إنساناً وقتلوه ولبَّسوا على الناس أنّه المسيح ، والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلاَّ بالاسم ، لأنَّه كان قليلَ المخالطة للناس ، وبهذا الطريق زال السؤال . لا يقال : إنَّ النصارى ينقلون عن أسلافهم أنَّهم شاهدوه مقتولاً ، لأنّا نقول : إنَّ تواتر النصارى ينتهي إلى أقوامٍ قليلين لا يبعد اتّفاقهم على الكذب .

والطريق الثاني : أنَّه تعالى ألقى شبهَه على إنسان آخر ثمّ فيه وجوه :

الأوَّل : أنّ اليهود لّما علموا أنّه حاضرٌ في البيت الفلاني مع أصحابه ، أمر يهوذا رأسُ اليهود رجلاً من أصحابه يقال له طيطايوس أن يدخلَ على عيسى عليه السلام ويخرجَه ليقتلَه ، فلمّا دخل عليه أخرج اللهُ تعالى عيسى عليه السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنّوه هو فصلبوه وقتلوه .

الثاني : وكّلوا بعيسى رجلاً يحرسُه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورُفِع إلى السماء ، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى .

الثالث : أنَّ اليهود لّما همّوا بأخذه وكان مع عيسى عشرةٌ من أصحابه فقال لهم : من يشتري الجنّة بأن يُلقَى عليه شبهي ؟ فقال واحد منهم : أنا ، فألقى الله شبه عيسى عليه فأُخْرِج وقُتِل ، ورَفع الله تعالى عيسى عليه السلام .

الرابع : كان رجل يدّعي أنَّه من أصحاب عيسى عليه السلام ، وكان منافقاً فذهب إلى اليهود ودلَّهم عليه ، فلمّا دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقُتِل وصُلِب . وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله تعالى أعلم بحقائق الأمور .]]

.. إذاً .. نحن أمام روايات متناقضة فيما بينها ، لن نصل من خلالها إلى أيِّ نتيجة ، في معرفة من الذي أُلقي شبه عيسى عليه ، مع العلم كما بيّنا أنَّ هذه الفكرة ينقضها كتاب الله تعالى من أساسها ، وتنقضها سنّةُ الله تعالى التي لا تتبدَّل ولا تتغيّر ..

إنَّ إلقاء شَبَه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ، هو عملٌ لا يستطيع القيام به إلاَّ اللهُ سبحانه وتعالى ، وهذا يقتضي ورود كلمة ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ بصيغة المبني للمعلوم ، ويقتضي ورود كلمة به ، كون شبه عيسى عليه السلام وقع على غيره ، وليس العكس .. أي يقتضي ورود هذه العبارة القرآنيّة بالصيغة (**ولكن شَبَّه اللهُ به لهم**) .. لكن ما نراه في كتاب الله تعالى أنَّ الله تعالى يأتي بالتشبيه بصيغة المبني للمجهول ، وأنَّ الضمير المستتر المتعلّق بكلمة ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ لا يمكن عودته إلى أيِّ إنسانٍ آخر ، كون هذا الآخر لا يُوجَد له ذكر في السياق السابق ولا حتى اللاحق لهذه العبارة القرآنيّة ..

.. إذاً قول الكثيرين من المسلمين بأنَّ الله تعالى أوقع شبه عيسى عليه السلام لِيُصلَب بدلاً من عيسى ، هو قولٌ تنقضه الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة ..

وأيضاً قول النصارى بأنَّ عيسى عليه السلام قُتل على الصليب ، هو قولٌ ينقضُهُ كتابُ الله تعالى ، الذي يُؤكِّد لنا أنَّ المسيح عيسى ابنَ مريم عليه السلام ، لم يُصلَب ، و لم يُقتَل .. ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ ..

.. كلُّ ذلك يدفعنا لتدبّر هذه العبارات القرآنيّة تدبّراً سليماً عميقاً للوصول إلى الحقيقة .. فالحقيقة كلُّ الحقيقة محمولة في كتاب الله تعالى .. يقول تعالى :

﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾

[النحل : ٨٩]

.. وعندما يقول تعالى عن كتابه الكريم بأنَّه تبيانٌ لكلِّ شيء ، فهذا يعني أنَّه تبيانٌ لكلِّ شيء ..

.. الضمير المستتر في كلمة ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ يعود إلى أقرب ما ذُكرَ إليه ، وأقرب ما ذُكر إليه هو الصلب ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ ، بمعنى شُبّه الصلب لهم .. وهنا سؤالٌ يطرح نفسَه كيف شُبّه الصلب لهم ؟!!! ..... للإجابة على هذا السؤال لا بدَّ من معرفة معنى الصلب في كتاب الله تعالى .. سنعود إلى كتاب الله تعالى ونأخذ مشتقات الجذر اللغوي (ص ، ل ، ب) ، وننظر في دلالاتها ضمن سياقاتها القرآنيّة ، وذلك بهدف معرفة معنى الصلب في كتاب الله تعالى ..

.. دلالاتُ الفعل الثلاثي (صَلَبَ) تعني وَضْعَ الإنسانِ وتثبيتَه على أداةٍ ثابتةٍ حتى ينتقلَ إلى الحياةِ الأُخرى من على هذه الأداة وبسبب تثبيته عليها .. أي هي الخروجُ من الحياة الدنيا إلى الحياةِ الأُخرى من خلالِ الوجودِ على أداةٍ ثابتةٍ صلبة ..

.. من هنا .. فالصليبُ : هُوَ الأداةُ الثابتةُ التي يخرجُ من خلالِها المصلوبُ إلى الحياةِ الأخرى ..

.. في هذا الإطارِ من المعنى تُفهم دلالاتُ مشـــتقّات الجـــذر (ص ، ل ، ب) في الآيات التالية :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء : ١٥٧]

﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١]

.. قوله تعالى **﴿ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ ﴾** ، يعني أنَّه سيُوضَع على الصليب حتى الموت ، ونتيجة لذلك ستأكل الطير من رأسه .. ولا يمكن أن يتصوَّر أحدٌ أن كلمة **﴿ فَيُصْلَبُ ﴾** تعني مجرَّد الوضع على الصليب دون الموت ..

بمعنى آخر .. الصَّلْبُ لا يعني مجرَّد الوضع على الصليب .. أبداً .. الصلب يعني تثبيت المصلوب على الصليب حتّى موته ، وقبل موته لا يتمُّ الصلب ، ولو نزل من وُضِع على الصليب حيّاً دون أن يموت على الصليب ، عندها لا يكون قد صُلِب .. الصلب يعني الموت على الصليب ..

.. والصُّلْبُ الذي هو من مشتقّات الجذر (ص ، ل ، ب) : هُوَ الخـــطُّ الثابـــتُ الحاملُ للصفات المتوارثة من آدمَ عليه السلام إلى الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء ، والذي من خلالِهِ يخرجُ الإنسانُ إلى عالم الدنيا ، الذي هُو العالم الآخر بالنسبةِ لمرحلة ما قبل خروج الإنسان إلى الدنيا ..

.. ففي قولِه تعالى : **﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن**

قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٥ – ١٠] .. نرى أنَّ الآيةَ الكريمةَ : **﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾** ، تعني : يخرجُ من بينِ الخطِّ الثابت للصفات الوراثيّة الذي هُوَ **﴿ ٱلصُّلْبِ ﴾** والممتدُّ من آدمَ عليه السلام إليه ، وبين الصفاتِ المختلفةِ المكتسبةِ والطفرات الطارئة التي يحملُها الإنسان خارجَ محورِ **﴿ ٱلصُّلْبِ ﴾** الذي خرج إلى الدنيا من خلالِه ، وبالتالي تُوصَفُ هذه الصفات بـــ **﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾** ، أي بالضعف والتفتّت وعدم الثبات ، وذلك مقارنةً مع الصفات التي يحملها الإنسانُ من محور الصُّلْبِ الذي خرج من خلاله إلى الدنيا ..

.. وهكذا .. فالصُّلْبُ هو الخطُّ الثابتُ الممتدُ من آدمَ عليه السلام إلى الإنسان ، حيثُ يخرجُ المولودُ من خلالِه إلى حياةٍ أُخرى (الحياة الدنيا) ، تماماً كما أنَّ الصليبَ أداةٌ ثابتةٌ يخرجُ من خلالِها المصلوبُ عليه من الحياة الدنيا إلى الحياةِ الأُخرى ..

.. ولما كان لكلِّ إنسانٍ صُلْبُهُ الذي يخرجُ منه أولادُه إلى الدنيا ، فإنَّ لمختلف البشرِ أصلابَهم التي تلتقي جميعُها عند آدمَ عليه السلام ، والتي يخرجُ منها أولادُهم ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾
[النساء : ٢٣]

.. وفي حين أنَّ دلالات جذر الفعل الثلاثي (صَلَبَ) تعني الموتَ على الصليب دون تأثيرٍ خارجي ، بمعنى : أنَّ الصليبَ كان البدايةَ لِلخروجِ من الدنيا ، فمن على الصليب يبدأُ المصلوبُ خروجَه من الدنيا نحو الآخرة ، لا قبل ذلك ، دون أيِّ مؤثِّرٍ خارجيٍّ

مُفتَعَل .. في الوقتِ ذاتِه ، نرى أنَّ دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ، تعني ابتداءَ مُقدِّمات الخروج من الدنيا قبل الوضعِ على الصليب من خلال التعذيب وفعل مُقدّمات القتل ، ثمَّ يأتي الصليبُ ليكونَ النهايةَ للمصلوب ، حيث يخرج المصلوب من الدنيا من خلالِ هذا الصليب نتيجةَ أفعال التعذيب التي تعرّضَ لها قبل الصلب ، إضافةً لوضعِه على الصليب .. لننظر في قول الله تعالى الذي يصوِّرُ لنا قولَ فرعون للسحرة :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٤]

.. فالكلمة القرآنيّة : ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ تعني الوضعَ على الصليب بعد قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، ونراها مسبوقةً بكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ ، فهذه الحالة ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ مسبوقة بتقطيع أيديهم وأرجلهم .. ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ..

.. إذاً .. الموتُ على الصليب – في هذه الحالة – هو بسبب قطعِ الأيدي والأرجل من خلاف ، ومن ثمّ بسببِ الترك على الصليب حتى الموت .. والآية الكريمة التالية تُؤكِّد هذه الحقيقة :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤٩]

فما نراه في هذه الاية الكريمة أنَّ كلمة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ جاءت خلف العبارة القرآنيّة ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ ومعطوفة عليها ، بمعنى ستتمُّ الحالة ﴿

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ بعد تمام الحالة ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ ، وهذا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في بياننا لدلالات الفعل الرباعي (صلَّب) ..

وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ٧١]

هنا أيضاً العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ جاءت خلف العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ ومعطوفة عليها .. وهذا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في بياننا لدلالات الفعل الرباعي (صلَّب) ..

وفي العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ نرى ورود كلمة ﴿ فِى ﴾ وليس كلمة (على) ، ولا يمكن لكلمة ﴿ فِى ﴾ أن تكون بمعنى كلمة (على) ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الصلب لا يعني مجرَّد الوضع على الصليب إنّما يعني الموت من على الصليب ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ تعني الموت صلباً ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ وذلك من خلال كونهم محاطين في جذوع النخل ﴿ جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ ..

.. وبالتالي فكلمة ﴿ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾ في الآية الكريمة التالية تُدرك دلالاتها ضمن هذا الإطار ..

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣]

.. إذاً .. في حين تحمل دلالات الفعل الثلاثي (صَلَبَ) معنى كونِ الصليبِ بدايةَ خروجِ المصلوب إلى الحياة الآخرة ، فإنَّ دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) تحمل معنى كونِ الصليبِ نهايةَ خروجِ المصلوب إلى الحياة الآخرة ، لأنَّ مُقدّمات موتِ المصلوب كانت من خلال التعذيب وفعل كلِّ ما يُودِّي إلى الموت قبل الوضع على الصليب ..

وحاصل الأمر .. أنَّ الصلب يعني الموت على الصليب ، ولا يعني مجرَّد الوضع على الصليب ، فالوضع على الصليب والنزول عنه دون الموت عليه ، لا يعني صلباً ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ تنفــي عــن عيسى عليه السلام القتل ، وتنفي عنه الصلب ، ولكنَّها تؤكِّد تشبيه الصــلب لهــم .. فكيف يكون ذلك ؟ .. هذا يدفعنا لتبيان دلالات الجذر اللغوي (ش ، ب ، هـــ) في كتاب الله تعالى ..

.. مشتقّات الجذر (ش ، ب ، هـــ) في كتاب الله تعالى تعني رؤيةَ ظاهرٍ مخالفٍ لباطن المرئي وحقيقتِه ، وعدمَ إدراك حقيقة المسألة ، واختلاطَ الأمر بالنسبة لها ، مع أنَّ لها وجهاً ظاهراً .. بمعنى اختلاف الظاهر المشاهَد عن الباطن غيرِ المشاهَد ..

.. لننظر في قوله تعالى :

﴿ **قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا** ﴾ [البقرة : ٧٠]

.. قولهم ﴿ **إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا** ﴾ يعني : إنَّ الأمور اختلطت علينا لدرجة لم نعد نُدرك حقيقة البقرة المطلوبة ، فظاهر البقر أمام أعيننا يجعلنا لا نُدرك حقيقة البقرة التي تطلبها .. ولننظر أيضاً في قوله تعالى :

﴿ **كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا** ﴾ [البقرة : ٢٥] ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ **وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا** ﴾ تعني أنَّ ظاهر

ذلك الرزق متماثلٌ ، مع أنَّ حقيقةَ طعمه مختلفة ، أي يرون ظاهراً مختلفاً عن الباطن الذي تصوّروه ..

هذا المعنى المستمَدُّ من دلالات الجذر اللغوي (ش ، ب ، هـــ) في كتاب الله تعالى ، لنسقطه على كلمة : **﴿ شُبِّهَ ﴾** في العبارة القرآنيّة : **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾** ..

.. الآن أصبحنا نُدرك أنَّ الذي شُبِّه لهم والذي نقرؤه في الصورة القرآنيّة : **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾** ، إنّما هو الصلب ، أي شُبِّه الصلب لهم ، بمعنى أنّهم شاهدوا ظاهراً يُوهِم بالصلب ، مع أنَّ حقيقة الأمر وباطنَه غيرُ ذلك ..

.. ولما كان هذا الشَبَه ليس من فعلهم أو فعل غيرهم ، وهو مجرَّد توهّم اعتقـــدوه ، لذلك كان الفعل **﴿ شُبِّهَ ﴾** بصيغة المبني للمجهول ...

إذاً .. عيسى عليه السلام تمَّ وضعه على الصليب ، واعتقدوا أنَّه فارق الحياة من على الصليب ، بمعنى اعتقدوا أنّه صُلِب وقُتِل ، وهذا ما شُبِّه لهم ، ولكنَّ الحقيقة أنَّه أُنزل من على الصليب حيَّاً لم يفارق الحياة ، وبالتالي لم يُصلَب و لم يُقتَل ..

فظاهر هذه المسألة (الوضع على الصليب والاعتقاد بأنّه فارق الحياة من عليه) ، وهذا ما اعتقده النصارى الذين يذهبون على أنَّ المسيح عيسى ابنَ مريم صُلب ، هذا الظاهر يخالف باطنَها وحقيقتها ، والحقيقة أنَّه عليه السلام لم يمت على الصليب ونزل عنه حيّاً ، وبالتالي لم يُصلَب ..

إذاً .. ما يذهبون إليه من أنَّ المسيح قام من موته بعد ذلك ، هو في الحقيقة قيامه عليه السلام من حالة الغيبوبة التي كان عليها ، لأنَّه أصلاً – حينما قام – لم يكن قد مات ..

.. وتكملة الآية الكريمة ذاتها تؤكِّد هذه الحقيقة ..

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾

فقوله تعالى **﴿ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾** ، وقوله تعالى **﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ ﴾** يُبيّنُ لنا أنَّهم هم شكّوا في كونه مات على الصليب ، أم لم يمت .. وقوله تعالى **﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾** يبيّن عدم التيقّن من قتله .. وكلُّ ذلك يُؤكِّدُ صحَّةَ ما نذهب إليه من أنَّ المسيح عيسى ابـــنَ مريم عليه السلام وُضِعَ على الصليب ولكنّه أُنزل عنه حيّاً ، وبالتالي لم يُصلَب ..

وقوله تعالى في هذا النص **﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾** ، يبيّن لنا مسألةً أُخرى هي رفْعُ الله تعالى لعيسى عليه السلام ، وذلك كردٍّ على مكرهم ومحاولتهم صلبه وقتله ..

وتأتي الآية التالية مباشرةً لتبيِّن لنا مسألةً هامّةً جداً هي عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام ، وبدليلٍ جليٍّ واضحٍ وضوح الشمس وسط النهار ..

﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾

ومسألة عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام هي مسألة اُختلِف فيها ما بين مؤكِّدٍ لها ، وبين نافٍ لها على الإطلاق .. وما يزيد الخلاف والخلط في هذا الأمر هو الروايات والقيل والقال ممّا لم يُنزل الله تعالى به سلطاناً ..

وقد لامني بعض الإخوة في إقرار مسألة عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ظنّاً منهم أنّني أؤكِّد ذلك انتصاراً لروايات التاريخ .. والحقيقة أنَّ ما أذهب إليه في عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام ناتجٌ عن تدبّري لكتاب الله تعالى ، وعن امتلاكي للأدلّة والبراهين الدامغة من كتاب الله تعالى ، ولا علاقة لما أذهب إليه بما تحمله الروايات التاريخيّة .. أبداً .. فهناك من الخلط في هذه الروايات ما ينقضه كتاب الله تعالى ..

والأدلّة القرآنيّة على عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام في كتاب الله تعالى كثيرة .. ولكن .. كوننا ذاهبين في سياق تفسير النصِّ الكريم الذي بين أيدينا ، سنكتفي بعرض الدليل المحمول بهذه الآية الكريمة ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ ..

.. قبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة التي تحمل أكبر دليلٍ على عودة المسيح عيسى ابنِ مريَم عليه السلام ، لا بُدَّ من شرح مفهوم الوفاة والموت في كتاب الله تعالى ، وذلك كون هاتين المسألتين لهما تعلّقهما بوفاة المسيح عليه السلام ومن بعد ذلك بموتــه بعد عودته ..

.. مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى تدور دلالاتها داخل إطار التمام ، فَوَفَى الشيء تمَّ .. وكلُّ شيء بلَغ تمامَ الكمال فقد وَفَى وتمَّ .. وأوفى الشيء أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً .. ووفّى تعني أتمَّ على أكمل وجه .. وتَوَفَّى الشيء واسْتَوْفَاه إذا أَخذه واستردّه كلَّه .. هذا هو الإطار العام من المعنى والدلالات لمشتقّات هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ..

وهذا الإطار من المعنى والدلالات للجذر اللغوي (و ، ف ، ي) يقابله في كتاب الله تعالى – بالنسبة للإنسان ككائن يتميّز بكونه نفساً وجسداً – إطارٌ يحوي الدلالات الخاصّة بالإنسان للجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) .. فبعث الشيء أرسله .. وانبعث اندفع نتيجة إثارته من محلّه وإزالة ما كان يَحْبسه عن التَّصَرُّف ..

فما بين أخذ الشيء واسترداده من جهة على أكمل وجه وأتمّه حيث دلالات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ، وبين إرسال الشيء واندفاعه وإزالة ما كان يحبسه عن التصرُّف من جهةٍ أُخرى حيث دلالات الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) ، نرى تقابلاً كاملاً في المعنى والدلالات ..

.. هذا التقابل في إطاري المعنى والدلالات ينعكس تقابلاً في مجموع ورود مشتقّات هذين الجذرين المتعلّقة بالإنسان ، في كتاب الله تعالى ....

.. مشتقّات الجذر (ب ، ع ، ث) في كتاب الله تعالى ترد (٦٧) مرّة ... لكن في مرَّة واحدة منها تتعلّق بالغُراب وليس بالإنسان ..

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١]

وبالتالي تكون المشتقّات المتفرّعة من الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) والتي يتعلّق الإنسان بها قد وردت (**٦٦**) مرّة ، وهذا العدد هو ذاته عدد ورود المشتقّات المتفرّعة من الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ، فمشتقات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ترد أيضاً (**٦٦**) مرّة ..

.. ولو عدنا إلى مشتقّات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ونظرنا في المشتقّات التي تعني الوفاة التي تعني استيفاء النفس واسترجاعها واستردادها من الجسد ، وهي ذاتها المشتقّات التي تشترك مع الموت بخروج النفس من الجسد ، لرأيناها : (**٢٥**) مشتقّاً من هذا الجذر اللغوي ..

.. وهذه المشتقّات التي تعني استرداد النفس واستيفاءَها من الجسد ، والتي تتقاطع مع الموت بخروج النفس من الجسد ، والتي ترد في كتاب الله تعالى ، تنقسم إلى قسمين :

١ — قسم يعني خروج النفس من الجسد كبداية لخروج الحياة من الجسد ، بمعنى كبداية للموت ، وهذا القسم يرد (**٢١**) مرّة ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ .... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً .... ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

﴿ .... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

﴿ ..... فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ ..... ﴾ [النساء : ١٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ .... ﴾ [النساء : ٩٧]

﴿ .... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا .... ﴾ [الأنعام : ٦١]

﴿ .... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ .... ﴾ [الأعراف: ٣٧]

﴿ .... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ .... ﴾ [الأنفال : ٥٠]

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ .... ﴾ [يونس : ٤٦]

﴿ .... تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١]

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ .... ﴾ [الرعد : ٤٠]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ .... ﴾ [النحل : ٢٨]

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ .... ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ .... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ .... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ .... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ..... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ [السجدة : ١١]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

﴿ .... وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا .... ﴾ [غافر : ٦٧]

﴿ .... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ .... ﴾ [غافر : ٧٧]

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٧]

وهذا القسم الذي يرد (**٢١**) مرّة يشترك مع الموت في مساحة واسعة من الدلالات ، فهو يعني خروج النفس من الجسد ، خروجاً نهائيّاً .. ولكنَّ هذه المشتقّات جاءت من الجذر (و ، ف ، ي) لتلقي الضوء على مسألة الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من عالمها عالم الدنيا (في الجسد) إلى العالم الآخر ..

وتتجلّى عظمة الإعجاز القرآني أنَّ مجموع هذه المشتقّات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسد ، مع كلمة ﴿ **ٱلْمَوْتُ** ﴾ المعرَّفة بأل التعريف ، مع كلمة موت المعرَّفة تعريف إضافة : [﴿ **مَوْتِكُمْ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتِهِۦ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتِهَا** ﴾ ، ﴿ **ٱلْمَوْتَةَ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتَتَنَا** ﴾] ... أنَّ هذا المجموع هو الطرف الأوّل في معادلة طرفها الثاني هو مجموع ورود كلمة ﴿ **ٱلْحَيَوٰةُ** ﴾ المعرّفة بأل التعريف ، مع كلمة ، ﴿ **ٱلْحَيَوَانُ** ﴾ التي ترد مرّة واحدة ، مع مجموع ورود كلمة حياة المعرّفة تعريف إضافة [﴿ **حَيَاتِكُمُ** ﴾ ، ﴿ **حَيَاتُنَا** ﴾ ، ﴿ **لِحَيَاتِى** ﴾] ..

.. المشتقّات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسد ترد (**٢١**) مرّة كما رأينا ..

كلمة ﴿ **ٱلْمَوْتُ** ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (**٣٥**) مرّة ..

كلمة موت المعرّفة تعريف إضافة : [﴿ **مَوْتِكُمْ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتِهِۦ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتِهَا** ﴾ ، ﴿ **ٱلْمَوْتَةَ** ﴾ ، ﴿ **مَوْتَتَنَا** ﴾] ترد (**١٧**) مرّة ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الأوَّل من هذه المعادلة : **٢١ + ٣٥ + ١٧ = ٧٣**

وبالمقابل .. كلمة ﴿ ٱلۡحَيَوٰةُ ﴾ المعرّفة بأل التعريف ترد (**٦٧**) مرّة ..

كلمة ﴿ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾ ترد (**١**) مرّة واحدة ..

وكلمة حياة المعرّفة تعريف إضافة **[** ﴿ **حَيَاتِكُمُ** ﴾ ، ﴿ **حَيَاتُنَا** ﴾ ، ﴿ **لِحَيَاتِي** ﴾ **]** ترد (**٥**) مرّات ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الثاني من هذه المعادلة : **٦٧ + ١ + ٥** = **٧٣**

٢ – والقسم الثاني من مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) يعني خروج النفس من الجسد مع بقاء الحياة فيه ، وهذا يكون في منام النفس .. وهذا القسم يرد (**٤**) مرّات :

﴿ **إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** .... ﴾ [آل عمران : ٥٥]

﴿ .... **فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ** .... ﴾ [المائدة : ١١٧]

﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا** .... ﴾ [الأنعام : ٦٠]

﴿ .... **وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ** .... ﴾ [يونس : ١٠٤]

وهذا القسم لا يعني الموت (بمعنى فقدان الحياة) إطلاقاً ، فهو يعني حالة المنام حيث يتوفّى الله تعالى النفس فيها ، لتعود بعد ذلك إلى جسدها الحي ..

.. وما يقابل هذه الحالة في كتاب الله تعالى هو كلمة المنام وإضافاتها ، حيث يقول تعالى ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ** ﴾ [الزمر : ٤٢] ..

وتتجلّى عظمة الإعجاز الإلهي أنَّ عدد مرّات ورود مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى والتي تعني حالةً تكون في المنام ، وتعود النفس بعدها إلى جسدها الحي ، يساوي بالضبط عدد مرّات ورود كلمة المنام وإضافاتها : **[** ﴿ **ٱلۡمَنَامِ** ﴾ ، ﴿ **مَنَامِكَ** ﴾ ، ﴿ **مَنَامُكُم** ﴾ ، ﴿ **مَنَامِهَاۖ** ﴾ **]** حيث ترد أيضاً (**٤**) مرّات ..

﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً .... ﴾ [الأنفال : ٤٣]

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ .... ﴾ [الروم : ٢٣]

﴿ .... قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ .... ﴾ [الصافات : ١٠٢]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ..... ﴾ [الزمر : ٤٢]

.. أمّا الموت بالنسبة للإنسان .. فهو انقطاع صلته بالدنيا نفساً وجسداً .. بمعنى خروج النفس من الجسد (وفاة النفس) خروجاً نهائيّاً لا عودة بعده إلى جسدها في الدنيا ، وخروج الحياة من الجسد خروجاً نهائيّاً .. فالموت هو انقطاع الصلة الحيّة والتفاعل الحي مع الوسط المادّي المحيط ..

.. ولذلك فالموت يشمل الأرض والنبات والحيوان والإنسان وكلّ حيٍّ يتفاعل تفاعلاً حيّاً مع الوسط المحيط به ..

.. العبارة الأولى في الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] هي ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا ﴾ .. وهذه الصيغة لا تحمل أيَّ استثناء لأيٍّ من أهل الكتاب .. فأهل الكتاب كلُّ أهل الكتاب سيؤمنون بالمسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام قبل موته ..

.. فهذه الصيغة (**وإن من إلاَّ**) لا تحمل أيَّ استثناء ..

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الحجر : ٢١]

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٤٤]

﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الإسراء : ٥٨]

﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم : ٧١]

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٤]

.. إذاً .. أهل الكتاب كلُّ أهل الكتاب سوف يؤمنون بالمسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام قبل موته .. ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ..

ما نراه أيضاً في هذه الآية الكريمة هو ورود مصطلح ﴿ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ، وهذا المصطلح له حدوده التي تميّزه عن حدود دلالات ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ .. فمصطلح ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ يعني فيما يعني أصحاب الرسالات السماويّة الثلاث ، إلاَّ في حال ورود هذا المصطلح ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يُخصِّصه ..

.. إذاً .. ورود عبارة ﴿ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يُؤكِّدُ أنَّ المعنيّين هم أهل الكتاب ، وهم أصحاب الرسالتين السماويّتين السابقتين (الذين هادوا والنصارى) ولا علاقة للمسلمين متّبعي الرسالة الخاتمة بدلالات هذه الآية الكريمة ..

.. وورود كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بهذه الصيغة في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ، هو من جملة الإشارات التي تبيِّن أنَّ الحدث المعني بهذه الآية الكريمة سيقع بعد نزول النصِّ القرآني ، وليس قبله ، وليس أثناء نزوله .. بمعنى هو حدث مستقبلي بالنسبة لنزول النصِّ القرآني ..

وورود كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بهذه الصيغة ومسبوقة بالصيغة (**وإن مِن إلاَّ**) في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ، له دلالته التي تؤكِّد صحّةَ ما نذهب إليه .. فلو كان الأمر يحدث بشكلٍ مستمرٍّ قبل نزول النصِّ القرآني وبعده ،

على الأقل لما وردت كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بهذه الصيغة .... وهذا ما نراه بورود كلمة ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ بالصيغة التي ترد بها في قوله تعالى ..

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤]

وورود كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بصيغة المضارع ومسبوقةً بالصيغة (**وإن مِن إلاَّ**) في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ، له دلالته التي تؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه .. فصيغة المضارع تُبيِّن لنا تفاعلاً من أهل الكتاب يختارونه بإرادتهم في إيمانهم بعيسى عليه السلام قبل موته ، ولو وردت كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بصيغة أُخرى لما أدَّت هذا المعنى .. مثلاً .. في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، نرى كلمة ﴿ وَارِدُهَا ۚ ﴾ بصيغة اسم الفاعل .. فالورود إلى حالة الصراط حول جهنّم سيحصل ، ولكن ليس نتيجة اختيار وإنّما بشكل حتميٍّ بعيداً عن اختيار الإنسان وإرادته ..

ولو وردت كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بصيغة الماضي لما أدَّت هذا المعنى ، ولكان إيمانُهم بالمسيح عيسى ابنِ مريم حاصلاً قبل نزول النصِّ القرآني .. ومثيل ذلك في كتاب الله تعالى هو قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤]

لو كان الحدث المعني في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ واقعاً بشكلٍ مستمرٍّ لما جاءت كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بهذه الصيغة أبداً ، ولجاءت بصيغة أُخرى ، مثلاً : (**وإن من أهل الكتاب إلاّ هو مؤمنٌ به قبل موته**) ..

حاصل الأمر هو أنَّ ورود كلمة ﴿ لَيُؤْمِنَن ﴾ بهذه الصيغة في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ دليلٌ على أنَّ الحدث المعني في هذه الآية الكريمة هو حدثٌ مستقبليٌّ بالنسبة لنزول النصِّ القرآني ..

وورود العبارة القرآنيّة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ في قوله تعالى دليلٌ آخر على صحّة ما نذهب إليه .. فهذه العبارة القرآنيّة جاءت بصيغة الموت وليس بصيغة الوفاة .. وكنّا قد بيّنا كيف أنَّ عيسى الآن متوفّى وفاة منام وليس من الموتى ..

.. ولنقف عند النصِّ القرآني التالي الذي ترد فيه كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ في خطاب الله تعالى لعيسى عليه السلام ..

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ — ٥٥]

.. قول الله تعالى لعيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ ﴾ هو خطابٌ من الله تعالى لعيسى عليه السلام حينما مكر به الذين كفروا ، وبالتالي فما وعد الله تعالى به عيسى عليه السلام هو أربعة أمور ستحصل معه بعد هذا الخطاب له ، وستحصل معه بالترتيب الذي ترد به في كتاب الله تعالى .. وهذه الأمور هي :

١ — ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

٢ — ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ ..

٣ — ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ..

٤ – ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ..

.. الأمر الأوَّل كبشرى ممّا بشّره الله تعالى به ، وبهذه الصيغة ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، يعني خصوصيّة ستحصل مع عيسى عليه السلام ، ويعني حدثاً لم يحدث له من قبل .. وإضافة لما بيّناه أنَّ الوفاة المعنيّة هنا هي الوفاة التي تكون في المنام ، وليست الوفاة المتعلّقة بالموت نقول : الوفاة هنا ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ لها خصوصيّتها كوفاة مميّزة متعلّقة بعيسى عليه السلام دون غيره ..

.. إنَّ الصياغة القرآنيّة للموت المستقبلي بالنسبة للمخاطَب ، جاءت في كتاب الله تعالى بصيغ لا توجد فيها صيغة مشابهة لصيغة كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ .. فالموت المستقبلي – بالنسبة للمخاطَب – دون الصيغة الفعليّة ، نراه في قوله تعالى ..

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٥ – ١٦]

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ – ٣١]

.. ولو نظرنا في صيغ الفعل المضارع للمشتقّات المتفرّعة من الجذر (م ، و ، ت) ، والتي تحمل دلالة الموت المستقبلي في الحياة الدنيا ، لرأيناها بصياغات مختلفة ، لا توجد فيها صيغة واحدة تؤدّي معنى صيغة (مميت) ، فالموت حاصل لكلِّ نفس كنتيجة لا مفرَّ منها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] .. والموت الحاصل كنتيجة لا مفرَّ منها له أجله الذي لا يُقدَّم ولا يُؤخَّر ..

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١]

.. وحتى في مشتقّات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ، فإنَّ الصيغة التي ترد فيها كلمة : ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ هي الوحيدة فقط في هذه المشتقّات ..

.. ما نودُّ قوله هو مسألتان :

١ – كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ التي خاطب الله تعالى بها عيسى عليه السلام ، من المستحيل أن تعني الوفاة المتعلّقة بالموت ، كبيانٍ إضافي لما بيّناه سابقاً ، وهي تعني الوفاة التي تكون للنفس في منامها ..

.. ففي قول عيسى عليه السلام عن نفسه ..

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣]

.. نرى أنَّه يصف موته بالصيغة الفعليّة ﴿ أَمُوتُ ﴾ ، ونرى في هذه الصيغة فعل الموت الطبيعي الذي يجيء إلى الإنسان ، ولا نرى أيَّ إشارة لأيِّ استثناء ، فهو الموت الذي لا يُقدَّم ولا يُؤخَّر ..... وهذه الصيغة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ تحمل ذات الحيثيّات المحمولة بدلالات قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ..

.. بينما العبارة ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ نراها بهذه الصياغة تحمل دلالات وفاة فاعلها الله تعالى ، كردٍّ من الله تعالى على مكرهم ، وكنتيجة لمكر الله تعالى ردّاً على مكرهم ..

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ – ٥٥]

.. فالموت الطبيعي الذي نقرؤه من دلالات كلمة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ في قول عيسى عن نفسه : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم : ٣٣] ، يتنافى مع تحميل دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ دلالات الوفاة المتعلّقة بالموت ، كون هذه الوفاة هي بشرى وعطاء لعيسى عليه السلام مع مجموعة أمور بشّره الله تعالى بها ، وكون هذه الوفاة ردّاً على مكرهم وإنقاذاً له من ذلك ..

٢ – هذه الوفاة المحمولة بكلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ والتي تعني الوفاة التي تكون للنفس في منامها ، لها خصوصيّة خاصّة بعيسى عليه السلام تميّزها عن وفاة النفس في منامها ..

.. فالوفاة التي تكون للنفس يوميّاً في منامها تخرج بها النفس من جسدها ثمّ تعود إليه ، والتي اعتدنا عليها في حياتنا الدنيا ، هذه الوفاة تكون عادة لساعات .. بينما الوفاة التي أخبر الله تعالى بها عيسى كردٍّ على مكر الذين كفروا به والتي تعني وفاة النفس في منامها ، وكبشرى بشّره الله تعالى بها ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ﴾ ، وكبشرى متبوعة ببشرى أُخرى هي رفع الله تعالى له كحدث تالي لهذه الوفاة ... هي – بهذه الصيغة الوحيدة في كتاب الله تعالى – وفاةٌ مستمرّة ، لن تعود فيها نفسه إلى جسده الحي آلاف السنين .. وهنا مكمن الخصوصيّة المحمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

.. لذلك فقول عيسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ في حواره مع الله تعالى في الآخرة ..

﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾
[المائدة : ١١٧]

.. هذا القول : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ ، يعني به الوفاة المحمولة بالعبارة القرآنيّة : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، والتي استمرّت من بداية تنفيذ الوعد الإلهي له ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ حتى عودته في آخر الزمان والتي سيموت بها ، تلك العودة التي من خلالها يعرف أهل الكتاب حقيقته ويؤمنون به إيماناً سليماً ..

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩]

.. إذاً .. ورود العبارة القرآنيّة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ بصيغة الموت وليس بصيغة الوفاة ، له دلالته على أنَّه حدثٌ مستقبليٌّ بالنسبة لنزول النصِّ القرآني ..

.. جذر المشكلة عند الإخوة الذين أنكروا عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام يكمن في أنَّهم يعتقدون بعودة الضمير في كلمة ﴿ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ إلى الفرد من أهل الكتاب حين موته ، وليس إلى عيسى عليه السلام ..

في الآية الكريمة التي نحن بصدد دراستها ، كلُّ الضمائر تعود إلى المسيح عيسى ابنِ مريم ، فمن الواضح في العبارة ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ أنَّ الضمير الهاء في كلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ يعود إلى عيسى ، ولا خلاف في ذلك ، ومن الطبيعي أن يعود الضمير الهاء في العبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ إلى عيسى أيضاً ، ولا خلاف أنَّ عيسى عليه السلام هو المعني بالعبارة ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .. هذا ما يقتضيه المنطق اللغوي ..

الذين أنكروا عودة المسيح عيسى ابنِ مريم اضطروا لتمرير مرادهم في ذلك إلى إعادة الضمير الهاء في العبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ إلى الذي يموت من أهل الكتاب وليس إلى عيسى عليه السلام .. وهذا خروجٌ فاضحٌ على دلالات الصياغة اللغويّة لهذه الآية الكريمة

.. فكيف يأتون إلى ثلاثة ضمائر متتالية في نسقٍ واحدٍ في آية واحدة تعود إلى أمرٍ واحد ، ثمَّ ينزعون — دون أيِّ دليل — الضمير المتوسّط فيها ليعيدوه إلى متعلّق آخر ؟!!! ..

وفي العبارة القرآنيّة ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ ما يُفسِد عليهم ما يذهبون إليه .. فلو فرضنا جدلاً أنَّ الضمير الهاء في العبارة ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ يعود إلى من يموت من أهل الكتاب حين موته ، لجاءت هذه العبارة (**حين موته**) .. فالعبارة ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ والتي تعود إلى عيسى عليه السلام تعني مرحلةً محدّدة تستمرُّ فترةً تمتدّ من عودة عيسى عليه السلام حتى موته ..

.. وفي كلمة ﴿ **قَبْلَ** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ ، بهذه الصيغة بالذات دون أيِّ صيغةٍ أُخرى ، دلالةٌ أُخرى تبيّن أنَّ الضمير الهاء لا يمكن عودته إلى من يموت من أهل الكتاب حين موته حين انقطاع صلته بالدنيا وعدم قدرته على النطق .. فمن جهة معظم أهل الكتاب يعتقدون بما يعتقدون به حتى موتهم ، وتصوُّر منكري عودة المسيح عيسى ابنِ مريم بعودة الضمير إلى من يموت من أهل الكتاب ، يقتضي إيماناً حين الموت ، أو على الأقل من قبل الموت مباشرة حيث تنقطع صلة من يموت بالدنيا ولا يقدر على النطق ، وكلُّ ذلك لا تحمله كلمة ﴿ **قَبْلَ** ﴾ ..... فكلمة قبل تمتدُّ لمسافة كبيرة لا يمكن حصرها بمرحلة ما قبل الموت مباشرة .. ومن الأدلّة على ذلك هو كلمة ﴿ **قَبْلُ** ﴾ في الآية الكريمة التالية ..

﴿ **۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ** ﴾ [يونس : ٩٠ — ٩١]

.. معصيّة فرعون ليست قبيل غرقه ، وليست حين غرقه .. معصية فرعون امتدّت سنين كثيرة قبل غرقه ، ولذلك يقول الله تعالى له : **﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾** ، والقول بأنَّ كلمة **﴿ قَبْلُ ﴾** في هذه العبارة القرآنيّة **﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾** تعني قبيل موته أو حين موته ، هو جهلٌ كبيرٌ ، وخروجٌ فاضحٌ على دلالات النصِّ القرآني ، وعلى ما يحمله كتاب الله تعالى من دلالات لقصّة فرعون ..

.. إذاً .. القول بأنَّ الضمير الهاء في العبارة القرآنيّة **﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾** ، يعود إلى من يموت من أهل الكتاب ، بأنَّه لا بدَّ وأن يؤمن بعيسى عليه السلام حين موته وانقطاع صلته بالدنيا ، حيث الخطاب – كما نرى – لا يستثني أحداً من أهل الكتاب **﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾** ، وفي الوقت الذي نعلم فيه أنَّ معظم أهل الكتاب يموتون على ما هم عليه ، وفي الوقت الذي بيّنا فيه أنَّ كلمة **﴿ قَبْلَ ﴾** لا يمكن حصرها بمرحلة ضيّقة حين الموت حيث تنقطع فيها صلة الإنسان بالدنيا .. كلُّ ذلك أدلّةٌ إضافيّةٌ تؤكِّد أنَّ الضمير الهاء في العبارة **﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾** لا يمكن عودته إلاَّ إلى عيسى عليه السلام ..

.. وفي العبارة الأخيرة من هذه الآية الكريمة **﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾** لأكبر دليل على عودة المسيح عليه السلام .. كيف ؟ ..

المسيح عليه السلام في حواره في الآخرة مع الله تعالى يبيّن حقيقة وناموساً يحكمه ، هو أنَّه لا يكون شهيداً على البشر إلاَّ حينما يكون فيهم جسداً ونفساً ..

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧]

.. إنَّ قول عيسى عليه السلام ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ ﴾ واضحٌ وبيّنٌ في أنَّه لا يكون شهيداً إلاَّ على ما يكون فيه حيّاً يشاهده بعينيه ويسمعه بأذنيه ، وبالتالي لا يكون شهيداً على ما هو غائب عنه .. ولو فرضنا جدلاً صحّة قول منكري عودة المسيح والذي يعيدون الضمير الهاء في العبارة ﴿ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ على الفرد الذي يموت من أهل الكتاب حين موته ، لو فرضنا ذلك جدلاً .. فكيف سيشهد عيسى عليه السلام عام (٢٠١٢) ميلادي على من يموت من أهل الكتاب ، لينطق بهذه الشهادة عليه يوم القيامة ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

هم يقولون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة بأنَّ أيَّ واحد من أهل الكتاب حين موته سيؤمن بعيسى عليه السلام ، ونحن نقول لهم : لو فرضنا ذلك جدلاً ، فكيف سيكون عيسى عليه السلام شهيداً على هذا المعني من أهل الكتاب في الوقت الذي يبيّن لنا عيسى لنا في كتاب الله تعالى أنَّه لا يكون شهيداً إلاّ على ما يشهده وهو حي في الحياة الدنيا ..

هذه الحقيقة القرآنيّة إضافة لغيرها الكثير تُؤكِّد عودة المسيح عيسى ابنِ مريم عليه السلام ، ليحيى ويعيش فترة من الزمن يؤمن فيه كلُّ أهل الكتاب بحقيقته ، وينتهي فيها قولهم عنه بأنّه ابنُ الله أو هو الله سبحانه وتعالى ، وتنتهي هذه الفترة بموته ..

.. من هنا نرى أنَّ قولهم عن عيسى عليه السلام بأنَّه إلهٌ او ابنُ الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، هو قول يمتدُّ من وفاته ورفعه إلى عودته ، أيّ يمتدُّ طيل فترة وفاته .. ومن هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة في ورود صيغة الوفاة ﴿ تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾

ففي هذه الفترة الممتدّة من وفاته ورفعه منذ حوالي ألفي سنة إلى عودته تمَّ التلفيق عليه ، كما تمَّ التلفيق في الرسالة الخاتمة من روايات وتفسيرات ما أنزل الله تعالى بها من

سلطان ، ولذلك ففي عودته ستتبيّن الحقيقة ، وسيحكم بالقرآن الكريم .. وبذلك يلتقي الروح الذي وضعه الله تعالى في كتابه (القرآن الكريم) ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ [الشورى : ٥٢] ، مع الروح الذي ملأ به الله تعالى نفس عيسى عليه السلام ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ [النساء : ١٧١] ..

رسم الحرف
في كتاب الله تعالى

المهندس
عدنان
الرفــــاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. رسم الحرف في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هو رسمٌ توقيفيٌّ بأمرٍ من الله تعالى ، والأدلّة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى ، وقد بيّنت ذلك في كتبي وفي برامجي التلفزيونيّة بشكلٍ جلي ، وبيّنت كيف أنَّ مفهوم الأميّة (كما هو في كتاب الله تعالى) لا يتعارض أبداً مع كون النبيّ ﷺ أمر برسم القرآن الكريم بصورة موافقة تماماً للصورة التي نزل بها الروح الأمين عليه السلام من اللوح المحفوظ ..

وبيّنت كيف أنّ رسم الكلمة ذاتها يختلف أحياناً من مكان لآخر ، وبيّنت كيف أنَّ ذلك هو لحكمة إلهيّة مُرادة ، وأنَّ هذا الاختلاف في رسمها لا بدّ منه ليس فقط لإظهار الفارق في الدلالات بين الرسمين ، وإنّما أيضاً هو ضرورة لا بدّ منها في معايير المعجزة العدديّة المتعلّقة بالحروف وقيمها العدديّة كما بيّنا .. والبراهين النظريّة التي قدّمتها ، مع آلاف الأمثلة التي عرضتها في كتبي حول الأبعاد الإعجازيّة في كتاب الله تعالى ، إضافة لعشرات الآلاف التي بين يدي ، كلُّ ذلك يؤكّد هذه الحقيقة بشكلٍ جلي ، ومن يرغب برؤية هذه البراهين والأدلة بإمكانه أن يعود إلى كتاب : النظريّة الأولى (المعجزة) ،

وكتاب : النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، وكتاب : النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) ، وكتاب : المعجزة الكبرى ..

.. وبعد عرض الجزء الثاني من برنامج (المعجزة الكبرى) وانتشار الأمر بشكلٍ كبير أمام أعين المشاهدين ، ظهرت بعض الاستفسارات من بعض الإخوة المشاهدين ، وخصوصاً من الإخوة المهتمّين بهذا الأمر ..

.. وهذه الاستفسارات توزَّعت بين أمورٍ مختلفة .. فهناك من صُدم نتيجة اختلاف ما رآه في البرنامج مع ما كان يعتمده في بحثه العددي في كتاب الله تعالى .. وهناك من صُدم نتيجة اختلاف ما رآه في البرنامج مع ما يعرفه نتيجة ما قرأه في الموروث .. وهناك من هو باحث صادق عن الحقيقة ويريد الاستزادة ويريد معرفة دقائق هذه المسألة .. وهناك من يحارب أيَّ فكرٍ جديد مهما حمل من أدلّة وبراهين ، فقط لأنّه جديد .. وهناك من لا تسرّه رؤية عظمة الإعجاز العددي في كتاب الله تعالى .. وهناك وهناك وهناك ....

وأنا في هذا التوضيح أخاطب الباحثين عن الحقيقة الذين يعنيهم الحق : ﴿ **وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ** ﴾ [التغابن : ١١] ، ولا يعنينا من قريب أو بعيد من لا يريد الحقيقة ويجادل من أجل الجدل : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ** ﴾ [غافر : ٢٨] ، ﴿ **كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ** ﴾ [غافر : ٣٤] .. لذلك سأجيب على استفسارات الإخوة الباحثين عن الحقيقة ، حول رسم الحرف في كتاب الله تعالى ، تبياناً لهذه المسألة ..

.. لقد بيّنت ولأكثر من مرّة ، سواء في كتبي أم في برامجي ، أنَّ رسم المصحف الأوَّل بين يدي النبي ﷺ هو رسمٌ توقيفيٌّ بأمرٍ من الله تعالى ، عبر الروح الأمين عليه السلام .. فقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ** ﴾ [القيامة : ١٧] ، حيث كلمة ﴿ **جَمۡعَهُۥ** ﴾

تبيّن جمع رسم الحروف ، نرى أنَّ الضمير في كلمة ﴿ عَلَيۡنَآ ﴾ يعود إلى الله تعالى ، وليس إلى عثمان بن عفان ولا إلى النبي ﷺ ..

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ۖ ﴾ [طه : ١١٤] ، يؤكّد هذه الحقيقة ، فالرسول ﷺ كان – أحياناً – يقرأ النص قبل أن يقرأه له جبريل ، كونه كان يرى رسم النصّ القرآني النازل مع جبريل عليه السلام ، ولذلك يأمره الله تعالى بأن ينتظر حتى يقرأه له جبريل .. وقد بيّنت ذلك أكثر من مرّة ..

.. لذلك نقول : نعم .. رسم القرآن الكريم توقيفي بأمر من الله تعالى ، وكان النبي ﷺ يأمر كتبة الوحي بكتابته كما رآه رسماً .. وقد بيّنا الكثير من الأمثلة في اختلاف رسم الكلمة ذاتها من مكان لآخر ، ورأينا كيف أنّ هذا الاختلاف هو لحكمة كبيرة ، وهذا ما كان ليكون لو لم يكن هذا الرسم توقيفيّاً من عند الله تعالى ..

بعض الإخوة استفسر عن الهمزة التي حسبناها حرفاً في كتاب الله تعالى ، وحسب رسائلهم ، يعتقدون أنّها أُضيفت لاحقاً ، ويستفسرون عن ذلك ؟ ..

.. إنَّ الهمزة التي اعتبرناها حرفاً في كتاب الله تعالى ، وكلّ حرفٍ في كتاب الله تعالى ، له هويّته الخاصّة به ، وهذه الهويّة لا تُستَمَدُّ ممّا تمّ إضافته لاحقاً ، بل هي هويّة موجودة أصلاً في كتاب الله تعالى ، وما تمّت إضافته لاحقاً هو فقط لمساعدة القارئ في قراءته ، ويدخل في ذلك التنقيط والحركات والشدّة والألف الخنجريّة وبعض الحروف التي وُضعت لمساعدة القارئ في قراءته ، ولو كان الأمر متوقّفاً فقط على شكل الحرف في المصحف الأوَّل من منظارنا نحن ، لحدث خلط في ماهيّة الحروف ، مثلاً بين حرف الباء والنون والتاء والثاء كونها تأخذ ذات الشكل ، ولحصل خلط بين حرفي العين والغين ، ولحصل خلط بين حرفي الذال والدال ، ولحصل خلط بين حرفي الزاي والراء ، ولحدث خلط بين الجيم والخاء والحاء ، ولحصل خلط بين السين والشين ، ولحصل خلط بين الطاء والظاء ،

ولحصل خلط بين الفاء والقاف ، ولحصل خلط بين الصاد والضاد ، ولحصل خلط بين الألف المقصورة والياء في نهاية الكلمات ..

.. إنَّ ما تمّ وضعه من إضافات لاحقة لم تُعْط هويّة جديدة للحروف ، إنّما وُضعت لمساعدة القارئ في قراءة حروف لها هويّتها الموجودة أصلاً في كتاب الله تعالى ، وهذه الهويّة ليست مستمدّة من مجرّد شكل الحرف في المصحف الأوّل .. والجيل الأوَّل كان يعلم هذه الهويّة دون الإضافات اللاحقة ، التي وُضعت فقط لمساعدة القارئ اللاحق (زمناً) في قراءته ..

وأنا قلت لأكثر من مرّة ، وأقول ، الشكل الأوَّل للكلمات القرآنيّة ليس المعيار الوحيد الذي اعتمدت عليه .. أبداً .. وبيّنت ذلك بما فيه الكفاية .. فالقرآن الذي بين أيدينا الآن بهمزاته وحركاته وتنقيطه وألفاته الخنجريّة وغير ذلك من إضافات وُضعت (على الشكل فقط) لتسهيل القراءة ، هي محتواة أصلاً ضمن المعايير الأولى ، تلك المعايير الثابتة قبل هذه الإضافات ، ونحن عدنا إلى المصحف الأوَّل كمعيار ، شكل الكلمة فيه هو معيار من مجموعة معايير ، ولذلك .. اعتبار الحرف المرسوم حرفاً للهمزة وغيرها ، تمّ بناءً على هذه المعايير مجتمعة ، وليس فقط بناء على معيار شكل الكلمة ، وإلاّ لاعتبرنا الباء والنون والتاء والثاء حرفاً واحداً ، ولاعتبرنا الجيم والحاء والخاء حرفاً واحداً وَ........ وكلٌّ ذلك تمّ عن علم تام بشكل المصحف الأوَّل ..

وأعرض نصّاً من النظريّة الأولى : المعجزة ، من الفصل السادس (الحرف المرسوم في كتاب الله تعالى) ، لنرى كيف تمّ تبيان آليّة الخرف المرسوم حرفاً في مسألة الهمزة بما لا يدع مجالاً للشك :

[[.. وقد هداني اللهُ تعالى إلى اعتبارِ مِعيارٍ قُرآنيٍّ في هذهِ المسألة ... هذا المعيارُ هو : إذا أُضيفَ حَرفٌ قبلَ الهمزةِ التي في بِدايةِ الكلمة ، أو بعدَ الهمزةِ التي في نِهايةِ الكلمـــة ،

وحافظتْ هذه الهمزةُ على مكانِها ، فهي حرفٌ ، وإلاّ فهي حركةٌ كباقي الحركـــات ، وبالتالي ليستْ حرفاً ..

.. الهمزةُ التي في بِدايةِ الكلماتِ مِثل : ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، ليستْ حرفاً ، لأنّهُ عند إضافةِ حرفٍ إلى بدايةِ هذه الكلمات ، تذهبُ الهمزةُ من مكانِها .. والحرفُ الأوّلُ في بدايةِ هذه الكلمات هو حرفُ الألِفِ ... فكلمةُ ﴿ يَـٰٓـَٔادَم ﴾ ، حيثُ يُضافُ حرفُ الياءِ إلى بدايةِ كلمةِ ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، وكلمةُ ﴿ لِأَدَم ﴾ ، حيثُ يُضافُ حرفُ اللام إلى بدايةِ كلمة ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، تُرسَمَا في القرآنِ الكريم دونَ أيِّ اعتبارٍ لهذهِ الهمزة .. يقولُ تعالى :

﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٣ – ٣٤] ..

.. فهاتان الكلمتان : ﴿ يَـٰٓـَٔادَم ﴾ ، ﴿ لِأَدَم ﴾ ، كلٌّ مِنهما أربعةُ حُروف ، هي : الحرفُ المضافُ (الياء ، اللام) ، مَعَ حروفِ كلمةِ ﴿ ءَادَمَ ﴾ الثلاثة ..

.. وهذا يُسْحَبُ على الحالاتِ المُشابِهةِ مِثلَ كلمةِ ﴿ قُرۡءَانٌ ﴾ ، فهذه الكلمة مُكوَّنةٌ من : قاف ، وراء ، وألِف ، ونون ، أي من أربعةِ حُروف ..

.. وهنا علينا أنْ نميّزَ حرفَ العطف ﴿ و ﴾ عن باقي الحروف ، وذلك حين التصاقه ببداية الكلمة .. فحرف العطف هذا ، لا يُغيّرُ من رسمِ الكلمة حين التصاقه بها ... مثلاً .. كلمة ﴿ ءَامَنَ ﴾ مكوّنة من ثلاثة حروف هي : الألف ، والميم ، والنون ... والهمزة

المرسومة في بدايتها ليست حرفاً مرسوماً في معيار حساب الحروف المرسومة ، شأنها بذلك شأن الهمزة في بداية كلمة ﴿ ءَادَمَ ﴾ ..... عند التصاق حرف العطف بهذه الكلمة لا يتغيّرُ رسمها .. فكلمة : ﴿ وَءَامَنَ ﴾ ، مُكوَّنة من حروف كلمة ﴿ ءَامَنَ ﴾ الثلاثة ، معَ حرف العطف هذا ، وبالتالي حروفها هي : الواو ، والألف ، والميم ، والنون ... وكذلك الأمر في كلمة : ﴿ ءَاخَرَ ﴾ ، فهي مكوّنة من ثلاثة حروف هي : الألف ، والخاء ، والراء .. وعند التصاق حرف العطف في بدايتها ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ يُضاف إليها كحرف دون تغيير في تعداد هذه الحروف .. فكلمة ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ مُكوّنة من الحروف : الواو ، والألف ، والخاء ، والراء ..

.. والهمزةُ في نهايةِ الكلماتِ مِثلَ : ﴿ شَيْءٍ ﴾ ، ﴿ بَرِىٓءٌ ﴾ ، ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ ، ﴿ دِفْءٌ ﴾ ، ليستْ حرفاً .. فعندَ إضافةِ حَرفٍ إلى نهايةِ هذه الكلمات ، لا تُحافِظُ هذه الهمزةُ على مكانِها ... مَثلاً : كلمة ﴿ شَيْـًٔا ﴾ تُرسَمُ في القرآنِ الكريمِ ثلاثةَ حُروفٍ فقط ، هما حرفا كلمةِ شيء : الشين ، والياء ، والحرفُ المضاف ، وهو حرفُ الألِف .. هكذا تُرسَمُ في كِتابِ اللهِ تعالى ، فلو كانتْ حَرفاً لَوُضِعَ لها كُرسيٌّ خاصٌّ بِها ، كما هو الحال في كتابتِنا الإملائيّة ..

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

.. وكذلك كلمةُ ﴿ بَرِيٓـًٔا ﴾ تُرسَمُ أربعةَ حروف ، هي حروف كلمـــة ﴿ بَرِىٓءٌ ﴾ الثلاثةَ : باء ، راء ، ياء ، معَ حرفِ الألف المُضاف ..

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء : ١١٢]

.. وفي رسمِ كلمةِ ﴿ بَرِيٓـُٔون ﴾ في الآيةِ التاليةِ ، دليلٌ آخر على ذلك :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [يونس : ٤١]

.. فالهمزة في كلمة ﴿ بَرِيٓـُٔون ﴾ لا تُعَدُّ حرفاً ، لأنَّه لم يُرسَم لها كُرسيٌّ خاصٌّ بها ، وحروف كلمة ﴿ بَرِيٓـُٔون ﴾ هي : باء ، راء ، ياء ، واو ، نون ..

.. بينما الهمزةُ في نِهايةِ الكلمات مِثلَ : ﴿ مَآءً ﴾ ، ﴿ دُعَآءً ﴾ ، ﴿ نِسَآءِ ﴾ ..... تُعَدُّ حَرفاً ، لأنّها تُحافِظُ على مكانِها حين إضافةِ حرفٍ بعدَهَا ، فتبقى على حالِهَا ، أو تُحافِظُ على مكانِهَا بانقلابِهَا حرفاً آخر .. فكلمةُ ﴿ مَآءَهَا ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ [النازعـــات : ٣١] ، نرى فيها مُحافظةَ هذه الهمزةِ على مكانِها بعد إضافةِ حَرفي الهاءِ والألِف إلى نهايةِ الكلمة .. وكلمةُ ﴿ مَآؤُكُمۡ ﴾ في قولِهِ تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴾ [الملك : ٣٠] ، نرى فيها مُحافظةَ الهمزةِ على مكانِها بانقلابِها واواً مهموزةً بعدَ إضافةِ حرفي الكافِ والميمِ إلى نهايةِ الكلمة .....

.. وكلمةُ ﴿ بِدُعَآئِكَ ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾ [مريم : ٤] ، نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها بانقلابِها نَبرَةً بعدَ إضافةِ حرفِ الكافِ إلى نِهايةِ الكلمة .. وكلمةُ ﴿ دُعَآءِى

﴾ في قولِهِ تعالى ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [نوح : ٦] ، نرى فيها مُحافظةَ الهمزةِ على مكانِها بعدَ إضافةِ حرفِ الياءِ إلى نهاية الكلمة ..

.. وكلمةُ ﴿ نِسَآؤُكُم ﴾ في قولِهِ تعالى .. ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها ، بانقلابِها واواً مهموزةً بعد إضافةِ حرفي الكافِ والميمِ إلى نهايةِ الكلمة ... وكلمةُ ﴿ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾ في قولِه تعالى ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة : ٤٩] ، نرى فيها محافظةَ الهمزةِ على مكانِها ، بعد إضافةِ حرفي الكاف والميم إلى نهايةِ الكلمة ..

.. وهكذا نرى أنَّ معيارَ اعتبارِ الحرفِ المرسومِ حرفاً هو معيارٌ قُرآنيٌّ مُجرَّدٌ عن الأهواء وعن القواعد الوضعيّة التي وضعها البشر ..]] .. انتهى الاقتباس ..

.. وهنا أسأل الإخوة الذين استفسروا عن موضوع الهمزة فأقول لهم :

هل كلمة ﴿ ءَأَنتَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٢] ، هل هذه الكلمة تتطابق في القيمة الدلاليّة مع كلمة ﴿ أَنتَ ﴾ ؟!!! ، وبالتالي هل عدد الحروف هو ذاته بين هاتين الحالتين ؟!!! .. وهل كلمة ﴿ ءَأَنتَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [المائدة : ١٦] ، هل هذه الكلمة تتطابق في القيمة الدلاليّة مع كلمة : ﴿ أَنتَ ﴾ ؟!!! ، وبالتالي هل عدد الحروف هو ذاته بين هاتين الحالتين ؟!!! .. وهل كلمة ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾

[يونس : ٩١] ، هل تتطابق في القيمة الدلاليّة مع كلمة ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ ؟ ، وبالتالي هل عدد الحروف هو ذاته بين هاتين الحالتين ؟!!! .. وهل كلمة ﴿ أَءِلَـٰهٌ ﴾ في قوله تعالى ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦١] ، تتطابق في القيمة الدلاليّة مع كلمة ﴿ إِلَـٰهَ ﴾ ، وبالتالي هل عدد الحروف هو ذاته بين هاتين الحالتين ؟!!! .. وهل كلمة ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ في قوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك : ١٦] ، هل تتطابق في القيمة الدلاليّة مع كلمة ﴿ أَمِنتُمۡ ﴾ ، وبالتالي هل عدد الحروف هو ذاته بين هاتين الحالتين ؟!!! .. وهل وهل وهل .... كيف لا تدخل هذه الهمزة في القيمة الدلاليّة لهذه الكلمات ؟!!! .. وكيف لا يتمّ التمييز بين كلمة ﴿ ءَأَنتَ ﴾ وكلمة ﴿ أَنتَ ﴾ ، وكيف لا يتمّ التمييز بين كلمة ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ وكلمة ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ ؟ ، وكيف لا يتمّ التمييز بين كلمة ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ وكلمة ﴿ أَمِنتُمۡ ﴾ .. وكيف وكيف وكيف ....

.. وإضافة للأدلّة الدامغة والمستمدّة من كتاب الله تعالى والتي قدّمناها في عدم اعتبار الهمزة حرفاً في الكلمات : ﴿ ءَادَمَ ﴾ ، ﴿ ءَاخَرَۚ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ﴾ ، وفي اعتبارها حرفاً في الكلمات : ﴿ مَآءً ﴾ ، ﴿ دُعَآءً ﴾ ، ﴿ نِسَآءِ ﴾ ..... إضافة لكلِّ الأدلّة التي قدّمناها ... هل القيمة الدلاليّة لها ما بين هاتين الحالتين ، والانتماء إلى الجذر اللغوي للكلمة التي تنتمي إليها ، وحركتها في أمكنة أُخرى حين إضافة حروف لهذه الكلمات ، وحتى في اللفظ .. هل هي ذاتها بين هاتين الحالتين ؟ .. بالتأكيد ودون أدنى شك ، الإجابة هي : لا ... فهل يُوجَد أساس منطقي محمول بكتاب الله تعالى لاعتبارها حالة واحدة ؟!!! ..

بالتأكيد ودون أدنى شك ، الإجابة هي : لا .. ونحن بيّنا معيارنا في هذه المسألة بشكل بيّن ، يعطي اليقين لمن يريد معرفة الحقيقة ..

.. لقد قلت ولأكثر من مرّة ، هناك عدّة معايير منها شكل الكلمة ، و لم أقل إنّ شكل الكلمة هو المعيار الأوّل والأخير ، وإلاّ لما كنّا سنميّز بين الكثير من الحروف كما بيّنا ..

وكنت قد بيّنت أنَّ سورة نوح هي المعيار القرآني للآليّة السليمة في حساب الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ، ورأينا كيف أنَّها تتكوّن من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً دون زيادة أو نقصان ، وذلك بما يوافق المدّة التي بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم عن مدّة لبث نوح عليه السلام :

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]

.. هذه المدّة وهي (٩٥٠) وحدة زمنيّة ، رأينا كيف أنّ كلَّ وحدة زمنيّة منها يقابلها حرف مرسوم من حروف سورة نوح والمكوَّنة من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً :

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ = ٥١ حرفاً

قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ = ٢١ حرفاً

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ = ٢٥ حرفاً

يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ = ٦٥ حرفاً

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا = ٢٦ حرفاً

فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا = ٢١ حرفاً

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا = ٧٨ حرفاً

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا = ١٦ حرفاً

ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا = ٢٨ حرفاً

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا = ٢٧ حرفاً

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا = ٢١ حرفاً

وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا = ٤١ حرفاً

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا = ٢٠ حرفاً

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا = ١٤ حرفاً

أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا = ٢٩ حرفاً

وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا = ٣١ حرفاً

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا = ٢٣ حرفاً

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا = ٢٥ حرفاً

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا = ٢١ حرفاً

لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا = ٢٠ حرفاً

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا = ٤٩ حرفاً

وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا = ١٥ حرفاً

وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا = ٥٣ حرفاً

وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا = ٣٣ حرفاً

مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا = ٥٢ حرفاً

وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا = ٣٦ حرفاً

إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا = ٤١ حرفاً

رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا = ٦٨ حرفاً ﴾

.. فالمجموع إذاً هو (**٩٥٠**) **حرفاً مرسوماً** ، كلُّ حرفٍ يقابلُ وِحدةً زمنيّةً من مُدّةِ لَبْثِهِ عليه السلام ..

.. في هذه السورة الكريمة التي تعدُّ معياراً لحساب الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى .. لو لم تُحسب الهمزة في كلمتي : [﴿ جَآءَ ﴾ ، ﴿ دُعَآءِيٓ ﴾] ، ولو حُسبت الهمزة في الكلمات : [﴿ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ ، ﴿ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ ، ﴿ خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ ﴾] ، لو تمَّ ذلك ، هل كان من الممكن أن تكون سورة نوح مكوَّنة من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً ؟ ..

.. والذين أرادوا منّا حساب الهمزة في كلمتي : [﴿ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ ، ﴿ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾] ، فالردُّ عليهم موجود في النصِّ المقتبس الذي عرضناه في سطور سابقة في هذا المقال .. أمّا بالنسبة لطلبهم حساب الهمزة في كلمة ﴿ خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ ﴾ ، فنسألهم : أين الكرسي المرسوم لهذه الهمزة التي هي في وسط هذه الكلمة ؟ ، وهل نظرتم إلى الهمزة في كلمة ﴿ سَيِّئَة ﴾

كيف وُضع لها كرسي ، ممّا جعلنا نعتبرها حرفاً ، وإلى الهمزة في كلمة ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ كيف أنَّه لم يُوضَع لها كرسي وبالتالي لم نعتبرها حرفاً ، شأنها بذلك شأن الهمزة في كلمة ﴿ خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ ﴾ ؟ ..

.. المسألة ليست مبنيّة على الهوى ، ولا على التوليف المسبق ، ولا على التعصّب الأعمى ، كما يتخيّل بعضهم .. المسألة هي مسألة منهج علمي منطقي ، لا يخرج — من مقدّماته إلى نتائجه — عن حقيقة رسم الكلمات في كتاب الله تعالى ..

.. وكون سورة نوح مكوَّنة من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً بما يوافق الوحدات الزمنيّة للبثه عليه السلام في قومه ، واعتبارنا لذلك معياراً لآليّة اعتبار الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ، ليس توليفاً وليس مصادفة .. فسورة نوح تتميّز (من بين السور المسمّاة بأسماء رسل) بأنَّها من أوَّل حرفٍ فيها إلى آخر حرف تتحدَّث عن الرسول الذي سُميّت باسمه ، وقد بيّنت أنَّ معجزة نوح عليه السلام هي هذه المدّة الزمنيّة المذكورة في كتاب الله تعالى ، ونحن نعلم أنَّ مدّة اللبث الوحيدة المذكورة في كتاب الله تعالى لرسول في قومه هي مدّة لبث نوح عليه السلام ..

.. سورة نوح وحدها من أكبر الأدلّة على سلامة منهج اعتبار الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ، فضلاً عن كونها معياراً في ذلك .. لو لم يكن هذا المنهج سليماً مائة بالمائة لما وُجدت آلاف الأمثلة التي يحملها كتاب الله تعالى لأيّ بعد من الأبعاد الإعجازيّة التي عرضناها ، والتي جميعها ودون أيِّ استثناء مبنيّة على هذه الآليّة ..

.. إذاً .. هناك عدّة معايير تمّ الاعتماد عليها في آليّة اعتبار الحروف المرسومة في كتاب الله تعالى ، وليس فقط شكل رسم الكلمة ، منها الهويّة الخاصّة للحرف كقيمة دلاليّة ينتمي بها إلى جذره اللغوي ، ومنها حركة الحرف حين وجوده في الكلمات الأُخرى حين إضافة حروف أخرى لجسم الكلمة ولتغيّر شكلها (كما بيّنا) ، ومنها الهويّة الخاصّة به المتعلّقة بوجوده في الكلمة كدلالة ضروريّة .... فالمسألة ليست

بالتسطيح الذي ينظر منه بعض المتشكّكين أصلاً في كون الرسم القرآني من عند الله تعالى ، انتصاراً لبعض الروايات التاريخيّة ..

ولا يمكن فكّ القيمة الدلاليّة للحرف عن آليّة اعتباره حرفاً وعن قيمته العدديّة .. من هنا اعتبرنا الألف المقصورة في صف حرف الألف وليس في صف حرف الياء .. فالذين توهّموا أنّه كان من الممكن اعتبار الألف المقصورة في صفِّ حرف الياء إنّما نظروا فقط من منظار واحد هو التشابه بين رسمه ورسم حرف الياء في آخر الكلمة ، و لم ينظروا لهذه المسألة من باقي المعايير الأخرى .. وهنا أسألهم : وفق منظاركم هذا ، هل حرف الباء والنون والتاء والثاء تُوضع في صف واحد بناء على التشابه في رسمها ؟!!! .. وهل حرفا السين والشين يُوضعا في صف واحد لتشابه رسمهما ؟!!! .. وهل حرف الجيم والحاء والخاء تُوضَع في صف واحد لتشابه رسمهما ؟!!! .. وهل حرف العين يُوضع في صف حرف الغين لتشابه رسمهما ؟!!! .. وهل .... ؟!!! ..

.. الكلُّ يعلم أنَّ الحركات لم تنزل من السماء كرسم في المصحف الأوَّل .. ولكن هذا لا يعني ضياعها ، أبداً .. لقد وُضعت الحركات فقط لتساعد القارئ على حقائق موجودة أصلاً في كتاب الله تعالى .. وإلاّ فهل من الممكن لعاقل أن يستبدل الفتحة على نهاية كلمة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ في قوله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، هل من الممكن أن يستبدلها بضمة في نهاية هذه الكلمة لتصبح ((اللهُ)) ، وذلك بحجة أن الحركات لم تكن موجودة حين نزول النصّ القرآني ؟!!! .. بمعنى آخر .. هل من الممكن أن نُغمض أعيننا عن القيمة الدلاليّة لوجود الفتحة على نهاية كلمة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة بحيث لا يكون هناك فارق بينها وبين وجود حركة أخرى بدلاً منها ، وذلك لأنَّ الحركات لم تُرسَم في المصحف الأوَّل ؟!!! ..

لو فرضنا أنَّ الله تعالى هدى إنساناً ما إلى اكتشاف معيار جديد في حساب القيم الدلاليّة للكلمات ، بحيث يتضمن هذا المعيار المفترض حركات الحروف المكوِّنة للكلمات

، ولو استطاع هذا الإنسان أن يبرهن لنا أنَّ هذا المعيار مستنبط من كتاب الله تعالى ، عبر برهان نظري ، وبنتائج يحملها كتاب الله تعالى ، بحيث تُربَط الحركات بناموس يحمله كتاب الله تعالى في كل حرف من حروفه .. هل نُعْرِض عن هذه الحقائق في هذا المعيار المفترض بحجّة عدم وجود هذه الحركات رسماً في المصحف الأوَّل ؟!!! .. أم علينا أن ننظر في النتائج المترتّبة على معياره المفترض هذا ، وهل يحمله كتاب الله تعالى في كلِّ حرفٍ من حروفه ؟ ..

.. فوق كلِّ ذلك .. إنَّ كلامنا عن آليّة اعتبار الحرف المرسوم حرفاً وعن آليّة تكوين الأبجديّة ، هو المعيار الذي اخترناه ، وبيّناه بشكلٍ جلي ، وتمّ العمل به في كلِّ الأبعاد الإعجازية دون أيّ استثناء .. وقد قلت : أيُّ إنسان يستطيع أن يختار أيَّ معيار .. القضية تتعلّق بالنتائج التي يحملها كتاب الله تعالى لهذا المعيار ..

وكلُّ ذلك ليس معجزةً ، إنّما هو معيار وفقني الله تعالى إليه للدخول إلى المعجزة التي رأيناها .. ولكن .. من يريد أن ينتقد نقداً بنّاءً هادفاً لمعرفة الحقيقة ، فمن حقّه ذلك .. ولكن .. عليه أن ينظر في الأمور التالية :

.. هل تمَّ خرق هذا المعيار ولو مرّة واحدة ، في أيِّ مثالٍ من أيِّ بعدٍ من الأبعاد الإعجازيّة التي تمَّ عرضها ؟ .. إن تمَّ ذلك فمن حقّه أن يتكلّم وأن يتّهم ما يحلوا له من اتّهام .. إمّا إذا تمّ اعتبار هذا المعيار في كامل نصوص كتاب الله تعالى ودون أيِّ استثناء .. حين ذلك فكلامه ليس مُوجَّهاً لاختيارنا ، إنّما هو إساءة لكتاب الله تعالى .. لأنّني أقول : هذا المعيار هو مدخل للمعجزة العدديّة ، وليس هو المعجزة العدديّة ، وبالتالي فالنقد يكون للنتائج المترتّبة عليه ، بما تحمل من أدلّة وبراهين دامغة تثبت للقاصي والداني مصداقية هذا المعيار ، إضافة إلى مصداقيّة حمل كتاب الله تعالى للأبعاد الإعجازية التي تمَّ حسابها وفق هذا المعيار ..

.. هل تمّ أيُّ خرق في تعلّق القيم العدديّة أو مجموع الحروف بالمعنى والدلالات وفق البعد الذي نعرضه ، في أيِّ مثال من أيِّ بعدٍ إعجازي قمنا بعرضه سواء في البرنامج أو في الكتب ؟ .. إنَّ تمّ ذلك فمن حقّه أن يتكلَّم وأن يتّهم ما يحلوا له من اتّهام .. وإلاَّ فالإساءة ليست لنا وإنّما لكتاب الله تعالى .. فمن لا يرى ربطاً بين مجموع الحروف المرسومة في سورة نوح وهي (٩٥٠) حرفاً ، وبين المدّة التي ذكرها الله تعالى عن لبثه في كتابه الكريم ، فهذه مشكلته هو ، وليست مشكلتنا نحن ..

.. هل هناك مجموع حروف أو قيمة عدديّة لأيِّ نصٍّ تمّ عرضها في البرنامج أو في الكتب ، وتبيّن له أنّها ليست صحيحة ، إن كان ذلك فمن حقّه أن يتكلّم وبأعلى صوته ، وأن يتّهم ما يحلوا له من اتّهام .. ولكن حينما لا يجد الناقد خطأً واحداً ، فليس من حقّه أن يتكلّم بما هو خارج المنطق والعلم ، وإلاّ فالمشكلة عنده وليست عندنا ..

.. هل عشرات الآلاف من الأمثلة التي تثبت حمل كتاب الله تعالى لهذه الأبعاد الإعجازيّة ليست كافية في نظره ؟ .. وهل البرهان النظري لآليّة اعتبار الحرف المرسوم حرفاً وهو سورة نوح ، وهل البرهان النظري للأبجدية وهو الآيات التي رأيناها في سورة المدّثّر ، هل كلُّ ذلك لا يرى فيه إلاّ توليفاً وتأويلاً خارج ظاهر دلالات كتاب الله تعالى .. حين ذلك مشكلته ليست معنا ، إنّما في منهج تفكيره ، وفي رؤيته لكتاب الله تعالى ..

.. لا أريد أن أطيل .. فمن لا يرى في آلاف الأمثلة التي نعرضها ، وفي البرهان النظري لهذه النظريّة والذي قدّمناه ، من لا يرى معجزة في ذلك فهذا شأنه .. ولكن ليس من حقّه أن يفرض مراده على ما يراه الناس بأمِّ أعينهم محمولاً بظاهر صياغة كتاب الله تعالى ..

.. أولوا الألباب قد يكفيهم مثال واحد ليتيقّنوا من رؤية الحق في كتاب الله تعالى ، ومن لا يريد الحقيقة فلن يشاهدها ولو تجسّدت بين يديه .. فهناك من لم ير حقيقة معجزة عيسى عليه السلام على الرغم من مشاهدته لإحياء الموتى بإذن الله تعالى على يد عيسى

عليه السلام في عصره .. هذه مشكلته هو وليست مشكلة المعجزة التي أيّد الله تعالى بها عيسى عليه السلام ..

.. إذاً .. معيار اعتبار الهمزة حرفاً في كتاب الله تعالى ، ومعيار وضع الألف المقصورة في صف حرف الياء ، وكلٌّ ما قمنا به في هذه المسائل هو ناتج عن اعتبار معايير قرآنيّة وعن علم بحقيقة المصحف الأوَّل والقيم الدلاليّة لكلماته الكريمة ..

.. أمّا بالنسبة لحرفي الكاف والتاء المبسوطة والسبب في ترجيح الكاف ، فقد وقفت عند هذا الأمر وقوفاً علميّاً في نهاية القرن الماضي ، وتوصّلت إلى نتيجة علميّة مبرهنة من كتاب الله تعالى ، وذلك قبل البدء بحساب القيم العددية لكتاب الله تعالى ، وقد بيّنت في كتبي وفي برنامج المعجزة الكبرى (الجزء الثاني) ، أنه تم ترجيح الكاف على التاء المبسوطة لعدة اعتبارات منها :

.. أن التاء المبسوطة ترد في القرآن الكريم أحياناً تاء مبسوطة مع أن أصلها تاء مربوطة ، وذلك بعدد مرّات يفوق الفارق الصغير جداً بين مجموعي ورود حرفي التاء المبسوطة والكاف .. وعلى سبيل المثال :

﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٨]

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣]

﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [غافر : ٨٥]

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [البقرة : ٢١٨]

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦]

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ ﴾ [هود : ٧٣]

﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم : ٢]

﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ [الروم : ٥٠]

﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ .... وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾ [إبراهيم : ٢٨]

﴿ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٢]

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣]

﴿ وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [النحل : ١١٤]

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ .... ﴾ [لقمان : ٣١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [فاطر : ٣]

﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾ [الطور : ٢٩]

﴿ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١]

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [النور : ٧]

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ [الأنعام : ١١٥]

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾[الأعراف : ١٣٧]

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[يونس : ٣٣]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس : ٩٦]

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ .... ﴾ [آل عمران : ٣٥]

﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٌ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا .... ﴾ [يوسف : ٣٠]

﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [يوسف : ٥١]

﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ﴾ [القصص : ٩]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ [التحريم : ١٠]

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [التحريم : ١١]

﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ ﴾ [فاطر : ٤٠]

﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ [الواقعة : ٨٩]

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الدخان : ٤٣]

﴿ .... وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة : ٨]

﴿ .... فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة : ٩]

.. وأعود فأقول الشكل ليس المعيار الوحيد ... فمثلاً عندما اعتبرنا التاء المربوطة بصف حرف الهاء كان ذلك ليس فقط لأنَّ شكلها كشكل الهاء في نهاية الكلمة ، إنّما لو وقفنا على كلمة تنتهي بتاء مربوطة لوجدنا أنها هاء ..

.. ولو نظرنا إلى الفارق بين حرفي التاء المبسوطة والكاف لرأيناه لا يكاد يُذكر نسبياً ، فالحرفان تقريباً متوازنان في عدد مرّات ورودهما .. لقد ورد حرف الكاف في كتاب الله تعالى (١٠٤٩٧) مرّة ، وورد حرف التاء المبسوطة (١٠٥٢٠) مرّة .. وقد بيّنا أن التاء المبسوطة ترد بصورتها التي ترد فيها مع أنّها في أصلها تاء مربوطة في عدد مرّات

يفوق هذا الفارق الصغير جداً ، إضافة لكون حرف الكاف حرفاً نورانيّاً من الحروف التي تفتتح بها بعض السور ، والتاء المبسوطة ليست كذلك ..

وعندما اعتبرنا هذه المعايير لم نكن غافلين عن عدد مرّات ورود أيّ حرف في كتاب الله تعالى .. ولكن .. ما نراه في حرف التاء من معايير نبيّنها ، ظهرت للسطح لِتُرَجِّح حرفَ الكاف ، كون الفارق بين الحرفين صغيراً جداً ولا يكاد يُذكر ، وتفوقه الحالات التي ذكرناها ، بينما الحروف الأُخرى التي فيها شيء من التداخل ، الفوارق بينها كبيرة نسبيّاً ، وهي أكبر من مثل هذه الحالات الجزئيّة من خصوصيّات كالتي ألقينا الضوء عليها في مسألة حرف التاء المبسوطة ..

.. مثلاً .. اعتبرنا التاء المربوطة في صفِّ حرف الهاء .. وفي كتاب الله تعالى يرد حرف التاء المربوطة (٢٣٤٤) مرّة ، ويرد حرف الهاء (١٤٨٥٠) مرّة .. وإضافة التاء المربوطة إلى حرف الهاء أو عدم إضافتها لا يؤثر على الترتيب ، لأنّ الحرف السابق للهاء هو الياء ، يرد (٢١٩٤٢) مرّة ، فإضافة التاء المربوطة للهاء لا ترفعهما فوق حرف الياء [١٤٨٥٠ + ٢٣٤٤ = ١٧١٩٤] ، فالعدد (١٧١٩٤) أقل من عدد مرّات ورود الياء (٢١٩٤٢) مرّة .. والحرف التالي للهاء هو حرف الراء ويرد (١٢٤٠٣) مرّة .. بمعنى .. في حال لم نضف حرف التاء المربوطة إلى حرف الهاء يبقى حرف الهاء فوق حرف الراء بـــ [١٤٨٥٠ — ١٢٤٠٣ = ٢٤٤٧] مرّة ، وفي حال أضفناه كما يجب وكما فعلنا لبقي حرف الياء أكثر من حرفي الهاء والتاء المربوطة مجتمعين بـــ [٢١٩٤٢ — (١٤٨٥٠ + ٢٣٤٤) = ٤٧٤٨] مرّة .. ما نريد قوله هو أنَّ الفارق بين الحروف : (الياء ، الهاء ، الراء) أكبر من جزئية إضافة حرف التاء المربوطة إلى حرف الهاء أو عدم إضافته ، وهذا ما لم يتحقَّق بين حرفي الكاف والتاء المبسوطة حين حذف حالات التاء المبسوطة التي أصلها تاء مربوطة ..

.. لنأخذ مثالاً آخر .. نحن في الأبجديّة القرآنيّة أضفنا حرف النبرة إلى حرف الياء .. وحرف النبرة يرد في كتاب الله تعالى (١٢٢٧) مرّة ، وعدد مرّات ورود النبرة أقل من الفارق بين ورود حرف الياء والحرف السابق له وهو حرف الواو الذي يرد (٢٥٦٧٦) مرّة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. نحن في الأبجديّة القرآنيّة أضفنا حرف الألف المقصورة الذي يرد (٢٥٧٥) والهمزة التي ترد (١٥٢٤) مرّة ، أضفناهما إلى حرف الألف الممدودة ، وهذه الإضافة أو عدمها لا تؤثّر على كون حرف الألف أكثر حرف يرد في كتاب الله تعالى ، فحرف الألف الممدودة يرد في كتاب الله تعالى (٥٢٦٥٥) مرّة ، بينما الحرف التالي له وهو حرف اللام يرد (٣٨١٠٢) مرّة ..

.. بينما ورود التاء المبسوطة في كتاب الله تعالى مع أنّها في أصلها تاء مربوطة ، يفوق الفارق بين حرفي التاء المبسوطة والكاف : [١٠٥٢٠ – ١٠٤٩٧ = ٢٣ مرّة فقط] ، وقد عرضنا أمثلة ترد فيها التاء المبسوطة بهذه الحيثية مع أنَّها في أصلها تاء مربوطة تفوق هذا الفارق ..... وأنا قلت : كلُّ ذلك هو مجرَّد مؤشّر ، ولا أريد أن أُغْرِق القارئ والمستمع بتفاصيل قد لا تهمّه كثيراً ..

.. الأهم من كل ذلك .. أنَّ هذا الذي نبيّنه هو المعيار الذي اعتبرناه ، وليس فقط شكل الحرف .. والنتيجة الأخيرة التي وصلنا إليها هي المعيار الذي اعتمدناه .. فمعيارنا هو الجدول الذي عرضناه والمبيِّن للقيم العدديّة للحروف .. ومصداقيّة حمل كتاب الله تعالى لهذه النتيجة تتوقَّف على النتائج التي يحملها كتاب الله تعالى ..

الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية
ا ، ى ، ء ، (أ ، أُ ، إ)	١	س	١٥
ل	٢	د	١٦
ن	٣	ذ	١٧
م	٤	ح	١٨
و ، ؤ	٥	ج	١٩
ي ، ئ ، ـٰـ ، ـٕـِ	٦	خ	٢٠
ـــه ، ـــة	٧	ش	٢١
ر	٨	ص	٢٢
ب	٩	ض	٢٣
ك	١٠	ز	٢٤
ت	١١	ث	٢٥
ع	١٢	ط	٢٦
ف	١٣	غ	٢٧
ق	١٤	ظ	٢٨

.. وما يجب قوله في هذا السياق أنَّ معيار اعتبار الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ، والذي معياره سورة نوح كما بيّنا ، اعتمدته بفضل من الله تعالى قبل نشر أيِّ كتاب من كتبي ، وفي بداية بحثي ، أي قبل عشر سنين من اكتشاف الأبجديّة القرآنيّة ، تلك الأبجديّة التي تمّ فيها حساب الحروف على المبدأ ذاته الذي اعتبرنا فيه الحرف المرسوم حرفاً في كتاب الله تعالى ..

.. واعتبار هذه المعايير وتشكيل هذه الأبجديّة حصل قبل الدخول في حساب القيم العددية لكلمات القرآن الكريم ، وتمَّ تطبيق هذا المعيار دون أيّ استثناء على الإطلاق .. وبعد الحساب ازددت يقيناً بصدق هذا الاختيار ، فالنتائج التي رأيتها أعطتني اليقين الكامل ، والأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى ..

.. مثلاً .. الآية الكريمة : **﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾ = ١١٤ = ١٩ × ٦**

.. هي مفصل هام في هذه القضية وقيمتها (١١٤) على عدد سور القرآن الكريم ، وفيها تاء مبسوطة .. تغيير القيمة العدديّة لهذه التاء المبسوطة بأيٍّ قيمة أخرى مستحيل .. ونحن لم ننطلق من هذه الأمثلة باتّجاه تحديد القيم العدديّة ، إنّما العكس هو الصحيح ، لأنَّ هذه الأبجديّة حقيقة يحملها كتاب الله تعالى في كلِّ حرفٍ من حروفه .. فمثلاً تغيير القيمة العدديّة لهذه التاء المبسوطة سيؤدّي إلى اختلال ملايين المعادلات ، وليس فقط هذه المعادلة ..

.. مثلاً .. رأينا أن مجموع القيم العددية للحروف النورانية مع حذف المكرر هو : **٣٦١ = ١٩ × ١٩** ، وفيها حرف الكاف ، وحرف التاء المبسوطة ليس حرفاً نورانياً ..

﴿ الٓمٓ ﴾ = ٧ ،، **﴿ الٓمٓصٓ ﴾** = ٢٩ ،، **﴿ الٓرٰ ﴾** = ١١ ،، **﴿ الٓمٓرٰ ﴾** = ١٥ ،،

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ = **٥٧ = ١٩ × ٣** ،، **﴿ طه ﴾** = ٣٣ ،، **﴿ طسٓمٓ ﴾** = ٤٥ ،،

﴿ طسٓ ﴾ = ٤١ ،، ﴿ يسٓ ﴾ = ٢١ ،، ﴿ صٓ ﴾ = ٢٢ ،، ﴿ حمٓ ﴾ = ٢٢ ،، ﴿ عٓسٓقٓ ﴾ = ٤١ ،، ﴿ قٓ ﴾ = ١٤ ،، ﴿ نٓ ﴾ = ٣ ..

٧+٢٩+١١+١٥+٥٧+٣٣+٤٥+٤١+٢١+٢٢+٢٢+٤١+١٤+٣ = **٣٦١**

١٩ × ١٩ = ٣٦١

فهل من الممكن تغيير القيمة العدديّة لها ؟ .. طبعاً من المستحيل .. ليس فقط من أجل هذه المعادلة ، وإنّما أيضاً من أجل ملايين المعادلات ، والتي منها في قلب هذه المعادلة أن الحروف النورانيّة في السورة (**١٩**) في كتاب الله تعالى وهي سورة مريم ، وحدها مسألة كاملة : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ = **٥٧ = ١٩ × ٣** ..

.. مثلاً : في البرهان النظري لمعجزة إحدى الكُبَر رأينا كيف أنَّ القيمة العدديّة للنصِّ القرآني الحامل لهذه المعجزة يساوي جداء مجموع حروف مفتاح هذه المعجزة وهو الآية الأولى في كتاب الله تعالى ﴿ **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ في القيمة العدديّة لهذه الآية الكريمة ..

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

[المدثر : ٣٠ – ٣٧] = **٢١٨٥ = ١٩ × ١١٥**

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ = **١٩** حرفاً مرسوماً

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قيمتها العدديّة = **١١٥**

.. فهل من الممكن تبديل القيم العدديّة ما بين حرفي الكاف والتاء المبسوطة في مرّات ورودها في هذه المعادلة التي هي معيار ، حيث يرد حرف الكاف (١٢) مرّة ويرد حرف التاء المبسوطة (١١) مرّة ؟ ..

.. وهل من الممكن أن نضع الألف المقصورة في قوله تعالى ﴿ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴾ ، وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴾ ، هل من الممكن وضعها في صف حرف الياء لتكون قيمتها العدديّة (٦) بدلاً من (١) ، طبعاً من المستحيل ، ليس فقط لهذه المعادلة ، وإنّما أيضاً لأجل ملايين المعادلات ..

هل من الممكن على سبيل المثال تغيير القيمة العدديّة لحرف الكاف أو التاء المبسوطة أو غيرهما ، في المعادلات التالية التي قيمها العدديّة مساوية تماماً لعدد سور القرآن الكريم :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة : ٢] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾ [فصلت : ٤١] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ ﴾ [الطلاق : ٥] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

.. وهل من الممكن تغيير القيمة العدديّة للنبرة وهي (٦) في الكلمتين ﴿ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴾ في المعادلة التالية التي تشمل العبارات القرآنيّة الحاملة للعبارة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ في كتاب الله تعالى واستبدالها بالقيمة (١) ؟ ..

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] = ١١٥

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴾ [هود : ٤١] = ١٣١

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] = ١١٥

١١٥ + ١٣١ + ١١٥ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. هل من الممكن تغيير القيمة العدديّة ما بين حرفي الكاف والتاء المبسوطة أو غيرهما في المسائل الكاملة التالية :

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ = **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ = ٢٩ ،، ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ ٱلْكَوْثَر ﴾ = ٥١

٢٩ + ٣٤ + ٥١ = **١١٤ = ١٩ × ٦**

هل من الممكن وضع الألف المقصورة في المعادلات التالية في صف حرف الياء ؟!!! ، أو تغيير القيمة العدديّة لحرفي الكاف والتاء المبسوطة ، أو لأيٍّ حرف غيرهما ؟!!! :

﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤ ،، ﴿ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ = ٦٩ ،، ﴿ ٱلْمَسِيحُ ﴾ = ٤٦ ،، ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ = ٨١ ،، ﴿ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ = ٣٥ ،، ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ = ١١٥

٣٤ + ٦٩ + ٤٦ + ٨١ + ٣٥ + ١١٥ = **٣٨٠ = ١٩ × ٢٠**

﴿ عِيسَى ﴾ = ﴿ ٱلرُّوح ﴾ = ﴿ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ = **٣٤**

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ = **١٨٨**

﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ = **١٨٨**

﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ = **١٨٨**

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ ﴾ = ٩٦

﴿ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ﴾ = ٤٦

٩٦ + ٤٦ = **١٤٢**

﴿ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ = **١٤٢**

﴿ ٱلۡمَسِيح ﴾ = **٤٦**

﴿ ٱللَّهِ ﴾ = ١٢ ،، ﴿ عِيسَى ﴾ = ٣٤

١٢ + ٣٤ = **٤٦**

.. ولننظر بعمق وتدبّر في المعادلات التالية **[** سواء معادلات التكامل التي أساسها العدد (١٩) أم معادلات التوازن **]** كيف تصوِّر لنا عظمة الصياغة في كتاب الله تعالى ، وكيف أنَّه من المستحيل استبدال القيمة العدديّة لحرفي الكاف والتاء المبسوطة ، أو لغيرهما ، وكيف أنَّ آليّة اعتبار الحر المرسوم التي اعتمدنا سليمة مائة بالمائة ، وكيف أنَّ الأبجديّة التي هدانا الله تعالى إليها يحملها كتاب الله تعالى في كلِّ حرفٍ من حروفه ..

﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴾ [النجم : ٥٩] = **١٧٣**

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴾ [الواقعة : ٨١] = **١٧٣**

....

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] = **٣٥٠**

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ [القلم : ٤٨] = **٣٥٠**

....

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات : ٣٦] = **١٩٢**

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] = **١٩٢**

....

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : ٦] = **٢١٩**

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور : ٢٩] = **٢١٩**

....

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [السجدة : ١٥] = **٤٦٣**

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر : ٥٥] = **٤٦٣**

....

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١١٩] = **٥٣٩**

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] = **٥٣٩**

....

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ٤٢] = **٢٨٢**

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾
[الأنبياء : ٤٥] = **٢٨٢**

....

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠]
= **٢١٨**

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] =
٢١٨

....

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] = **٣٧٠**

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١٠١] = **٣٧٠**

....

﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل : ٣٦] = ١٨٦

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ ﴾ [الزمر
: ١٧] = ٣١١

١٨٦ + ٣١١ = **٤٩٧**

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] = **٤٩٧**

....

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤١] = **٣١٣**

﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه : ١١٣] = **٣١٣**

....

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور : ٤٠] = **٢٠٠**

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [القلم : ٤٦] = **٢٠٠**

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] = **٢٠٠**

﴿ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود : ٥١] = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ٧٢] = **٣٢٣ = ١٩ × ١٧**

....

﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التحريم : ٧] = **٢٢٧**

﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥ – ٣٦] = **٢٢٧**

....

﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥] = ٤٢٨

﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ﴾ [النساء : ١٥٣] = ٤٤٣

٤٢٨ + ٤٤٣ = **٨٧١**

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] = **٨٧١**

....

﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] = **٢٩١**

﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] = **٢٩١**

....

﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه : ٧] = **٢٠١**

﴿ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] = **٢٠١**

﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه : ٧] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾ [الأنعام : ٣] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٨] = ١٦٠

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ [الزخرف : ٨٠] = ١٨٦

١٦٠ + ١٨٦ = **٣٤٦**

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] = **٣٤٦**

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٨] = **١٦٠**

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد : ١٠] = **١٦٠**

....

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [العنكبوت : ٢٤] = **٣٠٨**

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] = **٣٠٨**

....

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٨٢] = ٣٤٤

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦] = ٣٧٨

٣٤٤ + ٣٧٨ = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

....

﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] = ٢١٨

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] = ٢١٨

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] = ٣٨٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٦٧] = ٣١١

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] = ٢٢٥

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [نوح : ٢٤] = ٢٥٤

٢١٨ + ٢١٨ + ٣٨٩ + ٣١١ + ٢٢٥ + ٢٥٤ = **١٦١٥ = ١٩ × ٨٥**

﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] = **٢١٨**

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] = **٢١٨**

....

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : ٧٧] = ٣٦٠

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣] = ٥٩٠

٣٦٠ + ٥٩٠ = **٩٥٠ = ١٩ × ٥٠**

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٣] = **١٩٨**

﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣]

= **١٩٨**

....

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٣] = ١٩٨

﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾

[الحجر : ٥٩ – ٦٠] = ٢٤٩

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٠ – ١٧١]

= ٢٥٨

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل : ٥٧] = ٢٢٢

﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٢] =

١٨٩

﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣]

= ١٩٨

﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٤ –

١٣٥] = ٢٦٣

١٩٨ + ٢٤٩ + ٢٥٨ + ٢٢٢ + ١٨٩ + ١٩٨ + ٢٦٣ = **١٥٧٧ = ١٩ ×**

٨٣

....

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٨٨]

= ٢٧٥

﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٥٥] = ٣٣٣

٢٧٥ + ٣٣٣ = **٦٠٨ = ١٩ × ٣٢**

....

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] = ٤١٣

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الصف : ٧] = ٣٦٦

٤١٣ + ٣٦٦ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

....

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [النمل : ٤٤] = ٢٧٩

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [القصص : ١٦] = ١٩٦

٢٧٩ + ١٩٦ = **٤٧٥ = ١٩ × ٢٥**

....

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] = ٢٣٤

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [القصص : ٨٦] = ٣٧٤

٢٣٤ + ٣٧٤ = **٦٠٨ = ١٩ × ٣٢**

....

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] = ٦٥٤

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥] = ٦٥٧

٦٥٤ + ٦٥٧ = **١٣١١ = ١٩ × ٦٩**

....

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان : ٧ – ٨] = ٨٢١

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] = ٣١٩

٨٢١ + ٣١٩ = **١١٤٠ = ١٩ × ٦٠**

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧] = ٢٣٠

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان : ٨] = ٢٠٧

٢٣٠ + ٢٠٧ = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧] = ٢٥٨

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ [الفرقان : ٢٠] = ٣١٩

٢٥٨ + ٣١٩ = **٥٧٧**

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء : ٦٩] = **٥٧٧**

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٩ – ٧٠] = **٧٤١ = ١٩ × ٣٩**

....

﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴾ [النمل : ٣٩] = **٣٣٤**

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ [النمل : ٤٠] = **٣٣٤**

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ

فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠] = **٩٨٨ = ١٩ × ٥٢**

....

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٥] = ٨٠٤

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٦] = ٦٤٠

٨٠٤ + ٦٤٠ = **١٤٤٤ = ١٩ × ١٩ × ٤**

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ ﴾ [الأنعام : ٢٥] = **٤٥٦ = ١٩ × ٢٤**

....

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [الأعراف : ٤٣] = ٢٩٤

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] = ٢٩٥

٢٩٤ + ٢٩٥ = **٥٨٩ = ١٩ × ٣١**

....

﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] = ١٨٠

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [الزمر : ٣٦] = ٣٧١

١٨٠ + ٣٧١ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ [البقرة : ١٣٧] = ٩٦

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ [الزمر : ٣٦] = ١١٣

٩٦ + ١١٣ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

....

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ ﴾ [الأنعام : ٥٠] = ١٤٢

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾ [هود : ٢٤] = ٣٣٦

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الرعد : ١٦] = ١٤٢

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٩] = ١٢٧

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٨] = ١٢٧

١٤٢ + ٣٣٦ + ١٤٢ + ١٢٧ + ١٢٧ = **٨٧٤ = ١٩ × ٤٦**

....

﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٩] = ٣٦٥

﴿ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] = ٢٦٥

﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] = ٦٢٤

٣٦٥ + ٢٦٥ + ٦٢٤ = **١٢٥٤ = ١٩ × ٦٦**

﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ﴾ [الشورى : ١٥] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

....

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [النساء : ٦١] = ٣٩٣

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] = ٥١٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٥] = ٤٥٧

٣٩٣ + ٥١٨ + ٤٥٧ = **١٣٦٨ = ١٩ × ٧٢**

....

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران : ٥٠] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٠٨] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١١٠] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٢٦] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٣١] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٤٤] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٥٠] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٦٣] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٧٩] = ١١٥

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف : ٦٣] = ١١٥

﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح : ٣] = ١٦١

١٠ × ١١٥ + ١٦١ = **١٣١١ = ١٩ × ٦٩**

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ = **٥٧ = ١٩ × ٣**

....

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠] = ١٤٩

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] = ١٢١

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] = ١٥٣

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ١] = ١٥٣

﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٣] = ٩٦

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤٣] = ١٨٩

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه : ١١٤] = ١٠٥

﴿ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٢] = ١٠٩

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [المؤمنون : ١١٦] = ١٠٥

﴿ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٦٣] = ١٠٨

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] = ١٥٨

﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم : ٤٠] = ١٥٣

﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] = ١٥٣

﴿ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣] = ٢٢٤

١٤٩ + ١٢١ + ١٥٣ + ١٥٣ + ٩٦ + ١٨٩ + ١٠٥ + ١٠٩ + ١٠٥ + ١٠٨
+ ١٥٨ + ١٥٣ + ١٥٣ + ٢٢٤ = **١٩٧٦ = ١٩ × ١٠٤**

﴿ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٣] = **٣٨ = ١٩ × ٢**

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٦٨] = **٥٧ = ١٩ × ٣**

....

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤]
= **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق : ٢
] = ٣١٣

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٢] = ١٢٤

٣٠٤ + ٣١٣ + ١٢٤ = **٧٤١ = ١٩ × ٣٩**

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ [ص : ٤] = ١٣٧

﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ [ق : ٢] = ١٤٣

﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ ﴾ [الصافات : ١٢] = ٦٢

١٣٧ + ١٤٣ + ٦٢ = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤] = ١٦٧

﴿ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق : ٢] = ١٧٠

﴿ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٢] = ٦٢

١٦٧ + ١٧٠ + ٦٢ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ ﴾ [الصافات : ١٢] = **٦٢**

﴿ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٢] = **٦٢**

....

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤] = ١٢٧

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] = ١٢٧

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠] = ١٢٧

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] = ١٢٢

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٩] = ١٢٧

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ٩٩] = ١٢٧

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] = ١٣٧

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣] = ١٤٢

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] = ١٤٢

١٢٧ + ١٢٧ + ١٢٧ + ١٢٢ + ١٢٧ + ١٢٧ + ١٣٧ + ١٤٢ + ١٤٢ =

١١٧٨ = ١٩ × ٦٢

....

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] = ١٢٧

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] = ١٢٤

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦] = ١٢٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] = ١٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] = ١٢٣

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة : ١٠٨] = ١٣٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] = ١٢٦

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٩] = ١٢٧

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] = ١٣٥

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٣٧] = ١٢٤

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٨٠] = ١٣٥

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] = ١٢٧

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٢] = ١٣٣ = ١٩ × ٧

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل : ٣٧] = ١٧٧

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل : ١٠٧] = ١٢٨

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] = ١٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر : ٣] = ١٤١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر : ٢٨] = ١٥٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] = ١٢٦

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] = ١٣٥

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الصف : ٧] = ١٢٧

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] = ١٢٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المنافقون : ٦] = ١٣٤

١٢٧ + ١٢٤ + ١٢٧ + ١٢٦ + ١٢٣ + ١٣٥ + ١٢٦ + ١٢٧ + ١٣٥ +

١٢٤ + ١٣٥ + ١٢٧ + ١٣٣ + ١٧٧ + ١٢٨ + ١٢٦ + ١٤١ + ١٥٠ + ١٢٦

+ ١٣٥ + ١٢٧ + ١٢٧ + ١٣٤ = **٣٠٤٠ = ١٩ × ١٦٠**

....

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] = ١٢٦

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء : ١٣١] = ١١٣

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٨] = ١١١

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الحج : ٦٤] = ١٢١

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان : ١٢] = ١٠٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] = ١١٤ = ١٩ × ٦

﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] = ١١٥

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] = ١٢٧

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] = ١٢٧

﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن : ٦] = ١٧٢

١٢٦ + ١١٣ + ١١١ + ١٢١ + ١٠٩ + ١١٤ + ١١٥ + ١٢٧ + ١٢٧ +
١٧٢ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] = ١٦٣

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٧] = ١٤١

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] = ١٦٣

١٦٣ + ١٤١ + ١٦٣ = **٤٦٧**

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ٣٧] = **٤٦٧**

....

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] = **٤٤٩**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] = **٤٤٩**

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] = **١٨٦**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] = **١٨٦**

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] = ٢٦٣

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ [النحل : ١٠٣] = ١٥٥

٢٦٣ + ١٥٥ = **٤١٨ = ١٩ × ٢٢**

﴿ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] = ١١٣

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] = ١٧٢

١١٣ + ١٧٢ = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] = ٤٤٩

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٤] = ٧٨٦

٤٤٩ + ٧٨٦ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] = ٤٤٩

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس : ٦٥] = ٢٨٣

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس : ٧٦] = ٢١٨

٢١٨ + ٢٨٣ + ٤٤٩ = **٩٥٠ = ١٩ × ٥٠**

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] = ٤٤٩

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥] = ٣١٥

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٢] = ٥٢٨

٤٤٩ + ٣١٥ + ٥٢٨ = **١٢٩٢ = ١٩ × ٦٨**

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ – ١٩٤] = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٢] = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

....

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة : ٦٤] = ٢٥٢

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] = ٢٩٠

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٠] = ٢٣٧

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤] = ٤٧٠

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٠] = ٢٣٦

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور : ٢١] = ٣٩٦

٢٥٢ + ٢٩٠ + ٢٣٧ + ٤٧٠ + ٢٣٦ + ٣٩٦ = **١٨٨١ = ١٩ × ٩٩**

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور : ٢١] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] = ٢٥٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٠] = ٢٤٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [غافر : ٦١] = ٢٥٧

٢٥٧ + ٢٤٦ + ٢٥٧ = **٧٦٠ = ١٩ × ٤٠**

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [النمل : ٧٣] = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

....

﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ – ٣١] = ١٤٧٧

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٧ – ٨٩] = ٥٥٦

١٤٧٧ + ٥٥٦ = **٢٠٣٣ = ١٩ × ١٠٧**

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٨] = **٩٥ = ١٩ × ٥**

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾ [الزخرف : ٨٨] = **٥٧ = ١٩ × ٣**

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٨ – ٨٩] = **١٨ × ١٩ = ٣٤٢**

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾ [الفرقان : ٣١] = **١٨ × ١٩ = ٣٤٢**

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان : ٣٠] = **٢٦٤**

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ [الزخرف : ٨٨ – ٨٩] = **٢٦٤**

﴿ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان : ٣٠] = ١٨٦

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٨] = ٧٢

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] = ١٧٩

١٨٦ + ٧٢ + ١٧٩ = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ [الزخرف : ٤٤] = ١٠٥

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [الأنعام : ٦٦] = ١٤٢

١٠٥ + ١٤٢ = **٢٤٧ = ١٩ × ١٣**

.. ولا داعي لسرد المزيد من النتائج المذهلة التي يحملها كتاب الله تعالى لهذه الأبجديّة القرآنيّة ، والتي يُحْسَب فيها الحرف المرسوم حرفاً وفق المعايير التي بيّنتها ، فهناك عشرات الآلاف من الأمثلة التي تُؤكّد ذلك ، إضافة للبرهان النظري في اعتبار الحرف المرسوم حرفاً ، وللبرهان النظري في حمل كتاب الله تعالى لهذه الأبجديّة في معيار معجزة إحدى

الكُبَر .. فجوهر النظريّة هو ربط التكامل العددي للعبارات القرآنيّة بتكامل المعنى والدلالات ، وربط التوازن العددي بينها بتوازن المعنى والدلالات ، وحمل كتاب الله تعالى لهذين البعدين الإعجازيّين (ولغيرهما من الأبعاد الإعجازيّة التي يحملها كتاب الله تعالى) في كلِّ عبارة من عباراته الكريمة ..

المهندس عدنان الرفاعي

ما بين
إبراهيم وإسماعيل ومحمَّد
عليهم السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. سنتناول مسألة يعتبرها معظم المسلمين من البدهيات ، وهي علاقة النبيّ محمَّد ﷺ بالنبيِّ إسماعيل عليه السلام ، وكون النبي إسماعيل عليه السلام الذبيح المعني في كتاب الله تعالى .. هذه البدهية عند معظم المسلمين ، وقف عندها بعض الإخوة في الماضي والحاضر ، معتبرين الذبيح اسحاق عليه السلام ..

.. هناك من احتجَّ بكون البشرى بإسحاق دليلاً على أنَّ إسحاق عليه السلام هو الولد الأوَّل لإبراهيم عليه السلام ، بمعنى لم يكن عنده ولد قبل هذه البشرى ..

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا
تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن
وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٦٩ – ٧٤]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ – ٣٦]

.. جوهر الأمر يتعلَّق بكون البشرى – في أصلها – لامرأة إبراهيم عليه السلام ، ومن ثمَّ هي بشرى لإبراهيم عليه السلام ، هذه الحقيقة نراها في سورة هود .. لننظر إلى فاءات الترتيب والتعقيب المباشر في النصِّ الحامل لهذه المسالة في سورة هود ..

.. رسل الله تعالى جاءت إبراهيم عليه السلام بالبشرى : ﴿ **وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ** ﴾ .. وفوراً ودون تريث جاء بعجلٍ حنيذ : ﴿ **فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ** ﴾ .. وبعد أن جاء بالعجل الحنيذ ، فوراً ودون تريّث رأى حقيقتهم بأنَّهم مجرَّد صور بشريّة وليسوا أجساداً ماديّة كأجسادنا : ﴿ **فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ ، وفي هذا

الحال كانت امرأته قائمة : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ ﴾ ، فضحكت نتيجة ما شاهدته من كونهم صوراً وليسوا أجساداً : ﴿ فَضَحِكَت ﴾ ... حتّى الآن لا تُوجد بشرى لإبراهيم عليه السلام ولا لامرأته .. الآن .. فوراً ودون تريّث بعد أن ضحكت امرأة إبراهيم جاءتها هي البشرى ، وليس لإبراهيم عليه السلام : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ۝٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ۝٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ ..

.. كلُّ ذلك حصل قبل أن يذهبَ الرَّوْعُ عن إبراهيم عليه السلام وقبل أن تأتيه البشرى ، بعد ذلك ذهب الرَّوْعُ عن إبراهيم عليه السلام ، وجاءته البشرى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ .. إذاً .. البشرى تلقَّاها إبراهيم عليه السلام بعد تلقّي امرأته لها .. فقد تلقَّاها كونه زوجاً لها ، وكون ابنها ابناً له ..

.. وفي سورة الذاريات لا يختلف ترتيب الأحداث .. فالعبارة القرآنيّة في سورة الذاريات ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ تصوِّر الأحداث من مرحلة ما بعد تلقّي امرأة إبراهيم عليه السلام البشرى ، حيث رأينا ذلك في سورة هود ..

.. والعبارات القرآنيّة التالية مباشرة لهذه العبارة : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ في سورة الذاريات والمصوِّرة للبشرى التي تلقّاها إبراهيم عليه السلام بالغلام العليم (إسحاق) ، هذه العبارات : ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ۝٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ تصوِّر مرحلة لاحقة لتلقّي امرأة إبراهيم للبشرى التي رأيناها في الآية (٧١) في سورة هود : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ

إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ ... بمعنى أنَّ هذه العبارات ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ۝٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ في سورة الذاريات تصوِّر موقفاً آخر لامرأة إبراهيم عليه السلام ، مختلفاً عن الموقف الذي رأيناه في سورة هود ..

.. فترتيب الأحداث ما بين سورتي هود والذاريات هو على الشكل التالي :

١ — مجيئ الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام حاملين البشرى :

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ ﴾ [هود : ٦٩]

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ ﴾ [الذاريات : ٢٤ — ٢٥]

٢ — وصفه لضيوفه بأنَّهم قوم منكرون كونهم ليسوا معروفين ، وتقديم الطعام لهم ، ونكرانه لهم مع الخوف الذي تملكه كونهم صوراً وليسوا أجساداً ماديّة بشريّة :

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾ [هود : ٦٩ — ٧٠]

﴿ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ ﴾ [الذاريات : ٢٥ — ٢٨]

٣ — امرأة إبراهيم عليه السلام كانت قائمة وشاهدة على هذا الحدث ، فضكت من المشهد ، فتلقّت البشرى بإسحاق عليه السلام ومن ورائه بيعقوب عليه السلام ..

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]

٤ – تعجّب امرأة إبراهيم عليه السلام من هذه البشرى كونها عجوزاً وكون بعلها شيخاً ، وإجابة الملائكة على تعجّبها هذا :

﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٢ – ٧٣]

٥ – تلقّي إبراهيم عليه السلام للبشرى :

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨]

٦ – بعد مجيء البشرى لإبراهيم عليه السلام ، هناك موقف آخر لامرأته (مختلف عن تعجّبها الذي رأيناه في سورة هود) ، وهناك إجابة أُخرى للملائكة على موقفها الآخر هذا :

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٩ – ٣٠]

٧ – سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة عن ماهيّة مهمّتهم ، على الرغم من علمه المسبق أنّهم مرسلون إلى قوم لوط عليه السلام : ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٠] :

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣١ – ٣٤]

٨ – بعد ذلك ، حيث استفسر إبراهيم عليه السلام عن الملائكة وجاءته البشرى ، نرى إبراهيم عليه السلام يجادل في قوم لوط عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٤]

.. هذا هو ترتيب الأحداث ما بين سورتي هود والذاريات ، حيث لم تُذكَر قصّة امرأة إبراهيم عليه السلام إلاَّ فيهما ..

.. وتعجّب امرأة إبراهيم واستفسارها من هذه البشرى في هاتين السورتين ، وردُّ الملائكة على ذلك ، نراه في كتاب الله تعالى مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر (معجزة العدد – ١٩ – في كتاب الله تعالى) :

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٩ – ٣٠] = ٥٥٩

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٢ – ٧٣] = ٧٥٢

٥٥٩ + ٧٥٢ = **١٣١١ = ١٩ × ٦٩**

.. وحتَّى لو أخذنا فقط الآيتين المصوِّرتين لتعجّب امرأة إبراهيم عليه السلام ، لكنّا أمام مسألة كاملة ، وكذلك الأمر لو أخذنا الآيتين المصوِّرتين لإجابة الملائكة ..

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٩] = ٣٦٢

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود : ٧٢] = ٣٦٠

٣٦٢ + ٣٦٠ = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٣٠] = ١٩٧

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود : ٧٣] = ٣٩٢

٣١ × ١٩ = ٥٨٩ = ٣٩٢ + ١٩٧

.. من هنا نرى أنَّ البشرى هي في جوهرها لامرأة إبراهيم عليه السلام ، وهذا لا ينفي أبداً أن يكون عنده قبل هذا الغلام المبشّر به ابنٌ له من غيرها ، وهذا هو الواقع الذي نراه جليّاً في سورة الصافات :

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ [الصافات : ١٠١] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] = ٦٤٥

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] = ١٠٩

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [الصافات : ١٠٤] = ٨٥

﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٥] = ٢٦٠

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] = ٨٨

﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ [الصافات : ١٠٧] = ١٥٣

﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٨] = ١٢٥

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٠٩] = ٧١

﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١٠] = ١٤٣

﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١١] = ٨٨

١٣٣ + ٦٤٥ + ١٠٩ + ٨٥ + ٢٦٠ + ٨٨ + ١٥٣ + ١٢٥ + ٧١ + ١٤٣ +

٨٨ = **١٠٠ × ١٩ = ١٩٠٠**

﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ [الصافات : ١١٢] = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

.. النصُّ واضح وصريحٌ في عدةِ أمورٍ لا يمكن القفزُ فوْقَها .. ففي هذا النصِّ المصوِّر للغلام الحليم ، لا ذكر لامرأة إبراهيم عليه السلام ، كما هو الحال في النصوص التي رأيناها .. ومن جهةٍ أُخرى ، الآيات من الآية (١٠١) حتّى (١١١) تتحدَّث عن شخصٍ آخر ، مختلف عن الشخص الذي تتحدَّث عنه الآية التالية لها مباشرة (١١٢) : ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ ، ولذلك رأينا هذه الآيات الكريمة مسألة كاملة في معجزة إحدى الكُبَر **[** معجزة العدد (١٩) في القرآن الكريم **]** ..

الله تعالى لم يربط هذه الآية الكريمة : **[** ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ = **١٩٠ = ١٩ × ١٠]** بالغلام الحليم ولا بما يشير إليه ... يعني : الله تعالى لم يقل : ((**وبشّرناه به نبيّاً من الصالحين**)) ، وذلك بعد قوله تعالى مباشرة : ﴿ **وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ ..... أبداً ..... ما نراه هو وجود مجموعة آيات كريمة تفصل هاتين الآيتين : ﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، وهي كما نرى تخصُّ إبراهيم عليه السلام دون الغلام الأوَّل الحليم .. بعد ذلك .. هناك كلامٌ جديدٌ بمسألة جديدة تخصُّ شخصاً آخر هو إسحاق عليه السلام : ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ ..

.. وحتّى لو وردت الآية الكريمة ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ بعد الآية ﴿ **وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ مباشرة ، فإنَّ البشرى ليست في نبوّة الغلام الحليم ،

البشرى هي في شخص إسحاق الذي سيكون نبيّاً من الصالحين ..... فالله تعالى لم يقل : ((**وجعلناه نبيّاً من الصالحين**)) ، ولم يقل : ((**وبشّرناه به نبيّاً من الصالحين**)) ، أبداً ، الله تعالى يقول ﴿ **وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ** ﴾ .. إذاً .. هناك بشرى ثانية بشخصٍ آخر هو إسحاق ، وهذا الغلام ((إسحاق)) سيكون ﴿ **نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ .. هكذا يقول النص ..

.. إذاً .. هناك ابنان لإبراهيم عليه السلام ، ابنٌ حليم هو الذبيح ، وهو أوَّل من بُشِّر به إبراهيم عليه السلام .. وابنٌ آخر هو إسحاق : ﴿ **وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ ، بُشِّر به إبراهيم عليه السلام لاحقاً .. هذان الابنان .. نراهما في قوله تعالى التالي ((الذي نرى فيه ذكر إسماعيل قبل إسحاق كونه الأكبر)) : ﴿ **إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ** ﴾ ..

﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾ [إبراهيم : ٣٩]

.. هنا الهبة التي يحمد إبراهيمُ اللهَ تعالى عليها ، تضمُّ إسماعيل وإسحاق ، فلا يُوجَدُ تخصيصٌ لأحدهما دون الآخر في حيثّيات هذه الهبة ، فكلاهما ضمن إطار هبةٍ واحدةٍ وُهِبَت لإبراهيمَ عليه السلام كمعجزة له خارقة للناموس في كِبَرِه : ﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ** ﴾ ، ولو كان إسماعيل عليه السلام قد وهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، بحيثّية غير حيثيّة الهبة التي وهبه الله تعالى بها إسحاق ، لبيّن لنا النصُّ القرآنيُّ ذلك ..

.. وفي الصياغة ﴿ **وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ** ﴾ بيانٌ أنَّ ما وهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في كِبَرِه هو إسماعيل وإسحقَ كشخصين ، بعيداً عن أيِّ وظيفة

محدَّدة بعينها ، فالهبة مستمرّة وغير محدَّدة بعمل محدَّدٍ بعينه ، فلو كان المعني بهبة إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام هو فقط المساعدة في رفْع القواعد من البيت ، لما وُضِعَ إسماعيلُ مع إسحق عليهما السلام في إطار هبةٍ واحدة ، وفي إطارِ هبةٍ شخصيّةٍ مستمرَّةٍ مجرَّدةٍ عن حدثٍ محدَّدٍ بعينه ..

.. هذه الصياغة : **﴿ وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ﴾** ، نراها تختلف عن صياغة الآية الكريمة التي تبيِّن أنَّ الله تعالى وهب هارون لموسى عليهما السلام : **﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾** [مريم : ٥٣] ، ففي هذه الآية الكريمة نرى ورود كلمة : **﴿ أَخَاهُ ﴾** ، ونرى ورود كلمة **﴿ نَبِيًّا ﴾** .. بمعنى : وهبَ له النبوَّة في أخيه هارون بجعله نبيّاً كي يشدَّ أزره .. فهارون عليه السلام هو أخٌ لموسى عليه السلام قبل هذه الهبة ، لكنَّ الهبة هي جعله نبيّاً يشدُّ أزرَ موسى عليه السلام ..

.. فلو أنَّ إسماعيل عليه السلام وهبَه اللهُ تعالى لإبراهيم لعملٍ محدَّدٍ هو رفْع القواعد من البيت فقط ، لما عُطِف عليه إسحاق في إطارِ هبةٍ واحدة في كِبَر إبراهيم عليه السلام ، فجوهر الهبة أنه رُزق هذين الابنين وهو في كِبَره ..

.. إذاً البشرى بالغلام الحليم وهو إسماعيل عليه السلام ، هي بشرى سابقة للبشرى بغلام آخر وُصف بالعليم هو إسحاق عليه السلام .. والبشرى بالغلام الحليم إسماعيل (حيث الصبر على الذبح يتطلَّب هذه الصفة) لم ترد في كتاب الله تعالى إلاَّ في آية واحدة في سياق قصّة الغلام الذبيح ، وهي مسألة كاملة كما رأينا ..

﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] = **١٣٣ = ١٩ × ٧**

.. والبشرى بالغلام العليم إسحاق عليه السلام وردت في عدة نصوص ، هي مسألة كاملة ..

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود : ٦٩] = ١٨٤

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] = ٢٤٠

﴿ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ [هود : ٧٤] = ٨٦

﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر : ٥٣] = ١٢٢

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ [العنكبوت : ٣١] = ١٥٩

﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] = **١٩٠ = ١٩ × ١٠**

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] = ١٢١

١٨٤ + ٢٤٠ + ٨٦ + ١٢٢ + ١٥٩ + ١٩٠ + ١٢١ = **١١٠٢ = ١٩ × ٥٨**

.. وممّا يؤكِّدُ أنَّ الذبيح ليس إسحاق (وبالتالي هو إسماعيل) هو قوله تعالى :

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]

.. رأينا كيف أنَّ هذه البشرى تلقَّتها امرأة إبراهيم عليه السلام ، ومن بعدها إبراهيم عليه السلام ، ومن المؤكَّد أنَّ إسحاق حين تلقِّي امرأة إبراهيم عليه السلام لهذه البشرى لم يُولَد بعد .. ومن المؤكَّد أنَّ إسحاق هو أب (والد) يعقوب عليهما السلام ..

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

.. لذلك نقول .. في هذه البشرى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ ، دليلٌ على أنَّ إسحاق سيكبر وسيتزوَّج وسينجب ولداً

اسمه يعقوب .. هكذا بُشِّرت امرأة إبراهيم وإبراهيم عليه السلام .. ومن المؤكَّد أنَّ إبراهيم عليه السلام يؤمن بما بُشِّر به هو وامرأته ..

.. إذاً .. إبراهيم عليه السلام كان يعلم أنَّ إسحاق عليه السلام سيعيش وسيتزوج وسينجب ، فكيف إذاً سيكون هو الذبيح ؟!!!!!!! .. كيف سيذهب إلى ذبح ابنه الذي يعلم من الله تعالى أنَّه سيعيش وسيتزوَّج وسينجب ولداً اسمه يعقوب عليه السلام ؟!!!!!! .. هذا من جملة الأدلّة التي تثبت أنَّ إسماعيل عليه السلام هو الذبيح وليس إسحاق عليه السلام ..

.. والنصُّ الكريم ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[البقرة : ١٢٧ – ١٢٩]

.. هذا النصُّ الكريم يؤكِّد بما لا يقبل الجدل أنَّ إسماعيل هو ابن إبراهيم عليهما السلام .. فالعبارة **﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾** تؤكِّد أنَّ ذريّةَ إسماعيل هي من ذريّةِ إبراهيم ، ولو كان إسماعيل ليس ابناً لإبراهيم ، لكانت ذريّته ذريّةً أُخرى غير ذريّة إبراهيم عليه السلام ، بمعنى لكان لكلٍّ منهما ذريّة خاصّة مستقلّة عن ذريّة الآخر ، وبالتالي – في حال كون إسماعيل ليس ابناً لإبراهيم – نحن أمام ذريّتين اثنتين ، وبالتالي لجاءت العبارة : (**ومن ذريّتينا**) .. لكن ما نراه أنَّ العبارة القرآنيّة هي : **﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾** ، فذريّةُ إسماعيل عليه السلام هي في إطار ذريّةِ إبراهيم عليه السلام ، وبالتالي فنحن أمام ذريّة واحدة وليس

ذريّتين اثنتين ، ولذلك نرى الصياغة القرآنيّة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ .. فكيف إذاً لا يكـون إسماعيل ابناً لإبراهيم عليه السلام ؟ ..

.. وممّا يؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه هو العبارة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ في الآية الكريمة :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ تصف الفرد الشخصَ ابن إبراهيم عليه السلام الذي أسكنه إبراهيم عليه السلام عند بيت الله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ ، وهذا الشخص الفرد ستكون له فيما بعد ذريّة ، وسيصبح أمّةً ، لذلك ، نرى إبراهيم عليه السلام يتّجه إلى الله تعالى بدعاءٍ آخر مستقلٍّ عن الدعاء الأوَّل ، بدليل تكرار كلمة ﴿ رَبَّنَا ﴾ في ذات الآية الكريمة : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ .. إذاً .. العبارة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ تتعلّق بإسماعيل عليه السلام كفرد ، ولذلك نرى تكامل هذه العبارة القرآنيّة مع كلمة ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ ..

﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ + ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٥٥ + ٤٠ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

.. بينما الدعاء الثاني في ذات الآية الكريمـة ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ يتعلّق بذريّة إسماعيل عليه السلام ، والتي منها سيكون الرسول (محمّد ﷺ) الذي دعا لبعثه إبـراهيم عليـه السلام ..

.. وهذا الابن لإبراهيم والذي أسكنه إبراهيم عليه السلام عند بيت الله تعالى ، هـــو ذاته (إسماعيل) الذي ساعد أباه إبراهيم في رفْعِ القواعد من البيت ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

.. وهو ذاته الذي عهد الله تعالى إليه مع أبيه إبراهيم بتطهير بيت الله تعالى ..

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

.. لذلك .. ليس من العبث أنَّ ما يربط إبراهيم عليه السلام ببيت الله تعالى ، نراه متعلِّقاً بابنه إسماعيل ، الذي أسكنه عند بيت الله تعالى من أجل هذه المهمّة ..

.. ومن المعلوم من كتاب الله تعالى أنَّ الله تعالى جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس ، وجعل في ذريّته النبوّة والكتاب ، وإبراهيم عليه السلام له ابنان هما إسماعيل وإسحاق .. إذاً .. ميراث النبوّة والكتاب بعد إبراهيم عليه السلام ، تفرَّع إلى فرعين اثنين .. فرع إسماعيل عليه السلام ، وفرع إسحاق عليه السلام ..

١ – فرع إسماعيل عليه السلام الذي خرج منه الرسول المُبَشَّر به أحمد ﷺ ، فكما نعلم الاسم أحمد هو اسمه ﷺ قبل أن يُولد ..

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ⟵ ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ ⟵ ﴿ أَحْمَدُ ۖ ﴾

.. وبالتالي فهذا الفرع مسألة كاملة :

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ + ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ + ﴿ أَحْمَدُ ۖ ﴾ = ٣٥ + ٤٠ + ٣٩ = **١١٤ =**

١٩ × ٦

.. ولذلك نرى أنّه في بعض آيات كتاب الله تعالى التي تصوِّر امتداد هذا الفرع المتعلّق ببيت الله تعالى ، يُذكَر فقط إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دون ذكر إسحاق وآل يعقوب (أو يعقوب) ويوسف عليهم السلام ..

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٥ – ١٢٧]

٢ – فرع إسحاق وآل يعقوب ويوسف عليهم السلام ..

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ⟵ ﴿ إِسْحَـٰقَ ﴾ ⟵ ﴿ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ⟵ ﴿ يُوسُفُ ﴾

.. وبالتالي فهذا الفرع مسألة كاملة :

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ + ﴿ إِسْحَـٰقَ ﴾ + ﴿ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ + ﴿ يُوسُفُ ﴾ = ٣٥ + ٤٨ + ٤٩ + ٣٩ = **١٧١ = ١٩ × ٩**

.. ولذلك نرى أنّه في بعض آيات كتاب الله تعالى التي تصوِّر امتداد هذا الفرع المتعلّق ببني إسرائيل ، لا يُذكَر إسماعيل عليه السلام ، وما يُذكر هو إسحاق وآل يعقوب (أو يعقوب) ويوسف عليهم السلام ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦]

﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [ص : ٤٥]

.. فَصْلُ إسماعيل عن خط إسحاق عليهما السلام ، هو مسألة تتعلّق بوجود خطين متمايزتين في رسالة الله تعالى للبشر ، فخطُّ بني إسرائيل يختلف عن خطِّ رسول الأميّين ﷺ .. أليس النبيُّ محمَّدٌ ﷺ من نسل إبراهيم عليه السلام ؟ .. أليس النبيُّ محمَّد ﷺ (حيث الاسم محمَّد هو اسمه ﷺ بعد ولادته) هو دعوة إبراهيم عليه السلام ؟ ..

﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ – ١٢٩]

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ..

.. ولو نظرنا إلى الصور القرآنيّة التي تصوِّر طلب إبراهيم عليه السلام بأن يبعث في هذه الأمّة رسولاً ، واستجابة الله تعالى ، ومنّته جلّ وعلا على المؤمنين بأن بعث فيهم الرسول ﷺ ، لرأينا كلاً منها مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٢٩] = **٤١٨ = ١٩ × ٢٢**

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [البقرة : ١٥١] = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. الآن .. لو نظرنا في دُعاءِ إبراهيمَ عليه السلام لرأيناه مُكوَّناً مِنْ قِسمين : قِسم يتعلّق بالرسالة ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ ، وقِسم يتعلّقُ بصفاتِ الرسولِ الحامِلِ لهذهِ الرسالة ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ .. وكلُّ قِسمٍ من هذين القسمين ، نراهُ مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ = **١٥٢ = ١٩ × ٨**

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. ولو نظرنا في النصّين الثاني والثالث ، لرأينا كُلاً مِنهما مُكَوَّناً – أيضاً – من قسمين ، قسم يتعلّق بالإجابة على القسم الخاص بالرسالة في دعاء إبراهيم عليه السلام ، وقسم يتعلّق بالإجابة على القسم الخاص بشخص الرسول ﷺ في دعاء إبراهيم عليه

السلام .. وبجمع القِسمِ المُتعلِّقِ بالرسالةِ من هاتين الإجابتين نرى مسألةً كاملةً في مِعيارِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر ..

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ ﴾ = ١٣٠

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ = ٢٦٩

١٣٠ + ٢٦٩ = **٣٩٩ = ١٩ × ٢١**

.. وَبجمعِ القِسمِ المتعلِّقِ بصفاتِ الرسولِ الحامِلِ لهذهِ الرسالةِ ، من الإجابتين .. نرى أنّنا أمامَ مسألةٍ كامِلةٍ في معيارِ معجزةِ إحدى الكُبَرَ ..

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ = ٢٦٩

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ = ٢٦٣

٢٦٩ + ٢٦٣ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. ولو جمعنا القيم العدديّة للقسم الخاص بالرسالة في النصوصِ الثلاث لحصلنا على مسألةٍ كامِلةٍ ، قيمتُها العدديّةُ تساوي جِداءَ أساسِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر (العدد — ١٩ —) بالقيمةِ العدديَّةِ لكلمةِ ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ .. كونَ القرآنِ الكريمِ جوهرَ الرسالةِ المعنيّة ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ = **١٥٢**

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ ﴾ = ١٣٠

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ = ٢٦٩

١٥٢ + ١٣٠ + ٢٦٩ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ = **٢٩**

.. ولو جمعنا القيم العدديّة للقسم الخاص بالشخص الحامل لهذه الرسالة في النصوصِ الثلاث ، لحصلنا على مسألةٍ كامِلةٍ قيمتُها العدديّةُ تساوي جِداءَ أساسِ

مُعجزةِ إحدى الكُبَر (العدد — ١٩ —) بالقيمةِ العدديَّةِ لكلمةِ ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ .. كونَ محمّدٍ ﷺ هو الحامل لهذه الرسالةِ المعنيّة ..

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ = **٢٦٦**

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٩

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٣

٢٦٦ + ٢٦٩ + ٢٦٣ = **٧٩٨ = ١٩ × ٤٢**

﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = **٤٢**

.. إذاً .. ذكْرُ أسماء الرسل عليهم السلام يتعلّق بالمسألة المحمولة بالعبارات القرآنيّة .. لذلك .. عندما يكون السياق القرآني متعلّقاً بخطِّ الرسالة الخاتمة الذي يمرُّ من بيـــتِ الله تعالى ، نرى ذكر إسماعيل مع إبراهيم عليهما السلام ، دون ذكر الخطّ الآخر (إســـحاق — يعقوب — يوسف) :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٥ — ١٢٧]

.. وهذا يعيدنا إلى الهدف الذي من أجله أسكن إبراهيمُ ابنَه إسماعيل عليهما الســـلام عند بيت الله تعالى ..

.. أمّا حينما يكون الأمر متعلّقاً بعبادة الله تعالى بعيداً عن خصوصيّة أيٍّ من هـــذين الخطَّين ، نرى ذكراً لرسل الخطّين :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦]

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠]

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٤]

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء : ١٦٣]

.. من هنا نرى أنَّ عدم ذكرِ إسماعيل عليه السلام مع الخطِّ الآخر المتفرِّع من إبراهيم عليه السلام ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [يوسف : ٦]

﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [ص : ٤٥]

.. ليس دليلاً على أنَّ إسماعيل عليه السلام ليس من ذريّةِ إبراهيم عليه السلام .. أبداً ..... والآية الكريمة التالية تؤكّد بما لا يقبل الشكَّ أنَّ اسماعيل عليه السلام من آباء يعقوب عليه السلام ..

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

.. في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ ، لا يمكن للأبوّة إلاَّ أن تعني أبوّة الدم ، فنحن أمام فردٍ واحدٍ هو يعقوب ، ويرد له في هذه الآية الكريمة ثلاثة آباء ، منهم إسماعيل .. وإسماعيل في ساحة هذه الأبوّة من حيث التعلّق بالدم لا يختلف عن إبراهيم وإسحق ، ونراه يتوسطهما في هذه الآية الكريمة التي تُجمَع فيها الكلمات الثلاث : ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ ، في إطار تعلُّقها بأبوّة واحدة : ﴿ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ .. فكيف إذاً يمكننا أن نخلعَ كلمة : ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾ من هذه العبارة لنُحَمِّلها دلالةً (أبوّة العقيدة دون الدم) لا إشارة لها في هذا النصِّ الكريم ؟ ..

.. وفي كتاب الله تعالى تُطلق كلمة (أب) على الوالد والعم والجد وما علا ، فإسماعيل الذي هو عم يعقوب عليما السلام سُمي أباً له في هذه الآية الكريمة ..

.. ولإدراك هذه المسألة بأنَّ العم قد يُسمَّى في كتاب الله تعالى أباً ، لا بدَّ من الوقوف عند آزر الذي وُصف أباً لإبراهيم عليه السلام .. يقول تعالى ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] ..

.. فكلمة ﴿ ءَازَرَ ﴾ تُبيّن لنا أنَّ لإبراهيم عليه السلام أباً اسمه ﴿ ءَازَرَ ﴾ .. فما هي الرابطة الدمويّة بين ﴿ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ عليه السلام وبين ﴿ ءَازَرَ ﴾ ؟!!! .. ومن هو ﴿ ءَازَرَ ﴾ بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ؟!!! ... للإجابة على هذا السؤال لا بدّ من العودة إلى سيرة حياة إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى ..

في بداية سيرة إبراهيم عليه السلام وقبل أن يكتشف أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ عدوٌّ لله تعالى ، قبل ذلك وعد أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ بأن يستغفر له عند الله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥ – ٤٧]

.. ولكن .. بعد ذلك .. وبعد أن تبيّن له أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ عدوٌّ لله تعالى ، كان له موقفٌ آخر ..

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ – ١١٤]

.. إذاً .. إبراهيم عليه السلام لن يستغفر لأبيه ﴿ ءَازَرَ ﴾ بعد أن تبيّن له أنّه عدوٌّ لله تعالى .. هذا ما ينطق به صريح كتاب الله تعالى .. وبالتالي فأيُّ استغفارٍ بعد ذلك يقوم به إبراهيم عليه السلام لأيٍّ كان لا يمكن أن يعني أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ ..

.. وفي سيرة إبراهيم عليه السلام نرى أنَّ إبراهيم عليه السلام وبعد أن بلغه الكِبَر ، يستغفر لوالديه ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٣٩ – ٤١]

.. إذاً .. من استغفر لهما إبراهيم عليه السلام عندما بلغه الكِبَر لا يمكن أن يكون منهما أبوه ﴿ ءَازَرَ ﴾ .. فآزر لم يستغفر له إبراهيم عليه السلام بعد أن تبيّن لإبراهيم أنّه عدوٌّ لله تعالى .. إذاً .. ﴿ ءَازَرَ ﴾ ليس مشمولاً بدعاء إبراهيم عليه السلام **﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾** ..

.. وتتجلّى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود صيغة **﴿ وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾** بدل صيغة الأبوّة .. فإبراهيم لم يقل (ربّنا اغفر لي ولأبوي) إنّما قال **﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾** .. وهنا يظهر البرهان الأكبر أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ لا يمكن أن يكون معنيّاً بهذا الاستغفار ، وأن والدي إبراهيم عليه السلام ليس منهما أبوه آزر ..

.. إذاً .. ﴿ ءَازَرَ ﴾ ليس والداً لإبراهيم عليه السلام ، وهو أب لإبراهيم عليه السلام .. من هنا نستطيع أن نستنبط أنّه عم لإبراهيم عليه السلام ، حيث العم – في كتاب الله تعالى – يُوصَف بالأب ..

.. إذاً .. إسماعيل عليه السلام هو أب (بمعنى عم) يعقوب عليهما السلام ، والذبيح من ابني إبراهيم هو إسماعيل عليهما السلام ، ومحمّدٌ ﷺ هو من نسل إسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل عليه السلام هو من نسل إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام له ولدان هما إسماعيل وإسحق عليهما السلام ، وكلٌّ واحدٍ منهما حمل فرعاً من فرعـــي رســـالة السماء إلى الأرض ..

وَكَانُواْ

لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. قصّة الإنسان مع اليقين قصّةٌ طويلةٌ بطول الزمن ، وعريضة عرض الصراع بين هوى النفس وعصبيّتها من جهة ، وبين وثوابت العقل والمنطق من جهةٍ أُخرى ..... واليقين – كما يؤكّد كتاب الله تعالى – هو هدف العبادة ونتيجتها ..

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩]

.. من هنا .. كانت المعجزة العدديّة المتعلّقة بالعدد (١٩) في كتاب الله تعالى الأداةَ التي يطلب بها الذين أوتوا الكتاب (أصحاب الرسالات السماويّة الثلاث) اليقين في كون كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) من عند الله تعالى ..

﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ

ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدّثر : ٣٠ – ٣٧]

.. فالعبارات القرآنيّة : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ .... ﴾ ، تؤكّد أنَّ المعجزة العدديّة المتعلِّقة بالعدد (١٩) في كتاب الله تعالى ، هي أداة يطلبُ بها الذين أوتوا الكتاب (أصحاب الرسالات السماويّة الثلاث) اليقينَ بكون كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) من عند الله تعالى ... بمعنى : أنَّ معجزة العدد (١٩) في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، معيارٌ ودليلٌ يعطي اليقين بأنَّ القرآن الكريم من عند الله تعالى .. وبالتالي هي – في الوقت ذاته – معيارٌ لضبط أيِّ إضافة لأيِّ حرف إلى أيِّ نصٍّ من نصوص كتاب الله تعالى ، أو حذفه ، أو تبديله .. فكتاب الله تعالى الذي نزّله الله تعالى تبياناً لكلِّ شيء ، هو بالتأكيد يحمل معيارَ تبيان كونه نصّاً مقدَّساً من عند الله تعالى ، بحيث يستحيل حذف حرفٍ فيه ، أو إضافته ، أو تبديله ..

.. وبفضل من الله تعالى وهدايته وتوفيقه فتح الله تعالى عليَّ باباً واسعاً في الكشف عن جانبٍ كبيرٍ من جوانب هذه المعجزة [معجزة العدد (١٩)] في كتاب الله تعالى .. وقد بيّنت ذلك في كتبي بشكلٍ مفصَّلٍ ومن خلال آلاف الأمثلة ..

.. ومن خلال كشف الأبجديّة القرآنيّة حيث أُعطي كلُّ حرف قيمة عدديّة هي ترتيب مجموع وروده في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، تمَّ الكشف عن قانونين يحملهما كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) في كلِّ حرفٍ من حروفه .. القانون الأوَّل مفاده أنَّ الكلمات القرآنيّة والجمل القرآنيّة والنصوص القرآنيّة المتكاملة في تصوير جوانب مسألة ما

، يكون مجموع القيم العدديّة لحروفها مجتمعة من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان .. والقانون الثاني مفاده أنَّ الكلمات القرآنيّة والجمل القرآنيّة المتوازنة في المعنى والدلالات تكون قيمها العدديّة متساوية .. وقد تمّت البرهنة على ذلك في كتب : النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، والنظريّة السادسة (سلّم الخلاص) ، والمعجزة الكبرى ..

.. وكلُّ الحسابات تمَّت على مصحف رِوايةِ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم ، مصحفِ المدينةِ النبويّة .. وثبت حمل هذا المصحف لهذه النظريّة في كلِّ حرفٍ من حروفه ، لدرجة يستحيل فيها حذف حرف من كتاب الله تعالى ، أو إضافة حرف إلى كتاب الله تعالى ، أو تبديل حرف بحرف ..

.. ولم أتعرَّض للقراءات الأخرى ، ولم أُعلِّق – في كتبي – عليها حتّى الآن .. وبيّنت ذلك في كتبي بأنّني أدع الأمر في القراءات الأُخرى لغيري ، وأتمنّى أن تخرج أبحاث تبيّن حمل القراءات الأخرى لنظريّات أُخرى تبيّن عظمة إعجاز كتاب الله تعالى .. وقلت مرّات : أنا لا أزعم أنَّ كتاب الله تعالى لا يحمل إلاَّ هذه النظريّة ، وقلت مرّات : ما فتحه الله تعالى علي لا يمثّل من إعجاز كتاب الله تعالى أكثر ممّا يغرفه رأس الإبرة من البحر ..

.. لكن .. سُئِلْتُ مرّات من إخوة مهتمّين جداً بهذا الأمر أسئلة لا بدَّ لها من إجابات .. منها : إذا كان علماء الأمّة مختلفين في عدد القراءات ، فأين هو الإجماع الذي يتحدّثون عنه ؟!!!!!!! .. وأيُّ هذه القراءات – التي تختلف فيما بينها ببعض الكلمات والحروف – موجود في اللوح المحفوظ ؟!!!!!!! .. وهل يتعدَّد المطلق ويختلف ما بين صوره المتعدّدة (المُفترضة) ؟!!!!!!! .. وكيف نقول للعالم : لا يمكن حذف حرف من كتاب الله تعالى أو إضافته أو تبديله ، ونحن نرى هذا الحذف والإضافة والتبديل بين القراءات ؟!!!!!!! .. وأين كلُّ ذلك من قوله تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ**

لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ؟ ... هذه الأسئلة — وغيرها — تطرق نفوس الكثيرين ، ولا بدَّ لها من إجابات يحملها كتاب الله تعالى ، ويقبلها العقل والمنطق ..

.. وممّا دفعني لكتابة هذا البحث هو استغلال الآخرين للاختلاف البسيط (الذي لا يكاد يُذكر مقارنة مع حجم كتاب الله تعالى) بين هذه القراءات ، في الطعن بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) .. فحالات الاختلاف بين القراءات قليلة جداً لدرجة لا تُذكر إذا ما قورنت بحجم كتاب الله تعالى .. ولكن .. كوننا نؤمن بمطلق كتاب الله تعالى ، ولا نقبل فيه إضافة حرف أو حذفه أو تبديله ، يعنينا الأمر ، ولا نقبل — بأيِّ شكلٍ من الأشكال — أن يُطعَن بكتاب الله تعالى ، أو يُشكَّك به ، عبر إضافة حرفٍ واحد ، أو حذفه ، أو تبديله ..

.. بهذا البحث أتوجّه للجميع .. أتوجّه للذين يطعنون بكتاب الله تعالى فأقول لهم : طعنكم هذا ليس من منطلق البحث عن الحقيقة ، فالمؤمن الصادق ضالّته الحقيقة ، وأنتم تُعرضون عن الحقائق الإعجازيّة التي يحملها كتاب الله تعالى ، وتعرضون عن كون الاختلافات بين القراءات لا تكاد تُذكَر مقارنة مع حجم كتاب الله تعالى .. وفي هذا البحث أدعوكم للنظر في عظمة صياغة النصِّ القرآني كيف أنَّها مستحيلة على البشر ، ومن ثمَّ أدعو من يريد التوسّع منكم للعودة إلى كتاب المعجزة الكبرى ، ليرى ما يثبت أنَّ القرآن الكريم هو نصٌّ إلهيٌّ مستحيلٌ على المخلوقات ، وأنَّه بذلك يتميّز حتّى على الكتب السماويّة الأُخرى ..

.. وأتوجّه إلى من أعطوا أنفسهم صلاحيّة الناطقين الرسميّين باسم الله تعالى ، متّكئين على الموروث في تقديس روايات جعلوها حجّة حتّى على كتاب الله تعالى ، فأقول لهم : انظروا — ولو مرّة واحدة في حياتكم — إلى عظمة صياغة النصِّ القرآني ، نظرة تدبّر مجرَّد ، لتروا كيف أنَّ المطلق لا يتجزَّأ ولا يتعدَّد ، وحاولوا أن تجدوا في القراءات الأخرى نظريّة مشابهة لنظرية معجزة إحدى الكُبَر ، أو حاولوا إثبات بطلان هذه النظريّة بالحجّة

والدليل ، وليس بالافتراء والتلبيس والدجل .. وإذا لم تستطيعوا – ولن تستطيعوا – فعليكم – إن كنتم من المتّقين – أن تنصاعوا للحق ..

.. من المعلوم أنَّ القراءة الأوسع انتشاراً في العالم ، والتي عليها إجماع ما بين السنّة والشيعة هي : رِوايةُ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم ، وهي التي تحمل بكلِّ حرفٍ من حروفها الأبعاد الإعجازيّة التي فضّل الله تعالى علي بأن هداني إليها ... بعد ذلك تأتي : رواية وَرْش عن نَافِع المدني ..

.. في هذا البحث سأتناول – بإذن الله تعالى – أهم حالات الاختلاف بين رِوايةِ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم التي هي الأساس والحامل لمعجزة (إحدى الكُبَر) ، وبين القراءات الأُخرى ، وذلك من باب البحث عن الحقيقة ، وليس من باب التشكيك كما سيتّهمنا من طلّقوا عقولهم ولا يملكون إلاّ بضاعة التكفير والتلبيس والكذب ... وسألقي الضوء على هذا الاختلاف من منظار لغة كتاب الله تعالى ، ومن منظار معجزة إحدى الكُبَر [معجزة العدد (١٩)] .. لنرى .. هل الابتعاد عن رسم روايةِ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم ، يؤدّي إلى خرق مطلق صياغة نصِّ كتاب الله تعالى ، أم لا ..

.. ونتيجة هذه الدراسة لا أفرضها على أحد ، وهي من باب التدبّر بآيات كتاب الله تعالى ، التزاماً بأمر الله تعالى في الكثير من آياته الكريمة .. وأضع نتائج هذه الدراسة كأمانة بين أيدي العلماء وأولي الأمر ، منتظراً منهم ردّاً علميّاً ، حامله كتاب الله تعالى وثوابت العقل والمنطق ، ليس عليَّ كشخص ، وإنّما على الحقائق المحمولة بهذه الدراسة .. وأقول لهم : الأمر ليس بيني وبينكم ، الأمر بينكم وبين الله تعالى ، وهذه الأمانة في أعناقكم ، وسنقف بين يدي الله تعالى ، وسنُسأل جميعاً ، وهناك – حيث لا تخفى خافية – سينكشف من ينطبق عليه قول الله تعالى ..

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

[الكهف : ١٠١]

.. ما بين رِوايةِ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم وروايةِ وَرْش عن نَافِع المدني ، نرى عدم وجود كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في رواية وَرْش عن نَافِع المدني ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] ..... ففي رواية ورش عن نافع المدني نقرأ : ((**وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**)) ، دون ورود كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ ..

.. سنلقي الضوء بإذن الله تعالى على هذا الأمر بشكلٍ مجرَّد ، وذلك – كما قلنا – من زاويتين : الفارق في الدلالة اللغويّة بين القراءتين ، والفارق بينهما في معيار المعجزة العدديّة ، التي يبيّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم أنّها أداة اليقين في العلم بكون القرآن الكريم كتاب الله تعالى ..

.. في البداية .. لا يمكن لعاقل يتذوَّق اللغة العربيّة أن يزعم بأنَّ حذف كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ من هذه الآية الكريمة لا يؤثِّر على دلالاتها ، بمعنى : لا يمكن لعاقل يدرك الحدَّ الأدنى من دلالات اللغة العربيّة أن يزعم أنَّ وجود كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ وحذفها سيّان ..

.. لننظر إلى النصِّ الكريم التالي الذي يُصوِّر لنا قول إبراهيم عليه السلام ..

﴿ **قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ** ﴾ [الشعراء : ٧٥ – ٨٢] ..

.. لماذا تمَّ وضْعُ كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في مسألة الهداية ، وفي مسألة الإطعام والسقاية ، وفي مسألة الشفاء : ﴿ **فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ**

يَشْفِينِ ﴾ ؟ .. ولم تُوضَع كلمة ﴿ هُوَ ﴾ في مسألة الخلق : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى ﴾ ، وفي مسألة الموت والحياة ، وفي مسألة غفران الخطيئة يوم الدِّين : ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ ؟ ..

.. الدلالة المحمولة بكلمة ﴿ هُوَ ﴾ تفيد التأكيد ، وتثبيت جهة المعنى ، ورفع الاحتمال عن جهات من المعنى من الممكن أن يتخيَّلها مُتلقِّي الخطاب ..... المؤمن يعلم أنَّ جذر الهداية من عند الله تعالى .. ولكن .. قد يتسرَّب إلى الذهن أنَّ جذر الهداية مصدره بعض البشر ، كون الإنسان في حياته الدّنيا يتفاعل مع البشر ، ويتلقّى الهداية من أقوالهم وأفعالهم .. لذلك .. وحتّى يتمّ نفي أيّ احتمال لعودة جذر الهداية لغير الله تعالى نرى ورود كلمة ﴿ هُوَ ﴾ في مسألة الهداية ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ..

.. المؤمن يعلم أنَّ الرزَّاق هو الله تعالى ، وأنَّ جذر جهة الرزق من عند الله تعالى .. لكن .. كون الرزق يتنقّل بين أيدي الناس ، وهم درجات في ذلك ، وبعضُهم مُسخَّر لخدمة بعض ، قد يتسرَّب إلى الذهن أنَّ جذر الرزق مصدره بعض البشر ، كون الإنسان في حياته الدّنيا مُسخَّر في ذلك بدرجة فيها ما هو أعلى منه وما هو أدنى منه .. لذلك .. وحتّى يتمّ نفي أيّ احتمال لعودة جذر جهة الرزق إلى غير الله تعالى ، نرى ورود كلمة : ﴿ هُوَ ﴾ في مسألة الطعام والشراب ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ ..

وكذلك الأمر في مسألة المرض والشفاء ، فالمؤمن يعلم أنَّ الأسباب التي يستعملها الإنسان في شفائه تعود إلى الله تعالى .. ولكن قد يتسرّب إلى الذهن أنَّه لولا المداوي وتشخيصه واختياره للدواء ما تمَّ الشفاء .. لذلك .. وحتّى يتمّ نفي أيّ احتمال لعودة أسباب الشفاء إلى غير الله تعالى ، نرى ورود كلمة ﴿ هُوَ ﴾ في مسألة الشفاء ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ..

.. ولكن .. هل يتسرَّب إلى الذهن أنَّ أحداً من البشر خلق البشر ؟ .. لذلك نرى أنَّه – في هذا السياق الدلالي – لم تُذكَر كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في مسألة الخلق ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَنِى** ﴾ .. وهل يتسرَّب إلى الذهن أنَّ أحداً من البشر يحيي ويميت ؟ .. لذلك نرى أنَّه – في هذا السياق الدلالي – لم تُذكَر كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في مسألة الموت والحياة ﴿ **وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾ .. وهل يتسرَّب إلى الذهن أنَّ أحداً من البشر يغفر الخطايا يوم الدِّين ؟ .. لذلك نرى أنَّه – في هذا السياق الدلالي – لم تُذكَر كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في مسألة غفران الخطايا يوم الدِّين ﴿ **وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ** ﴾ ..

.. هذه الحقيقة التي تحملها كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ في السياق القرآني الذي ترد به ، تتجلّى أمام أعيننا في كتاب الله تعالى ، عبر تصويره لعبارة قرآنيّة ممّا نطق به عيسى عليه السلام ، حيث ترد هذه العبارة في كتاب الله تعالى ثلاث مرّات .... مرّة وهو طفل ﴿ **وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ** ﴾ [مريم : ٣٦] ، ومرّة وهو كبير ولكن قبل رفعه إلى السماء ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٥١] .. ومرّة في عودته آخر الزمان ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ** ﴾ [الزخرف : ٦٤] ..

.. وقبل رَفْعِه إلى السماء ، لم يكن قد تمَّ الافتراء عليه بأنَّه ابن الله تعالى ، أو ثالث ثلاثة ، أو هو الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً .. فقبل رفعه إلى السماء كان الاعتقاد بأنَّ الله تعالى ربُّه وربُّ الذين خاطبهم ، سائداً ولا يحتاج لتأكيدٍ يمنع تسرّب أيِّ احتمال من الاحتمالات الناتجة عن افترائهم عليه بعد رفعْه .. ولذلك .. لا نرى ورود كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾

في المرّتين اللتين نطق بهما قبل رفْعه إلى السماء .. ونرى أيضاً أنَّ النصَّين المصوِّرين لقوله هذا في هاتين المرَّتين ، مسألةٌ كاملةٌ في معيار معجزة العدد (١٩) في كتاب الله تعالى ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١] = ٢٧٣

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٦] = ٢٧٨

٢٧٣ + ٢٧٨ = **٥٥١ = ١٩ × ٢٩**

.. ولكن .. بعد رَفْعِه إلى السماء ، تمَّ الافتراء عليه بأنَّه هو الله تعالى ، وأنَّه ابن الله تعالى ، وأنَّه ثالث ثلاثة .. لذلك .. بعد عودته آخر الزمان لا بدَّ من نفي ما تمَّ تلفيقه عليه ما بين رَفْعِه وعودته ، ولا بدَّ من التأكيد على أنَّ الله تعالى ربُّه كما أنَّه جلَّ وعلا ربُّ البشر ، بمعنى : لا بدَّ مِن تتريه الله تعالى فيما اُفتري عليه في هذه النقطة ذاتِها .. لذلك .. نرى في هذه العبارة ذاتها ، التي نطق بها مرّتين قبل رفْعه إلى السماء دون كلمة **﴿ هُوَ ﴾** كما رأينا ، نرى فيها ذاتها بعد عودته ورودَ كلمة **﴿ هُوَ ﴾** ، للتأكيد بوضع حدٍّ للافتراء الذي وقَعَ عليه (ما بين عودته ورفْعِه) من قِبَلِ أهل الكتاب : **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾** [الزخرف : ٦٤] ..

.. ولذلك .. نرى أنَّ هذه العبارة التي سينطق بها في عودته ، هي وحدها مسألة كاملة ، بمعنى : من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٦٤] = **٢٨٥ = ١٩ × ١٥**

.. إذاً .. الزعم بأنّه لا خلاف في المعنى بورود كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ وعدم ورودها في أيِّ نصٍّ قرآني ، كالعبارة القرآنيّة التي نحن بصدد دراستها : ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] ، هو زعم ناتجٌ عن جهلٍ بحقيقة لغة كتاب الله تعالى ..

.. وفي لغة كتاب الله تعالى ، نرى أنَّ الصيغة الواردة في رواية وَرْش عن نَافِع المدني : (**وَمِنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الغَنيُّ الحَمِيدُ**) دون كلمة : ﴿ **هُوَ** ﴾ هي صيغة شاذَّة في معيار لغة كتاب الله تعالى ..... كيف ؟!!! ..

.. كلمة (إنَّ) تدخل على الجملة لتأكيد الأمر وإعطائه خصوصيّةً تزيد في دلالات الجملة قبل إضافة كلمة إنَّ إليها .. والقوْل بأنَّ كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ ضمير فصل يفيد مجرَّد الحصر ولا عمل له ، وأنَّ (الغنيُّ الحميدُ) هما خبران لِ (إنَّ) ، هو قولٌ غير سليم ، وإن ذهب بعض النحويّين هذا المنحى ..... لماذا ؟!!! ..

.. أصل الجملة هو (اللهُ هُوَ الغنيُّ الحميدُ) ، وهي كما نرى جملة مكوَّنة من مبتدأ هو لفظ الجلالة (اللهُ) تعالى ، ومن خبره وهو جملة (هُوَ الغنيُّ الحميدُ) .. بمعنى : كلمة (هُوَ) مبتدأ ، والكلمتان (الغنيُّ الحميدُ) خبران لكلمة (هُوَ) ، والجملة (هُوَ الغنيُّ الحميدُ) في محل خبر للمبتدأ لفظ الجلالة (اللهُ) تعالى ..

.. الأصل المُفتَرَض للجملة في رواية ورش عن نافع المدني (قبل دخول إنَّ عليها) هو : (**اللهُ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ، وفي هذه الصيغة المفترضة قد يتسرَّب إلى الذهن كون الكلمتين (**الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) صفة لكلمة (**اللهُ**) ، وبالتالي يذهب الذهن – في هذه الحالة – إلى البحث عن الخبر ، وكونه لا وجود لخبر في رسم هذا السياق القرآني ، يذهب الذهن إلى تقديره .. بمعنى ندخل في احتمالات تختلف فيها الأذهان ..

وهنا نسأل : كلمة (إنَّ) التي تفيد التأكيد وتثبيت البيان ، كيف تدخل على جملة لتأكيد احتمالات تختلف فيها الأذهان ؟!!!!!! ..... من هنا نرى أنَّ الصيغة المفترضة

من كلمة (إنَّ) متبوعة باسمها لفظ الجلالة (الله) ، والخبر معرّف بأل التعريف ، كالصيغة التي قيد البحث (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ، لم ترد في كتاب الله تعالى .. وما يرد خلف كلمة (الله) التي هي اسم إنَّ ، هو كلمة (هُوَ) كمبتدأ ، لتكون الجملة المكوَّنة من هُو وخبرها في محل خبر لكلمة الله ..

.. في هذه الحالات .. حيث ترد كلمة (إنَّ) متبوعة باسمها كلمة (الله) ، لا بدَّ من ورود كلمة **﴿ هُوَ ﴾** ، حينما يكون الخبر معرَّفاً بأل التعريف ، كالعبارة القرآنيّة قيد الدراسة : **﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾** [الحديد : ٢٤] ..

.. وإلاَّ لا بدَّ أن يكون الخبر نكرة ، مثلاً : **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** [البقرة : ١١٥] ..... أو يكون الخبر معرَّفاً تعريف إضافة ، مثلاً : **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾** [غافر : ١٧] ..... أو يكون الخبر جملة فعليّة ، مثلاً : **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾** [البقرة : ١٩٥] ..

.. إذاً .. في كتاب الله تعالى .. حينما ترد **[﴿ إِنَّ ﴾ ، ﴿ أَنَّ ﴾]** التي اسمها لفظ الجلالة **﴿ ٱللَّهَ ﴾** تعالى ، وخبرها اسم صفة لله تعالى معرَّف بأل التعريف ، في هذه الحالة لا بدَّ من ذكر كلمة **﴿ هُوَ ﴾** كمبتدأ لاسم الصفة المعرَّف بأل التعريف ، بحيث تكون الجملة التي مبتدؤها كلمة **﴿ هُوَ ﴾** وخبرها الصفة المعرَّفة بأل التعريف ، في محل رفع خبر **[﴿ إِنَّ ﴾ ، ﴿ أَنَّ ﴾]** ..

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٤]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج : ٦]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الحج : ٦٢]

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٥]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [لقمان : ٣٠]

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [لقمان : ٣٠]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٢٠]

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨]

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤]

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦]

.. هذه هي لغة كتاب الله تعالى .. وهذا ما يقرؤه كلُّ قارئ لكتاب الله تعالى ، فالصيغة الواردة في رواية ورش عن نافع (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) لا تنسجم – كما نرى – مع لغة كتاب الله تعالى ، فهي صيغة شاذّة في معيار نصوص كتاب الله تعالى ..

.. الآن .. بعد هذا البيان اللغوي .. لننظر إلى هذه المسألة من منظار معجزة (إحدى الكُبَر) التي يبيّنها لنا كتاب الله تعالى ، وبأنّها أداة للاستيقان بأنَّ نصَّ كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هو من عند الله تعالى ، كونه نصّاً مستحيلاً على البشر ..

.. لو أخذنا هذه العبارات القرآنيّة ذاتها ، المصوِّرة للعبارات القرآنيّة : **[** (إنَّ الله هو) ، (أنَّ الله هو) **]** ، والتي يكون فيها خبر (هُو) اسمَ صفة لله تعالى معرّفاً بأل التعريف

، على كامل مساحة كتاب الله تعالى ، لرأينا – حسبَ معيار معجزة العدد (١٩) – أنّنا أمام مسألة كاملة ، بمعنى : أنَّ مجموع القيم العدديّة لهذه النصوص مجتمعة من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان ..

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٤] = ١٠١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨] = ٩٦

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج : ٦] = ١٠١

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج : ٦٢] = ١٠١

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢] = ٩٢

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٥] = ٨٨

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [لقمان : ٣٠] = ١٠١

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان : ٣٠] = ٩٢

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٢٠] = ١١٦

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] = ١٢٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] = ١٥٦

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] = ١٢٧

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] = ١٢٧

١٠١ + ٩٦ + ١٠١ + ١٠١ + ٩٢ + ٨٨ + ١١٤ + ١٠١ + ٩٢ + ١١٦ + ١٢٧ + ١٥٦ + ١٢٧ + ١٢٧ = **١٥٣٩ = ١٩ × ٨١**

.. بعد أن بيّنا لغويّاً أنَّ حذف كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ من العبارة القرآنيّة ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] لتصبح كما هي في رواية ورش : (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) لا ينسجم مع لغة كتاب الله تعالى .. بعد ذلك .. وفي قانون يبيّنه الله تعالى في كتابه الكريم ، وعبر أبجديّة مستنبطة من كتاب الله تعالى ، هل من الممكن حذف كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ من العبارة القرآنيّة ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] لتصبح كما هي في رواية ورش : (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ؟!!!!!!! .... أليست القيمة العدديّة لكلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ تدخل في المعادلة السابقة ؟ .. أليس حذفها من هذه العبارة القرآنيّة يؤدِّي إلى اختلال الكثير الكثير من المعادلات ، كالمعادلة التي عرضناها ؟ ..

.. لننظر – الآن – إلى العبارة القرآنيّة قيد الدراسة ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] من منظار آخر ، لنرى كيف أنَّ حذف كلمة ﴿ **هُوَ** ﴾ منها لتصبح كما هي في رواية ورش : (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ، أمرٌ مستحيلٌ في معيار معجزة (إحدى الكُبَر) ، شأنها بذلك شأن أيّ حرف أو كلمة في كتاب الله تعالى ..

.. هذه العبارة القرآنيّة ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الحديد : ٢٤] ، تحمل صفتي الغنى والحمد لله تعالى كما نرى ... وصفتا الغنى والحمد لله تعالى وهما مجتمعتان ، مسألة كاملة في كتاب الله تعالى ..

﴿ **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة : ٢٦٧] = ١٢٦

﴿ **وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣١] = ١١٣

﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [إبراهيم : ٨] = ١١١

﴿ **وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ** ﴾ [الحج : ٦٤] = ١٢١

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان : ١٢] = ١٠٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] = **١١٤ = ١٩ × ٦**

﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] = ١١٥

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] = ١٢٧

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] = ١٢٧

﴿ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن : ٦] = ١٧٢

١٢٦ + ١١٣ + ١١١ + ١٢١ + ١٠٩ + ١١٤ + ١١٥ + ١٢٧ + ١٢٧ +
١٧٢ = **١٢٣٥ = ١٩ × ٦٥**

.. فهل من الممكن حذف كلمة **﴿ هُوَ ﴾** من العبارة القرآنيّة **﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾** [الحديد : ٢٤] ، لتصبح كما هي في رواية ورش (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ؟!!!!!! .... أليست القيمة العدديّة لكلمة **﴿ هُوَ ﴾** تدخل في هذه المعادلة ؟ .. وفي الوقت الذي ذاته تدخل فيه هذه الكلمة **﴿ هُوَ ﴾** في الكثير الكثير من المعادلات ، التي تؤكّد كلٌّ منها أنّه يستحيل حذف هذه الكلمة **﴿ هُوَ ﴾** من العبارة القرآنيّة **﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾** [الحديد : ٢٤] ؟ ..

.. ولننظر أيضاً إلى هذه المسألة من منظارٍ آخر ، هو جوهر التولّي المشروط بإن وَمَن في كتاب الله تعالى ، كونه مسألة كاملة ، لنرى أنّه من المستحيل حذف كلمة **﴿ هُوَ ﴾** من العبارة القرآنيّة **﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾** [الحديد : ٢٤] ، لتصبح كما هي في رواية ورش : (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] نرى فيها أنَّ الواو في كلمة ﴿ وَمَن ﴾ استئنافيّة ، وكلمة مَنْ : هي اسم شرط جازم ، وكلمة : ﴿ يَتَوَلَّ ﴾ هي فعل الشرط المجزوم بحذف حرف العلّة ، والفاء في كلمة : ﴿ فَإِنَّ ﴾ رابطة لجواب الشرط لوقوعه جملة اسميّة ، والجملة الاسميّة في محل جزم جواب الشرط ..

.. لو أخذنا جوهر التولّي المشروط بإن وَمَن في كتاب الله تعالى ، على كامل مساحة كتاب الله تعالى ، ووقفنا عند حدود العبارات القرآنيّة الخاصّة بهذه المسألة ، لرأينا أنّنا أمام مسألة كاملة ..

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٣٧] = ١٣٥

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [آل عمران : ٢٠] = ١٢٦

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] = ١٤٩

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٣] = ١٦٣

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] = ١٧٩

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٢] = ٢٠٦

﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] = ١٨٥

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ [النساء : ٨٩ – ٩٠] = ٩٤٤

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [المائدة : ٤٩] = ٢٨٦

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] = ١١٠

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٦] = ٢٧٨

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] = ٢١٨

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال : ١٦] = ٥٨٣

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠] = ٢١٨

﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣] = ٣٩٢

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣] = ١٦١

﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] = ٣٩٦

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] = ٣٥٦

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ ﴾ [يونس : ٧٢] = ١٥٢

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود : ٣] = ٢١٢

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ [هود : ٥٧] = ٢٢٩

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل : ٨٢] = ١٥٩

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ ﴾ [الأنبياء : ١٠٩] = ١٥٣

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ ﴾ [النور : ٥٤] = ٢٠٢

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد : ٣٨] = ٢٩٠

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦] = ٢٤٢

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٧] = ١٤١

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] = ١٦٣

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] = ١٦٣

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٩] = ١٤٠

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [التغابن : ١٢] = ١٩٣

١٣٥ + ١٢٦ + ١٤٩ + ١٦٣ + ١٧٩ + ٢٠٦ + ١٨٥ + ٩٤٤ + ٢٨٦ + ١١٠ + ٢٧٨ + ٢١٨ + ٥٨٣ + ٢١٨ + ٣٩٢ + ١٦١ + ٣٩٦ + ٣٥٦ + ١٥٢ + ٢١٢ + ٢٢٩ + ١٥٩ + ١٥٣ + ٢٠٢ + ٢٩٠ + ٢٤٢ + ١٤١ + ١٦٣ + ١٦٣ + ١٤٠ + ١٩٣ = **٧٥٢٤ = ١٩ × ٣٩٦**

.. وما نراه أيضاً أنَّ القيمة العدديّة لهذه المسألة الكاملة تساوي تسعة عشر ضعفاً القيمة العدديّة لنصٍّ داخل هذه المسألة يختزل جوهر الأمر ..

﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] = **٣٩٦**

.. فهذا النصُّ شأنه شأن أيِّ نصٍّ في كتاب الله تعالى يدخل بملايين المعادلات في الوقت ذاته ، وهنا تكمن عظمة إعجاز كتاب الله تعالى ، ومن هذه المعادلات في ساحة المعادلة التي نعرضها ، نرى المعادلة التالية التي تجمع التولي المشروط الذي رأيناه بوقوع العذاب الأليم ..

﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] = ٣٩٦

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦] = ٢٤٢

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٧] = ١٤١

٣٩٦ + ٢٤٢ + ١٤١ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

.. وهنا أيضاً نعود فنسأل : هل من الممكن حذف كلمة ﴿ هُوَ ﴾ من العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] ، لتصبح كما هي في صياغة رواية ورش (**فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) ؟!!!!!!! ..

.. كون المطلق لا يتعدَّد ولا يتجزَّأ ولا يقبل أيَّ اختلاف مع إطلاقه ، يقتضي هذا الإطلاق عدم تبديل حرف بحرف ، فضلاً عن عدم حذف حرف أو زيادته ..... لرؤية هذه الحقيقة سنأخذ مثالاً يتمُّ فيه استبدال حرف بحرف ، ما بين رِواية حَفْص لِقراءةِ عاصِم ، ورواية وَرْش عن نَافِع المدني ..

.. في سورة البقرة الآية (٢٥٩) ، نرى أنَّ كلمة : ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ فيها : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ ﴾ ترد في رواية ورش عن نافع المدني

: (ننشرها) ، وذلك باستبدال حرف الزاي بحرف الراء ..... لندرس الفارق في الدلالة بين كلمة ﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ وكلمة (ننشرها) ، والفارق في القيم العدديّة (المتعلّقة أصلاً بالمعنى والدلالات) ما بين هاتين الكلمتين في السياق القرآني المحيط ..

.. دلالات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى تعني : التقوقع والاجتماع حول الذات ، وعلى هيئتها وناموسها .. فتقوقعُ الزوجِ على نفسِهِ ابتعاداً عن زوجتِهِ ، وتقوقعُ الزوجةِ على نفسِها ، ابتعاداً عن زوجِها ، هو ترفُّعُ كُلٍّ منهما على الآخر ، وبالتالي عودةٌ إلى الذاتِ الفرديّةِ دون التواصلِ مع الآخر ، ودون فَسْحِ حدودِ النفسِ للتواصلِ معه .. وقد عبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن ذلك بمشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) ..

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء : ٣٤]

﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ ﴾ [النساء : ١٢٨]

.. وهكذا .. فالنفسُ التي كانتْ مفسوحةً للتواصلِ مع الزوجِ ، لتتقاطعَ مع نفسِهِ في مُشتَرَكٍ يضمُّ ساحةً من الزوجين ، خارجَ حدودِ فرديّةِ ذلك الزوجين ، تعودُ مُتقوقعةً على ذاتِها ، وهذا ما يصفه كتاب الله تعالى بالنشوز من الجذر (ن ، ش ، ز) ..... فالنشوزُ إذاً بالنسبةِ لمسألةٍ ما ، هو إعادةُ تركيبِ جزئيّات هذه المسألةِ على بعضِها ، لتتّصلَ على نظامِ ذاتِها ..

.. هذا المعنى المستنبط من مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١]

.. التفسُّحُ [حيث لا ترد مشتقّات للجذر : (ف ، س ، ح) إلاَّ في هذه الآيةِ الكريمة] هو عكسُ النشوز ، فهو يعني التوسّعَ ، والتنحّي .. ولو كانت المسألةُ محصورةً بأماكنِ القعود كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ، لكانتْ مسألةَ مُفاعلةٍ بين القاعدين ..... لكنْ ..... ما نراهُ في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ اللهَ تعالى يقول .. **﴿ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾** .. ولَمْ يقلْ (تَفَاسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ) ..

.. وفي قولِهِ تعالى **﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾** ، إطلاقٌ يشملُ نتيجةً هي بيدِ اللهِ تعالى ، وذلك ضمن إطارِ ساحة التفسُّحِ في المجالس .. **﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾** .. وكلُّ ذلك يجعلُنا نذهبُ بدلالاتِ هذه الآيةِ الكريمةِ إلى ما هو أبعدُ من مسألةِ التوسُّعِ في أماكنِ القعود ..

.. نحنُ نعلمُ أنَّ الدراسةَ العِلميّةَ الفلسفيةَ المنهجيةَ لِمسألةٍ ما ، بهدفِ البحثِ عن ناظِمِها ، وناموسِها الذي يَحْكُمُهَا ، يبدأُ بالنظرِ إلى جزئيّاتِها التي نستطيعُ إدراكَهَا بأدواتِنا الحسّية ، وبما نملكه من ثوابتَ ومعايير .. أي نقومُ بعمليةِ تفكيكٍ وتحليلٍ لهذه المسألةِ بهدفِ النظرِ إلى حقيقةِ مكوِّناتِها .. بعد ذلك نقومُ بعمليّةِ تجميعٍ لما أدركناهُ من ثوابتَ تحملُها جزئيّاتُ هذه المسألةِ ، أي نقومُ بعمليةِ تركيبٍ لهذه الجزئيات على بعضِها ، بهدفِ الوصولِ إلى ذاتِ الناموس الذي نبحثُ عنهُ في ذاتِ هذه المسألة ..

.. هذا الكلامُ عامٌّ يشملُ كلَّ مناهجِ البحث .. ويشملُ أيضاً الآفاقَ الفِكريّة ، وأدواتِ الرُّؤى ، في تفاعُلِ الإنسان وبحثِهِ عن الحقيقةِ ، داخلَ حدودِ الذات ، وخارِجَها .. فالإنسانُ حينما ينظرُ من منظارِ نفسِه إلى الآخر ، يرى من حقيقةِ الآخرِ وجزئيّاتِ ذاتِه ، بمقدارِ ما يتفسَّحُ في رُؤاهُ ، ويمدُّ جسورَ التفاهمِ معه ..

.. هذا المنهجُ العلميُّ ، يَتَّبِعُهُ الذين أوتوا العلمَ ، من أيِّ أُمةٍ كانتْ ، في بحثِهم عن الحقيقة ، فباتِّباعِهم لهذا المنهج يصلون إلى الحقيقة ... فسواءٌ تحليلُ مُكوِّناتِ المسألةِ ، أو تركيبُها ، أو الانطلاقُ من الجزئيّاتِ إلى الكليّات ، أو الانطلاقُ من الكليّاتِ إلى الجزئيّات .. كُلُّ ذلك خطواتٌ ضروريّةٌ لمنهجٍ علميٍّ هدفُهُ البحثُ عن الحقيقة ..

.. إذاً .. النشوز المعني في هذه الآية الكريمة **﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾** [المجادلة : ١١] هو تركيب الجزئيّات (التي تمَّ إدراكها في البحث) على بعضها ، لتكوين هيئة النتيجة التي يصل إليها الباحث نتيجة بحثه ..

.. وفي العبارة القرآنيّة قيد الدراسة **﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًاۚ ﴾** يتجلّى هذا المعنى المستنبط من مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى .. فتجميعُ العظامِ المُبَعثرة ، وَرَفْعُها إلى بعضِها ، واتّصالُها على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، يُصوِّرُهُ الله تعالى لنا بكلمة **﴿ نُنشِزُهَا ﴾** : **﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًاۚ ﴾** .. فما رآه الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها ، هو تجميع العظام المبعثرة على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، ومن ثم إكساؤها باللحم ، ولا تحمل كلمة **﴿ نُنشِزُهَا ﴾** دلالات الإحياء ، فالذي رآه الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها ، هو ظاهر فعل إعادة عظام حماره إلى هيئتها قبل البعثرة ، ومن ثم إكساء هذه العظام (بعد تجميعها على هيئة ذاتها) باللحم ..

.. بينما مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ر) في كتاب الله تعالى تعني : الفتح والإحياء والحركة والبعث .. والفارق في الدلالات بين هذا الإطار من المعنى ، وبين إطار المعنى المحمول بمشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) ، كبير ، ولا يمكن لكلمة من مشتقّات إحدى الجذرين أن تعطي ذات الدلالة التي تعطيها كلمة من المشتقّ الآخر ..

.. فالصورة الظاهريّة الحسيّة التي يراها الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها ، من تجميع للعظام المبعثرة على هيئة ذاتها قبل بعثرتها ، وإعادة الهيكل العظمي على هيئته قبل بعثرته ، ومن ثمَّ إكساء هذا الهيكل باللحم ، هي صورة حسيّة ظاهريّة تتعلَّق بظاهر حركة مكوّنات عظام هذا الحمار ، ولا تتعلَّق بباطن حركة هذا المكوِّنات من إحياء لما هو ليس حيّاً ..

.. فالبرهان الإلهي الذي جعله الله تعالى لهذا الرجل ، هو برهان حسّيٌّ يتعلَّق بظاهر حركة تجميع العظام على هيئة ذاتها قبل بعثرتها ، ولا علاقة لعودة الحياة (كعمق باطن) إلى هذه العظام كتحوّل من حالة الموت إلى حالة الحياة .... من هنا نرى أنَّ كلمة **﴿ نُنشِزُهَا ﴾** هي ما يصوِّر هذه الحركة الحسيّة الظاهريّة لإعادة تشكيل مكوّنات الحمار ، وليس كلمة (ننشرها) .. فكلمة (ننشرها) تذهب بدلالات هذه العبارة القرآنيّة ، مذهباً آخر لا يخدم الرؤية الحسيّة الظاهريّة للبرهان الذي جعله الله تعالى لهذا الرجل ..

.. الآن .. لننظر من منظار معجزة إحدى الكُبَر التي يصفها الله تعالى في كتابه الكريم بأنَّها أداة لطلب اليقين بكون القرآن الكريم من عند الله تعالى : **﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾** [المدّثر : ٣٠] .. لننظر من هذا المنظار القرآني إلى احتمال إمكانية استبدال حرف الزاي في كلمة **﴿ نُنشِزُهَا ﴾** في العبارة **﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾** بحرف الراء ، لتصبح (ننشرها) كما ترد في رواية ورش ..

.. هذه الكلمة .. ﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ ، ترد في قلب ثلاث آيات كريمة ، تصوِّر مسألة كاملة في المعنى والدلالات [وبالتالي كاملة في معيار معجزة العدد (١٩)] ، هي مسألة إحياء الموتى ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢٥٨ – ٢٦٠] = **٣٨٣٨ = ١٩ × ٢٠٢**

.. هذا التكامل في القيم العدديّة (والذي هو انعكاس لتكامل المعنى والدلالات كما نرى) مبني على القيم العدديّة للحروف ، واستبدال أي حرف بحرف أو حذف حرف أو إضافته ، يعني اختلالاً بالمعادلة المطلقة التي تعكس تكامل المعنى والدلالات ..

.. وما دمنا في هذه المعادلة [وقبل الدخول في المعادلات الحاملة لكلمة ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ في النصِّ الكريم] لا بدَّ من الوقوف عند كلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ التي ترد أربع مرّات في نصِّ هذه المعادلة .. فما نراه أنَّها تُرسَم دون حرف ياء (شأنها بذلك شأن جميع مرّات ورودها في سورة البقرة) ، في حين ترد في رواية ورش وفي سورة البقرة بحرف ياء ..

.. وقد بيّنت في كتبي الحكمة الإلهيّة من ورود كلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ في سورة البقرة دون حرف ياء ، بأنَّها تشير إلى اسم إبراهيم عليه السلام قبل أن ينجب ، وبيّنت أنَّ هذا مجرَّد إشارة ، ولا يعني أنَّ النصوص القرآنيّة الحاملة لكلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ في سورة البقرة تصوِّر مرحلة ما قبل إنجابه .. إنّما ورودها في سورة البقرة (كون سورة البقرة تكوِّن بداية كتاب الله تعالى) يشير إلى مرحلة ما قبل إنجابه ، حيث حياة إبراهيم عليه السلام تنقسم إلى قسمين بالنسبة لإنجابه ، كل قسم يتبع لمرحلة من مراحل تدرّج الرسالات السماويّة ..

.. وهنا .. ألا يحقّ لنا أن نسأل : هل من الممكن إضافة حرف الياء [الذي قيمته العدديّة تساوي (٦)] إلى كلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ في نصِّ هذه المعادلة ؟ .. ألا يؤدّي ذلك إلى اختلال معادلة نصِّ هذه المسألة الكاملة ؟ ..

.. وما نراه – أيضاً – في نصِّ هذه المعادلة أنَّ كلمةَ ﴿ ٱلۡعِظَامِ ﴾ تُرسَم في رواية وَرْش عن نَافِع ، دونَ حرف ألف بين حرفي الظاء والميم .. وهنا نسأل : هل من الممكن حذف حرف الألف [الذي قيمته العدديّة تساوي (١)] دون أن تختل معادلة نصِّ هذه المسألة الكاملة ؟ ..

.. إذاً .. نحن أمام ثلاث آيات في سورة البقرة تكوِّن – كما نرى – مسألة كاملة هي مسألة إحياء الموتى ، ونرى أنَّ تكامل المعنى والدلالات بينها ينعكس تكاملاً في القيم

العدديّة بمعنى : من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان .. والقيمة العدديّة لحرف الزاي هي (٢٤) بينما القيمة العدديّة لحرف الراء هي (٨) ، وحذف حرف الزاي من كلمة ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ واستبداله بحرف الراء لتصبح (ننشرها) كما هو في رواية ورش ، يعني اختلالاً بهذه المعادلة .. فهل من الممكن حذق حرف الزاي واستبداله بحرف الراء ؟ ..

.. وعظمة الإعجاز القرآني تتجلّى بأنَّ هذه المسألة الكاملة (مسألة إحياء الموتى المكوّنة من ثلاث آيات في سورة البقرة كما نرى) ، تتكوَّن — في الوقت ذاته — من مسألتين كاملتين ، حيث الحدود بين هاتين المسألتين هي الإيمان بإحياء الله تعالى للموتى والكفر به .. وهنا نرى أنَّ الآية الأولى وحدها مسألة كاملة ، كون المحاجج فيها كافراً ولا يؤمن أصلاً بأنَّ الله تعالى يحيي الموتى ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

[البقرة : ٢٥٨] = **١٠٠٧ = ١٩ × ٥٣**

.. وهنا نسأل : هل من الممكن إضافة حرف الياء إلى كلمة ﴿ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ في هذه المعادلة دون أن تختل ؟ ..

.. وتتجلّى عظمة الإعجاز بكون هذه المسألة الكاملة تتكوَّن من مسألتين كاملتين ، الحدّ الفاصل بيتهما هو تغيير إبراهيم عليه السلام من أسلوب محاججته بإحياء الموتى إلى الإتيان بالشمس من المغرب ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾ = **٤٧٥ = ١٩ × ٢٥**

﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ = **٥٣٢ = ١٩ × ٢٨**

.. وهنا نعود فنسأل : هل من الممكن إضافة حرف الياء إلى كلمة ﴿ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ في أيٍّ من هاتين هذه المعادلتين دون أن تختل ؟ ..

.. إذاً .. الآية الأولى من الآيات الثلاث في سورة البقرة وحدها مسألة كاملة كون المحاجج فيها كافراً .. بينما الآيتان الثانية والثالثة هما – مجتمعتين – مسألة كاملة ، كون الذي مرَّ على القرية ، وإبراهيم عليه السلام ، ليسا كافرين ..

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩ – ٢٦٠] = **٢٨٣١ = ١٩ × ١٤٩**

.. وهنا نعود فنسأل : هل من الممكن حذف حرف الزاي من كلمة ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ واستبداله بحرف الراء لتصبح (ننشرها) كما هو في رواية ورش ؟ .. وهل من الممكن حذف حرف الألف من كلمة ﴿ ٱلۡعِظَامِ ﴾ ؟ .. وهل من الممكن إضافة حرف الياء إلى كلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ ؟ ..

.. وفي نصِّ معادلة المسألة الكاملة [المكوّنة من الآيات (٢٥٨ – ٢٥٩ – ٢٦٠) في سورة البقرة] نرى أنَّ قول المحاجج الكافر في الآية الأولى منها : ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ هو الدافع لما تحمله العبارة القرآنيّة : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ في الآية الثالثة .. فنحن إذاً أمام مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ = ٧٤

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ = ١٩٢

٧٤ + ١٩٢ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. وهنا نعود فنسأل : هل من الممكن إضافة حرف الياء إلى كلمة ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ في هذه المعادلة لتصبح موافقة لرسمها في رواية ورش ؟ ..

.. الآن .. لو نظرنا إلى عباراتِ النصِّ الذي بين أيدينا من زاويةِ التصويرِ الإلهيِّ المنقول لنا ، دون الدخول في جزئيّاتِ الأحداثِ الواردةِ في هذا النصِّ ، لرأينا عبارتين قرآنيّتين تحملان هذه الخصوصيّة ، وبالتالي لرأيناهما مسألةً كاملة ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾ = ٢٢٦

﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ = ٢٣٠

٢٢٦ + ٢٣٠ = **٤٥٦ = ١٩ × ٢٤**

.. وهنا – أيضاً – يحقّ لنا أن نعود فنسأل : هل من الممكن إضافة حرف اليـــاء إلى كلمة ﴿ **إِبْرَٰهِـۧمُ** ﴾ في هذه المعادلة لتصبح موافقة لرسمها في رواية ورش ؟ ..

.. ومن الطبيعيّ أن تكون باقي عباراتِ النصِّ مسألةً كاملة ، كونَ النصِّ بجملته مسألةً كاملة .. ولكنَّ المعجزةَ تتجلّى في كَوْنِ العبارات القرآنيّةِ الخاصّـــةِ بتصـــوير جزئيّـــات الأحداث التي حصلت مع الذي مرّ على القرية ، وحدها مسألةً كاملة ..

﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] = **١٥٣٩ = ١٩ × ٨١**

.. وتتجلّى المعجزةُ – أيضاً – في كَوْنِ العبارات القرآنيّةِ الخاصّةِ بتصـــوير جزئيّـــات الأحداث التي حصلت مع إبراهيم عليه السلام في الآيتين الأولى والثالثة مسألةً كاملة ..

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] = ٧٨١

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] = ١٠٦٢

٧٨١ + ١٠٦٢ = **١٨٤٣ = ١٩ × ٩٧**

.. وهنا نعود فنسأل : في هاتين المعادلتين .. هل من الممكن حذف حرف الزاي من كلمة ﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ واستبداله بحرف الراء لتصبح (ننشرها) كما هو في رواية ورش ؟ .. وهل من الممكن حذف حرف الألف من كلمة ﴿ **ٱلْعِظَامِ** ﴾ ؟ .. وهل من الممكن إضافة حرف الياء إلى كلمة ﴿ **إِبْرَٰهِـۧمُ** ﴾ ؟ ..

.. الآن .. لو نظرنا إلى عبارات النصِّ المدروس من زاويةِ ماهيّة الاستفسار عن كيفيّة إحياء الموتى ، لرأينا أنَّ العبارةَ الخاصّةَ بالذي مرّ على القرية هي : ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ** ﴾ ، وأنّ العبارةَ الخاصّةَ بإبراهيم عليه السلام هـــي : ﴿ **رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ** ﴾ .. ولذلك تتكامل هاتان العبارتان في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] = ١٤٣

﴿ **رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] = ١٢٣

١٤٣ + ١٢٣ = **٢٦٦ = ١٩ × ١٤**

.. ولو نظرنا إلى عباراتِ النصِّ الذي بين أيدينا من زاويةِ فِعْلِ الله تعالى في البرهنةِ على كيفيّةِ إحياء الموتى ، لرأيناها مسالةً كاملة ..

﴿ **فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ** ﴾

[البقرة : ٢٥٩] = ١١٧١

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] = ٦٩١

١١٧١ + ٦٩١ = **١٨٦٢ = ١٩ × ٩٨**

.. ولو نظرنا إلى قوْلِ إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ ، في الآيةِ الثالثةِ من النصِّ الذي بين أيدينا ، لرأيناه مُتعلّقاً بقولِـه ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ في الآيةِ الأولى .. ولذلك تتكاملُ هاتان العبارتان القرآنيّتان في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ = ١١١

﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ = ٩٨

١١١ + ٩٨ = **٢٠٩ = ١٩ × ١١**

.. والعبارةُ القرآنيّةُ ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ هي جزءٌ من عبارةٍ أوسـعَ ، تُصوِّرُ هذا القولَ في سياقِ المحاجةِ التي حَصَلت في الآيةِ الأولى ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ .. ولذلك نرى أنَّ هذه العبارةَ تتكاملُ مع عبارةٍ قرآنيّةٍ تُصوِّرُ جَوهرَ الفِعْلِ الذي تمَّ في الآيةِ الثالثة ليرى إبراهيمُ عليه السلام كيفيّةَ إحياء الموتى ..

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] = ١٧٥

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة : ٢٦٠] = ٥٤٧

١٧٥ + ٥٤٧ = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

.. ولو احتزأنا جوْهرَ كُفْرِ قوْلِ الكافرِ في الآيةِ الأولى من النصِّ الذي ندرسه : ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ ، وجوهرَ قولِ الذي مرَّ على القرية في الآيةِ الثانية بعد أن تبيّنـت لـه

الحقيقة ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، لرأينا كلاً من هاتين العبارتين مسألةً كاملة ..

﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ = **٣ × ١٩ = ٥٧**

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ = **٧ × ١٩ = ١٣٣**

.. ونعود فنسأل : في هذه المعادلات ، هل من الممكن حذف أيِّ حرف ، أو واستبدال أيِّ بحرف آخر ، أو إضافة أيِّ حرف ؟ .. ليس فقط في الحروف المختلفة ما بين القراءات ، إنّما نعني أيَّ حرف ؟ ..

.. هنا في هذه المعادلات عرضنا جزءاً بسيطاً من معادلات النصّ الذي ندرسه .. وهناك من المعادلات التي تربط عبارات هذا النصّ مع غيرها من عبارات كتاب الله تعالى ، ما لا يحيط به إلاَّ الله تعالى ، وأكتفي بعرض المعادلة التالية (والمعادلة المحتواة بها) كنموذج ، حيث العبارة الداخلة فيها من النصّ قيد البحث ، تتضمن كلمتين مختلفتين في الرسم في رواية ورش ، هما كلمتا **[﴿ ٱلْعِظَامِ ﴾ ، ﴿ نُنشِزُهَا ﴾]** ..

﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] = ٢٨٠

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨ – ٧٩] = ٥٤١

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ٣ – ٤] = ٣٠٠

٢٨٠ + ٥٤١ + ٣٠٠ = **١١٢١ = ١٩ × ٥٩**

﴿ نُنشِزُهَا ﴾ = **٥٩**

﴿ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ = ١٥٤

﴿ يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ = ١١٧

﴿ نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ = ٩٠

١٥٤ + ١١٧ + ٩٠ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. إذاً .. حذف حرف الزاي من كلمة ﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ واستبداله بحرف الراء لتصبح (ننشرها) كما هو في رواية ورش ، أمرٌ مستحيلٌ في معيار معجزة إحدى الكُبَر ، وأمرٌ لا ينسجم لغويّاً مع حقيقة الدلالات المحمولة بالآية بالعبارات القرآنيّة المحيطة بهذه الكلمة .. واستحالة حذف حرف الزاي واستبداله بحرف الراء ، يوازي تماماً استحالة استبدال أيِّ حرفٍ بحرف في كتاب الله تعالى ، واستحالة حذف أيِّ حرف ، أو إضافة أيِّ حرف .. وهنا مكمن معجزة كتاب الله تعالى ، ومكمن تحدِّي الله تعالى للإنس والجن على أن يأتوا بنصٍّ كنصِّ كتاب الله تعالى ..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. ولنقف عند مثالٍ آخر ..

.. في كتاب الله تعالى تختلف دلالات التعدّي بالتضعيف عن دلالات التعدّي بالهمز ، وقد وقنا عند ذلك بشكلٍ مفصَّل في تبيان الفارق بين الإنزال [من الفعل المتعدّي بالهمز (أنزل)] ، وبين التتريل [من الفعل المتعدّي بالتضعيف (نزَّل)] .. ورأينا كيف أنَّ القرآن الكريم يتميّز عن غيره من الكتب السماويّة بكونّه نُزِّل من عند الله تعالى ، في حين يشترك مع باقي الكتب السماويّة في كونه أنزل من عند الله تعالى ..

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [النساء : ١٣٦]

.. ورأينا أنَّ التتريل يعني التحوّل من ساحة لساحة دون أيِّ تغيّر في الماهيّة ، وأنَّ القرآن الكريم نُزِّل كمعجزة ، وفي هذا يتميّز عن باقي الكتب السماويّة الأُخرى .. ورأينا أنَّ الإنزال هو التسخير والتهيئة في الساحة المُترَل إليها بما يتناسب مع إدراك وقدرة الإنسان ، وأنَّ القرآن الكريم أُنزل (شأنه شأن باقي الكتب السماويّة) كمنهج يسّره الله تعالى بين أيدي الناس ، وبما يتوافق مع إدراكهم ..

.. ووقفنا أيضاً عند الفارق بين دلالات كلمة أنبأ (حيث التعدّي بالهمز) وبين دلالات كلمة نبّأ (حيث التعدّي بالتضعيف) ، ورأينا في قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ [التحريم : ٣] ، أنَّ كلمة (نبَّأ) المتعدّية بالتضعيف على وزن فعَّل ، تختلف دلالاتها عن كلمة (أنبأ) المتعدّية بالهمز .. فكلمة (نبَّأ) تعني الإخبار عن الأمر بدخولٍ في حيثيّاته ، وبالإخبار عن مكنوناته ، بمعنى : ليست فقط للإخبار عن ظاهره ، وإنّما عن ظاهرة وعن حيثيّاته .. بينما كلمة (أنبأ) نراها تأخذ جانب نقل الخبر دون الدخول في تأويله ، كالإنباء عن اسم الشيء دون الدخول في عمقه الباطن ..

.. وبالتأكيد هناك فارق في الدلالة بين دلالات كلمة (**وَصَّى**) **[** حيث التعدّي بالتضعيف **]** وبين دلالات كلمة (**أوْصَى**) **[** حيث التعدّي بالهمز **]** ..

.. لو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ الفعل المتعدّي بالتضعيف (وَصَّى) يفيد طلب الالتزام بمسألة معروفة مسبقاً بالنسبة لمن يُطْلَب منه الالتزام بها .. بمعنى : هناك

مسألة معلومة يعلمها من يُطلَب منه الالتزام بها ، وتأتي دلالات الفعل (وَصَّى) لتأكيد الالتزام بها ، والمثابرة عليها ، وعدم الخروج عنها .... ففي قوله تعالى :

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ – ١٥٣]

.. نرى أنَّ العبارات القرآنيّة [﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾] ، تأتي بعد تبيان مجموعة من الأحكام ، والمطلوب هو الالتزام بهذه الأحكام (التي باتت معلومة بالنسبة لمن يوصّيهم الله تعالى بالالتزام بها) والمثابرة عليها ، وعدم الخروج عنها ..

.. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء : ١٣١]

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام : ١٤٤]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ [العنكبوت : ٨]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥]

.. وهذا المعنى يتجلّى معنا في الآية الكريمة التي نحن بدراستها ..

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢]

.. فالذي وصّى به إبراهيمُ عليه السلام بنيه ويعقوب عليه السلام ، هو قضيّة معلومة بالنسبة لبنيه ويعقوب ، وهي أن يُسْلِمَ الإنسان لربِّ العالمين ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣١ – ١٣٢]

.. وهذه القضيّة هي ذاتها التي وصّى بها يعقوب بنيه ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣١ – ١٣٣]

.. بينما الفعل (**أَوْصَى**) يحمل دلالة الطلب بتنفيذ أمر يتلقّاه مَن يُطلَب منه التنفيذ مع هذا الطلب ، بمعنى : أنَّ الطلب مرافق للعلم بالحكم الذي يُطلَب تنفيذه ..

﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١]

.. فعيسى عليه السلام عندما قال هذه الكلمات كان في المهد ، وأوصاه الله تعالى بالصلاة والزكاة ما دام حيّاً ، مع تلقّيه الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .. فالأمر الإلهي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ملازم للأمر بالالتزام بهما ما دام حيّاً ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء : ١١]

.. فالحكم الإلهي ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ** ﴾ يتلقّاه الإنسان مع الطلب الإلهي بالمثابرة عليه ، ولا يمكن لعاقل أن يتصوَّر بأنَّ هذا الحكم الإلهي ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ** ﴾ قضيّة معرفة مسبقاً ، وما يُطلَب هو الالتزام بها .. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ **يُوصِيكُمُ** ﴾ من الفعل المتعدّي بالهمز (**أَوْصَى**) ..

.. وهذه الدلالة المحمولة بالفعل (**أَوْصَى**) نراها في العبارات التالية ..

﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾ [النساء : ١١]

﴿ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [النساء : ١٢]

.. فالوصيّة التي يُوصى بها ، تحمل تفصيلاً لها مرافقاً لطلب تنفيذها ، ولا يمكن أن يتصوَّر أحدٌ أنَّ الوصيّة أمرٌ معلومٌ مسبقاً ، وهي لطلب الالتزام بهذا الأمر المعلوم ..

.. إذاً .. كلمة ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ تختلف دلالاتها عن دلالات كلمة (**أَوْصَى**) .. وحينما نحذف هذه الكلمة من الآية الكريمة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] ، ونضع بدلاً منها كلمة (**وأَوْصَى**) ، فإنَّنا بذلك نتَّهم بني إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام بأنَّهم لم يكونوا على علم بأنْ يُسْلِمَ الإنسان لله ربِّ العالمين ، وأنَّهم علموا بذلك حينما أوصاهم إبراهيم عليه السلام بهذا الأمر ..

.. هذا الإطلاق في دلالات النصِّ القرآني ، والذي يقتضي ورود كلمة ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ ، وليس كلمة (**وَأَوْصَى**) ، والذي نراه من خلال دراسة لغويّة مجرّدة ، نراه من خلال معجزة إحدى الكُبَر التي يبيّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم أنّها أداة للتيقّن بكون كتابه (

القرآن الكريم) من عنده جلَّ وعلا .. فهذا الاستبدال يؤدّي إلى اختلال الكثير الكثير من المعادلات ، والتي منها المعادلة التالية ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

[البقرة : ١٣١ – ١٣٤] = **١٧١٠ = ١٩ × ٩٠**

.. وهنا يحقّ لنا أن نسأل : هل من الممكن حذف كلمة ﴿ **وَوَصَّىٰ** ﴾ واستبدالها بكلمة (**وَأَوْصَى**) ، بحجة وجود روايات أنتجت قراءات أُخرى يتمُّ فيها هذا الاستبدال ؟!!!!!! .. لا نريد إجابة خارج حدود النفس ، لأنّنا نعلم كيف رُفعت روايات التاريخ إلى مستوى نصٍّ كتاب الله تعالى ، بل إلى درجة أعلى من كتاب الله تعالى ، بدليل إعطائها صلاحيّة نسخ أحكام كتاب الله تعالى .. الإجابة التي نريدها بين الإنسان الباحث عن الحق ونفسه ، مستحضراً عظمة الله تعالى في نفسه ، مقدِّماً خوفَه من الله تعالى على خوفه من البشر ..

.. ونتيجة الركض خلف الروايات واعتبارها حجّة على كتاب الله تعالى ، وإعطائها صفة القداسة ، وفرض ذلك على الناس تحت مسمَّى القراءات المُختلَف حتّى في عددها .. نتيجة لذلك .. نرى حذف كلمة ﴿ **إِحْسَـٰنًا ۖ** ﴾ ، ووضع كلمة (**حُسْنَاً**) بدلاً منـــها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ** ﴾ [الأحقاف : ١٥] ..

.. كلمة (حُسْنًا) هي اسم مصدر ، وهي من الفعل الثلاثي (حسن) .. بينما كلمة ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ هي مصدر قياسي ، وهي من الفعل الرباعي (أحسن) .. وفي كتاب الله تعالى وردت صيغة : ﴿ حُسْنًا ﴾ متعلّقة بالوالدين في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] .... ما نريد قوله .... أنَّ الدلالة المحمولة بكلمة : ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ تختلف عن الدلالة المحمولة بكلمة : ﴿ حُسْنًا ﴾ ، وعظمة الصياغة القرآنيّة تقتضي ورود أيٍّ من هاتين الكلمتين بما يناسب السياق القرآني المحيط بها ، ولا يمكن استبدال أيٍّ منهما بالأُخرى في العبارة التي ترد بها ..

.. الحسن وهو من الفعل ﴿ حَسُنَ ﴾ ، صفة تتّصف بها الذات ..

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩]

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٦]

.. بينما دلالات الفعل ﴿ أَحْسَنَ ﴾ تصف نقل الحسن إلى غير الذات ..

﴿ .... وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ .... ﴾ [يوسف : ١٠٠]

﴿ .... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ٣]

﴿ .... خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق : ١١]

.. من هنا نرى القيمة الدلاليّة لكلمة ﴿ حُسْنًا ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٨ – ٩]

.. فالحسن المعني هو في ماهيّة المعاملة التي مبدؤها ذات الإنسان .. بمعنى : يُوصي الله تعالى الإنسان بأن يكون هو حسناً في علاقته مع والديه ، وفي سماعهم وما يأخذه منهم ، ولذلك نرى خلف العبارة القرآنيّة ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾ ما يتعلّق بهذه الوصيّة : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ ﴾ .. بمعنى : أنَّ الدلالات هي في حسن طاعة الإنسان لوالديه ، وليست فيما يقدِّمه الإنسان من حسنٍ ينقله لوالديه .. ومن هنا سنرى كيف تتجلّى عظمة الصياغة القرآنيّة بدخول هذه العبارة : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ ﴾ في معادلة التكامل المصوِّرة لوصيّة الله تعالى بالوالدين ..

.. بينما في قوله تعالى ..

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣]

.. نرى ورود كلمة : ﴿ إِحۡسَانٗا ﴾ ، لأنَّ النصَّ يصوِّر نقل مضمون الحسن للآخرين : ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ ..... بينما القول يخرج من الذات وهو صفة للذات ، وبالتالي تناسبه كلمة ﴿ حُسۡنٗا ﴾ وليس كلمة ﴿ إِحۡسَانٗا ﴾ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ ..

.. وهذا المعنى لكلمة ﴿ إِحْسَانًا ﴾ نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦]

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١]

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ٢٣]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥]

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة ، بورود كلمة : ﴿ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ ، دون كلمة : (حُسْنَاً) في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ [الأحقاف : ١٥] ،

فالسياق القرآني المحيط بكلمة ﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ يُصوِّر عطاء الإنسان لوالديه ، حيث يُذَكِّر جلَّ وعلا بحمل أمِّه له ، وبالتالي على الإنسان أن يردَّ الجميل لوالديه بنقل حسنه إليهم ..

.. والمعادلات التي تدخل بها العبارة القرآنيّة ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] في معيار معجزة إحدى الكُبَر (وغيرها) كثيرة ولا يحيط بها إلاّ الله تعالى ، وأيٌّ منها يثبت استحالة استبدال كلمة ﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة بكلمة (حُسْنَاً) .... من هذه المعادلات ، المعادلة التالية ..

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة : ٨٣] = ٣٢٨

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦] = ٢٥٦

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ ﴾ [الأنعام : ١٥١] = ٣٥٣

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء : ٢٣] = ٢٣٤

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ [العنكبوت : ٨] = ٤٢٩

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ [لقمان : ١٤] = ١١٢

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ ﴾ [الأحقاف : ١٥] = ١٥٠

٣٢٨ + ٢٥٦ + ٣٥٣ + ٢٣٤ + ٤٢٩+ ١١٢ + ١٥٠ = **١٨٦٢ = ١٩ × ٩٨**

.. فكيف إذاً يكون حذف الحروف (والكلمات) من كتاب الله تعالى ، وإضافتها ، واستبدالها ، أمراً ناتجاً عن روايات ظنيّة الثبوت ، كان من المفروض أن تأخذ مصداقيّتَها من موافقتها لكتاب الله تعالى ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! ..

.. إطلاق النصّ القرآني لا يقبل أيَّ تبديل أو حذف أو إضافة لحرفٍ واحد ، وهذا ما نراه في المسألة الكاملة التالية ، التي تُلقي الضُّوءَ على حقيقةِ المُرتدين ، وعلى مصيرِهِم ، والتي تبيّن لنا أنَّ عُقوبَتَهم هي من عندِ اللهِ تعالى ، وأنّها في الدنيا لا تتجاوزُ استبدالَ اللهِ تعالى لَهُم بقومٍ آخرين يُحبّهم اللهُ تعالى ويحبّونَهُ ..

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧] = ٦٢١

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة : ٥٤] = ٧٦٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥ – ٢٨] = ١٤٤١

١٤٩ × ١٩ = ٢٨٣١ = ١٤٤١ + ٧٦٩ + ٦٢١

.. فهل من الممكن إضافة حرف الدال لكلمة : ﴿ **يَرْتَدَّ** ﴾ ، لتصبح (يرتدد) ، بحجة وجوده في قراءة أُخرى ؟!!!!!!! ..

.. ونتيجة الركض خلف الروايات وما تنتجه من قراءات ، تمَّ حرف الفاء في كلمة : ﴿ **فَبِمَا** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ، لتصبح (**بِمَا**) ..

.. معجزة إحدى الكُبَر التي يصفها الله تعالى بأنَّها أداة التيقّن بكون القرآن الكريم من عنده جلّ وعلا ، تثبت استحالة هذا الحذف ، فالعبارة القرآنيّة ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ، هي ضمن مسألة كاملة تضم الآيات الكريمة الحاملة لكلمة ﴿ **مُّصِيبَةٍ** ﴾ على كامل مساحة كتاب الله تعالى ..

﴿ **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٦] = ٢٦٢

﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران : ١٦٥] = ٥٢٧

﴿ **فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا** ﴾ [النساء : ٦٢] = ٥٢٥

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٧٢] = ٤٢٨

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ [المائدة : ١٠٦] = ١٤٧٠

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة : ٥٠] = ٥٠٢

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ٤٧] = ٥٢٠

﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] = ٣٣٢

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] = ٤٣٣

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١] = ٣٤٠

٢٦٢ + ٥٢٧ + ٥٢٥ + ٤٢٨ + ١٤٧٠ + ٥٠٢ + ٥٢٠ + ٣٣٢ + ٤٣٣ +
٣٤٠ = **٥٣٣٩ = ١٩ × ٢٨١**

.. ونتيجة الركض خلف الروايات التاريخيّة ، وما ينتج عنها من قراءات ، حذفوا حرف الواو من كلمة ﴿ **وَيَقُولُ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ** ﴾ [المائدة : ٥٣] ..

.. مُعجزة إحدى الكُبَر التي جعلها الله تعالى أداة للتيقّن بكون القرآن الكريم من عنده جلَّ وعلا ، تؤكِّد استحالة هذا الحذف ..

هذه العبارة القرآنيّة – شأنها شأن كلّ عبارات كتاب الله تعالى – تدخل في معادلات لا يحيط بها إلاَّ الله تعالى .. وفي هذا السياق سننظر إلى هذا الحذف من منظار النصوص الحاملة لكلمتي [﴿ **أَقۡسَمُواْ** ﴾ ، ﴿ **أَقۡسَمۡتُمۡ** ﴾] والتي تصوِّر قَسَم البشر ..

.. رأينا في النظريّة الأولى (المعجزة) أنَّ كلمة ﴿ **أُقۡسِمُ** ﴾ وجميعها تعود لله تعالى ترد في كتاب الله تعالى (٨) مرّات ، وأنَّ كلمتي [﴿ **أَقۡسَمُواْ** ﴾ ، ﴿ **أَقۡسَمۡتُمۡ** ﴾] والتي تعود جميعها للبشر ، ترد أيضاً (٨) مرّات ..

.. ورأينا في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، أنَّ العبارات القرآنيّة المتعلّقة بكلمة : ﴿ **أُقۡسِمُ** ﴾ والتي تعود إلى الله تعالى ، هي مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

.. نرى الآن أنَّ الآيات الكريمة الحاملة لكلمتي [﴿ **أَقۡسَمُواْ** ﴾ ، ﴿ **أَقۡسَمۡتُمۡ** ﴾] هي – أيضاً – مسألة كاملة في كتاب الله تعالى ..

﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥٣] = ٥١١

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٩] = ٤٩٣

﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٩] = ٤٢٢

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] = ٧١٥

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٣٨] = ٤٦٠

﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٥٣] = ٥١١

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر : ٤٢] = ٤٩٦

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم : ١٧] = ٣٢٥

٥١١ + ٤٩٣ + ٤٢٢ + ٧١٥ + ٤٦٠ + ٥١١ + ٤٩٦ + ٣٢٥ = **٣٩٣٣** =

١٩ × ٢٠٧

.. فهل من الممكن حذف حرف الواو من كلمة ﴿ **وَيَقُولُ** ﴾ ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ** ﴾ [المائدة : ٥٣] ؟!!!!!!! ..

.. وبحجة الروايات ، وما ينتج عنها من قراءات ... هل من الممكن استبدال كلمة : ﴿ **مِّنۡهَا** ﴾ بكلمة : (**مِنْهُمَا**) في قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا** ﴾ [الكهف : ٣٦] ، دون أن يختلَّ المعنى المطلق المحمول بهذه العبارة القرآنيّة ؟ .. ودون أن تختلَّ المعادلة الكاملة التالية التي تعكس تكامل المعنى والدلالات بين عباراتها ؟ ..

﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا** ﴾ [الكهف : ٣٦] = ٢١٨

﴿ **ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ** ﴾ [الأنعام : ٦٢] = ٢٩٣

﴿ **هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٍ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ** ﴾ [يونس : ٣٠] = ٣٨٢

٢١٨ + ٢٩٣ + ٣٨٢ = **٨٩٣ = ١٩ × ٤٧**

.. نحن اخترنا مسألة تتعلّق بالعبارة القرآنيّة موضوع البحث ، وبما يناسب المسألة التي ندرسها ، وهناك الكثير من المعادلات في هذا الأمر ، ممّا لا يحيط به إلاَّ الله تعالى .. منها المعادلة التالية ..

﴿ **قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾ [التوبة : ٩٤] = ٦٨٨

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] = ٥٢٦

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٨] = ٥١٥

٦٨٨ + ٥٢٦ + ٥١٥ = **١٧٢٩ = ١٩ × ٩١**

.. من يملك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة ، يعلم أنَّ الفارق بين صيغة الغائب وصيغة المُخاطَب ، لا يمكن إنكاره .. وكلمة : **﴿ أَنجَىٰنَا ﴾** في قوله تعالى : **﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾** [الأنعام : ٦٣] ، هي بصيغة الغائب ، وبالتأكيد تختلف دلالاتها عن كلمة (**أنجيتنا**) .. وحذف كلمة **﴿ أَنجَىٰنَا ﴾** من هذا النصِّ الكريم واستبدالها بكلمة (**أنجيتنا**) ، كما حصل بحجّة القراءات ، يؤدّي بالتأكيد إلى تغيير في الدلالات المحمولة بهذا النصِّ ..

.. وفي معيار معجزة (إحدى الكُبَر) نرى استحالة تبديل كلمة : **﴿ أَنجَىٰنَا ﴾** بكلمة (**أنجيتنا**) ، فهذا الإبدال يقتضي إضافة حرف التاء الذي قيمته العدديّة (١١) ، وبالتالي اختلال المعادلة التي تعكس تكامل المعنى والدلالات ..

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٣ — ٦٤] = **٧٦٠ = ١٩ × ٤٠**

.. وهنا .. من حقّنا وحقِّ كلِّ متدبِّرٍ لكتاب الله تعالى باحثٍ عن الحقِّ أن يسأل : بناءً على ما نرى في هذه المسألة الكاملة في الدلالات والقيم العدديّة ، هل من الممكن

حذف كلمة ﴿ **أَنجَنَا** ﴾ ، واستبدالها بكلمة (**أنجيتنا**) ، حيث يُضاف للرسم – كما نرى – حرف التاء ، وذلك بحجّة ورودها في بعض القراءات ؟!!!!!!! ..

.. إضافة حرف ، أو حذفه ، أو تبديله ، يؤدّي حتماً إلى تغيير في المعنى .. وقد بيّنا أنَّ الحرف في كتاب الله تعالى هو اللبنة الأولى للمعنى ، وأنَّ معنى الكلمة هو محصلة معاني حروفها ، مع الأخذ بعين الاعتبار الجذر اللغوي الذي تفرَّعت عنه .. ومن يعتقد أنَّ حذف كلمة (أو حرف) أو إضافته ، لا يغيّر في المعنى ، فهذه مشكلته هو ، ولا يحقّ له أن يجعل مشكلته هذه معياراً يفرضه علينا في إدراكنا لدلالات كتاب الله تعالى ..

.. من المعلوم أنَّ الفارق كبير في الدلالات بين صيغتي الماضي والأمر ، ومن لم يُدرك ذلك فهذه مشكلته هو ، وهو حرٌّ بذلك .. أمّا أن يفرض على كتاب الله تعالى وعلينا عدمَ إدراكه هذا ، فهذا ممّا لا يحقُّ له ..

.. هل من الممكن أن يتخيّلٌ عربيٌّ يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة أنَّ كلمة ﴿ **قَالَ** ﴾ تعطي ذات الدلالة التي تعطيها كلمة (**قُلْ**) ؟ ..... فكيف إذاً تُحذف كلمة ﴿ **قَالَ** ﴾ وتُوضَع بدلاً منها كلمة (**قُلْ**) في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّى يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ [الأنبياء : ٤] ، بحجّة وجود روايات تقول بذلك ؟!!!!!!! ..

.. في معيار معجزة إحدى الكُبَر التي جعلها الله تعالى أداةً للتيقّن بكون كتابه الكريم من عنده جلّ وعلا ، يتبيّن لنا أنَّ هذا الاستبدال مستحيل ، فهذه العبارة القرآنيّة هي وحدها مسألة كاملة ..

﴿ **قَالَ رَبِّى يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ [الأنبياء : ٤] = **١٧١ = ١٩ × ٩**

.. وحذف كلمة ﴿ قَالَ ﴾ ووضع كلمة (قُلْ) بدلاً منها ، يؤدّي إلى اختلال هذه المعادلة وغيرها الكثير الكثير من المعادلات التي لا يعلم حدودها إلاَّ الله تعالى ، والتي منها المعادلة التالية التي تدخل فيها أيضاً كلمة ﴿ قَالَ ﴾ ..

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١ – ١٠] = **١٥٨ × ١٩ = ٣٠٠٢**

.. ووفق معيار آخر ، هو مجموع الكلمة على كامل كتاب الله تعالى ، نرى أنَّ هــذا الاستبدال مستحيل ، فكلمة (**قُلْ**) ترد في كتاب الله تعالى (٣٣٢) مرّة ، وهذا مــا يعادل ورود كلمة (**قَالُوا**) والتي ترد أيضاً (٣٣٢) مرّة ..

.. في هذا المثال حذفوا كلمة ﴿ **قَالَ** ﴾ ووضعوا بدلاً منها كلمة (**قُلْ**) ..... بينما في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾ [الجن : ٢٠] ، فعلوا

العكس ، فحذفوا كلمة ﴿ قُلْ ﴾ ووضعوا بدلاً منها كلمة (قَال) .. والمعادلة الكاملة التي تدخل ضمنها هذه الكلمة ﴿ قُلْ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، تؤكد استحالة ذلك ..

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٠ – ٢٣] = **٩٨٨ = ١٩ × ٥٢**

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

.. في قوله تعالى **﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾** [الشمس : ١٥] ، حذفوا حرف الواو من كلمة **﴿ وَلَا ﴾** واستبدلوها بحرف الفاء لتصبح (**فَلا**) ..

.. لننظر إلى المعادلة التالية ، التي تصوِّر مسألةً كاملة في عقر الناقة ..

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾

[الأعراف : ٧٧ – ٧٩] = ١١٦٦

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾

[هود : ٦٥ – ٦٨] = ١٥٧٠

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٧ – ١٥٨] = **٤٣٧ = ١٩ × ٢٣**

﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر : ٢٩ – ٣١] = ٦٦٣

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴾ [الشمس : ١٤ – ١٥] = ٤٢٠

١١٦٦ + ١٥٧٠ + ٤٣٧ + ٦٦٣ + ٤٢٠ = **٤٢٥٦ = ١٩ × ٢٢٤**

.. فهل من الممكن حذف حرف الواو من كلمة ﴿ وَلَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴾ [الشمس : ١٥] ، واستبداله بحرف الفاء ، لتصبح (**فلا**) ، سواء كان ذلك في معيار اللغة ، أم في معيار معجزة إحدى الكُبَر ؟ ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

.. بناء على الروايات وما أنتجت من قراءات ، ذهبوا إلى قوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : ٢١٧] ، وحذفوا حرف الواو من كلمة ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ واستبدلوه بحرف الفاء ، لتصبح (**فَتَوَكَّل**) ..

.. ولننظر في المسألة الكاملة التالية ، كيف تُثبت استحالة هذا الاستبدال ..

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] = ٦٨

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء : ٨١] = ٦٠

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال : ٦١] = ٦٠

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [هود : ١٢٣] = ٦٠

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] = ١٣٠

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : ٢١٧] = ١٥٦

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٧٩] = ٦٨

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٣] = ٦٠

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٤٨] = ٦٠

٦٨ + ٦٠ + ٦٠ + ٦٠ + ١٣٠ + ١٥٦ + ٦٨ + ٦٠ + ٦٠ = **٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢**

.. فهل من الممكن حذف حرف الواو من كلمة ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : ٢١٧] واستبداله بحرف الفاء ؟!!!!!!! ..

.. ولنقف عند مثالٍ آخر يبيّن عظمة صياغة كتاب الله تعالى ، واستحالة حذف حرف منه ، أو إضافة حرف ، أو إبدال حرف بحرف ..

.. كلمة (**مِن**) تضيف دلالة ، لا يمكن وجودها إلاَّ بوجود هذه الكلمة .. وفي كتاب الله تعالى الكثير من الأمثلة التي تبيّن ذلك .. ففي قوله تعالى ..

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم : ٢٤]

نرى أنَّ كلمة ﴿ مِن ﴾ تعني وضع الالتصاق وباتجاه الأسفل ، بمعنى : أنَّ عيسى عليه السلام في مخاض مريم عليها السلام بولادته ، كان ما زال جزءٌ منه لم يخرج من فرجها ، فهو تحتها وبحالة التصاق لم ينفصل عنها بعد .. ولو اُستبدلت بكلمة أخرى ، مثلاً كلمة : (الذي) ، أو : (مَن) ، لما وصلت إلينا هذه الدلالة ، بمعنى لما حملت هذه العبارة القرآنيّة دلالة عدم خلاصه التام من فرج أمّه عليهما السلام أثناء مناداته لها ..

والقول بأنّ الذي ناداها هو جبريل عليه السلام ، ليس صحيحاً على الإطلاق ، فالصياغة اللغويّة وعودة الضمائر في العبارات السابقة لهذه الآية الكريمة ، تؤكّد أنّ الذي نادى مريم عليها السلام من تحتها هو عيسى عليه السلام ..... ومن الأدلّة على ذلك ، هو مجموعُ الكلمات التي قيلت لها في ذلك الموقف ، وهي (**٣٣**) كلمة ، تساوي مجموع السنين التي لبثها عليه السلام قبل رفْعه إلى السماء ..

﴿ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٤ – ٢٦] = (**٣٣**) كلمة

.. ومن الأدلّة أيضاً أنّ مجاميعَ القيمِ العدديّةِ للعبارات القرآنيّةِ المجتزأةِ والمتعلّقةِ بمسألةِ المَهْدِ ، وبما تَكَلَّمَهُ عيسى عليه السلام في المهد ، والتي منها هذه الكلمات التي قيلت لها في هذا الموقف ، هي مسألة كاملة ..

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ ﴾ [آل عمران : ٤٦] = ٩٨

﴿ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ ﴾ [المائدة : ١١٠] = ٢٤٨

﴿ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٤ – ٢٦] = ١٠٦٢

﴿ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٩] = ١٥٦

﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا

(٣٣) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٠ – ٣٣] = ٩٥١

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٦] = ٢٧٨

٩٨ + ٢٤٨ + ١٠٦٢ + ١٥٦+ ٩٥١ + ٢٧٨ = **٢٧٩٣ = ١٩ × ١٤٧**

.. ما نودّ إلقاء الضوء عليه هو أنَّ كلمة ﴿ مِن ﴾ تعطي دلالة لا تنوب عنها قي ذلك أيّ كلمة أُخرى ، لا كلمة (مَن) ولا غيرها ..

.. هذه الدلالة التي لا يمكن تصويرها إلاَّ بكلمة ﴿ مِن ﴾ نراها أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصّلت : ١٠]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾ تعني أنَّ الرواسي في تلك المرحلة من الخلق كانت ملاصقة للأرض وباتجاه الأعلى ، ففي تلك المرحلة لم تكن قد أُرسيت بعد في الأرض ، وقد بيّنت ذلك في النظريّة الثالثة (الحق المطلق) ..

وهذه الدلالة التي لا يمكن تصويرها إلاَّ بكلمة ﴿ مِن ﴾ نراها أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر : ٢٠]

.. ففي العبارة القرآنيّة ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ ، نرى أنَّ الغرف العلويّة ملتصقة بالتي تحتها وباتّجاه الأعلى ، ولو حُذفت كلمة ﴿ مِن ﴾ من هذه العبارة القرآنيّة

، لما رأينا هذه الدلالة التي تفيد التصاق الغرف العلويّة بالتي تحتها ، ولكان هناك فاصل بين الغرف والغرف التي فوقها ..

.. هذه الدلالة اللغويّة المحمولة بكلمة ﴿ **مِن** ﴾ تتجلّى في العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ ، فالأنهار ملاصقة لأرض الجنّة وباتّجاه الأسفل .. بينما العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ التي ترد مرّة واحدة فقط في كتاب الله تعالى ، تفيد بأنَّ الأنهار تجري تحت أرض الجنّة ، ولا يقتضي ذلك مفهوم الملاصقة باتّجاه الأسفل والذي تحمله العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ ..

.. ولولا وجود هذه العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ التي ترد مرّة واحدة فقط في كتاب الله تعالى ، لَما أضيفت هذه القيمة الدلاليّة من وجود أنهار عميقة تجري تحت أرض الجنّة دون ملاصقة بها ..

.. الآن .. كقيمة دلاليّة في كتاب الله تعالى الذي نزّله جلَّ وعلا تبياناً لكلِّ شيء ، هل من الممكن إضافة كلمة : ﴿ **مِن** ﴾ إلى العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ لتصبح مماثلة للصيغة الأخرى الواردة في كتاب الله تعالى مرّات كثيرة ﴿ **تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ ؟!!!!!! .. ألا تعني إضافة كلمة : ﴿ **مِن** ﴾ إلى العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ تغييراً للمعاني والدلالات في كتاب الله تعالى ؟!!!!!! ..

.. وفي معيار معجزة إحدى الكُبَر (معجزة العدد (١٩) في القرآن الكريم ، نرى أيضاً أنَّه لا يمكن إضافة كلمة ﴿ **مِن** ﴾ إلى العبارة القرآنيّة ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾

لتصبح مماثلة للصيغة الأخرى الواردة في كتاب الله تعالى مرّات كثيرة ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ..

.. النصوص القرآنيّة المتعلّقة بجنّة الآخرة ، والتي تنتهي عند العبارات [﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾] ، والحاملة للجمل السابقة لهذه العبارات والمتعلّقة بها مباشرة ، نراها مسألة كاملة ..

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة : ٢٥] = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران : ١٥] = ٤١٢

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران : ١٣٦] = ٣٣٧

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] = ١٠٨٧

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران : ١٩٨] = ٢٧١

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [النساء : ١٣] = ٣١٥

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [النساء : ٥٧] = ٣٥٤

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [النساء : ١٢٢] = ٣٥٤

﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ [المائدة : ١٢] = ٨١٠

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المائدة : ٨٥] = ٢٦٢

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المائدة : ١١٩] = ٣٩٧

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [الأعراف : ٤٣] = ٢٩٤

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة : ٧٢] = ٢٦٢

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة : ٨٩] = ٢٠٨

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] = ٦٣٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [يونس : ٩] = ٣٦٤

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [الرعد : ٣٥] = ٢٧٧

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٢٣] = ٣٢٦

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [النحل : ٣١] = ٢٤٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الكهف : ٣١] = ٢٢٥

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [طه : ٧٦] = ١٨٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ [الحج : ١٤] = **١٨ × ١٩ = ٣٤٢**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الحج : ٢٣] = **١٨ × ١٩ = ٣٤٢**

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [العنكبوت : ٥٨] = ٣٨١

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الزمر : ٢٠] = ٤١٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [محمد : ١٢] = **٣٤٢ = ١٩ × ١٨**

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفتح : ٥] = ٢٦٣

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الفتح : ١٧] = ٣١٥

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الحديد : ١٢] = ٤٨٦

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] = ٩٥٣

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الصف : ١٢] = ٣٣٥

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التغابن : ٩] = ٤٣٢

﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾
[الطلاق : ١١] = ٣٢٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم : ٨] = ٥٨٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾
[البروج : ١١] = ٢٩٩

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البينة : ٨] =
١٦ × ١٩ = ٣٠٤

٣٤٢ + ٤١٢ + ٣٣٧ + ١٠٨٧ + ٢٧١ + ٣١٥ + ٣٥٤ + ٣٥٤ + ٨١٠ +
٢٦٢ + ٣٩٧ + ٢٩٤ + ٢٦٢ + ٢٠٨ + ٦٣٥ + ٣٦٤ + ٢٧٧ + ٣٢٦ + ٢٤٥
+ ٢٢٥ + ١٨٥ + ٣٤٢ + ٣٤٢ + ٣٨١ + ٤١٠ + ٣٤٢ + ٢٦٣ + ٣١٥ +
٤٨٦ + ٩٥٣ + ٣٣٥ + ٤٣٢ + ٣٢٨ + ٥٨٥ + ٢٩٩ + ٣٠٤ = **١٤٠٧٩ =**
١٩ × ١٩ × ٣٩

.. لا شكَّ أنَّ العبارات القرآنيّة **[﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾]** تدخل في الكثير الكثير من المعادلات ، ممّا لا يحيط به إلاَّ الله تعالى .. ولكن .. اخترنا معادلة تُلقي الضوء على جوهر هذا الوصف لجنّة الآخرة ، والتي تبيّن استحالة إضافة كلمة **﴿ مِن ﴾** إلى العبارة القرآنيّة **﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾** في سورة التوبة ..

.. إذاً .. كيف يُعتمد على روايات تقول بإضافة كلمة : ﴿ مِن ﴾ إلى العبارة القرآنيّة : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ؟ ... ألا يؤدّي ذلك إلى اختلال الدلالات المحمولة بها ؟ ، وإلى اختلال المعيار الذي يبيّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم أنَّه أداة لطلب اليقين بكون القرآن الكريم من عند الله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ .... ﴾ [المدّثر : ٣٠ – ٣١] ؟ ..

.. المُطْلَقُ لا يتعدَّدُ ، ولا يتجزَّأُ ، ولا يُحاطُ به .. وكلامُ اللهِ تعالى مُطْلَق ، وبالتالي لا تُحيطُ به المعاييرُ ، فهو الذي يحملُ المعايير التي تُثبتُ إطلاقَه ، ولكن دونَ أن تُحيطَ بـــه ، فلو أحاطتْ به لكان من المُمكنِ أنْ تصوغَ المخلوقاتُ نصّاً مِنْ مِثْلِه ، وبالتالي لما كـــان مُطلَقاً ..

.. ومن الطبيعيِّ – بالنسبةِ لمن يحسب كتاب الله تعالى كروايات التاريخ – ألاّ يختـــلَّ المعنى – عنده – بإبدالِ كلمةٍ بكلمةٍ أُخرى ، أو بزيادة كلمة أو بنقصانِها ، أو بزيـــادة حرف أو بنقصانه ، فحقيقةُ المُقدَّسِ – عنده – ومعيارُهُ هو ما ورثه من التفاسيرِ التاريخيّة ، وليس النصَّ القرآنيَّ وإعْمَالَ العقلِ به ..

.. استحالة نقص أيِّ حرف ، أو زيادته ، أو تبديله ، هو مِنْ ماهيّةِ إطـــلاقِ الـــنصِّ القرآني ، ومن ماهيّةِ إعجازِه .... والكلماتُ المختلفةُ التي عرضناها في هـــذا البحـــث والمختلفة عن روايةِ حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم ، بالتأكيد تَكْسِرُ – وفق معيـــار هـــذا البعـــد الإعجازي – إطلاقَ هذا النصِّ القرآنيِّ ؟ ..

.. وأنا لا أزعمُ أنَّ هذه المعايير تُحيطُ بالنصِّ القرآنيّ ، وفي الوقتِ ذاتِهِ أُؤكِّدُ أنَّ النصَّ القرآنيَّ (رِواية حَفْصٍ لِقراءةِ عاصِم) يحملُها بكلِّ حرفٍ من حروفِه .. أمّا إنْ كانـــتْ هناك معاييرُ أُخرى في منظوماتٍ إعجازيّةٍ أُخرى غير تلك التي رأيناها ، تحملُها قـــراءاتٌ

أُخرى ، فهذا أمرٌ آخر ، لا يكون صحيحاً إلاّ بعدَ تقديمِ برهانٍ على صحّتِه .. أمّا أنْ يتمَ إنكارُ ما لا يُنكرُه عاقل ، خوفاً من سقوطِ بعضِ الروايات التاريخيّة ، فهذا لا يختلف – أبداً – عن زَعْمِ الكفرةِ بأنّ الكونَ وُلدَ بالمصادفة ..

.. مصيبة هذه الأمّة تكمن بموروثها التاريخي الذي تمَّ رفْعه إلى ما هو أعلى من كتاب الله تعالى ، وتقديم عابدي هذا الموروث لأنفسهم على أنَّهم يملكون توكيلاً من الله تعالى غير قابلٍ للعزل ، يتيح لهم رسم حدود دلالات كتاب الله تعالى ، وتكفير من لم يؤمن بما رسموه هم وأسلافهم بأيديهم ..

.. في الموروث مشاكل لها أبعادها الخطيرة في الإساءة لكتاب الله تعالى ، فالزعم بأنَّ كتاب الله تعالى الذي أُنزل على الرسول محمّدٍ ﷺ أكبر من كتاب الله تعالى الموجود بين أيدينا ، يجعل (في نفوس مقدِّسي هذا الموروث) من اختلاف القراءات بحرف أو كلمة ، أمراً ليس ذا قيمة ..

أحمد (**٢٥١١٢**) :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ **عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْراً فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ دُوَيْبَةٌ لَنَا فَأَكَلَتْهَا**

أحمد (**٢٠٢٦٠**) :

حَدَّثَنَا عَبْد اللَّهِ حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّحَّانُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ **عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ كَمْ تَقْرَءُونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ قَالَ بِضْعاً وَسَبْعِينَ آيَةً قَالَ لَقَدْ قَرَأْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الْبَقَرَةِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا**

وَإِنَّ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ

أحمد (**٢٠٢٦١**) :

حَدَّثَنَا عَبْد اللَّهِ حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْن بَهْدَلَةَ عَنْ زِرٍّ قَالَ قَالَ **لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا قَالَ قُلْتُ لَهُ ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ آيَةً فَقَالَ قَطُّ لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**

.. هذه الروايات وأمثالها يُزعَمُ فيها أنَّ هناك نصوصاً كانت من كتاب الله تعالى ثُمَّ رُفِعَت ، وهذا ممّا لُبِّسَ به على كتاب الله تعالى في مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة .. فالزعم بوجود نصوص من كتاب الله تعالى رُفع خطّها ، يؤدّي إلى القول بأنَّ القرآن الكريم الموجود الآن بين أيدينا ينقص عن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى ، بمقدار تلك النصوص .. وكلّ ذلك افتراءٌ على كتاب الله تعالى ، ودعوةٌ لزرع الشك به ، سواءٌ علم عابدو أصنام التاريخ ذلك أم لم يعلموا .. كلّ ذلك وضعٌ متعمَّدٌ للإساءة لكتاب الله تعالى ، وإن خُطب علينا أنَّ هذا الوضع وما لحق به من تأويل هو علم يجب تقديسه ورفعه إلى مستوى كتاب الله تعالى ..

.. لا بدَّ أن نبيِّن حقيقة جليّة من خلال الإجابة على السؤال التالي : مَن حجّة على مَن ، هل كتاب الله تعالى حجّة على الروايات – مهما كانت – كما نقول نحن ، أم الروايات حجّة على كتاب الله تعالى كما يقول من يقدِّمون أنفسهم ناطقين رسميّين باسم الله تعالى ؟ .. في الإجابة على هذا السؤال تتجلّى حقيقة الفكر التراثي الجمعي المبني على عبادة أصنام التاريخ .. ونحن لا ننتظر إجابة من هؤلاء ، فإجابتهم نقرؤها من النصّ التالي من كتاب الكفاية في علم الرواية ..

[[أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا محمد بن إسحاق الصغاني قال حدثنا روح بن عبادة قال ثنا الأوزاعي عن مكحول قال **القرآن**

أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن ، قال وقال يحيى بن أبي كثير **السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]]** ..

.. ونحن نشكرهم على صراحتهم هذه بتبيان حقيقة معتقدهم : **[[السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]]** .. ونشكرهم على تبيانهم لحقيقة نظرتهم لكتاب الله تعالى : **[[القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن]]** ..

.. لا يخجلون من نسب نصوصٍ **[** لا وجود لها بين دفتي كتاب الله تعالى **]** إلى كتاب الله تعالى ، بل ويجعلونها حجّة على كتاب الله تعالى ، معرضين عن دلالات كتاب الله تعالى الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ..

.. اعتبارهم لروايات التاريخ (الملفّقة) حجّة على كتاب الله تعالى ، قادهم إلى تحريف دلالات كتاب الله تعالى في ثقافة الأمّة .. ومثال ذلك مسألة الرجم ... فقد احتجّوا على أكذوبة الرجم ، بما ورد في موطّأ مالك ، أنّ عمر بن الخطّاب قال : **[[والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطّاب في كتاب الله تعالى لكتبتها : الشيخ والشيخة – إذا زنيا – فارجموهما البتة فإنّا قد قرأناها]]** ، وبما ورد في سنن الدارمي ، عن زيد بن ثابت قال : **[[أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة]]** ، وبما ورد في سنن ابن ماجة ، أنّ عمر بن الخطّاب قال : **[[وقد قرأتها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة ، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده]]** ، وبما ورد في مسند أحمد ، عن زيد بن ثابت : **[[سمعت رسول الله ﷺ يقول : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة]]** ..

.. ولم يهتمّوا أبداً بقوله تعالى : **﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ**

عَذَابَهُمَا طَآبِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] ، وبأنَّ ذلك يعني الزانية والزاني دون أيِّ تخصيصٍ لكونهما محصنين أم لا .. لقد خصَّصوا الكلمتين **﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾** بغير المحصن في الوقت الذي لا تُوجد فيه إشارة في كتاب الله تعالى لهذا التخصيص .. وذلك نتيجة اعتقادهم وعملهم بما قالوه هم : **[[السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]]** ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى دلالات العبارة القرآنيّة : **﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ﴾** [النساء : ٢٥] ، بأنّها تنسف رواياتهم من أساسها ..... فإن كان حكم المحصنات من العذاب هو الرجم حتى الموت ، فما هو نصف الموت ؟!!!!!!! ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى دلالات قوله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النور : ٦ – ٨]

.. بناء على زعمهم بأكذوبة الرجم ، فإنَّ المرأة المتزوّجة التي يرميها زوجها بالزنا لا بُدَّ أن تُرجَم حتى الموت .. بناء على ذلك ، كيف يُفَسِّرون لنا ورود كلمة **﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾** بهذه الصيغة دون أيِّ صيغة أُخرى (كالموت أو الرجم) في العبارة القرآنيّة **﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾** ، والتي تبيّن لنا بشكلٍ جليٍّ أنَّ العقوبة هي العذاب الذي بيّنه الله تعالى

في كتابه الكريم **﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ .... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [النور : ٢] ؟ ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى حقيقة النصّ الموضوع الذي يحاولون جعلَه نصّاً قرآنيّاً **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** ، بأنّه لا يمكن أن يكون نصّاً إلهيّاً ، لأنّه نصٌّ ركيكٌ لغويّاً يخجل من صياغته حتى من يملك الحدّ الأدنى من إدراك حقيقة اللغة العربيّة .. فكلمة **[[والشيخة]]** لا تُستعمل أصلاً ، وكلمة الشيخ تُستعمل للرجل والمرأة على حدٍّ سواء ، كما هو الحال في كلمة (عجوز) ، نقول : رجل عجوز ، وامرأة عجوز ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى حقيقة النصّ الموضوع الذي يحاولون جعلَه نصّاً قرآنيّاً **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** ، بأنَّ كلمة **[[الشيخ]]** في كتاب الله تعالى لا علاقة لها بالإحصان كما يريد زاعمو هذه الرواية الموضوعة ، فهذه الكلمة تعني مرحلةً متقدّمةً من العمر ..

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود : ٧٢]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ ﴾ [غافر : ٦٧]

.. فكيف إذاً يزعمون أنَّ القول الموضوع **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** هو نصٌّ إلهيٌّ يحمل حكماً برجم المحصن الزاني ؟!!!!!! ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ ورجالاته ، أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى حقيقة النصّ الموضوع الذي يحاولون جعلَه نصّاً قرآنيّاً **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة**

]] ، وذلك بكون مشتقّات الجذر اللغوي (ش ، ي ، خ) : [**﴿ شَيۡخٌ ﴾** ، **﴿ شَيۡخًا ﴾** ، **﴿ شُيُوخًا ﴾**] ترد في كتاب الله تعالى (٤) مرّات ، وهذا يقابل عدد مرّات ورود مشتقّات الجذر اللغوي (ط ، ف ، ل) [**﴿ ٱلطِّفۡلِ ﴾** ، **﴿ طِفۡلًا ﴾** ، **﴿ ٱلۡأَطۡفَٰلُ ﴾**] في كتاب الله تعالى ، حيث ترد أيضاً (٤) مرّات .. وبالتالي فتقديمهم للنصِّ المكذوب **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** على أنَّه من كتاب الله تعالى ، يؤدّي إلى اختلال هذه المعادلة ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ ورجالاته ، أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى حقيقة النصّ الموضوع الذي يحاولون جعلَه نصّاً قرآنيّاً **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** ، وذلك بورود كلمة **[[إذا]]** فيه .. فكلمة **[[إذا]]** تحمل معنى حتميّة الوقوع ، وهذا ينافي الواقع ، فعلى الأقل كان من المفروض أن ترد كلمة **[إن]** دون كلمة **[[إذا]]** ، حيث كلمة **[إن]** تحمل إمكانية حدوث الأمر وإمكانيّة عدم حدوثه في الوقت ذاته ، وهذا يُناسب الحكم الذي يريدون فرضه – ظلماً وعدواناً – على منهج الله تعالى .. بينما كلمة **[[إذا]]** في هذا النص ، لا تتناسب إطلاقاً مع ما يريده واضعو هذا الحديث المكذوب ..

.. عبادتهم لروايات التاريخ ورجالاته ، أعمت بصيرتهم من أن ينظروا إلى حقيقة النصّ الموضوع الذي يحاولون جعلَه نصّاً قرآنيّاً **[[الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة]]** .. فكيف نفهم القول الموضوع على لسان عمر بن الخطّاب : **[[والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطّاب في كتاب الله تعالى لكتبتها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنّا قد قرأناها]]** .. فهل امتنع عمر بن الخطّاب عن كتابة هذا النصّ في كتاب الله تعالى خشيةً من الناس ، وأنّه لولا هذه الخشية لأضاف هذا النصّ إلى

كتاب الله تعالى ؟!!! .. هذا الكلام يُحمل على وجهين ، إمّا أنَّ النصَّ ليس من كتاب الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد ، وعمر بن الخطاب يعلم ذلك ، وبالتالي امتنع عن إضافته لكتاب الله تعالى بناء على ذلك .. وإمّا أنَّ النصّ من كتاب الله تعالى ولكنّ عمر بن الخطّاب خشي الناس أكثر من خشيته لله تعالى فامتنع عن إضافته لكتاب الله تعالى .. وكلا الاحتمالين مستحيل ، فقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، صريحٌ وبيّنٌ ، ويُسقط هذه الروايات الموضوعة من أساسها ..

.. من أعمتهم بصيرتهم عن رؤية هذه الحقائق – وغيرها الكثير – نتيجة جعلهم لروايات التاريخ حجّة على كتاب الله تعالى ، ومن يعتقدون أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ، بمعنى كانت أكبر ممّا هي عليه الآن بمئات الآيات ، ومن يعتقدون أنَّ دويبة أكلت جزءاً من كتاب الله تعالى وتحول إلى روثٍ في أحشائها .. من يعتقدون ذلك .. فهل من الممكن أن يعنيهم حذف كلمة ﴿ هُوَ ﴾ من قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] ؟ ..... وهل من الممكن أن يعنيهم بشيء تغيير حرف الزاي في كلمة : ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ لتصبح (ننشرها) ؟ ..... وهل من الممكن أن يعنيهم حذف حرف الألف من كلمة ﴿ ٱلْعِظَامِ ﴾ ..... وهل من الممكن أن تعنيهم بشيء خصوصيّة رسم كلمة إبراهيم دون حرف ياء ﴿ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ في سورة البقرة ..... وهل من الممكن أن يعنيهم بشيء إضافة حرف الدال إلى كلمة ﴿ يَرْتَدَّ ﴾ لتصبح (يرتدد) ؟ ..... وهل من الممكن أن يعنيهم بشيء استبدال كلمة ﴿ مِّنْهَا ﴾ بكلمة : (مِنْهُمَا) ؟ ..... وهل ؟ ..... وهل ؟ ..... وهل ؟ ....

.. من يعتقد أنَّ النصَّ القرآنيَّ المستحيل على المخلوقات ، والذي نُزِّل على قلب النبيّ محمّد ﷺ فقط وفقط لا غير .. من يعتقد أنَّه أُنزل على عمر بن الخطاب قبل النبيّ ﷺ ، بالتأكيد لا يعنيه حذف الكلمات والحروف من كتاب الله تعالى وإضافتها واستبدالها ..

البخاري (٤٥٣٥) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ **قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ**

.. فهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة ، تُحذف فيها الكلمتان : **﴿ وَمَا خَلَقَ ﴾** من قوله تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾** [الليل : ٣] ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. بناء على الأحاديث التالية ؟!!!!!!! ..

البخاري (٤٥٦٢) :

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ دَخَلْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّأْمَ فَسَمِعَ بِنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَأَتَانَا فَقَالَ أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ فَقُلْنَا نَعَمْ **قَالَ فَأَيُّكُمْ أَقْرَأُ فَأَشَارُوا إِلَيَّ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَرَأْتُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَالَ أَنْتَ سَمِعْتَهَا مِنْ فِي صَاحِبِكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَؤُلَاءِ يَأْبَوْنَ عَلَيْنَا**

البخاري (٤٥٦٣) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُلُّنَا قَالَ فَأَيُّكُمْ

أَحْفَظُ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ قَالَ كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى** قَالَ عَلْقَمَةُ **وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى** قَالَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** وَاللَّهِ لَا أُتَابِعُهُمْ

مسلم (**١٣٦٤**) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَدِمْنَا الشَّامَ فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ نَعَمْ أَنَا **قَالَ فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ فَلَا أُتَابِعُهُمْ** و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَتَى عَلْقَمَةُ الشَّامَ فَدَخَلَ مَسْجِدًا فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى حَلْقَةٍ فَجَلَسَ فِيهَا قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَعَرَفْتُ فِيهِ تَحَوُّشَ الْقَوْمِ وَهَيْئَتَهُمْ قَالَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي ثُمَّ قَالَ أَتَحْفَظُ كَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ

مسلم (**١٣٦٥**) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِمَّنْ أَنْتَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ مِنْ أَيِّهِمْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ **قَالَ هَلْ تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاقْرَأْ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ فَقَرَأْتُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى قَالَ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا** و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة تضاف فيها الكلمتان **[[يُطَوَّقُونَهُ فَلا]]** إلى قوله تعالى : **﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة : ١٨٤] ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك بناء على الحديث التالي ..

البخاري (٤١٤٥) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة تضاف فيها الكلمات **[[فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ]]** إلى قوله تعالى : **﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾** [البقرة : ١٩٨] ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك بناء على الخديث التالي ..

البخاري (١٩٠٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ **فَنَزَلَتْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ**

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة تُستبدل فيها كلمة : **﴿ أُوتِيتُم ﴾** في قوله تعالى التالي بكلمة **[[أوتوا]]** ... **﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾** [الإسراء : ٨٥] ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك اعتماداً على الحديث التالي ..

البخاري (٦٩٠٨) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ حَرْثِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا**

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة تُحذف فيها كلمة : **﴿ يَـٰمَـٰلِكُ ﴾** من قوله تعالى : **﴿ وَنَادَوۡاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾** [الزخرف : ٧٧]

، وتستبدل بكلمة **[[يَا مَال]]** ؟ .. وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك بناءً على الحديث التالي ..

البخاري (٢٩٩١) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ عَطَاءٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ **سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ قَالَ سُفْيَانُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَنَادَوْا يَا مَالِ**

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة تضاف فيها الكلمتان **[[وَصَلاةِ الْعَصْرِ]]** إلى قوله تعالى : **﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾** [البقرة : ٢٣٨] ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك اعتماداً على الحديث التالي ..

مسلم (٩٩٨) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِي يُونُسَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّهُ قَالَ أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفاً وَقَالَتْ إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَآذِنِّي حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آذَنْتُهَا فَأَمْلَتْ عَلَيَّ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد اعتماد قراءة جديدة ، يُضاف فيها النصّ : **[[لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ**

تَابَ]] إلى كتاب الله تعالى ، وذلك من باب الاحتياط وتقديس روايات التاريخ ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. اعتماداً على الحديث التالي ..

البخاري (٥٩٥٧) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ **سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ**

مسلم (١٧٣٩) :

و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِلْءَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ مِثْلُهُ وَلَا يَمْلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي أَمِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا** وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ قَالَ فَلَا أَدْرِي أَمِنْ الْقُرْآنِ لَمْ يَذْكُرْ ابْنَ عَبَّاسٍ

.. وهل تقديس أصنام التاريخ من رجالات وروايات وعصبيّات مذهبيّة وطائفيّة تتصاعد وتيرة تقديسها على حساب كتاب الله تعالى ، هل سيدفع ذلك إلى أن يخرج علينا في يومٍ من الأيّام من يريد – من باب الاحتياط والالتزام برواياته المقدَّسة – اعتماد قراءة جديدة ، تُحذَف فيها السورتان الأخيرتان في كتاب الله تعالى ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من ينكر ذلك .. وذلك اعتماداً على الأحاديث التالية (((وتفسيرها في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري))) ؟ ..

البخاري (٤٥٩٤) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ وَعَبْدَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ **سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

البخاري (**٤٥٩٥**) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ح وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ قَالَ **سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ أُبَيٌّ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

مسند أحمد (**٢٠٢٤٤**) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ قَالَ قُلْتُ لِأُبَيٍّ **إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ** حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ **سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ لَكُمْ فَقُولُوا** قَالَ أُبَيٌّ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ نَقُولُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ **سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ أُبَيٌّ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ نَقُولُ** حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي رَزِينٍ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بِمِثْلِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زِرٍّ قَالَ **سَأَلْتُ أُبَيًّا عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ **فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ**

نَقُولُ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ **قُلْتُ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ أُبَيٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ

مسند أحمد (**٢٠٢٤٥**) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَشْكَابٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مَعْنٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ **كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ **أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ**

.. وهل ؟ ..... وهل ؟ ..... وهل ؟ .....

.. أليست هذه الروايات وما يترتّب عليها من إساءة لكتاب الله تعالى .. ومن حملها لإمكانية إعطاء حيثّيات تحريف بعض نصوص كتاب الله تعالى .. ومن اعتبار كتاب الله تعالى وصل إلينا بذات آليّة وصول هذه الروايات .. أليس ذلك تحريفاً للكلم من بعد مواضعه : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾ [المائدة : ٤١] ؟ ..

.. أليس المُعرِضون عن هذه الحقائق الدامغة المحمولة بمعجزة (إحدى الكُبَر) وثوابت لغة كتاب الله تعالى .. الرافعون لروايات التاريخ ورجالاته فوق ثنائية (كتاب الله تعالى ، وثوابت العقل والعلم والمنطق) .. المتاجرون بالسنّة الشريفة الطاهرة لصالح أهوائهم

وعصبيّاتهم .. الغارقون في ظلام ضباب مستنقعاتهم النتنة .. أليسوا مشمولين بمن تصفهم الآية الكريمة ..

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾ [الكهف : ١٠١]

.. نترك الإجابة لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ..

المهندس عدنان الرفاعي

فَعِظُوهُنَّ
وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

.. الحقُّ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى ، وما يُدعى من دون الله تعالى باطل .. لذلك .. فالحقُّ دائمٌ بدوام الله تعالى .. والله تعالى يُحقِّه بكلماته التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر ..

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس : ٨٢]

.. من هنا نرى أنَّ التدليس بالباطل على أنَّه هو الحق ، هو أبشع صور الإجرام ، لأنَّه يُخفي الحقَّ من جهة ، ويقدِّم الباطل حقاً من جهةٍ أُخرى .. وتبلغ الجريمة أوجها حينما يترتَّب على هذا الخلط بين الحقِّ والباطل ظلمٌ يدفع ثمنه الأبرياء دون أيِّ ذنب ..

.. من أبشع صور هذا الباطل ، ما يحمله موروثنا الثقافي والفقهي من ظلم للمرأة ، ما أنزل الله تعالى به من سلطان .. فنرى أحاديث مهينة للمرأة ، ونرى تفاسير مغلوطة تجعل من المرأة بمستوى البهائم .. نعم تجعلها بمستوى البهائم .. أليست أحكام السبي والعبيد وملك اليمين – على سبيل المثال – التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، تفرض على المرأة (خصوصاً) أبشع الجرائم بحقِّ عرضها وحياتها كلِّها ..

.. في هذا البحث سنتناول – بإذن الله تعالى – مسألة تشويه دلالات الآية الكريمة التالية ، واقفين على حقيقة دلالات عباراتها ، بمنهجيّة علميّة بعيدة عن ضغط الموروث ..

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤]

.. الآية الكريمة تبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ .. وللأسف فإنَّ دلالات هذه العبارة القرآنيّة كما تحملها صياغتها اللغويّة ، غُيِّبَت خلال التاريخ ، واستُبدِلَت بما لا تحمله ، لا من قريب ولا من بعيد ..

.. كلمة ﴿ قَوَّٰمُونَ ﴾ ، لا تحمل معنى التسلّط والقهر والتفضيل في الخلق بين الرجل والمرأة .. أبداً .. فهذه الكلمة من الجذر (ق ، و ، م) .. والقول : قام إلى الشيء : يعني همَّ به وتحرَّك لفعله ..

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء : ١٤٢]

.. وهذا المعنى نراه في كلمة ﴿ قَامُواْ ﴾ في قوله تعالى ..

﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤]

.. كلمة ﴿ قَامُواْ ﴾ تعني : تحرّكوا وتابعوا في بحثهم وتفكّرهم ودعوتهم ، ونتيجة قيامهم هذا أنّهم قالوا : ﴿ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ .... ﴾ ..

.. والعبارة ﴿ تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ﴾ [الروم : ٢٥] ، تعني : تتابع السماوات والأرض وجودها وبقاء حيثيّاتها بأمر الله تعالى .. والعبارة ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [الروم : ١٤] ، تعني : ويوم تُفعَّل حيثيّات وجود الساعة .. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ [الروم : ١٤] ، تعني : وأن تتابعوا العمل والإشراف على اليتامى بالقسط .. وقوله تعالى ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ ﴾ [المائدة : ٦٨] ، يعني : حتّى تفعِّلوا وتتابعوا في حركة حياتكم ، أحكام التوراة والإنجيل ، وما أُنزل إليكم من ربّكم ..

.. من هنا نرى أنَّ كلمة ﴿ قَآئِمٌ ﴾ في قوله تعالى .. ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد : ٣٣] ، تعني : أفمن هو متابع ومشرف وقيّوم .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ﴾ [آل عمران : ٧٥] ، فكلمة ﴿ قَآئِمٗاۗ ﴾ تعني : متابعاً وساعياً في الطلب ..

.. والمشتق من هذا الجذر (ق ، و ، م) على وزن (فعَّال) ، يرد ثلاث مرّات في كتاب الله تعالى ، في الآية قيد الدراسة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، وفي قوله تعالى ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النساء : ١٣٥]

.. حيث كلمة ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ كما نرى تعني : فعَّالين في متابعتكم بالقسط لكلِّ حركات حياتكم .. وأيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [المائدة : ٨]

.. حيث كلمة ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ تعني : فعّالين متابعين لما يريده الله تعالى في كلِّ حركات حياتكم ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ تعني : الرجال فعَّالون عبر حركاتهم وأعمالهم وسعيهم ، في متابعة النساء بخدمتهن والقيام على حاجاتهن .. ولا تعني أبداً التسلط والعلو والقهر .. أبداً .. فهي تحمل تكليفاً للرجال ، وليس تشريفاً لهم وعلوّاً على النساء في القيمة الإنسانيّة ، كما يتوهَّهم أصحاب الأهواء ..

.. وهذه الفعَّاليّة التي أُعطيت للرجال ، من أجل متابعة حاجات النساء والقيام بخدمتهن ، إنّما أُعطيت لسببين اثنين ، هما : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ ، وَ : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ ..

.. وما نلاحظه أنَّ الله تعالى لم يصف السبب الأوَّل بقوله : (**بما فضلَّهم الله عليهن**) ، أو : (**بما فضَّل الله بعضهم عليهن**) ، أو (**بما فضَّل الله بعضهم على بعضهن**) .. أبداً .. الله تعالى يقول ﴿ **بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ** ﴾ ..

.. الفضل في كتاب الله تعالى هو العطاء والزيادة .. ﴿ **وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ** ﴾ [النحل : ٧١] .. لذلك .. قوله تعالى : ﴿ **يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٧] ، يعني : أعطيتكم ما لم أُعْطِ أحداً من العالمين ..

.. الله تعالى يبيّن لنا ما يريده منّا ، في منهج تفاعلنا مع رسله عليهم السلام ..

﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦]

﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

.. هؤلاء الرسل الذين لا نفرِّق بينهم ، فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض ..

﴿ **۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ** ﴾ [البقرة : ٢٥٣]

﴿ **وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ** ﴾ [الإسراء : ٥٥]

.. تفضيل الله تعالى للرسل على بعضهم : يعني : أنَّ الله تعالى أعطى كلَّ واحدٍ منهم خاصيّة يتميّز بها على غيره من الرسل ، وبالتالي فكلٌّ واحد من الرسل يتميّز عنه بميِّزة ..

مثلاً .. عيسى عليه السلام يتميَّز بامتلائه بالروح .. وموسى عليه السلام يتميّز بكونه كليم الله تعالى .. وإبراهيم عليه السلام يتميّز بكونه خليل الله تعالى .. وهكذا ...

.. هذا المعنى للتفضيل هو ذاته ما نقرؤه في دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [النساء : ٣٤ – ٣٥] ..

.. وكما قلنا .. الله تعالى لم يقل : (**بما فضلّهم الله عليهن**) ، أو : (**بما فضَّل الله بعضهم عليهن**) ، أو (**بما فضَّل الله بعضهم على بعضهن**) .. أبداً .. الله تعالى يقول : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ .. وهنا .. نميِّز بين وجهين متكاملين من المعنى :

١ – العبارة ﴿ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ .. تعني صنفي الرجال والنساء .. بمعنى : فضل الرجال على النساء ببعض الميِّزات ، وفضَّل النساء على الرجال ببعض الميِّزات .. بالنتيجة كلٌّ منهما فُضِّل على الطرف الآخر بميّزات تتعلَّق بكينونته ، ليكون الطرف الآخر قد فضَّله الله تعالى عليه بميّزات تتعلَّق بكينونته ..

٢ – العبارة ﴿ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ .. تعني أيضاً : فضَّل بعض البشر (رجالاً كانوا أم نساء) على بعضهم ، حسب عطائه جلَّ وعلا لكلٍّ منهم ، سواء كانوا رجالاً أم نساء .... فالبشر (رجالاً ونساء) ، فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض ..

﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا سُخۡرِيًّاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]

.. هذه العبارة ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ بما تحمله من دلالات كما نرى ، تنفي أيَّ معنى من معاني التسلّط والعلو للرجال على النساء .. فالقوّامة التي أُعطيت للرجال على النساء ، هي بسبب سعيهم ومتابعتهم وقيامهم بحاجات النساء ، كونهم

يتميّزون بالقوّة الجسديّة والقدرة على السعي .. وهذا يقابله تفضيلٌ للنساء على الرجال ، حيث يتميّزن بأمورٍ أخرى لا يملكها الرجال .. وكلٌّ ذلك محمول بقوله تعالى ﴿ **بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ** ﴾ ..

.. والسبب الثاني في قوّامة الرجال على النساء هو : ﴿ **وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ** ﴾ .. وهذا السبب يتعلّق بمن ينفق من ماله ، بمعنى : بمن يتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة .. فمن يتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة ، هو المتابع والمشرف والمتحمّل لمسؤولية تلبية حاجات هذه الأسرة .. وهنا – أيضاً – علينا أن نميِّز بين وجهين من المعنى :

١ – في معظم المجتمعات البشريّة ، وخلال التاريخ ، الرجل هو من يتحمَّل مسؤوليّة الإنفاق على الأسرة ، وفي هذه الحالة القوّامة تكون له .. وهذا هو المعنى الأساس الذي يذهب إليه الذهن أوّلاً ..

٢ – في بعض الحالات الخاصّة ، المرأة هي التي تتحمَّل أعباء الإنفاق على الأسرة ، فهي التي تعمل ، وهي التي تنفق من مالها .. وهنا تأخذ كلمة ﴿ **ٱلرِّجَالُ** ﴾ معنى آخر هو : الساعي والمتحرِّك ..

.. كلمة ﴿ **ٱلرِّجَالُ** ﴾ هي من الجذر (ر ، ج ، ل) ، وقد وردت في كتاب الله تعالى بمعنى : الساعي والمتحرّك بقصده وإرادته باتّجاه محدَّد ، وليس بمعنى : الذكر المقابل للأنثى ..

﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨) فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ** .... ﴾ [البقرة : ٢٣٨ – ٢٣٩]

﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ** ﴾ [الحج : ٢٧]

.. في هذه الحالات الخاصّة ، حيث تُوضَع المرأة في موقع القيام بأعباء الإنفاق والإشراف على الأسرة ، تكون هي المعنيّة بكلمة ﴿ **ٱلرِّجَالُ** ﴾ .. وهذه الحالة ليست نادرة .. فالمرأة إن مات زوجها ، أو هجرها ، أو كان لا يستطيع القيام بالقوَّامة لسببٍ ما ، وعندها بنات تعمل لتنفق عليهن ، وبعهدتها تربيتهن والإشراف عليهن ، وأولادها صغار لا يوجد فيهم من يستطيع تحمّل هذه المسؤوليّة .. في هذه الحالات .. من القوَّام على تلك البنات ؟ .. أليست أمّهن التي تسعى وتعمل لتأمين حاجتهن ، والإشراف عليهن ؟ ..

.. إذاً .. العبارات القرآنيّة ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ** ﴾ .. لا تحمل أبداً أيَّ معنى من معاني إعطاء صلاحيّة التسلّط والقمع والقهر ، للرجال (كذكور) على نسائهم (كإناث) ، إنّما تعني كما رأينا : تكليف الرجال بمتابعة أمور النساء ، وتحميلهم المسؤوليّة لتأمين حاجاتهن ، وحمايتهن ، والإشراف على شؤونهن بما يضمن مصلحتهن .. وهذا تكليف ، وليس تشريفاً .. وليس تمييزاً بالعلو والقيمة الإنسانيّة للذكور على الإناث ..

.. بعد هذه العبارات القرآنيّة .... نرى استئنافاً ، متفرِّعاً عن العبارات السابقة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ** ﴾ ..... وما نراه أنَّ كلمة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ** ﴾ مبتدأ .. وخبره الأوَّل ﴿ **قَٰنِتَٰتٌ** ﴾ .. وخبره الثاني ﴿ **حَٰفِظَٰتٌ** ﴾ .. ولا شك أنَّ كلمة ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ** ﴾ خاصّة بالإناث ..

.. والصلاح هو الابتعاد عن المعاصي والفساد والفواحش وكلِّ ما ينهى الله تعالى عنه .. ولا شكَّ أنَّ الصلاح يتعلّق بالإيمان والتقوى والرجوع عن الخطأ .. فالصالحات اللاتي يصفهنّ الله تعالى بهذه الصفة ، هنَّ جزءٌ من النساء ..... بكينونتهن وما يعملن من إبعاد للسوء والفاحشة والخطيئة عن أنفسهن ، صفتهن الصلاح ..

.. والصالحات اللاتي يصفهن الله تعالى بذلك ، هُنَّ ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ .. والقنوت هو الإصغاء والاتّجاه نحو الالتزام بالطاعة .. وهُنَّ أيضاً ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ .. فحفظ الشيء هو منع وصول الخلل والنقص والسوء إليه ..

.. واللاتي يصفهنَّ الله تعالى بقوله : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ ، هنَّ : ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ كنتيجة لهذه الصفة ، وهنَّ ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ كنتيجة أيضاً .. وحفظ الغيب هو منع وصول السوء للنفس والخلل والفاحشة ، في الغيب ، عندما تكون المرأة لا رقيب عليها إلاَّ الله تعالى .. بمعنى : صلاحها وإيمانها وتقواها ، يجعلها في الغيب ، في حالات بُعدها عن مراقبة الآخرين ، يجعلها حافظة لنفسها من أيِّ سوء أو خلل أو فاحشة ..

.. ولكن هذه الصفة ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ تكون بواسطة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ .. فحفظها لنفسها في الغيب هو بواسطة حفظ الله تعالى ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ .. وهنا لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ وجهان من المعنى ، لا ينفكّان :

١ – حفظهنّ للغيب ، هو بسبب حفظ الله تعالى لهنّ ، كونهن صالحات قانتات ، وهنا تكون (ما) في العبارة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ مصدريّة .. أي بسبب حفظ الله تعالى لهن ، والذي هو نتيجة لكونهنّ صالحات قانتات ..

٢ – حفظهنَّ للغيب ، هو بالسبب الذي حفظه الله تعالى لهنَّ من قوَّامة للرجال عليهن ، تضمن لهن النفقة وتأمين كامل حاجاتهن ، ممّا يساعدهنّ ويؤمِّن لهنَّ حفظهنّ للغيب .. وهنا تكون (ما) في العبارة ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ موصولة بمعنى الذي .. أي بالذي حفظه الله تعالى لهنَّ ، من الحقوق التي شرعها لهن في كتابه الكريم ..

.. إذاً .. العبارات القرآنيّة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ** ﴾ ، تصف جزءاً محدَّداً من النساء ، يتَّصفن بهذه الصفات كقيمة إيمانيّة روحية ، تُنتج سلوكاً سليماً ، سواء في غيابهن أم في حضورهن .. ولا تصفُ كلَّ النساء .. وتأتي العبارات التالية لتصف حالة سلوك اجتماعي ، ينتج عن حالة نفسيّة لبعض النساء .. لتبقى بين هذين الوجهين ، مساحة تتحرَّك فيها باقي النساء ، حسب درجات صلاحهن من جهةٍ ، وحسب درجات انشراح أنفسهن من جهةٍ أُخرى .. فلربما – على سبيل المثال – تكون المرأة حافظة للغيب قانتة ، لكنَّها بسببٍ نفسي غير منسجمة اجتماعيّاً ، ممَّا يتخوَّف من إمكانيّة وصولها إلى حالة النشوز ..

﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا** ﴾

.. وكلمة ﴿ **نُشُوزَهُنَّ** ﴾ هي من الجذر (ن ، ش ، ز) .. ودلالات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى تعني : التقوقع والاجتماع حول الذات ، وعلى هيئتها وناموسها ، وعدم مدّ جسور التواصل مع الآخر .. فتقوقعُ الزوجِ على نفسهِ ابتعاداً عن التواصل مع زوجتِهِ ، وتقوقعُ الزوجةِ على نفسِها ، ابتعاداً عن التواصل مع زوجِها ، هو ترفُّعُ كُلٍّ منهما على الآخر ، وبالتالي عودةٌ إلى الذاتِ الفرديّةِ دون التواصلِ مع الآخر ، ودون فَسْحِ حدودِ النفسِ للتواصلِ معه .. وقد عبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن ذلك بمشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) ..

.. وما نراه أنَّ هذه المسألة ، التي تجمع في إطارٍ واحد ، الخوف من نشوز المرأة ، وخوف المرأة من نشوزٍ يقوم به بعلها .. هي مسألة كاملة في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ [النساء : ٣٤] = ٦١١

﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ ﴾ [النساء : ١٢٨] = ٤٣٤

٦١١ + ٤٣٤ = **١٠٤٥ = ١٩ × ٥٥**

.. وهكذا .. فالنفسُ التي كانتْ مفسوحةً للتواصلِ مع الزوجِ ، لتتقاطعَ مع نفسِه في مُشتَرَكٍ يضمُّ ساحةً من التواصل بين الزوجين ، خارجَ حدودِ فرديّةِ كلٍّ من الزوجين ، تعودُ مُتقوقعةً على ذاتِها ، وهذا ما يصفه كتاب الله تعالى بالنشوز من الجذر (ن ، ش ، ز) ..... فالنشوزُ إذاً بالنسبةِ لمسألةٍ ما ، هو إعادةُ تركيبِ جزئيّات هذه المسألةِ على بعضِها ، لتتَّصلَ على نظامِ ذاتِها ..

.. هذا المعنى نراه في العبارة القرآنيّة : **﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾** [البقرة : ٢٥٩] .. فتجميعُ العظامِ المُبَعثرة ، وَرَفْعُها إلى بعضِها ، واتّصالُها على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، يُصوِّرُهُ الله تعالى لنا بكلمة **﴿ نُنشِزُهَا ﴾** .... **﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾** .. فما رآه الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها ، هو تجميع العظام المبعثرة على هيئةِ ذاتِها قبل بعثرتِها ، ومن ثم إكساؤها باللحم ..

.. وهذا المعنى المستنبط من مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة : ١١]

.. التفسُّحُ [حيث لا ترد مشتقّات للجذر : (ف ، س ، ح) إلاَّ في هذه الآيةِ الكريمة] هو عكسُ النشوز ، فهو يعني التوسّع ، والتنحّي .. ولو كانت المسألةُ محصورةً بأماكنِ القعود كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ، لكانتْ مسألةَ مُفاعلةٍ بين القاعدين ..... لكنْ .. ما نراهُ في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ .. ولْمْ يقلْ (تَفَاسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ) ..

.. وفي قولِهِ تعالى ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ ، إطلاقٌ يشملُ نتيجةً هي بيدِ اللهِ تعالى ، وذلك ضمن إطارِ ساحة التفسُّحِ في المجالس .. ﴿ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ .. وكلُّ ذلك يجعلُنا نذهبُ بدلالاتِ هذه الآيةِ الكريمةِ إلى ما هو أبعدُ من مسألةِ التوسُّعِ في أماكنِ القعود ..

.. نحنُ نعلمُ أنَّ الدراسةَ العِلميّةَ الفلسفيةَ المنهجيةَ لِمسألةٍ ما ، بِهدفِ البحثِ عن ناظِمِها ، وناموسِها الذي يَحْكُمُهَا ، يبدأُ بالنظرِ إلى جزئيّاتِها التي نستطيعُ إدراكَهَا بأدواتِنا الحسّية ، وبما نملكه من ثوابتَ ومعايير .. أي نقومُ بعمليةِ تفكيكٍ وتحليلٍ لهذه المسألةِ بهدفِ النظرِ إلى حقيقةِ مكوِّناتِها .. بعد ذلك نقومُ بعمليّةِ تجميعٍ لما أدركناهُ من ثوابتَ تحملُها جزئيّاتُ هذه المسألةِ ، أي نقومُ بعمليةِ تركيبٍ لهذه الجزئيات على بعضِها ، بهدفِ الوصولِ إلى ذاتِ الناموس الذي نبحثُ عنهُ في ذاتِ هذه المسألة ..

.. هذا الكلامُ عامٌّ يشملُ كلَّ مناهجِ البحث .. ويشملُ أيضاً الآفاقَ الفِكريّة ، وأدواتِ الرُّؤى ، في تفاعُلِ الإنسان وبحثِهِ عن الحقيقةِ ، داخلَ حدودِ الذات ، وخارِجَها

.. فالإنسانُ حينما ينظرُ من منظارِ نفسِه إلى الآخر ، يرى من حقيقةِ الآخرِ وجزئيّاتِ ذاتِه ، بمقدارِ ما يتفسَّحُ في رُؤاهُ ، ويمدُّ جسورَ التفاهمِ معه ..

.. هذا المنهجُ العلميُّ ، يَتَّبِعُهُ الذين أوتوا العلمَ ، من أيِّ أُمةٍ كانتْ ، في بحثِهم عن الحقيقة ، فباتِّباعِهم لهذا المنهج يصلون إلى الحقيقة ... فسواءٌ تحليلُ مُكوِّناتِ المسألةِ ، أو تركيبُها ، أو الانطلاقُ من الجزئيّاتِ إلى الكليّات ، أو الانطلاقُ من الكليّاتِ إلى الجزئيّات .. كُلُّ ذلك خطواتٌ ضروريّةٌ لمنهجٍ علميٍّ هدفُهُ البحثُ عن الحقيقة ..

.. إذاً .. النشوز المعني في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ [المجادلة : ١١] ، هو تركيب الجزئيّات (التي تمَّ إدراكها في البحث) على بعضها ، لتكوين هيئة النتيجة التي يصل إليها الباحث نتيجة بحثه ..

.. بعد هذا البيان لمعاني جميع مشتقّات الجذر (ن ، ش ، ز) في كتاب الله تعالى .. لنعد إلى العبارة القرآنيّة قيد الدراسة ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ ..

.. في هذه الحالة نرى وصفاً لظهور سلوك اجتماعي لبعض النساء ، عبر مؤشّرات سلوكيّة اجتماعيّة ناتجة عن حالة نفسيّة ، تبديها المرأة من هذا الصنف ، تؤدّي بها فيما لو استمرّت على هذا الحال ، إلى الوصول لحالة النشوز الكلّي .. وما نراه في وصف هذه الحالة ، أنَّ النشوز بمعناه الكلّي المُهلِك المؤدِّي للفراق الذي يتخوَّف من وقوعه ، لم يبدأ بعد .. فالعبارة : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ ، تبيّن لنا أنَّ نساء هذا الصنف الثاني ، يحصل خوف من إمكانية نشوزهن .. فالنشوز لم يقع بعد .. الواقع هو الخوف من إمكانيّة نشوزهن بالمفهوم الكلّي المؤدِّي للفراق .. وفي كتاب الله تعالى نرى أنَّ الخوف من حدوث الأمر ، لا يعني أنّه واقع ، بل يعني الخشية من وقوعه ، من خلال سلوك مقدِّمات ، نتيجتها وقوعه ..

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف : ٥٩]

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف : ١٣]

﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾ [الشعراء : ١٤]

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ **تَخَافُونَ** ﴾ ترد بصيغة المضارع .. لذلك فدلالات العبارة القرآنيّة ﴿ **تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. إمَّا تُسحَب على النشوز الكلِّي كنتيجة يتخوَّف من الوصول إليها ، أو على ما يظهر منهنَّ من مؤشِّرات سلوكيّة نفسيّة تؤدِّي في النهاية إلى حالة النشوز الكلِّي .. وفي الحالتين ، لم يقع بعد النشوز الكلِّي المتخوَّف منه ، وما هو واقع مقدّماته ومؤشّراته النفسيّة السلوكيّة التي تظهر على المرأة ..

.. وما نراه أنَّ الله تعالى لم يقل : (**والناشزات**) .. إنّما يقول : ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. فهناك مؤشِّرات تبيِّن أنَّ المرأة سائرة باتّجاه حدوث النشوز الذي يتخوَّف منه ..

.. وما نراه أنَّ الله تعالى لم يأت بالنشوز بصيغة النكرة ، فلم يقل : (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) ، بصيغة مشابهة لقوله تعالى : ﴿ **وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا** ﴾ .. فالنشوز المتخوَّف منه هو نشوز خاص بالمرأة كامرأة وبكينونتها النفسيّة ﴿ **نُشُوزَهُنَّ** ﴾ ، وفي علاقتها كزوجة وكأنثى مع زوجها ، وليس بسببٍ ما بعيداً عن كينونتهن .. فلو قال تعالى : (**واللاتي تخافون نشوزاً منهنّ**) ، لشمل ذلك أيَّ حالة من النشوز ، على سبيل المثال نشوز المرأة بسبب الفقر ... ولو قال الله تعالى : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، بتعريف النشوز بأل التعريف ، لتعلَّق ذلك بالنشوز المقابل للحالة المحمولة بالعبارة السابقة مباشرة : ﴿ **فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ** ﴾ ،

بمعنى لتوقّف النشوز عند حدود عدم الالتزام بصفات الصالحات القانتات الحافظات للغيب فقط ، فهذه الصفات عرَّفها الله تعالى في هذه العبارة ، وبالتالي فالابتعاد عنها هو أمرٌ بات معروفاً ، ووصفه يقتضي كلمة (**النشوز**) ..

.. لكن ما نراه أنَّ الله تعالى يضيف النشوز للنساء : **﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾**

.. فالنشوز المعني هنا ، هو نشوز النساء ، كنساء ، ويتعلَّق بكينونتهن كحالة نفسيّة ، بحيث لا تكون المرأة سويةً تنسجم مع الواقع المحيط بها ، كامرأة لا بدَّ لها من مدِّ صلات التواصل مع زوجها كزوج ، ومع الوسط المحيط بها اجتماعيّاً كإنسانة فاعلة فيه .. بمعنى : تتقوقع حول نفسها كامرأة ، بعيداً عن الظروف الأخرى ، مادية كانت أم اجتماعيّة أم غيرها ، فلا تمدُّ صلات التواصل مع زوجها كزوج ، ولا مع المجتمع كإنسانة .. وبالتالي فهذه المرأة عندها مشكلة نفسيّة عميقة بداخلها ، بحاجة لعلاج كي تخرج من حالتها هذه .. وذلك سواء كانت المرأة صالحة قانتة حافظة للغيب ، أم لم تكن ..

.. هذه الصيغة **﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾** دون الصيغة : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، نراها تصف هذا السلوك النفسي للمرأة ، بصورة شاملة ، تتجاوز خصوصيّة التعلّق بمقابلة العبارات السابقة : **﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾** .. فلو قال الله تعالى : (**واللاتي تخافون النشوز منهنّ**) ، لكان ذلك مقتصراً على مقابلة صفات الصلاح والقنوت وحفظ الغيب .. وفي هذه الحالة المفترضة ، لا تدخل المرأة الصالحة الحافظة للغيب والقانتة في ساحة هذه العبارة القرآنيّة ، إن كانت بحالة نفسيّة تنتج سلوكاً يؤدّي بها إلى حالة النشوز .. وهذه الحالة موجودة .. فليس كلُّ امرأة من الممكن أن تصل إلى حالة النشوز ليست صالحة ..

.. وبيَّنا أنَّ الصيغة **﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾** دون الصيغة (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) ، تؤكّد لنا أنَّ النشوز المتخوَّف منه خاصٌّ بكينونة المرأة ، وبحالتها النفسيّة

التي تنتج السلوك الذي نراه مقدِّمةً من الممكن أن توصلها إلى حالة النشوز .. بينما العبارة المفترضة (**واللاتي تخافون نشوزاً منهن**) تشمل حالات نشوز بأسباب متعدّدة ، اجتماعيّة أو اقتصاديّة .... ، كالفقر كما قلنا .. لكن .. هذه الصيغة ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ تلقي الضوء على نشوزٍ خاصٍّ بالمرأة كامرأة في علاقتها كزوجة مع زوجها ، بعيداً عن الأسباب الأُخرى التي قد تؤدّي إلى الفراق ..

.. هذه الحالة التي تتملّك أنفس بعض النساء دون غيرهن : ﴿ **وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ .. تلك النساء .. هُنَّ بالتحديد من يأمر الله تعالى بالتعامل معهن بالأحكام : ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ** ﴾ ، وذلك كعلاج نفسي لحالتهنَّ هذه .. فهذه الأحكام هي علاج نفسي لحالة تخصُّ بعض النساء كما نرى ..

.. وما نراه أنَّ هذا العلاج يكون بإتّباع ثلاث وصفات بآن واحد ، وليس بإتّباع تدريجي كما ذهبت تفاسيرنا الموروثة ، بحيث يبدأ العلاج بالوصفة الثانية بعد الانتهاء من نفاد الوصفة الأولى وفقدان الأمل بصلاح المرأة ، وكذلك يبدأ العلاج بالوصفة الثالثة بعد الانتهاء من الوصفة الثانية وفقدان الأمل بصلاح المرأة .. أبداً .. العطف بين هذه الوصفات ليس بكلمة (ثمّ) ، إنّما بحرف العطف (وَ) : ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ** ﴾ ، ولا توجد صيغة ترتيب تحتّم عدم البدء بالوصفة إلاّ قبل نفاد سابقتها وعدم الوصول لنتيجة .... نعم يؤخذ بالترتيب ما بين هذه الوصفات .. لكن يستمرُّ العمل بالوصفات مجتمعة للوصول إلى الصلاح المطلوب .. وإن تمَّ العلاج بالوصفة الأولى فقط ﴿ **فَعِظُوهُنَّ** ﴾ ، يكون الأمر قد انتهى .. وإن تمَّ العلاج بالوصفة الثانية ﴿ **وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ** ﴾ ، أو الثالثة ﴿ **وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ** ﴾ ، أيضاً يكون الأمر

قد انتهى .. وإن احتاج العلاج لأكثر من وصفة أيضاً يكون الأمر قد انتهى .. هذه وصفات علاجيّة يتمّ التحرّك خلالها ، لعلاج هذه الحالة ..

.. الوصفة الأولى هي : ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ .. وفي كتاب الله تعالى ، الوعظ : هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ..

.. والوصفة الثانية هي : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ .. والهجر : هو الفراق والابتعاد .. وكلمة ﴿ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ هي من الجذر (ض ، ج ، ع) .. ولهذا الجذر في كتاب الله تعالى ثلاثة فروع .. فرع في هذه العبارة القرآنيّة قيد الدراسة ، وفرعان في النصّين التاليين ..

﴿ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦]

.. المضاجع كما نرى هي : مواطن الرقود والاستقرار والسكون واللبث ، بعيداً عن الحركة .. وليست محصورة بأماكن اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة ، كما يتوهَّم الكثيرون .. أبداً .. أصلاً لا يُوجد مكانٌ محدَّد لا ثاني له ، للِّقاء الجنسي بين الرجل والمرأة ، بحيث يكون معروفاً لكلِّ الناس ، وبحيث لا يكون اللقاء الجنسي خارجه .. هذا غير معقول .. هذه هي كلمة ﴿ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ في كتاب الله تعالى تعني : مواطن الهدوء والسكون والرقود واللبث ، بعيداً عن الحركة ..

.. ورود كلمة ﴿ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ معرَّفةً بأل التعريف ، وليست معرَّفة تعريف إضافة للنساء ، له دلالته .. فالمعني هو

المضاجع المعروفة والمحدَّدة من مواطن الاستقرار وهدوء النفس وسكونها وعدم توتّرها السلبي .. وهي مواطن معروفة لكلِّ الناس ، ولا يُختلَف في تحديدها .. وهي مواطن ليست خاصّة بالنساء فقط .. فمواطن الهدوء والسكينة والاستقرار متعارف عليها ، وليست خاصَّة بالنساء .. لذلك نرى كلمة ﴿ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ معرَّفة بأل التعريف ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ التي تصوِّر الوصفة الثانية من العلاج النفسي لهذا النوع من النساء تقول : وابتعدوا عنهن وفارقوهن في مواطن السكينة والراحة والهدوء ، لتوفير الصفاء والسكينة والاستقرار لهن .. فالعلاج النفسي لحالتهن يتطلَّب توفير الراحة والسكون والهدوء ، والابتعاد عن التوتّر والضجيج .. فعندما يسكنّ ويهدأن ، ابتعدوا عن تعكير هذا الصفو والراحة والهدوء الذي صرن به ..

.. والوصفة الثالثة هي ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ ..... ومشتقّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى ، نرى فيها أنَّ ضَرْبَ الأمر : هو الإتيان به كدليلٍ لخدمة هدفٍ مُراد .. فالمثل يضربه الله تعالى ، بمعنى يأتي به كدليلٍ وكنموذج لإيصال موعظة مرادة ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠]

.. فضربَ الشيء ، أتى به وطرحه نموذجاً وحجَّة ..

﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ .... كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧]

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨]

.. وضربَ في الشيء : سار به وتحرَّك خلاله ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء : ٩٤]

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ ﴾ [النساء : ١٠١]

.. فأصْل معنى الضرْب في الشيء ، هو السعي والتحرُّك فيه لتحقيق المراد ..

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣]

.. وضرب الأمْرَ عن الشيء : أبعده عنه ..

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥]

.. وضربَ بالشيء : استخدمه واسطة ووسيلة ، لتنفيذ المراد ، كتأثير وفعل في المضروب ..

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ ﴾ [البقرة : ٦٠]

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ ﴾ [النور: ٣١]

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ ﴾ [الشعراء : ٦٣]

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١ – ٩٣]

﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ﴾ [ص : ٤٤]

.. وضربَ على الشيء : أحاط به وغطّاه ، بمعنى : أثَّر به عبر إحاطته وتغطيته بأمرٍ ما ..

﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٦١]

﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ﴾ [آل عمران : ١١٢]

﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾ [الكهف : ١١]

﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾ [النور : ٣١]

.. إذاً .. دلالات مشتقّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى واسعة ، ومعناها المجرَّد : التأثير بالشيء والفعل به وتحريك سكونه والسعي والإتيان به وطرحه كنموذج ، وكلٌّ ذلك لهدفٍ مراد يقف خلف هذا الضرب .. وتمتدُّ هذه الدلالات من الحالة المعنويّة ، إلى الحالة الماديّة ، وذلك حسب السياق القرآني المحيط الذي تكون ضمنه هذه الكلمة ..

.. فضرْب الأمثال هو حالة معنويّة لأخذ العبر والمواعظ .. والضرب في الأرض هو الحركة الماديّة فيها .. وما يُحدِّد ماهيّة الحالة ، معنويّة كانت ، أم ماديّة حسيّة ، هو السياق القرآني المحيط ..

.. مثلاً .. في قوله تعالى الذي يخاطب به أيوب عليه السلام ..

﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص : ٤٤]

.. نرى أنَّ السياق السابق لكلمة ﴿ فَٱضۡرِب ﴾ ، يتعلّق بكلمة ﴿ بِيَدِكَ ﴾ ، وبكلمة : ﴿ ضِغۡثٗا ﴾ ..... ونرى أنَّ الضرب يكون بواسطة : ﴿ ضِغۡثٗا ﴾ ، حيث نرى كلمة : ﴿ بِّهِۦ ﴾ .. ﴿ فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ..

.. وأيضاً في قوله تعالى الذي يصف تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام كأحجار ماديّة حسيّة ..

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١ - ٩٣]

.. نرى أنَّ السياق المحيط بكلمة ﴿ ضَرۡبَۢا ﴾ ، يحمل صورة ماديّة حسيّة ، سواء كان ذلك لمن وقع عليه الضرب (الأصنام) : ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا ﴾ ، أم كان بوسيلة الضرب ، حيث نرى ورود حرف الباء في كلمة اليمين : ﴿ بِٱلۡيَمِينِ ﴾ ..

.. بينما في قوله تعالى ..

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ - ٥٨]

.. قولهم ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ ..... قولهم هذا (المتعلّق بابن مريم) هو الذي ضربوه جدلاً ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾ .... فالذي ضربوه جدلاً هو قول ، وليس جسماً ماديّاً حسيّاً .... وبالعودة إلى مشتقّات الجذر (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى ، تتجلّى أمام أعيننا دلالات هذا الجذر ودلالات الكلمات المتفرّعة عنه ..

.. وهنا قد يقول قائل : ما هو الفارق إذاً بين الضرب بهذا المعنى وبين الوعظ ؟ ... الوعظ هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ، وذلك من خلال طرح الحِكَم والعبر

والأحكام التي تسمو بالنفس .. بينما الضرب هو التأثير في النفس من داخلها ، بتحريك مكنوناها ، عبر استخدام مقدِّمات هي بداخل النفس وليس بخارجها ، بمعنى : هو الانطلاق من تحريك النفس وتهييجها والفعل بها من داخلها .. بينما الوعظ هو التأثير على النفس من خارجها عبر عرض الحكم والعبر عليها ..

.. وبهذين الوجهين تكتمل صورة العلاج ما بين التأثير من الخارج **﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾** ، والتأثير من الداخل **﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾** ، لتبقى الوصفة **﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾** بينهما كحالة صفاء وخلو وتفكّر يستقر بها علاج وصفتي الوعظ والضرب .. وكلٌّ وصفة كما قلنا تستعمل بالحيثيّة المناسبة لتعطي الهدف المرجو ..

.. الآن .. لنعد إلى العبارة القرآنيّة **﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾** .... رأينا أنَّ الوصفة الأولى وهي : **﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾** ، هي علاج نفسي معنوي بالتأثير على النفس من خارجها بالحكم والعبر والمواعظ ، وليس ماديّاً حسيّاً ، فالوعظ هو النصح والتوجيه بالكلمة الطيّبة ..... ورأينا أنَّ الوصفة الثانية وهي : **﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾** ، هي أيضاً علاجٌ نفسيٌّ معنوي ، وليس ماديّاً حسيّاً ، ورأينا أنَّها تعني : ابتعدوا عنهن وفارقوهن في مواطن السكينة والراحة والهدوء ، مُبعِدين عنهنَّ الضجيج والتوتر ، وذلك لتوفير الصفاء والسكينة والاستقرار لهن ..

.. وقلنا : الوصفات الثلاث تُؤخذ في الوقت ذاته ، وليس كما قيل تبدأ الوصفة بعد الانتهاء من سابقتها وبعد الفشل في الصلاح .. بمعنى نتحرَّك بكلٍ من هذه الوصفات حسب الحيثيّة المناسبة .. كما نرى أنَّ كون الأمر هو وصفات علاجيّة لتفادي وقوع أمر لم يقع بعد ، هو النشوز ، يقتضي أنَّ الوصفات الثلاث ليست جزاء لذنب ، وليس عقوبة على خطيئة .. فلا جزاء ولا عقوبة على أمرٍ لم يحصل .. وكوننا نخاف من حصول أمر ، لا يعطينا الحقَّ بأن نجازي ونعاقب عليه قبل حصوله ولمجرَّد خوفنا من حصوله ..

.. الآن .. نرى أنَّ الوصفة الثالثة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ ، تتكامل مع الوصفتين المعنويَّتين السابقتين بكونها هي الأخرى معنويّة ، وليست منفكَّة عنهما .. ونرى أنَّ الضرب الوارد هنا لم يتعلَّق في سياقه النصّي بأيِّ إشارة لكونه ماديّاً حسيّاً ..

.. ونرى أيضاً أنَّ الضرب هنا ، لم يتعلَّق بواسطة كما رأينا في قصَّتي أيوب وإبراهيم عليهما السلام ، فهذه الصيغة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ تختلف عن صيغة الضرب في عبارات تصوِّر جانباً من قصّة أيّوب عليه السلام ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ، فلا مقارنة بين صياغة كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ وبين صياغة الجملة ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾ ... ولا مقارنة أيضاً بين صياغة كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ وبين صياغة الجملة ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ في قصّة إبراهيم عليه السلام ، حيث قام عليه السلام بتحطيم الأصنام الماديّة الحسيّة المنحوتة من الحجر ..

.. ونرى أيضاً أنَّ الذي يأمر الله تعالى بضربه هو ذات النساء المعنيَّات وكينونتهنّ المتعلِّقة بحالتهن ، كونهنّ يتخوَّف من وصولهنّ إلى حالة النشوز .. ونرى أيضاً أنَّ الضرب الذي يأمر الله تعالى به ، ليس جزاء وعقوبة على ذنب أو خطيئة ، إنّما هو علاج لحالة نفسيّة يتخوّف أن تؤدِّي إلى النشوز ، وذلك لصالح المرأة وحفاظاً على مستقبلها ..

.. من كلِّ ما سبق .. نرى أنَّ كلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ تعني : مع فعلكم في الوصفتين السابقتين ، وحيث ترون الحال مناسباً ، اقرعوا مواطن التأثير والانتباه والتأمّل والتدبّر والتفكّر فيهنّ من الداخل ، فكراً وثقافة ، عبر مخاطبتهنَّ كنموذج يُحتذى به ، وذلك في الأوقات التي تتطلَّب ذلك .. أي : هيِّجوا الشعور الإنساني الاجتماعي في كينونتهن من داخلهن ، ونمّوه ، عبر خطابهنّ كنموذج تطرحونه للصلاح ..

.. النصّ يقول : زاوجوا بين هذه الوصفات مجتمعة .. فمن جهة ، تحرَّكوا في علاجهن من خارج أنفسهن ، عبر الوعظ : ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ .. ومن جهة أُخرى في مواقف مناسبة ، عبر تحريكهن فكراً وثقافةً من داخلهن ، بالتأثير فيهنّ ، وبإنماء الشعور الإنساني والاجتماعي والأخلاقي في ذاتهن ، وبمخاطبتهنّ كنموذج يحتذى به للتقوى وللصلاح : ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ ..

.. وبين هاتين الوصفتين .. وفي ظروف أخرى مناسبة ، عالجوهن عبر إبعاد التوتّر والضجيج عنهنَّ ، لتأمين السكينة والهدوء والاستقرار في الوقت الذي يتطلَّب علاجهنّ ذلك ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِى ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ ، بحيث تُعطِي وصفتي الوعظ والضرب ثمارها ..

.. لقد رأينا الإطار العام لدلالات الجذر اللغوي (ض ، ر ، ب) في كتاب الله تعالى .. وكلمة ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ تستمدُّ حركة دلالاتها من جذرها اللغوي هذا .. ومن السياق المحيط بها من عبارات قرآنيّة .. وفي هذا السياق المحيط بها ، لا نرى ما يدلُّ على مفهوم الضرب المادّي ، بمعنى التأثير على أجسادهن بواسطة ما .. وما نراه هو مسائل معنويّة بحتة يذكرها الله تعالى كوصف لعلاج حالة النشوز المتوقَّعة عند بعض النساء ..

.. كلُّ ما في الأمر أنَّه تمَّ – خلال التاريخ – إسقاط الثقافة الاجتماعيّة المتخلّفة للعصور السابقة ، على دلالات كتاب الله تعالى .. وتتوارث الأجيال – جيلاً بعد جيل – هذه الثقافة ، التي لا يحملها كتاب الله تعالى – كما نرى – لا من قريب ولا من بعيد .. ويُحسَب كلُّ ذلك – للأسف – على كتاب الله تعالى ظلماً وعدواناً ..

.. وفساد التفسير الموروث .. ليس متوقِّفاً فقط عند حدود تفسير دلالات كلمة : ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ ، بل تعدّاه إلى تفسير العبارة : ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِى ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ كما رأينا .. وتعدَّاه إلى إطلاق دلالات قوله تعالى : ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِى

ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ على كلِّ النساء دون استثناء ، كحالة نشوز واقعة ، عقوبتها على مراحل ، تنتهي بالاعتداء الجسدي على المرأة ..

.. إذاً .. هناك نوعٌ من النساء هو ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ .. وهناك نوعٌ آخر هو ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ .. وبين النوعين باقي النساء ، اللاتي يتدرَّجن حسب اتّصافهنّ بقيمة إيمانيّة تتعلَّق بالصلاح من جهة ، وبحالة نفسيّة اجتماعيّة تقف خلف سلوكهن من جهةٍ أُخرى .. والنصُّ القرآني وضع علاجاً للصنف الثاني مكوَّناً من ثلاث وصفات علاجيّة نفسيّة كما رأينا : ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ..

.. ويتوقَّف العمل بهذه الوصفات من العلاج ، لأيِّ امرأة من الصنف الثاني الذي بيّناه ، باستجابتها والتأكّد من عدم وجود إمكانيّة لنشوزها .. وهذا ما تحمله العبارات القرآنيّة ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ ..... فكلمة ﴿ أَطَعْنَكُمْ ﴾ هي من الجذر (ط ، و ، ع) .. ودلالات هذا الجذر تدور في إطار تليين النفس وترويضها للوصول بها إلى حالة الإتّباع ..

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]

هنا نرى .. أنَّ العبارة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ تعني : فسهَّلت نفسه وألانت له قتل أخيه ، لدرجة استجابته لهذا التسهيل ، فكانت النتيجة ﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾ ..

.. من هنا نرى كيف أنَّ الطوْع يُوضع – في كتاب الله تعالى – مقابل الكَره ..

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣]

.. فالطوْع ليس مجرَّد مقابلٍ للعصيان .. نعم هو يعني عدم العصيان .. لكن يحمل أيضاً دلالة الرضا والقبول والاستجابة عن قناعة بالإتّباع .. وإلاَّ لما جاء في كتاب الله تعالى مقابل الكَره ..

.. والاستطاعة هي القدرة المطلوبة (المرضي عنها والمرادة) لتحقيق ما يُراد إتِّباعه ..

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦]

.. والتطوّع هو العطاء (الذي ترضاه النفس وتبتغيه) في سبيل الإتّباع ..

﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨]

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٤]

.. من هنا نرى أنَّ كلمة **﴿ أَطَعۡنَكُمۡ ﴾** في العبارة : **﴿ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾** ، تعني : فإن حصل – نتيجة عملكم بوصفات هذا العلاج – اللين والإتّباع والاستجابة من خلال رضا أنفسهن ، بالخروج من حالتهنَّ ، وانتفاء إمكانيّة سقوطهنّ في ساحة النشوز .. عند ذلك ينتهي العمل بهذه الوصفات .. وما نراه هو ورود كلمة : **﴿ فَإِنۡ ﴾** ، وليس كلمة (**فإذا**) : **﴿ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ ﴾** .. فلربّما تصلون إلى نتيجة بعلاجكم هذا ، وربّما لا تصلون ..

.. وفي حال الوصول إلى نتيجة إيجابيّة ، بأن لانت أنفسهنّ وتمّت الاستجابة للعلاج ، وتمَّ إبعادهنّ عن إمكانيّة الوقوع في ساحة النشوز : **﴿ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ ﴾** ، من خلال قيامنا بعلاجهنَّ وفق الوصفات التي بيّنها الله تعالى لنا ..... في هذا الحال ... يأمرنا الله تعالى بأن لا نتجاوز حدودنا عليهن في أيِّ سبيل من سبل التجاوز ، يؤدِّي إلى التكبّر

عليهن ، كونهن كنَّ في حالةٍ يحتجن بها للعلاج ، وكوننا من قام بعلاجهن ، وبأن لا نرى أنفسنا أعلى منهن ، كونهن كنّ بحالة يحتجن فيها إلينا .. ومن يتخيَّل نفسه أعلى منهنّ ، فليعلم أنَّ الله تعالى أعلى منه ومنهن ، ومن يتخيّل نفسه كبيراً عليهن ، فليعلم أنَّ الله تعالى أكبر منه ومنهن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ ..

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ ﴾ ، لا يخرج عن إطار المعاشرة بالمعروف ، والمساعدة الخيِّرة في خروج المرأة من حالة إمكانيّة الوقوع في حالة النشوز ، ويجب ألاَّ يؤدِّي ذلك إلى الكره والبغي .. وهذا ما نراه في توازن هذه العبارات القرآنيّة ، مع عبارات أُخرى في كتاب الله تعالى ..

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ ﴾ [النساء : ٣٤] = **٤٧٠**

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] = **٤٧٠**

المهندس عدنان الرفاعي

يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ

المهندس
عدنان
الرفـــاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. إضافة إلى اشتراك كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) مع باقي الكتب السماويّة بكونه كلاماً لله تعالى (معاني من عند الله تعالى) ، فإنّه يتميّز عنها بكونه قولاً لله تعالى (صياغة لغويّة من عند الله تعالى) ، وقد بيّنت في كتبي هذه الحقيقة بشكلٍ مفصَّل ..

﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]

﴿ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمّل : ٥]

.. من هنا نرى الحكمة الإلهيّة في تبيان الله تعالى أنَّ البشر لن يستطيعوا الإتيان بنصٍّ كالنصِّ القرآني ، في حين لم يتحدّاهم بأن يأتوا بأي نصٍّ كنصوص الكتب السماويّة الأخرى ..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. ممّا تقتضيه عظمة الصياغة القرآنيّة أن لا يُذْكَر اسمُ ذات في كتاب الله تعالى لأكثر من شخصيّة واحدة ، فالقرآن الكريم كلٌّ متكاملٌ لا تتناقضُ فيه أيُّ عبارة قرآنيّة مع أيِّ عبارة أُخرى .. وكنّا قد رأينا في النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) كيف أنَّ أسماء الرسل والأنبياء عليه السلام تدخل في الكثير من المعادلات التي تبيّن عظمة الصياغة القرآنيّة وعظمة الحكمة من تكرار ورود كلّ اسم منها على كامل مساحة كتاب الله تعالى ، وفي كلِّ نصٍّ فيه ..

.. نحن نعلم أنَّ هارون أُرسل مع موسى عليهما السلام قبل مولد عيسى عليه السلام بقرون ليست قليلة .. وبالتالي من المستحيل أن تكون مريم عليها السلام أُختاً بالولادة لهارون عليه السلام ، فالفاصل الزمني بينهما يجعل من ذلك مستحيلاً .. وبالتالي فالأخوة المعنيّة في النصِّ التالي ليست دمويّة ..

﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٧ – ٢٨]

.. فقوم مريم عليها السلام عندما قالوا لها : **﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾** ، لم يقصدوا أبداً أُخوّة دمويّة ، إنّما قصدوا أُخوّةَ منهج وسلوك ... وهنا سؤالٌ يطرح نفسه ... لماذا تمّ اختيار هارون عليه السلام بالذات دون غيره من الرسل والأنبياء عليهم السلام في هذا الوصف لمريم **﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾** ؟!!! .. بمعنى : ما هو الرابط بين مريم عليها السلام فيما اتّهموها به في هذا الموقف من جهة ، وبين هارون عليه السلام من جهةٍ أُخرى ؟ ..

.. الإجابة على هذا السؤال تحتاج للعودة إلى سيرة هارون عليه السلام ..... وبالعودة إلى سيرته نرى أنّه وُهبت له النبوّة كوزيرٍ لموسى عليه السلام نتيجة دعاء موسى عليه السلام له بذلك ..

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴾ [مريم : ٥٣]

﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [طه : ٢٩ – ٣٢]

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾ [الفرقان : ٣٥]

﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ [الشعراء : ١٣]

﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص : ٣٤ – ٣٥]

.. هذه الثقة التي وضعها موسى بهارون عليهما السلام ، هي من أجل أن يُصدِّقَه ويشدَّ عضُدَه به ويكون وزيراً له ..

.. ومريم عليها السلام كانت نَذْرَ أمِّها لله تعالى ..

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٥ – ٣٧]

ومريم عليها السلام وُضِعَت الثقة بها ، بحيث كانوا يتسابقون على الفوز بكفالتها ..

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤]

.. فالرابط الأوَّل – كما يعلمه بنو إسرائيل – هو كون هارون (كنبي ووزير) ومريم عليها السلام (كنَذْر لله تعالى) ، هما نتيجة دعاء لله تعالى .. وكلاهما وُضعت به الثقة ونُظرَ إليه من قِبَل بني إسرائيل – في البداية – على أنَّه أهلٌ لهذه الثقة ..

.. موسى عليه السلام وضع ثقته بهارون عليه السلام وكلَّفَه بأن يخلفه في قومه وأن يُصلح ولا يتبع سبيل المفسدين ..

﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢]

.. وبعد ذلك وقبل أن يرجع موسى إلى قومه ، اتخذ قومه من حليّهم عجلاً جسداً له خُوار ..

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝١٤٨ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨ – ١٤٩]

ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه توجَّه إلى هارون كونه كلّفَه بهداية قومه أثناء غيابه ، وأخذ بلحية هارون وبرأسه يجرّه إليه ..

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢ – ١٥١]

﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ [طه : ٨٨ – ٩٤]

.. إذاً .. أُتّهم هارون عليه السلام بأنّه لم يقم بالمهمّة التي أُوكلت إليه و لم يكن أهلاً لها ، فلم يستطع تقويم الانحراف الذي آل إليه بنو إسرائيل في ذلك الموقف .. هذه هي الصورة التي اعتقدها بنو إسرائيل عن هارون عليه السلام ، مع أنّه – كما يبيّن القرآن الكريم – حاول هدايتهم بكامل استطاعته ، إلاّ أنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه ..

.. ومريم عليها السلام حينما أتت بعيسى عليه السلام ، نظروا إليها على أنّها زانية ..

﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٧ – ٢٨]

.. هذه النظرة الخاطئة كانت بعد ثقةٍ وُضعَت بها كما رأينا .. وبالتالي اعتقد بنو إسرائيل أنَّها خانت الثقة و لم تكن أهلاً لها ، كما اعتقدوا أنَّ هارون عليه السلام لم يكن أهلاً للثقة التي أُعطيت له ..

.. هذا هو رابط العمق الدلالي في وصف بني إسرائيل لمريم عليها السلام **﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾** بعد أن أتت بعيسى عليه السلام واعتقدوا أنها زانية .... فما أرادوه بقولهم **﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾** هو : يا من خنت الأمانة والثقة التي أُعطيت لك ، كما أنَّ هارون خان الأمانة والثقة التي أُعطيت له ، يا من لست أهلاً للثقة كما أنَّ هارون لم يكن أهلاً للثقة ..

.. فكلُّ ما يرد بصياغة النصِّ القرآني هو تصويرٌ مطلق للمعاني والدلالات يتعلّق بعلم الله تعالى المطلق ، وصياغة مطلقة تتعلّق بحكمة الله تعالى وقدرته المطلقة ..

المهندس عدنان الرفاعي

إِذۡ يُبَايِعُونَكَ
تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ

المهندس
عدنان
الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. رَفْعُ التاريخ بأهواء كاتبيه وعصبيّاتهم إلى مستوى المنهج ، واعتباره منهجاً يحلُّ مكان منهج الله تعالى ، هو ديدن محرِّفي الكَلِم عن مواضِعه ومن بعد مواضِعه ، في جميع الرسالات السماويّة دون استثناء ..

.. وما يميّز الرسالة الخاتمة أنَّ نصَّ منهجها (القرآن الكريم) محفوظٌ من التحريف والحذف والزيادة ..

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. ولذلك .. تركَّز تحريف الكَلِم عن مواضعه ومن بعد مواضعه في الرسالة الخاتمة من خلال طريقين اثنين ..

١ – عبر افتراء روايات على الرسول ﷺ ونسبها إلى المنهج وإعطائها صلاحيات تصل إلى نسخ أحكام كتاب الله تعالى ..

٢ – عبر تحريف تفسير الكثير من آيات كتاب الله تعالى بعيداً عن حقيقة دلالات كلماته ، وبعيداً عن الصياغة اللغويّة لعباراته ، والنظر إلى كتاب الله تعالى من منظار روايات تاريخيّة لُبِّست على منهج الله تعالى ومنهج الله تعالى منها براء ..

.. وتلبيس نصوص كتاب الله تعالى بروايات تاريخيّة تمَّ تفصيلها حسب الأهواء والعصبيّات ، أمرٌ كثيرٌ في موروثنا الفكري .. وقد تعرَّضْتُ لبعض هذه النصوص الكريمة في كتبي ومقالاتي وبرامجي التلفزيونيّة ، وبيّنت أنَّها نصوصٌ مطلقة حاملة للتاريخ وليست محمولة بالتاريخ ..

سنقف في هذا السياق عند آية من كتاب الله تعالى تمَّ حصرُ دلالاتها بحادثة تاريخيّة محدّدة ، ثمَّ احتجّوا بها على تعديل جميع الصحابة حسب تعاريفهم هم للصحابة ..

﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح : ١٨]

.. حصروا أحكام هذه الآية الكريمة ودلالاتها في إطارٍ لا يتجاوز بيعة أصحاب النبيِّ ﷺ بالحديْبِيَة حين بايعوه على نصرته ، وعلى ألاَّ يفرّوا ، وعلى ألاَّ يولوا الدبر ، وذلـــك تحت الشجرة ، حيث أرسل النبيُّ ﷺ عثمان بن عفان برسالته إلى الملإ من قريش ، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء ، فظنّ أنه قد قُتل ، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم ، فبايعوه على ذلك ، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان ، وقد اُختلف في عدد الذين بايعوا ، فمنهم من قال عددهم (١٤٠٠) ، ومنهم من قال عددهم (١٥٢٥) ، ومنهم من قال عددهم (١٣٠٠) ... هذا مختصر القصّة التاريخيّة التي تمّ حصر دلالات هذه الآية الكريمة في إطارها ..

.. ما نراه في هذ الآية الكريمة أنَّ رضا الله تعالى ﴿ رَضِيَ ﴾ المجرَّد عن المكان والزمان ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، هو لمبايعة مستمرة إلى قيام الساعة ، وليس مقصوراً على حادثة تاريخيّة بعينها ، وذلك بدليل ورود كلمة ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ بصيغة المضارع ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ .. فورود كلمة ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ بصيغة المضارع ليس عبثاً ، وهو حقيقة لغويّة لا يمكن القفز فوقها ..

.. المبايعة المعنيّة في هذه الآية الكريمة ليست حادثة محدَّدة تمَّت وانتهت قبل نزول نصّ هذه الآية الكريمة ، إنّما هي مبايعة مستمرّة متكرّرة يقوم بها المؤمنون في كلِّ زمانٍ ومكان ، وكلٌّ ذلك محمول برضا الله تعالى ..

.. ولو نظرنا إلى العبارة ﴿ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، لرأينا أنَّ هذه المبايعة المستمرّة في كلِّ زمانٍ ومكان ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ إنّما تحصل تحت الشجرة ، وما نراه أنَّ كلمة ﴿ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ترد معرّفةً بأل التعريف ، وهذا بيانٌ إلهيٌّ يصف شجرةً محدَّدة معروفة موصوفةً في كتاب الله تعالى .. فهل من الممكن أن نتصوَّر ورود كلمة ﴿ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ بصيغة معرّفة بأل التعريف ، دون أن يحمل ذلك بياناً لحالة معروفة محدّدة موصوفة في كتاب الله تعالى ؟ ..

.. وبالتأكيد .. ورود العبارة ﴿ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ليس عبثيّاً وليس مقصوراً على مجرَّد مكانٍ حسيٍّ للمبايعة في تاريخ محدَّد لقصّة محدَّدة بعينها ، فماهيّة المبايعة لها علاقتها بالدلالة المحمولة بالعبارة ﴿ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، بمعنى : جوهر المبايعة يتميّز بكونه تحت الشجرة ، وهذا يختلف عن احتمال كون هذه المبايعة ليست تحت الشجرة .. بمعنى : كون هذه المبايعة تحت الشجرة يميّزها ويعطيها خصوصيّة وقيمة لا تصل إليها هذه المبايعة إلاّ بهذه الحيثيّة ، فالمبايعة المعنيّة ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ لا يمكنها أن تحمل خصوصيّتها هذه إلاَّ بكونها ﴿ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ..

.. ولإدراك هذه الحقيقة لا بدّ من العودة إلى مشتقّات الجذر اللغوي (ش ، ج ، ر) في كتاب الله تعالى والذي تفرّعت منه كلمة ﴿ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، وذلك لرسم صورة الدلالة المحمولة بكلمة ﴿ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ في هذه الآية الكريمة ..

.. المعنى المجرَّد لمشتقّات الجذر (ش ، ج ، ر) في كتاب الله تعالى يعني : التشابك والاختلاط والتداخل ، وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٥]

.. ومن هنا نتلمَّس الدلالة المرادة في كلمة ﴿ ٱلشَّجَرِ ﴾ ، بمعنى التداخل والتشابك بين الأوراق والأغصان ..

﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾ [النحل : ٦٨]

.. إذاً .. الأصل في المعنى هو التداخل والتشابك ، وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى :

﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ [الصافّات : ١٤٥ – ١٤٦]

.. فما أنبته الله تعالى على يونس عليه السلام بعد أن نُبذ بالعراء وهو سقيم ، ليس شجرةً اسمها شجرة اليقطين .. فالله تعالى لم يقل : (وأنبتنا عليه شجرة يقطين) .. أبداً .. الله تعالى يقول ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ ، فتمَّ إنبات حالة من التشابك والتداخل فوقه ﴿ شَجَرَةٗ ﴾ ، وهذه الحالة ماهيّتها من يقطين .. هكذا تنطق صياغة النصّ القرآني ..

.. لذلك .. لم يضف القرآن الكريم إلى كلمة شجرة أيَّ نوعٍ من الشجر المعروف لدينا ، فلم يقل شجرة كذا ، إلاَّ لقضيّة مجرَّدة عن أصناف الشجر الحسيّة المعلومة لدينا .. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠]

.. من الواضح أنَّ المعني بقوله تعالى **﴿ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾** ، ليس صنفاً من أصناف الشجر كقيمة غذائيّة ..

.. وفي وصف طعام جهنّم نرى إضافة كلمة الزقّوم لكلمة شجرة ..

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ [الصافّات : ٦٢ – ٦٦]

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ – ٤٦]

.. ودلالات العبارة القرآنيّة **﴿ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾** لا تعني شجرةً محدَّدة تنبت كشجر الدنيا الذي نعلمه ، إنّما تعني حالة التشابك والتداخل الناتج عن الجحيم ، ولذلك نرى كلمة **﴿ تَخْرُجُ ﴾** دون غيرها في قوله تعالى **﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾** .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الواقعة : ٥١ – ٥٦]

.. والنار كطاقة نشاهدها في حياتنا الدنيا وبأوجهها المختلفة ، الله تعالى هو الذي أنشأ تداخلها وتشابكها وتحوّلها ﴿ شَجَرَتَهَآ ﴾ ..

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧١ – ٧٣]

.. لذلك نرى الصيغة [﴿ أَنشَأۡتُمۡ ﴾ ، ﴿ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴾] دون أيّة صيغة أُخرى كالخلق أو الانبات ..

.. في هذا الإطار من حدود الدلالات المحمولة بمشتقّات الجذر (ش ، ج ، ر) ندرك الدلالات التي يحملها قول الله تعالى ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٠ – ١١]

فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ لا تعني : يُنبت منه شجرٌ فيه تُسيمون كما ذهبت تفاسيرنا الموروثة ، وذلك لسببين :

١ – هذه العبارة ليست مسبوقة بكلمة يُنبت ، ولا يمكن إلغاء احتمال كون هذه العبارة معطوفة على العبارة السابقة لها ﴿ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ ﴾ .. بمعنى : لكم منه شرابٌ ولكم منه شجرٌ فيه تُسيمون ﴿ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ .. وحتى باعتبار الجملة ﴿ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ استئنافيّة ، فإنَّ ذلك لا يُلغي من كون الدلالة المحمولة غير متعلّقة بالإنبات ..

٢ – العبارات القرآنيّة التالية لها مباشرة ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ ، هي ما يحمل دلالات كون الماء سبباً في إنبات كلّ ما ينبت بالماء في حياتنا الدنيا ، وهذا يؤكّد أنَّ ربط العبارة القرآنيّة ﴿ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ بالإنبات غير سليم ، لأنّه – في حالة ربطها بالإنبات – نكون أمام تكرارٍ لا داعي له في عبارات قرآنيّة متتالية ، وهذا لا يليق بالصياغة المطلقة لعبارات كتاب الله تعالى ..

من هنا نرى أنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ تعني ولكم منه (في حال كانت الجملة معطوفة) أو ومنه (في حال كانت استئنافيّة) تشابك واختلاط يدخل فيه الماء مع مواد أخرى في تكوين ما يستفيد منه الإنسان في حياته الدنيا .. ونحن نعلم أنَّ الماء يدخل في تركيب معظم المواد التي يستفيد منها الإنسان في حياته الدنيا ..

.. إذاً .. مشتقّات الجذر (ش ، ج ، ر) تعني التداخل والتشابك والاختلاط ، وهذا ما رأيناه بشكلٍ جليٍّ في قوله تعالى ..

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٥]

.. لنعد إلى العبارة القرآنيّة التي نحن بصدد تفسيرها : ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ .. فكما قلنا : كون كلمة ﴿ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ معرّفة بأل التعريف ، يعني تشابكاً وتداخلاً واختلاطاً معروفاً موصوفاً في كتاب الله تعالى ..

.. من هنا نرى أنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، تعني : إذ يلتزمون بمنهج الرسالة ويسيرون به أثناء وقوعهم تحت ما بيّنه الله تعالى وحذّر منه من ظروف التداخل والتشابك والاختلاط التي يختلط فيها الحقُّ بالباطل ..

فحينما تسود الفتن في المجتمع ، وتختلط الأمور بحيث يُقدَّم الباطل على أنَّه حق ، ويُقدَّم الحق على أنَّه باطل ، وينغمس المجتمع في مستنقع هذا الضلال الذي حذّر الله تعالى منه في كتابه الكريم ، حين ذلك ، فإنَّ الذين يلتزمون بمنهج الحق الذي يبيّنه كتاب الله تعالى وينأى بنفسه عن الغرق في مستنقع هذا الضلال ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ .. هؤلاء فازاوا برضا الله تعالى عليهم ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ..

.. والآية الكريمة :

﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح : ١٨]

.. لا تحمل دلالاتٍ لتعديل جميع أفراد الجيل الأوَّل (الصحابة) كما يهوى من لم ولن يبصروا ومضة نور من حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ، ما تحمله من دلالات يتعلَّق برضوان الله تعالى عن المؤمنين ..... فالدلالات – كما نرى – خاصّة بفئة من الناس هم ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، ولا تعني جميع أفراد الجيل الأوَّل من الصحابة ..

.. ونرى في العبارة القرآنيّة ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ أنَّ الفاء في بدايتها هي للتعقيب ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ ، ونحن نعلم أنَّ علمَ اللهِ تعالى لما في قلوبهم لا يتأخّر عن مبايعتهم تحت الشجرة ، ولا يتأخَّر عن رضاه عنهم ، وما نـــراه أنَّ

العلمَ هو بصيغة الماضي ﴿ فَعَلِمَ ﴾ وليس المضارع ، وبالتالي فالعلم المعنيُّ هو علم الله تعالى الكاشف .. وكلُّ ذلك يؤكِّدُ أنَّ أحكام هذه الآية الكريمة – شأنُها بذلك شأن كلّ آيات كتاب الله تعالى – ليست متوقّفة على حادثة تاريخيّة ، إنّما هي نواميس وأحكام صـــالحة لكلِّ زمانٍ ومكان ..

.. وحتّى لو سلّمنا للإطار التاريخي الذي فرضوه على هذه الآية الكريمة ، فإنَّ هذه الآية لا تحمل ما يذهبون إليه من تعديل لجميع الصحابة ، وذلك لأكثر من سبب ..

فمن جهة .. الآية الكريمة تتعلَّق برضوان الله تعالى ، وليس بالتعديل والعلم والضبط في النقل ، فقوله تعالى ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ ﴾ نراه يتعلَّق بمسائل لا علاقة لها بما يذهبون إليه في توظيف هذه الآية الكريمة لتعديل جميع الصحابة ..

ومن جهة أُخرى .. الآية لا تشمل كلَّ الصحابة الذين عددهم أكبر بكثير من العدد المختلف فيه أصلاً في هذه البيعة ..

الأهم من كلِّ ذلك أنَّ هذه الآية الكريمة – كما بيّنا – تحمل دلالاتٍ وأحكاماً عامّةً لها إسقاطاتها في كلِّ زمانٍ ومكان ، واستشهادهم بها على تعديل جميع الصحابة (الذين اختلفوا في تعريفهم) ليس سليماً على الإطلاق ..

.. من هنا ندرك ضرورة النظر إلى عبارات كتاب الله تعالى من المنظار المجرَّد لصياغتها اللغويّة ، دون أن نفرض عليها تصوّرات تاريخيّة وأهواء مسبقة الصنع ..

براءة النبي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. الموروث التفسيري لكتاب الله تعالى اتّكأ على رواياتٍ يحمل الكثير منها صورةً مغلوطةً عن أحكامه ، وأعطى أعداء الإسلام حيثيّات الطعن به ، عبر استشهادهم بتلك الروايات لتشويه صورة النبيِّ ﷺ ، كمقدِّمة لتشويه صورة القرآن الكريم ..

من أبشع هذه الإساءات التي أتتنا من خلال الموروث ، تفسيرُ الآيات الأولى من سورة التحريم .. لقد وضعوا روايات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا تحاكي إلاّ ما في نفوس واضعيها وأهدافهم غير النبيلة .. وقد استغلَّ أعداء الإسلام هذه الروايات للطعن بشخص النبيِّ ﷺ كمقدِّمة للطعن بالإسلام ، وهذا ما يراه المتابع في كتابات بعضهم ، وفي بعض البرامج التلفزيونيّة ، وحتّى في بعض الأفلام التي فُصِّلت بهدف الطعن في الإسلام ..

في هذا السياق سنقف عند هذه الآيات الكريمة لنرى حقيقة ما تحمل من دلالات ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[التحريم : ١ – ٦]

.. التفاسير الموروثة بالنسبة لهذا النصِّ مختلفة من جهة ، وتحمل الإساءة للنبيِّ ﷺ وأزواجه من جهة أُخرى ، والأهم من كلِّ ذلك أنَّها ينقُضها كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ... لننظر في النصِّ التالي الذي نقتبسه من تفسير الفخر الرازي ، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب ، فيما يخصُّ الآية الأولى :

[[.......... ولهذا قال تعالى : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ ﴾ ، واختلفوا في الذي حرَّمه النبي ﷺ على نفسه ، قال في « الكشاف » : روي أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة ، وعلمت بذلك حفصة ، فقال لها : " اكتمي علي ، وقد حرَّمت مارية على نفسي ، وأبشّرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي " ، فأخبرت به عائشة ، وكانتا متصادقتين ، وقيل : خلا بها في يوم حفصة ، فأرضاها بذلك واستكتمها ، فلم تكتم فطلَّقها واعتزل نساءه ، ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية ، وروي أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلَّقك ، فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها من نسائك في الجنة ، وروي أنه ما طلَّقها وإنما نوَّه بطلاقها ، وروي أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلاً

في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة ، فقالتا له : إنا نشم منك ريح المغافير ، وكان رسول الله ﷺ يكره التفل فحرَّم العسل ، فمعناه : لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل ....]] ..

.. ولننظر في الحديثين التاليين فيما يخصُّ مسألة تحريم النبيِّ ﷺ للعسل على نفسه ..

مسلم (٢٦٩٥) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ **قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ وَقُلْتُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَقُولِي لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ لَا فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ** وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ فَقُولِي لَهُ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ وَسَأَقُولُ ذَلِكِ لَهُ **وَقُولِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ** فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى **سَوْدَةَ** قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةُ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُبَادِئَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكِ فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ قَالَ لَا قَالَتْ فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ قَالَ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ قَالَتْ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ **ثُمَّ دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فَقَالَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ** فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى **حَفْصَةَ** قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ قَالَتْ تَقُولُ **سَوْدَةُ** سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ قَالَتْ قُلْتُ لَهَا اسْكُتِي قَالَ أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرِ بْنِ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ بِهَذَا سَوَاءً و حَدَّثَنِيهِ سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

.. هنا النبيُّ ﷺ يدخل على زوجته حفصة ويشرب عندها العسل ، وتحتال عائشة وسودة وصفيّة له .. بعد ذلك لننظر في الرواية التالية لنرى خلافاً لذلك ..

مسلم (٢٦٩٤) حسب ترقيم العالميّة :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يُخْبِرُ أَنَّهُ **سَمِعَ عَائِشَةَ تُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً قَالَتْ فَتَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ فَنَزَلَ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِلَى قَوْلِهِ إِنْ تَتُوبَا لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا لِقَوْلِهِ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً**

ولننظر في النصِّ التالي من **صحيح مسلم بشرح النووي** فيما يخصّ هذا الحديث ..

[[....... قولها : (فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش) وفي الرواية التي بعدها : (أن شرب العسل كان عند حفصة) . قال القاضي : ذكر مسلم في حديث حجاج عن ابن جريج أن التي شرب عندها العسل زينب ، وأن المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة ، وكذلك ثبت في حديث عمر بن الخطاب وابن عباس أن المتظاهرتين عائشة وحفصة ، وذكر مسلم أيضا من رواية أبي أسامة عن هشام أن حفصة هي التي شرب العسل عندها ، وأن عائشة وسودة وصفية من اللواتي تظاهرن عليه . قال : والأول أصح . قال النسائي : إسناد حديث حجاج صحيح جيد غاية . وقال الأصيلي : حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله تعالى وأكمل فائدة – يريد قوله تعالى : { وإن تظاهرا عليه } فهما اثنتان لا ثلاث ، وأنهما عائشة وحفصة كما قال فيه ، وكما اعترف به

عمر رضي الله عنه . وقد انقلبت الأسماء على الراوي في الرواية الأخرى . كما أن الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح . قال النسائي : إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية . هذا آخر كلام القاضي . ثم قال القاضي بعد هذا : الصواب أن شرب العسل كان عند زينب ....]] ..

ما دامت الأسماء تنقلب عند الراوي ، والمسألة مُختلَف فيها ما بين تحريم العسل وتحريم مارية ، وما دام التفسير الموروث يتيه بين قال وقيل ، فكيف إذاً تكون هذه الروايات سقفاً لتدبّر هذه الآيات الكريمة لدرجة لا تُرى دلالاتها إلاَّ من منظار هذه الروايات ؟!!! .. كيف وهذه الروايات لا تحمل إلاَّ الإساءة للنبيِّ ﷺ ولأزواجه ؟!!! .. كيف والصياغة اللغويّة لهذه الآيات الكريمة تنقض هذه الروايات من أساسها كما سنرى إن شاء الله تعالى ؟!!! ..

.. قبل الدخول في تفسير الآيات الكريمة الأولى في سورة التحريم ونقض هذه الروايات من أساسها .. قبل ذلك .. أليس جعل مثل هذه الروايات [المسيئة للنبي ﷺ ولكتاب الله تعالى ، والمتناقضة فيما بينها والتي ينقضها كتاب الله تعالى جملة وتفصيلاً كما سنرى] أليس جعلها منهجاً مقدَّساً يحمل صلاحية نسخ آيات كتاب الله تعالى ، هو انقلاب على منهج الله تعالى من أساسه ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. قصّة العسل لا يمكن أن تكون صحيحة من أساسها ، فكلمة ﴿ **لَكَ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ** ﴾ تُؤكِّد أنَّ ما تمَّ تحريمه هو ما أحلَّه الله تعالى للنبيِّ ﷺ خاصّة ، وليس ما أحلَّه الله تعالى بشكلٍ عام ، فلو كان الأمر متعلِّقاً

بالعسل لما وردت كلمة ﴿ لَكَ ۖ ﴾ ، لأنَّ العسل أحلَّه الله تعالى ليس للنبيِّ ﷺ فقط ، وإنّما لكلِّ الناس ..

.. لو فرضنا جدلاً أنَّ رواية العسل صحيحة ، لكانت العبارة القرآنيّة بصيغة أُخرى ، مثلاً على الشكل : ((**يا أيّها النبيّ لم تحرِّم عليك ما أحلَّ الله**)) ..... لكن ما نـــراه أنَّ العبارة القرآنيّة هي : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ** ﴾ ..

.. ومهما كان الخطاب ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ** ﴾ ، سواء كان عتاباً ، أو تنبيهاً ، أو نهياً ، فإنَّه يصوِّر حقيقة هي أنَّ النبيَّ ﷺ لا يملك صلاحيّة تحريم ما أحلَّه الله تعالى حتى على نفسه وفي بيت الزوجيّة .. فكيـــف إذاً يكون الأمر مع غيره ؟!!! .. وبالتالي فإنَّ عدم إعطائه ﷺ صلاحيّة تحليل محرَّم أو تحـــريم مُحلَّل لغيره ، هي مسألة أكثر وضوحاً وبياناً في كتاب الله تعالى ، وهي أَوْلى من مسألة تحريم النبيّ ﷺ على نفسه ما أحلَّه الله تعالى له ، تلك المسألة التي لم يُعطَ لها صلاحيّة ..

.. ومهما حاولنا تبرير معنى التحريم هنا ، وبأنَّه الامتناع عن الانتفاع بـــالأزواج لا اعتقاد كونه حراماً بعدما أحله الله تعالى ، فكلُّ ذلك لا يُلغي كون الآية الكريمة تبيِّن عدم إعطاء النبيِّ ﷺ صلاحيّة تحريم محلَّل أو تحليل مُحرَّم ..

.. أصل التحريم هو المنع ، وهذا المنع قد يكون شرعيّاً حينما يأتي من الله تعالى إلى المُكلَّفين المُختارين لمنعهم عن القيام بما يريد الله تعالى تحريمه ، حيث المكلَّف يستطيع فعل ذلك وفعل نقيضه في الوقت ذاته ، كما هو الحال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ** ﴾ .. وقد يكون المنع كونيّاً ، وذلك حينما يكون المعني بالمنع ليس مكلَّفاً وليس مُختاراً ، كما هو حال منع المراضع على موسى عليه السلام : ﴿ ۞ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ** ﴾ [القصص : ١٢] ..

.. إذاً .. في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ ﴾ ، نحن أمام تحريمٍ شرعيٍ اختياري ، ولسنا أمام تحريمٍ كونيٍّ جبري ، وبالتالي فهذه الآية الكريمة تحمل بياناً جليّاً يبيّن نهي الله تعالى لنبيِّه ﷺ بسبب تحريمه لمحلَّل ، وهذا يقتضي أنَّ عدم إعطائه صلاحيّة التحريم والتحليل للآخرين هي مسألة أكثر وضوحاً وبياناً في كتاب الله تعالى ..

وكنّا قد بيّنا في أبحاث سابقة أنَّ محمّداً النبيَّ ﷺ ليس مشرّعاً ، فصفة ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ تعني جانب الخلاص والنقاء والطهارة في شخصه الكريم ، بينما المشرِّع هو الرسول **[[** كحامل لمنهج الله تعالى القرآن الكريم وما يتعلَّق به من تفصيل وتبيان **]]** وليس النبيَّ وليس محمّداً ، لذلك رأينا أنَّ أمر الطاعة في كتاب الله تعالى لم يأت متعلّقاً بالنبيِّ ﷺ ولا بمحمّد ، فلا يوجد نصٌّ قرآنيٌّ واحدٌ يقول : أطيعوا النبيَّ ، أو أطيعوا محمّداً .. أبداً .. كلُّ النصوص الحاملة لأمر الطاعة في كتاب الله تعالى تتعلَّق بصفة الرسالة ، وهي صفة تتعلَّق بكتاب الله تعالى كما بيَّنا في أبحاثٍ أُخرى ..

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة : ٩٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأنفال : ١]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٢٠]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور : ٥٤]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٦]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾ [المجادلة: ١٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ ﴾ [التغابن : ١٢]

.. فالله تعالى لم يقل : (أطيعوا النبيّ) ، أو : (أطيعوا محمّداً) ، أو : (وما آتاكم النبيّ فخذوه) ، أو (وما آتاكم محمّدٌ فخذوه) ، أو : (مَن يُطع النبيَّ فقد أطاعَ الله) ، أو (مَن يُطع محمّداً فقد أطاعَ الله) .. وفي ذلك بيانٌ إلهيٌّ عظيم إلى أنَّ ساحةَ اتّباع منهج الله تعالى تتعلَّق بصفة الرسالة ، التي هي في النهاية تتعلَّق بكتاب الله تعالى ..

.. وتتجلّى هذه الحقيقة بين أيدينا بالنصّين التاليين ..

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور : ٥٤]

.. فالله تعالى حينما يخاطِب النبيَّ محمَّداً ﷺ بكلمة : ﴿ قُلۡ ﴾ ، ويأمره بأن يدعو إلى طاعة الرسول : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور : ٥٤] ، دون الصياغة : (**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي**) ، إنّما يعني ذلك أنّ محمّداً ذاتَه كنبي ، يتحرّك ضمن ساحة لها حدودها المختلفة عن الساحة التي يتحرَّك بها كرسول ، فهو ذاته ﷺ كنبيٍّ وكشخص مُطالب باتّباع الرسول ، أي باتّباع الرسالة التي يحملها من الله سبحانه وتعالى ...

.. من هنا نرى الحكمة في تعلّق هذا النصّ بصفة النبوّة دون صفة الرسالة أو صفة الجانب الشخصي ، فبداية الآية الكريمة الأولى هي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، وهذا يعني خطاباً

في ساحة الخلاص والنقاء والطهارة وأحكاماً تتعلّق بذلك .. وسياق العبارات اللاحقة تصوِّر أحكاماً في إطار هذه الساحة كما سنرى بإذن الله تعالى ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ **تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ ، تنفي قصّة تحريم النبيِّ ﷺ لمارية على نفسه استرضاء لبعض أزواجه كما هو في تفاسيرنا الموروثة .. فالله تعالى لم يقل (**تبتغي مرضات بعض أزواجك**) ، إنَّما يقول ﴿ **تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ ، وحسب القصَّة التي لُبِّسَت على هذا النصِّ فإنَّ تحريم النبيِّ ﷺ لمارية على نفسه لا يكون ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال ابتغاءً لمرضاها ، وهي من أزواجه ، والنصُّ يقول ﴿ **تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ .. إذاً .. القصّتان : تحريم العسل ، وتحريم مارية ، تنقضهما الصياغة اللغويّة للنصِّ القرآني ..

.. نحن أمام مسألة تتعلَّق بالنبيِّ ﷺ ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ** ﴾ بما تحمل هذه الساحة من خلاص ونقاء وطهارة ، وتتعلَّق بما أحلَّه الله تعالى له ﴿ **مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ** ﴾ ، بمعنى تتعلَّق بالخصوصيّة الخاصّة بما أحلَّه الله تعالى لنبيّة ﷺ من دون الناس ، وذلك بدليل كلمة ﴿ **لَكَ ۖ** ﴾ كما بيّنا .. وتتعلَّق أيضاً بأزواجه (كلِّ أزواجه) اللاتي عنده بدليل ﴿ **تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ ، وتتعلّق بتحريم هذه الخصوصيّة الخاصّة به ﷺ من أجل مرضات تلك الأزواج .. هذا ما تقوله الآية الأولى من هذا النصِّ الكريم ..

.. الآن .. ما هو الأمر الذي أحلَّه الله تعالى لنبيّه ﷺ دون غيره من الناس والذي يتعلَّق بالحياة الزوجيّة الخاصّة به من دون الناس ؟ .. الإجابة الواضحة الجليّة نراها في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

.. إذاً .. ما أحلَّه الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، والذي يتعلّق بخصوصيّة خاصّة به دون غيره من الناس ﴿ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ ، والذي يتعلَّق بمرضات أزواجه كلِّ أزواجه ﴿ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ﴾ .. هذه المسألة الواردة في سورة التحريم ، تتعلّق بالمسألة الواردة في النصِّ السابق من سورة الأحزاب والذي يبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ .... ﴾ ..

.. جميع البشر دون استثناء بيَّن الله تعالى لهم المحرَّمات ، وبنصوصٍ صريحة ، لتكون باقي النساء محلَّلات لهم ، وفي ذلك توسعة كبيرة جداً .. فلو حذفنا المحرَّمات على إنسانٍ ما من مجمل النساء ، لكان ما أحلَّه الله تعالى له ساحة واسعة جداً ..

.. ولكنَّ الأمر بالنسبة للنبيِّ ﷺ هو عكس ذلك تماماً .. لقد بيَّن الله تعالى له المحلَّلات لتكون باقي النساء محرّماتٍ عليه .. وفي ذلك تضييقٌ تقتضيه مهمّته ﷺ ، ويقتضيه النقاء والطهارة والخلاص لله تعالى الذي يتّصف به ﷺ ، وهو صفة النبوّة التي يتّصف بها ﷺ بنسبة مائة بالمائة ، ويقتضيه كون أزواج النبيِّ هنَّ أمّهات للمؤمنين : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، فمن ستكون أمّاً

للمؤمنين بعد تعلّقها بساحة النبوّة ، عبر دخولها ساحة الزوجيّة بصفة النقاء والخلاص والطهارة ، لا بدَّ لها من تحقيق مجموعة شروط تؤهِّلها لذلك ..

.. فمن تدخل هذه الساحة وتصبح أُمّاً للمؤمنين ، يحرم عليها الرجال من بعد النبيِّ ﷺ ..

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

.. فنكح زوجة النبيِّ ﷺ من بعده ، هو عقد نكاحٍ حرَّمه الله تعالى ، لأنَّه — في النهاية — بين المؤمن وأمِّه ، كون أزواجه ﷺ أمهات للمؤمنين ..

.. ومن تدخل في هذه الساحة عقوبتها ضعف غيرها في حال إتيانها بفاحشة مبيِّنة ..

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

.. إنَّ نساء النبيِّ ﷺ لهنَّ خصوصيّة تميِّزهنَّ عن باقي النساء ، وهذه الخصوصيّة ترتِّب عليهنَّ شروطاً خاصّة بهنّ لا تُطالَب بها باقي النساء ..

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾ [الأحزاب : ٣٢]

.. فمسألة تعلُّق المرأة بصفة الزوجيّة في ساحة الخلاص والنقاء والطهارة ، لها تعلُّقها بأكثر من مسألة ، ولا يمكن مقارنتها باقتران المرأة بأيِّ رجلٍ آخر .. من هنا نرى جانباً من حكمة تحديد المحلَّلات للنبيِّ ﷺ ، لتكون باقي النساء محرَّمات عليه ..

.. وفي هذه المحلَّلات له ﷺ ما لا يستطيع هو ردّه ، فمن هذه المحلّلات : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ ﴾ .. وهذه المرأة المؤمنة التي تريد دخول ساحة التعلّق بشرف النبوّة ، عبر

التعلّق بالزوجيّة مع صفة الخلاص والنقاء والطهارة : **﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾** ، إنّما وهبت نفسها لهذه الساحة في سبيل التقرّب إلى الله تعالى والارتقاء درجات على سلّم الخلاص والنقاء والطهارة .. والعبارة **﴿ إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾** تبيِّن لنا شرطاً لدخولها هذه الساحة ، وهو أن تهب حياتها في سبيل النقاء والخلاص والطهارة **﴿ لِلنَّبِيِّ ﴾** ..

وبعد تحقيق الشرط الأوَّل **﴿ إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾** ، وهو شرطٌ يتعلَّق بإرادتها في دخول ساحة النقاء والخلاص والطهارة ، بعد ذلك ، هناك شرط آخر **﴿ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾** لا يتعلَّق بهذه المرأة ، إنّما يتعلَّق بمبدأ الخلاص والنقاء والطهارة ، بمعنى : إنْ طابق وهْبُها لنفسها لهذه الساحة والتزامُها بالشروط والأحكام المترتّبة على ذلك ، إن طابق ذلك المصداقيَّةَ اللازمةَ لدخول هذه الساحة ..

.. فهذه المرأة إنّما وهبت نفسها لساحة النبوّة ، وليس لشخص محمّد ﷺ كرجل ذكر ، وكلمتا : [**﴿ لِلنَّبِى ﴾** ، **﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾**] في هذه العبارة القرآنيّة : **﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾** تبيِّنان ذلك ..

.. من هنا نرى الحكمة من عودة الضمائر في العبارة القرآنيّة **﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾** للنبيِّ حصراً ، وليس لشخصِ محمَّدٍ ﷺ .. فالعبارة ليست على الشكل (**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك إن أردت أن تستنكحها**) ، لأنَّ الأمر ليس مجرّد أمر نكاح ولقاء بين رجل (كذكر) وامرأة (كأنثى) .. أبداً .. الأمرُ هو مسألةُ امرأة تريد التعلّق بشرف ساحة النبوّة ، واهبةً نفسها لهذه

الساحة ، عبر التزامها بالأحكام التي تُفرض عليها ، وليس الأمر مجرَّد مسألة أنثى تبحث عن ذكر كما يتخيَّل الذين في قلوبهم مرض ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة في العبارة ﴿ **إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا** ﴾ ، بمعنى إن أراد النبيُّ كرمزٍ للنقاء والطهارة والخلاص لله تعالى أن يُدخلها في هذه الساحة .. بمعنى إن كانت بالفعل صادقةً وتستطيع أن تُحقِّق الشروط القاسية التي تُفرَض عليها بعد دخولها لهذه الساحة ، وتستطيع أن تكون أهلاً لهذه الدرجة التي تكون فيها أمًّاً للمؤمنين .. وهذا ما نقرؤه في العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا** ﴾ .. فالإرادة تعود للنبيِّ كصفات نقاء وطهارة وخلاص وليس لشخص محمّدٍ ﷺ ، وهذا ما نراه بورود صيغة ﴿ **ٱلنَّبِيُّ** ﴾ ..... وهذه الإرادة ليست لمجرَّد النكاح ، أبداً ، فالعبارة ليست (**إن أردت أن تنكحها**) ، العبارة هي : ﴿ **إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا** ﴾ ..

إنَّ النكاح في كتاب الله تعالى هو العقد ، ولا علاقة لوقوع الدخول بذلك ، فقد يحصل النكاح (العقد) دون أن يقع الدخول ، وقوله تعالى التالي لأكبر دليلٍ لمن يريد فهم الحقيقة ..

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا** ﴾ [الأحزاب : ٤٩]

.. إذاً .. مراد النبيِّ (كصفة للطهارة والنقاء والخلاص) ليس النكاح كعلاقة بين رجلٍ (ذكر) وامرأة (أنثى) ، وإنَّما المراد هو تفعيل النكاح (الذي هو العقد كما بيّنا) عبر طلب إمكانية وقوعه كموافقة لشروط الدخول في هذه الساحة ﴿ **إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا** ﴾ ، فحرفا السين والتاء في كلمة ﴿ **يَسۡتَنكِحَهَا** ﴾ لهما دلالتهما في ذلك ..

فعلى سبيل المثال في اقتران السين والتاء بالصيغة الفعليّة ، نرى أنَّ كلمة ﴿ يَسۡتَغۡفِرِ ﴾ تعني بذلل الجهد في طلب المغفرة من الله تعالى ، وذلك عبر تفعيل الشروط المطلوبة للحصول على هذه المغفرة ..

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠]

فكلمة ﴿ يَسۡتَغۡفِرِ ﴾ في هذه الآية الكريمة لا تعني مجرَّد طلب المغفرة ، إنّما تعني تفعيل الجهد بطلب المغفرة عبر العمل بالشروط المؤدِّية إليها .. ولذلك بعد العمل بالشروط المؤدِّية إليها حيث العبارة ﴿ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ ، بعد ذلك ، تكون النتيجة ﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ ، تعني إنْ تَوَجَّه هدفُ الخلاص والنقاء والطهارة باتّجاه رؤية تنفيذ الشروط المطلوبة في مزاوجة المرأة المؤمنة المعنيّة مع مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة .. بمعنى إن كانت المرأة – من منظار الخلاص والنقاء والطهارة – أهلاً لذلك ..

.. وكما قلنا فإنَّ تعلّق هذه المرأة هو بساحة النقاء والخلاص والطهارة ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ وهذا ما نراه بورود كلمتي [﴿ لِلنَّبِي ﴾ ، ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾] في هذه العبارة القرآنيّة ..

.. ولكن .. هذه المرأة بعد أن تُحقِّق شروط الدخول في هذه الساحة .. بعد ذلك .. ستتعامل كأنثى مع شخص محمَّدٍ ﷺ كذكر ، وهنا في هذه الساحة انتقلنا من ساحة الخلاص والنقاء والطهارة التي تريد المرأة دخولها تقرَّباً إلى الله تعالى وامتلاكاً لهذا الشرف العظيم ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ ، حيث

التعلّق كما نرى هو بساحة النبوّة ، انتقلنا إلى ساحة الدنيا والجانب الشخصي بما يعنيه من علاقة بين الرجل (كذكر) والمرأة (كأنثى) ﴿ **خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ..

فالعبارة ﴿ **خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ نرى فيها تعلّق الضمير الكاف في كلمة ﴿ **لَّكَ** ﴾ بشخص محمَّدٍ ﷺ .. فما نراه أنَّ هذه العبارة لم تأت بالصيغة (**خالصةً له من دون المؤمنين**) أو (**خالصةً للنبيِّ من دون المؤمنين**) ، وذلك في صياغة يستمرُّ فيها التعلّق بساحة النبوّة كما هو الحال في العبارة السابقة لها مباشرة ﴿ **وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا** ﴾ .. أبداً .. لقد انتقلت الصياغة إلى صيغة الجانب الشخصي لمحمَّد ﷺ ، كإنسانٍ ذكرٍ ستكون هذه المرأة كأنثى زوجة له : ﴿ **خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ..

.. وكون هذه المرأة التي ستدخل هذه الساحة ستصبح بذلك أُمّاً للمؤمنين ، فمن الطبيعي أن تكون محرَّمةً على هؤلاء المؤمنين .. من هنا نرى دلالة العبارة القرآنيّة : ﴿ **مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ..

.. وهذه المرأة التي اختارت الدخول في هذه الساحة ، محقّقةً كلَّ الشروط اللازمة لذلك ، ملتزمةً بكلِّ ما يُفرَض عليها نتيجة دخولها لهذه الساحة ، لا يستطيع ﷺ أن يمنعها من ذلك .. فالمسألة تتعلّق بعطاء الله تعالى لها لتسمو درجاتٍ على سلّم الإيمان ، وتخصُّها هي كإنسانة تودّ التقرّب إلى الله تعالى ..

.. وهنا يُوضَع الشخص محمَّدٌ ﷺ كإنسانٍ في موقفٍ اجتماعيٍّ حرجٍ ، وذلك ما بين أزواجه من جهة ، وبين من تريد الدخول في ساحة التعلّق بصفة الزوجيّة من جهةٍ ثانية ، وبين همز ولمز المنافقين من جهةٍ ثالثة ..... هذا ما دفعه ﷺ إلى تحريم ما أحلَّه الله تعالى له كنبي ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ** ﴾ .. بمعنى منع

من تريد الدخول في هذه الساحة خوفاً وخشية من الناس ، ومرضاةً لأزواجه اللاتي لا يرغبن بمشاركة غيرهنّ من النساء بشخصه ﷺ ..

.. من هنا نفهم دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ **تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ .. فهدف هذا التحريم هو مرضاة أزواجه كلِّ أزواجه وليس بعض أزواجه .. وما حرّمه ﷺ هو مخالفة لما أحلَّه الله تعالى له ، وبالتالي فهذا العمل بحاجة إلى كفَّارة وعودة كاملة عنه .. وهذا ما نقرؤه في العبارة الأولى من الآية الثانية ﴿ **قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ** ﴾ ..

.. والعبارة الأولى من الآية الثانية : ﴿ **قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ** ﴾ نرى فيها صيغة الخطاب موجَّهة لكلِّ المؤمنين ، وليست محصورة في النبيِّ ﷺ كما هو الحال في الآية الأولى .. وكذلك الأمر في كلِّ عبارات الآية الثانية من النصِّ ﴿ **قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ من جهتين :

١ – الآية الكريمة تخاطب كلَّ المؤمنين بأنَّ الله تعالى قد فرض لهم تحلّة أيمانهم ، لتحمل هذه العبارة القرآنيّة حكماً عامّاً يشمل كلَّ المؤمنين ..

٢ – تُخاطب محمّداً ﷺ كشخصٍ شأنه شأن غيره من المؤمنين المطالَبين بالالتزام بأوامر الله تعالى ، وليس كنبيٍّ .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فالذي حرَّم ما أحلَّه الله تعالى في دخول المرأة المؤمنة ساحة النبوّة والطهارة ، هو محمَّدٌ ﷺ كشخصٍ وليس محمّداً كنبيٍّ أو كرسول ..

.. وهذه المسألة رأينا إسقاطاً لها في مسألة زوجة زيد ..

﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ**

مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ [الأحزاب : ٣٧]

.. وكنّا قد بيّنا في بحثٍ سابقٍ كيف أنَّ زوجة زيد أرادت دخول هذه الساحة ، متَّجهةً نحو التعلّق بالآخرة ، مبتعدةً عن الدنيا وشهواتها ، ممّا جعلها مقصِّرةً (كأنثى) مع زوجها زيد (كذكر) ، ممّا جعله يريد فراقها ، ممّا جعل محمَّداً ﷺ يقول لزيد ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ ، وذلك خشيةً من همز الناس ولمزهم ..

.. وهنا قد يقول قائل : كيف يكون الذي حرَّم ما أحلَّ الله تعالى له هو شخص محمَّدٍ ﷺ كبشرٍ دون صفة الخلاص والنقاء والطهارة ، والله تعالى يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ مخاطباً النبيَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ؟ ..

.. الله تعالى لم يخاطب – في كتابه الكريم – رسولَه ونبيَّه محمّداً ﷺ بأداة النداء ولا مرّة ، فلم يقل تعالى : (**يا محمد**) أو : (**يا أحمد**) ، إنّما خاطبه بالصيغ : **[[** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ **]]** ، وذلك لحكمةٍ إلهيّةٍ عظيمة تتعلَّق بكونِ النصِّ القرآني نصّاً حاملاً للتاريخ وليس محمولاً بالتاريخ ، وبكون دلالات النصوص القرآنيّة لها إساقاطات في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. خطاب الله تعالى المفترض لِمحمَّدٍ الشخص بالصيغة : (**يا محمّد**) يعني خطاباً تاريخيّاً خاصّاً بزمن الجيل الأوّل ، ولكنَّ منهجَ الرسالةِ الخاتمة هو فوق التاريخ وفوق خصوصيّات الزمان والمكان ، ويُخاطَبُ فيه كُلُّ إنسانٍ حَسْبَ درجة دعوته لنشر دينِ الله تعالى وحَسْبَ درجةِ نقائه وخلاصه من الذنوب .. من هنا نُدركُ عُمقَ الحكمةِ الإلهيّة بعدمِ وجودِ نصٍّ واحدٍ في كتابِ الله تعالى يُخاطبُ اللهُ تعالى فيه محمّداً ﷺ بأداة النداء (يا) كما خاطبَ رُسُلَه السابقين ..

.. فالإسقاطات في كلِّ زمانٍ ومكان في نفوس المؤمنين ، هي لصفات الخلاص والنقاء والطهارة وحمل الدعوة ، وليس لبشريّة محمَّدٍ ﷺ كشخصٍ في تاريخٍ محدَّد ..

.. وفي كتاب الله تعالى ، بعد أداة النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ نرى عباراتٍ تُخاطب شخص محمَّدٍ ﷺ ، ومن بعده كلَّ مؤمن في كلِّ زمانٍ ومكان ، وذلك بإسقاطٍ يتعلَّق بدرجة تتناسب مع موقعه على سلَّم النبوّة والرسالة الذي قمّته الرسول النبيُّ محمَّدٌ ﷺ ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ..... ﴾ [المائدة : ٤١]

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ .... ﴾ [المائدة : ٦٧]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ .... ﴾ [الأنفال : ٦٤ – ٦٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ .... ﴾ [الأنفال : ٧٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ .... ﴾ [التوبة : ٧٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ .... ﴾ [الأحزاب : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ .... ﴾ [الأحزاب : ٢٨]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا .... ﴾ [الأحزاب : ٤٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ .... ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ .... ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ .... ﴾ [الممتحنة : ١٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ .... ﴾ [الطلاق : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ .... ﴾ [التحريم : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ .... ﴾ [التحريم : ٩]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ....... ﴾ [المزمل : ١ – ٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ............ ﴾ [المدثر : ١ – ٣]

.. فشخص محمَّدٍ ﷺ (ومن بعده كلّ مؤمنٍ بكتاب الله تعالى (حسب درجة إيمانه) يخاطبه الله تعالى بأداة النداء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ كشخصٍ حاملٍ لصفة من الصفات المتعلِّقة بهذه الأداة : [[﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ ، ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾]] ..

.. من هنا نرى أنَّ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ هو خطابٌ من منظار الخلاص والنقاء والطهارة لشخص محمَّدٍ ﷺ الذي حرَّم ما أحلَّه الله تعالى لساحة النبوّة .. بمعنى : يا محمَّد يا من تتَّصف بصفة الخلاص والنقاء والطهارة ، كيف تحرِّم ما أحلَّه الله تعالى من أجل ساحة الخلاص والنقاء والطهارة ؟ ..

.. فالذي حرَّم ما أحلَّه الله تعالى من أحكامٍ تتعلَّق بساحة الخلاص والنقاء والطهارة هو شخصُ محمَّدٍ ﷺ الذي يتربَّع على قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. وبداية الآية الثالثة ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ تُبيِّن لنا أنَّنا أمام مسألة أُخرى ، لها حدودها التي تميِّزها عن المسألة المحمولة بالآية الأولى .. فلا إشـــارة في هذه الآية الكريمة (وما يتلوها) إلى أنَّها شرحٌ لما حرَّمه ﷺ على نفسه في الآية الأولى ..

.. وكلُّ الضمائر في الآية الثالثة تتعلَّق بزوجة واحدة .. ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .. فالضمائر المتعلِّقة

بالكلمات [[﴿ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾ ،، ﴿ نَبَّأَتۡ ﴾،، ﴿ نَبَّأَهَا ﴾ ،، ﴿ قَالَتۡ ﴾]] تعود لزوجة واحدة ..

.. إذاً .. هناك زوجة ، أسرَّ لها النبيُّ ﷺ حديثاً ، بعد ذلك نبَّأت هذه الزوجة بهـذا الحديث ، وأظهر الله تعالى نبيَّه ﷺ على ما نبَّأت به ، بعد ذلك عرَّف النبيُّ ﷺ بعضه وأعرض عن بعض ، بعد ذلك نبَّأها النبيُّ ﷺ به ، بعد ذلك قالت من أنبأك هذا ، بعد ذلك قال نبَّأني العليم الخبير .. هذا هو ترتيب عناصر هذه المسألة ..

.. والآية الثالثة بهذه الصيغة التي ترد بها ، ترسم صورة العلاقة بين قمّة محور الرسالة والنبوّة ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ وبين أزواجه ، كعلاقة هي أسوة وسقفٌ ومثلٌ للعلاقة بين الزوج وزوجته ، وبحيث تكون إسقاطات هذه العلاقة في كلِّ زمانٍ ومكان دون هذه القمّـة ، بمعنى أنَّ المرأة المؤمنة عليها أن تنظر إلى هذه العلاقة كقمّة وكسقف محاولةً تمثّلها بإسقاطٍ يتعلّق بدرجة إيمانها ..

.. وفي العبارة القرآنيّة : ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ ، نرى كلمة : ﴿ أَسَرَّ ﴾ ، وهي بمعنى جعل الأمر سرّاً ، أي دون العلن ..

﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد : ١٠]

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣]

.. وما أسرَّه النبيُّ ﷺ إلى بعض أزواجه هو حديث : ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ .. وما نراه أنَّ كلمة ﴿ حَدِيثًا ﴾ تأتي بصيغة النكرة ، وأنَّ الذي أسرّه هو ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ وليس الشخص محمّداً ﷺ .. بمعنى أنَّ الحديث المعني هو في ساحة الخلاص والنقاء والطهارة ، وفي ما تتعلّق به هذه الزوجة ضمن إطار هذه الساحة ..

.. فَمَن تتعلَّق بصفة الزوجيّة مع ساحة النبوّة بما تعنيه من نقاء وصفاء وطهارة ، لا بدَّ أن تتفاعل مع ما يحمله ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﷺ من صفات ، ولا بدَّ أن تسمع منه أحاديث كثيرة ، منها ما هو في ساحة السرِّ دون العلن ..

.. وفي تأخير كلمة ﴿ حَدِيثًا ﴾ : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ ، مع ورودها بصيغة النكرة ، إشارةٌ إلى أنَّ المُراد من أحكام هذا النصِّ هو الكليّات التي على كلِّ زوجة أن تنظر إليها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، كنموذج تسعى لتمثّله وكسقفٍ تسير تحته ، وليس المراد حدثاً تاريخيّاً محدَّداً بعينه كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ..

.. والحديث المعني والوارد بصيغة النكرة ﴿ حَدِيثًا ﴾ يشمل مساحةً واسعة ، فيها ما يتعلَّق بكتاب الله تعالى ..

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣]

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦]

.. وفيها ما يتعلَّق بأمور الدنيا ..

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [النساء : ١٤٠]

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١]

.. ولكنْ .. كون الأمر يتعلَّق بسرٍّ أسرَّه النبيُّ ﷺ ، فهذا يعني أمراً خاصّاً ليس من ظاهر أمر الرسالة التي أنزلها الله تعالى للبشريّة جمعاء .. فالرسول ﷺ كحامل لمنهج الله تعالى لا يُخفي أبداً أيَّ جانبٍ من جوانب الرسالة التي يأمره الله تعالى بإبلاغها للناس ..

ولذلك .. فهذا النصُّ الكريم جاء بأمرٍ يحمل كليّاتٍ دون أيِّ تفصيلٍ لأيِّ جزئيّة ، فما يتعلَّق من هذه القصّة المحمولة بهذا النصِّ بجانب الرسالة ، هو المبدأ الذي يحمله هذا النصُّ الكريم ، كإطارٍ للعلاقة المثلى للزوجة المتعلِّقة مع قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. وعدم ذكر الله تعالى لحيثيّات هذا الحديث الذي أسرَّه إلى بعض أزواجه ، وعدم ذكر الزوجة المعنيّة ، هو لحكمة تتعلَّق بالمبدأ العام والأحكام والتفاعل بين من ارتضت التعلّق بالزوجيّة مع قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة وبين هذه القمّة ، أيّاً كانت ، ولا يهمُّ في هذه الأحكام العامّة من هي ، المهم هو الأحكام كمبدأ لهذه العلاقة ، لتكون سقفاً تسير تحته وتنظر إليه كلُّ زوجة في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. وفي كتاب الله تعالى لم يُذْكَر اسمُ أيِّ زوجة من أزواج النبيِّ ﷺ ، بل لم يُذْكَر اسمُ أيِّ أنثى إلاَّ اسم ﴿ مَرْيَمَ ﴾ عليها السلام ، كونها لها خصوصيّة تميّزها عن باقي النساء منذ بداية الخليقة إلى قيام الساعة .. وفي كلِّ ذلك حكمةٌ إلهيّةٌ عظيمة ، فأيُّ حكمٍ في أيِّ نصٍّ قرآني هو فوق التاريخ ، وخصوصيّة ﴿ مَرْيَمَ ﴾ عليها السلام لن تتكرَّر إلى قيام الساعة ، فلم ولن تلد أنثى دون ذكر إلاَّ ﴿ مَرْيَمَ ﴾ عليها السلام ، إضافة إلى أنَّها أطهر امرأة على وجه الأرض اصطفاها الله تعالى نفساً وجسداً ، وذلك منذ بداية الخليقة إلى قيام الساعة ..

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢]

.. إذاً .. في علاقة زوجة تتعلَّق بصفة الزوجيّة مع رمز الخلاص والنقاء والطهارة ، أسرَّ لها رمز الخلاص والنقاء والطهارة حديثاً لا يريد منها أن تعلنه ، بمعنى أسرَّ لها حديثاً

يتعلَّق بها كخصوصيّة لها كونها زوجاً في ساحة النبوّة : ﴿ **وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا** ﴾ ..

وما نراه في هذه الآية الكريمة أنَّ سمت الخطاب هو من منظار وصف الغائب وليس المخاطَب ، فالآية ليست على الشكل : (**وإذ أسررت إلى بعضِ أزواجِك حديثاً فلمّا نبّأت به وأظهره الله عليك عرَّفتَ بعضَه وأعرضتَ عن بعض فلمَّا نبّأها به قالت من أنباك هذا قلت نبّأني العليم الخبير**) ، إنّما هي : ﴿ **وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ** ﴾ ..

.. فاقتران سمت الغائب في هذه الآية الكريمة مع صفة النبوّة ، مع ورود أحكامٍ كليّةٍ عامَّة دون أيِّ تفصيلٍ جزئيٍّ أو تخصيص ، كلُّ ذلك يؤكّد لنا أنّنا أمام أحكامٍ عامَّةٍ ترسم لوحةً لصورة العلاقة الزوجيّة في قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. والعبارة القرآنيّة : ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ** ﴾ نراها تبتدأ بالفاء ﴿ **فَلَمَّا** ﴾ ، وفي هذا إشارة إلى عدم الالتزام بحفظ ما أسرَّه قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة .. فبدلاً من الالتزام بهذا السرِّ والحفاظ عليه نبأت به ..... وكلمة ﴿ **نَبَّأَتۡ** ﴾ تعني أخبرت وأعلنت ..

﴿ **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ** ﴾ [آل عمران : ٤٩]

﴿ **قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ** ﴾ [يوسف : ٣٧]

وما نراه في صياغة العبارة القرآنيّة ﴿ نَبَّأَتۡ بِهِۦ ﴾ هو ورود كلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ .. فهي نبأت بواسطة ما أدركته ممّا أسرَّه النبيُّ ﷺ لها .. بمعنى أخبرت وأعلنت ما أدركته من خلال ما أسرَّه ﷺ إليها ..

.. إذاً .. الزوجة المتعلّقة بعلاقة زوجيّة مع رأس محور النقاء والخلاص والطهارة أخبرت وأعلنت بما أدركته ممّا أسرَّه لها النبيُّ ﷺ .. وبعد أن نبّأت بذلك أظهر الله تعالى نبيّه على ما نبّأت به : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ ..

.. وكلمة ظَهَرَ تعني بان وعلا بما لا يمكن إخفاؤه ، وذلك بدلالة تشمل مقابلةً لكلمة بطن ..

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ ﴾ [الأنعام : ١٥١]

﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف : ٩٧]

﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ [النور : ٣١]

.. وأظهر الأمر أبانه وأعلاه (جعله ظاهراً) لدرجة لا يمكن أن يكون مخفيّاً ..

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦]

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩]

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ تعني : أبان الله تعالى نبيَّه ﷺ على ما نبَّأت به هذه الزوجة ، وذلك بعد أن نبَّأت به ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾ .. فالضمير الهاء في كلمة ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ يعود إلى ما نبَّأت به هذه الزوجة ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ تبيِّنُ لنا أنَّ هذا الإظهار ليس بقدرة النبيِّ ﷺ ، وإنّما من الله تعالى ، ففاعل هذا الأمر هو الله تعالى ..

.. والعبارة القرآنيّة : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ تصوُّر مقدِّمةً لنتيجةٍ تصوِّرها العبارة القرآنيّة : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ ..

.. وَعَرَفَ الشيءَ أدرك هويّته دون إنكار ..

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨]

﴿ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف : ٦٢]

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ ﴾ [الحج : ٧٢]

.. وعرَّف الشيءَ لغيره جعل غيرَه يُدرك هويّته دون إنكار ..

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمّد : ٥ – ٦]

.. فكلمة ﴿ عَرَّفَهَا ﴾ في الآية الكريمة ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ تعني أنَّ الله تعالى بيَّن لهم في حياتهم الدنيا هويّة الجنّة من خلال آياته الكريمة .. وهذا يختلف عن العلم ، فالعلم يعني الوقوف على حقيقة الأمر .. لذلك هذه الجنّة التي نعرفها في حياتنا الدنيا لأنَّ الله تعالى ﴿ عَرَّفَهَا ﴾ لنا في كتابه الكريم ، لا نعلم حقيقتها – في الحياة الدنيا – علماً نقف فيه على حقيقة ما أُخفي لأصحابها من قرّة أعين ..

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

.. ولكنْ .. في قوله تعالى ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ لم يبيِّن الله تعالى لنا في ظاهر الصياغة اللغويّة لهذه العبارة لِمَنْ عرَّف النبيُّ ﷺ ما أظهره الله تعالى عليه .. بمعنى لم ترد كلمة في ظاهر هذه الصياغة تبيّن لنا مَنْ هو الذي عرَّف له النبيُّ ﷺ ما أظهره الله تعالى عليه ..

ففي تعريف الله تعالى للجنّة في كتابه الكريم للمؤمنين في حياتهم الدنيا ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ نرى ورود كلمة ﴿ لَهُمۡ ﴾ .. لكنْ .. في العبارة القرآنيّة : ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ ، لِمَنْ عرَّف بعضه وعمَّن أعرض به عن بعض ؟ ..

.. ولّما كان الله تعالى هو الذي أظهر نبيَّه ﷺ على ما نبّأت به ، والمسألة بين النبيِّ ﷺ وبين الله تعالى ، وليست بين النبيِّ ﷺ وغيره من البشر ، والنبيُّ ﷺ لم يعرف أنَّها نبّأت به إلاَّ من الله سبحانه وتعالى ، ولما كان إظهار الله تعالى له على ما نبّأت به يعني إخباره بما نبَّأت به من حق وباطل ، فإنَّ قوله تعالى ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ يعني : بيَّن هويّة ما نبّأت به من حق وباطل ، فالعبارة ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ ﴾ تعني صدَّق بعضَ ما نبّأت به ، والعبارة القرآنيّة ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ تعني أنكرَ بعض ما نبّأت به ، فما نبّأت به منه ما هو حق ولذلك صدَّقه : ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ ﴾ ، ومنه ما هو باطل ولذلك أنكره : ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ ، وكلُّ ذلك بينه وبين الله تعالى .. فكما قلنا لم يبيِّن لنا النصُّ في ظاهر صياغته اللغويّة لِمَنْ عرَّف ﷺ هذا الأمر ، ولا ذكر في هذه الآية الكريمة إلاَّ لله تعالى وللنبيِّ ﷺ ولهذه الزوجة ..

.. وما نراه في هذه الصياغة اللغويّة أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ ليست متعلّقةً بالحوار بين هذه الزوجة وبين

قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ، كما هو الحال في العبارات السابقة لها في هذه الآية الكريمة ، ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا** ﴾ ، وكما هو الحال أيضاً في العبارات التالية ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ ..

.. إذاً .. هذه الزوجة نبَّأت بهذا السِّرّ ، في الوقت الذي كان عليها ألاّ تفعل ذلك ، وإنباؤها بهذا السِّرّ للآخرين لم يسمع به النبيُّ ﷺ من الآخرين ، أو منها ، إنّما أظهره الله تعالى عليه ، بمعنى لم يعرف ذلك من الآخرين أو منها ، إنّما عرف ﷺ ذلك من الله سبحانه وتعالى ..

.. العبارة التالية مباشرةً ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ ، نراها تبدأ بالفاء ، وفي ذلك استمرارٌ مباشر لتفاعل هذه المسألة .. ونرى أيضاً أنَّ النبيِّ ﷺ نبَّأ هذه الزوجة ليس بالسِّرّ ، إنّما بإنبائها لهذا السِّرّ الذي كان عليها ألاَّ تبوح به ، فكلمة ﴿ **بِهِۦ** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ** ﴾ تتعلَّق بإنبائها لهذا السِّرّ ..

.. وما نراه في هذه العبارة القرآنيّة ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ** ﴾ هو ورود كلمة ﴿ **بِهِۦ** ﴾ ، بمعنى أخبرها بواسطة إنبائه لها بما نبّأت به .. وما نراه أيضاً هو ورود كلمة ﴿ **نَبَّأَهَا** ﴾ وليس كلمة (**أَنْبَأَهَا**) ..

.. كلمة نبَّأ المتعدّية بالتضعيف على وزن فعَّل ، تختلف دلالاتها عن كلمة أنبأ المتعدّية بالهمز .. ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ كلمة نبَّأ تعني الإخبار عن الأمر بدخولٍ في حيثيّاته ، وبالإخبار عن مكنوناته ، بمعنى ليست فقط الإخبار عن ظاهره ، وإنّما عن ظاهرة وعن حيثيّاته .. ولذلك رأينا كيف أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ** ﴾ ترد فيها كلمة ﴿ **نَبَّأَتْ** ﴾ متعلّقةً بالزوجة ناقلةً خبر هذا السرِّ عبر ما أدركته وبدخولٍ في عمقيه الظاهر والباطن ، بمعنى ناقلةً خبرَ

هذا السرِّ حسب ما أدركت ، وناقلةً تأويله حسب ما أدركت .. ولذلك رأينا كيف أنَّ النبيَّ ﷺ عرَّف بعضَ ما نبَّأت به وأعرض عن بعضه ..

.. ولو تتبّعنا في كتاب الله تعالى الصيغ المختلفة لكلمة نبَّأ لرأينا ذلك .. ومن هذه الصيغ ..

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤]

﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٩٤]

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨]

﴿ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ ﴾ [يوسف : ٣٦ – ٣٧]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥]

﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٥]

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣]

.. بينما كلمة أنبأ نراها تأخذ جانب نقل الخبر دون الدخول في تأويله ، كالإنباء عن اسم الشيء دون الدخول في عمقه الباطن ..

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣١ – ٣٣]

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .. فالنبيُّ ﷺ أخبرها بظاهر وباطن ما أخبرت به : ﴿ نَبَّأَهَا ﴾ ، وذلك في حدود هذه المسألة ، ولذلك نرى ورود كلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ ﴾ ..

.. بينما هي تعاملت مع ظاهر ما سمعت منه سائلةً عن نقل ظاهر الخبر إليه ، دون التعرّض لتأويله الباطن .. ولكن .. من خلال صيغة سؤالٍ أكثر اتّساعاً في ساحة الظاهر ، بدليل عدم ورود كلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ .. بمعنى اتّسع سؤالها ليشمل ما تفاجأت به عن هذا الإخبار .. وهذا ما تصوِّره العبارة : ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ ﴾ ..

.. وكانت إجابته ﷺ متضمّنةً للعمقين الظاهر والباطن : ﴿ نَبَّأَنِىَ ﴾ ، ودون التعلّق بكلمة : ﴿ بِهِۦ ﴾ ، لتشمل ساحةً أوسع من حدود هذه المسألة : ﴿ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، كون ذلك هو من الله تعالى : ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ ﴾ تصوِّرُ مقدِّمة لقولها ﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ ﴾ .. وقولها ﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ ﴾ تصوِّرُ مقدّمة لقوله ﷺ ﴿ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ..

.. وفي هذا السياق لا بدَّ من الوقوف عند الكيفيّة التي نبّأ الله تعالى بها نبيَّه ﷺ ، كيف أنّها تختلف عن وحي النصِّ القرآني ..

.. الوحي – في الرسالة الخاتمة – هو وحي القرآن الكريم ... فحتى وَحْي القصص نراه عبر القرآن الكريم ..

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣]

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف : ١٠٢]

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٤٤]

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ [هود : ٤٩]

وحتى وَحْي الله تعالى لرسوله ﷺ بمسألة الجن إنّما كان عبر القرآن الكريم حصراً ..

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ .... ﴾ [الجن : ١ – ٢]

.. وإنْ كان هناك وحيٌ آخر مع وحي كتاب الله تعالى ، كما يزمجر عابدو أصنام التاريخ ، فكيف بنا أن نفهم قولَه تعالى ..

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

.. فالذي يُؤْمَر ﷺ بتلاوته من الوحي **﴿ وَٱتْلُ ﴾** هو ما أُوحي إليه من القرآن الكريم **﴿ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾** ، وليس أمراً آخر .. وهذا الوحي الذي يُؤمَر ﷺ (ومن بعده كلُّ حاملٍ لكتاب الله تعالى) بتلاوته ، لا يوجد من دونه للنبيِّ ﷺ ولغيره مرجع ولا مآل **﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾** ..

فحصر مرجعيّة الرسول ﷺ بالقرآن الكريم دون أيِّ وحيٍ آخر ، ينفي وجود وحيٍ آخر (في ساحة الرسالة) مستقلٍ عن كتاب الله تعالى ، كما يفتري عابدو أصنام التاريخ ، وإلاَّ ما الفائدة من وحيٍ في ساحة الرسالة لا يكون مرجعاً ومآلاً حتّى للرسول ﷺ ذاته ؟ .. وقد بيّنت ذلك في أبحاث سابقة بما فيه الكفاية ..

.. ولكن .. هذا في ساحة الرسالة ، أي في ساحة المنهج الموجود بين أيدي البشر ، حيث يُطالبون باتّباعه في كلِّ زمانٍ ومكان .. وهذا أمرٌ له حدوده المختلفة عن حدود الشفافيّة والرؤية الصادقة والإلهام من الله تعالى ، فهذه الأمور (الشفافيّة والرؤية الصادقة والإلهام) تتعلَّق بساحة الخلاص والنقاء والطهارة ، وهي علاقة روحيّة خالصة بين الإنسان وبين الله تعالى ..

.. وبالتأكيد أنَّ الله تعالى نبّأ نبيَّه ﷺ بهذه المسألة خارج وحي القرآن الكريم ، فالمسألة هي في ساحة النبوّة ﴿ **وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا** ﴾ ، وجزئيّات ما أسرَّه النبيُّ ﷺ من حديث لم تُذكَر ، لأنَّ المسألة (كرسالة) ليست متعلِّقة بهذه الجزئيّات كما بيّنا .... كرسالة يُطلَب اتِّباعها لا يهمّنا معرفة جزئيّات الحديث الذي أسرّه النبيُّ ﷺ إلى بعضِ أزواجه ، ما يهمّنا هو الأحكام الواردة في هذا النصِّ الكريم لعلاقة قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة مع من تتعلَّق معه بصفة الزوجيّة في هذه الساحة ، وذلك كسقفٍ تسير تحته كلُّ زوجة مؤمنة في علاقتها مع زوجها في كلِّ زمانٍ ومكان ، وقد بيّنا ذلك بما فيه الكفاية ..

.. إذاً .. ما نبّأ الله تعالى به نبيّه ﷺ في هذه المسألة هو خارج وحي الرسالة الذي هو فقط وفقط لا غير كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وهو رؤية صادقة نبَّأ الله تعالى بها النبيَّ ﷺ بهذه المسألة ..

.. وتأتي بداية الآية الرابعة في هذا النصِّ الكريم بصيغة جديدة .. ففي حين كانت صيغة الخطاب في الآية الثالثة مفردة ومتعلِّقةً بزوجة ، ومن سمت خطاب الغائب ، نرى

صيغة الخطاب في بداية الآية الرابعة : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ بصيغة المثنّى ، ومن سمت منظار المخاطَب ..

.. وبداية هذه الآية الكريمة هي كلمة : ﴿ إِن ﴾ كشرطٍ قد يتحقَّق وقد لا يتحقّق ، بمعنى تقديم عرض لتوبة قد تحصل وقد لا تحصل ، وفي ذلك إشارة إلى أنّنا أمام أحكامٍ عامَّة ، وتفاعلٍ حيٍّ معها ، ولسنا أمام مجرّد سردٍ تاريخي لحدثٍ في الجيل الأوَّل ..

.. وشرط التوبة : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ يبيّن لنا العودة عن خطأ كان من المفروض ألاَّ يكون ، ويعني الالتزام بعدم العودة إلى هذا الخطأ ..

.. إذاً .. نحن أمام شخصين اثنين بدليل صيغة المثنّى في الكلمات : [[﴿ تَتُوبَآ ﴾ ،، ﴿ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ ،، ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾]] .. وهذان الشخصان سبق لهما ذكر في هذا السياق ، وسبق لهما ذكر لما تترتَّب عليه توبة ، فذكر التوبة في العبارة ﴿ إِن تَتُوبَآ ﴾ هو لحكمة لها ما تتعلَّق به في السياق السابق ..

.. ولو نظرنا في السياق السابق لرأينا أنَّه يتعلَّق بالنبيُّ ﷺ وزوجة من أزواجه :

﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ ..

.. وكما قلنا ، سمت الخطاب هو من منظار الغائب : [[﴿ أَسَرَّ ﴾ ، ﴿ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾ ، ﴿ نَبَّأَتۡ ﴾ ، ﴿ عَرَّفَ ﴾ ، ﴿ وَأَعۡرَضَ ﴾ ، ﴿ نَبَّأَهَا ﴾ ، ﴿ قَالَت ﴾ ، ﴿ قَالَ ﴾]] .. والنصُّ يتعلّق بالنبيِّ ﷺ ، وليس بشخصِ محمَّدٍ : ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ ..

من هنا نرى أنَّ الانتقال من هذه الآية إلى بداية الآية التالية لها بخطابٍ سمته المخاطَب ، وبصيغة المثنّى ، هو انتقال إلى الجانب الشخصي لمحمّدٍ ﷺ ولهذه الزوجة : **﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾** ، فهذه الصيغة تتعلَّق بمسألةٍ يريد الله تعالى حدوثها وهي التوبة والعودة إلى الالتزام بأحكام الله تعالى ، بمعنى أنَّها لم تحدث ، فلو حدثت لما وردت العبارة القرآنيّة **﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾** ..

.. وهذا التحوُّل من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطَب ، كتحوُّل من التعلُّق بصفة الخلاص والنقاء والطهارة إلى الجانب البشري لشخصِ محمَّدٍ ﷺ ، رأينا مثيلاً له في صياغة العبارة القرآنيّة : **﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾** ، وبيّنا ذلك بما فيه الكفاية ..

.. وفي الآية الكريمة التالية نرى أنَّ التحوُّل من صيغة المخاطَب إلى صيغة الرسالة ، هو تحوُّلٌ من مخاطبة الجانب الشخصي لمحمَّدٍ ﷺ إلى التعلُّق بصفة الرسالة ..

﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ [البقرة : ١٤٣]

فالعبارة القرآنيّة **﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ ﴾** تخاطب شخص محمَّدٍ ﷺ بعيداً عن جانب الرسالة ، وذلك في التوجّه إلى بيت المقدس كاجتهادٍ بشريٍّ منه موافقةً لأهل الكتاب ، ريثما يترل النصُّ القرآنيُّ الذي يحدِّد سمت التوجّه في الصلاة .. ولذلك نرى أنَّ الله تعالى يقول **﴿ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ ﴾** ، ولم يقل (**التي كان الرسول عليها**) .. بينما في العبارة القرآنيّة **﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾** نرى انتقالاً من صيغة المخاطَب (شخص محمَّدٍ ﷺ) إلى صيغة الغائب المتعلِّقة بالرسول ، بمعنى : من يتّبع الأمر الإلهي النازل من السماء كنصٍّ قرآنيٍّ يُحدِّد التوجّه إلى المسجد الحرام ، فالله تعالى لم يقل : (**إلاَّ**

لنعلم من يتّبعك) بصيغة المخاطَب كما هو الحال في العبارة ﴿ **ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيۡهَآ** ﴾ ، إنّما يقول جلَّ وعلا ﴿ **إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ** ﴾ ..

.. إذاً .. الانتقال من صيغة المفرد وصيغة الغائب المتعلِّقة بالنبيِّ ﷺ كصفة خلاص ونقاء وطهارة ، مع عدم ورود ذكرٍ إلاَّ للنبيِّ ﷺ ولزوجة تتعلَّق معه في قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ، وذلك في الآية الثالثة ، إلى صيغة المخاطَب والمثنّى في بداية الآية الرابعة .. كلٌّ ذلك يؤكِّد الانتقال إلى مخاطبة الجانب الشخصي لمحمَّدٍ ﷺ ولهذه الزوجة : ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا** .... ﴾ ..

والعبارة القرآنيّة ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا** .... ﴾ مكوَّنة من مقدِّمة ونتيجة .. المقدّمة هي ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ ، ونتيجتها هي : ﴿ **فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا** ﴾ .. هذا ما تنطق به الصياغة اللغويّة لحروف هذه العبارة القرآنيّة ..

.. أمّا القول بأنَّ جملة فعل الشرط ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ ليس لها جواب ، وجوابها محذوف وتقديره : يتب عليكما ، فهو قول غير صحيح ، وهو قفزٌ فوق ظاهر الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة ، نتيجة فرض تصوّرات مسبقة الصنع وتفاسير موروثة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ..

.. وكلمة ﴿ **صَغَتۡ** ﴾ تعني : مالت وأنصتت .. ولم يذكر النصُّ الكريم في ظاهر صياغته اللغويّة إلى ماذا صغت .. ولكنْ .. كون العبارة ﴿ **فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا** ﴾ متعلِّقة بالتوبة ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ ، وكون التوبة تعني رجوعاً إلى الحق ، فإنَّ الحقَّ والالتزامَ بمرادِ الله تعالى في أحكام كتابه الكريم ، هو ما ستصغي إليه قلوبهما إنْ تابا إلى الله تعالى ..

وما ذهبت إليه التفاسير الموروثة من أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ تعني زاغت وعدلت ومالت عن الحق ، هو تفسيرٌ غير صحيح ، فالعبارة القرآنيّة : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ مكوَّنة من مقدِّمة ونتيجة ، المقدّمة : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، والنتيجة ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ ، فكيف تكون نتيجة التوبة ميلاً عن الحقِّ ؟!!! ..

.. من هنا نرى كيف أنَّ الفهم غير السليم لدلالات هذه العبارات القرآنيّة هو ما قادهم إلى القول بأنَّ جملة فعل الشرط : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ليس لها جواب ، وجوابها محذوف وتقديره : يتب عليكما ، وذلك في الوقت الذي نرى فيه أنَّ النصَّ القرآني : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ وحدةٌ مترابطةٌ مكوَّنةٌ من مقدِّمة هي : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ومن نتيجة هي : ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ ، وأنَّ حرف الفاء في كلمة ﴿ فَقَدۡۖ ﴾ يربط المقدِّمة بنتيجتها ..

.. وتكملة الآية الكريمة تصوِّرُ احتمال عدم توبتهما وما يترتَّب عليه ، أي بقاءهما على حالهما ، أي الاستمرار لما رأيناه في السياق السابق .. فهي تحمل شرطاً جديداً واحتمالاً آخر مقابلاً للاحتمال الأوَّل ..

﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

.. وهنا نحن أيضاً أمام جملة شرطيّة مكوَّنة من مقدِّمة ونتيجة ، المقدّمة هي : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ ونتيجتها هي : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ

﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، ونرى هنا أيضاً أنَّ حرف الفاء في كلمة ﴿ فَإِنَّ ﴾ يربط المقدِّمة بنتيجتها ..

.. والقول – هنا أيضاً – بأنَّ جملة فعل الشرط ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ ليس لها جواب ، وجوابها محذوف وتقديره : يجد ناصراً ، هو قول غير صحيح ، وناتج عن فرض تصوّرات مسبقة الصنع على دلالات العبارات القرآنيّة ، نتيجة تفاسير تاريخيّة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ..

.. وورود العبارة القرآنيّة : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة ، تبيِّنُ لنا أنَّ كلاً منهما علا وبان (على مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة) في علاقته وتفاعله مع الآخر .. فكلمة ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ تعود لمبدأ الخلاص والنقاء والطهارة .. بمعنى : إن لم ينته الاستمرار وإن لم تحصل العودة والتوبة (من قِبَل شخصِ محمَّدٍ ﷺ وشخص الزوجة المعنيّة) عمَّا بيَّنه النصُّ في السياق السابق من التظاهر على الأحكام المتعلِّقة بساحة الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. ما وقع من شخص الزوجة المعنيّة ويجب أن تعود عنه ، بيّناه في شرح الآية السابقة بما فيه الكفاية .. وما وقع من شخصِ محمَّدٍ ﷺ ورد ذكره في الآية الأولى من هذا النصِّ من تحريم ما أحلَّه الله تعالى له ابتغاء مرضاة أزواجه ، وذلك خشية الناس وخشية همزهم ولمزهم ، وشرحنا ذلك بما فيه الكفاية .. وفي تلك الحالتين نرى تفاعلاً مشتركاً في هذه المسائل ما بين شخصِ محمَّدٍ ﷺ وبين الزوجة المتعلَّقة معه بقمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة .. من هنا نرى دلالة كلمة ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ بهذه الصيغة ..

.. إذاً .. قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، نرى

فيه مقدِّمتين ونتيجتين .. المقدّمة الأولى هي : ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ ونتيجتها هي : ﴿ **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ .. والمقدّمة الثانية هي : ﴿ **وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ** ﴾ ونتيجتها هي : ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾ ..

.. المقدِّمة الأولى ونتيجتها تعني توبةً وعودة بقلوبهما إلى الحق : ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ ، وهذا يقابله المقدِّمة الثانية ونتيجتها ، والتي تعني استمراراً في التظاهر على النبيِّ كمبدأ للخلاص والنقاء والطهارة ، دون توبة وعودة عن ذلك : ﴿ **وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾ ..

.. وما نراه أنَّ المقدِّمة الثانية تبدأ أيضاً بكلمة ﴿ **وَإِن** ﴾ كما هو حال المقدِّمة الأولى ، لتعني احتمال الاستمرار في الأمر (التظاهر) واحتمال وقوع نقيضه (التوبة) في الوقت ذاته .. وفي كلِّ ذلك دليلٌ على أنَّ المسألة ليست مجرَّد سردٍ تاريخيٍّ لقصّةٍ تاريخيّةٍ بعينها ، إنَّما هي مسألة تبيانٍ للأحكام في علاقة الزوجة المتعلِّقة مع قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. إذاً .. في قوله تعالى : ﴿ **وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ** ﴾ ، فإنَّ الضمير الهاء في الكلمتين : [[﴿ **عَلَيْهِ** ﴾ ، ﴿ **مَوْلَىٰهُ** ﴾]] يعود إلى النبيِّ ﷺ كصفة خلاص ونقاء وطهارة ، وليس لشخص محمِّد ﷺ كبشر له هواجسه النفسيّة وشهوته وكلّ ما يتعلَّق به كبشر ، في حين أنَّ الضمير المثنّى في الكلمات : [[﴿ **تَتُوبَآ** ﴾ ، ﴿ **قُلُوبُكُمَا** ﴾ ، ﴿ **تَظَـٰهَرَا** ﴾]] يعود إلى شخصِ محمَّدٍ ﷺ وشخص الزوجة المعنيّة في هذا النص ..

.. وما نراه في قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ أنَّ كلمة : ﴿ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ ترد بصيغة مثنى الجمع ، بمعنى لشخصِ محمَّدٍ ﷺ قلوب ، ولشخص الزوجة المعنيّة قلوب ، فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٤] ؟!!! ..

.. القلب هو مكمن إرادة الإنسان وتوجّهه ، ولا يعني مجرَّد العضلة الماديّة التي تنبض داخل جسم الإنسان ، فقد يكون الإنسان مريضاً في قلبه دون أن يكون للعضلة التي تضخُّ الدّم في جسمه أيُّ تعلّقٍ بمرضٍ مادِّي : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ [البقرة : ١٠] ، فالقلب في كتاب الله تعالى يصف مسألةً معنويّةً تتعلّق بمكمن إرادة الإنسان وتوجّهه ..

.. وقد يكون للإنسان عدّة توجّهات في الوقت ذاته ، بمعنى له رؤى مختلفة في قضيّة ما .. ولكنَّ هذا الإنسان حينما يمشي ويسير في هذه القضيّة لا تكون له إلاَّ إرادة واحدة ، بمعنى توجّه واحد لا ينافسه توجّه آخر ، هذا عندما يجمع أمره ويمشي باتّجاه ما يريد ، وهذا ما تنطق به العبارة القرآنيّة ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ۚ ﴾ ، فكلمة ﴿ لِرَجُلٍ ﴾ لم تُذْكَر عبثاً ، فالمتحرِّك والساعي بقصده وإرادته في أيِّ قضيّة لا يُوجد له إلا توجُّهٌ واحد محمولٌ على إرادة واحدة ، وإلاَّ لما عزم أمره على ذلك ..

وكلمة ﴿ لِرَجُلٍ ﴾ هنا لا تعني الذكر المقابل للأنثى ، إنّما تعني الساعي والمتحرّك بقصده وإرادته باتِّجاه محدَّد ، وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى ..

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨ – ٢٣٩]

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج : ٢٧]

.. إذاً .. كلمة ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ تعني التوجّهات المختلفة والرؤى المتباينة ، وذلك قبل عزم الأمر على توجّه واحد ، فقبل التوبة لكلٍّ واحدٍ هناك توجّهات مختلفة (قلوب) ، وهذه القلوب تُجمع في توجّهٍ (قلب) واحد حينما يتمّ عزم الأمر على التوبة ..

.. أمَّا القول بأنَّ المراد بالجمع ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ هو التثنية ، وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان كاليدين والرجلين والعينين ، فلما جرى أكثره على ذلك ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين ، هو قول لا دليل عليه ، ويخالف ظاهر الصياغة القرآنيّة ، وهو نتيجة عدم الإدراك السليم لدلالات آيات كتاب الله تعالى ..

.. ونرى في صياغة قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَـٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ما يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في تفسيرنا لهذه الآيات الكريمة ، من عدّة وجوه ..

١ – الولاية المعنيّة في هذه العبارات القرآنيّة هي لله تعالى فقط : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَـٰهُ ﴾ ، وورود صيغة الإلوهيّة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ مع ورود كلمة : ﴿ هُوَ ﴾ ، تأكيدٌ على أنَّ هذه الولاية لا تكون إلاَّ لله تعالى .. وتأتي العناصر الأُخرى : [[﴿ وَجِبْرِيلُ ﴾ ، ﴿ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾]] كظهير للنبيِّ ﷺ (خلاص ونقاء وطهارة) بعد هذه الولاية : ﴿ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ..

.. والولاية هنا ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ** ﴾ هي – كما بيّنا – لقيم الخلاص والنقاء والطهارة ، أي ولاية للنبيِّ ﷺ كقيمة روحيّة ينظر إليها المؤمنون كقمّة لها إسقاطاتها في نفوسهم ، حسب درجات خلاصهم ونقائهم وطهارتهم .. فالضمير (الهاء) في كلمة : ﴿ **مَوْلَىٰهُ** ﴾ يعود – كما بيَّنا – للنبيِّ ﷺ كصفة خلاص ونقاء وطهارة ، وليس لشخصِ محمَّدٍ ﷺ ..

.. فكون الولاية تتعلَّق بصفة الإلوهيّة ، وهي لله تعالى فقط ، وكون صفة النبوّة بما تعنيه من قيم روحيّة من خلاص ونقاء وطهارة بعيداً عن الجانب الشخصي البشري ، هي – بماهيّتها – صفة غير ماديّة وغير شخصيّة .. كلُّ ذلك رابطٌ بين قيمتين روحيّتين غير ماديّتين ، وغير مصبوغتين بلون التاريخ ..

٢ – العناصر التي هي ظهير للخلاص والنقاء والطهارة بعد هذه الولاية : **[[** ﴿ **وَجِبْرِيلُ** ﴾ ، ﴿ **وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، ﴿ **وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ** ﴾ **]]** هي – أيضاً – قيم روحيّة وليست ماديّة ، فتعلُّقها هو بصفة النبيِّ ﷺ وليس بالشخص محمَّد ، فجبرييل عليه السلام ﴿ **وَجِبْرِيلُ** ﴾ ، والملائكة ﴿ **وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ** ﴾ ليسا أجساداً ماديّة .. والعبارة ﴿ **وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ بهذه الصيغة التي ترد بها ، دون أيِّ صيغة أُخرى **[[** على سبيل المثال (**والمؤمنون الصالحون**) **]]** تؤكِّد تعلَّق الأمر بقيم روحيّة يتعلَّق بها الخلاص والنقاء والطهارة ، وليس بالجانب الشخصي البشري .. كيف ؟ ..

صيغة : (**والمؤمنون الصالحون**) تعني المؤمنين كبشر ، الذين يتَّصفون بصفة الصلاح ، أي تعني أشخاص المؤمنين كقيمة ماديّة إضافة للقيمة الروحيّة ، بينما العبارة القرآنيّة : ﴿ **وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ تعني الجانب الصالح كقيمة روحيّة في نفوس المؤمنين ، وهو الجانب المتعلِّق بالخلاص والنقاء والطهارة في نفوسهم ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ ترد كعنصرٍ ظهيرٍ لصفة الخلاص والنقاء والطهارة ، وترد متوسّطةً ما بين العنصر الأوَّل : ﴿ وَجِبۡرِيلُ ﴾ وبين العنصر الثالث : ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .. وكلُّ ذلك يؤكِّد أنَّ قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ يتعلَّق بالنبيِّ ﷺ كخلاص ونقاء وطهارة ، وليس بشخصِ محمَّدٍ ﷺ كبشرٍ .. ويؤكِّد في الوقت ذاته صحّةَ ما نذهب إليه من أنَّ قوله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا ﴾ يتعلَّق بشخص محمَّدٍ ﷺ كبشرٍ وبشخص الزوجة المعنيّة في الآية السابقة ، كون التوبة التي يطالبان بها هي لصالح مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة وما يتعلَّق به من أحكام ، ذلك المبدأ الذي مولاه الله تعالى ، وظهيره بعد هذه الولاية جبريل وصالح المؤمنين والملائكة ..

٣ – كون : [[﴿ وَجِبۡرِيلُ ﴾ ، ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ ، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾]] ((كظهير للنبيِّ ﷺ)) قيماً غير مادّيّة ، وكونهم ظهيراً للنبيِّ ﷺ هو أمرٌ واقعٌ سواءٌ استمرَّ التظاهر المعني بقوله تعالى ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ أم لم يستمر ، بمعنى كون التوبة ستحصل أم لم تحصل ، وكونهم من جملة الجواب على احتمال الاستمرار بهذا التظاهر ، وكون الكلمتين [﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ ، ﴿ ظَهِيرٌ ﴾] تعودان لجذرٍ لغويٍّ واحد ، وكون كلمة ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تتعلَّق بالبديل عن التوبة إلى الله تعالى ، وكون كلمة ﴿ ظَهِيرٌ ﴾ تتعلَّق بالإجابة على ذلك ... كلُّ ذلك يؤكِّدُ صحّةَ ما نذهب إليه في تفسير هذه الآيات الكريمة ، كوحدة مترابطة من المعاني تحمل الأدلّة التي نبيّنها ، وتنقض ما تذهب إليه التفاسير الموروثة ..

.. وهنا قد يستغرب بعضهم ذلك ، كيف يُطلَب من شخصِ محمَّدٍ ﷺ التوبة ؟ ، وكيف من الممكن أنَّه تظاهر مع زوجه على صفة النبوّة ؟ .. وهنا سيتاجر الأفَّاكون

الكذّابون من عابدي أصنام التاريخ الذين يقدّسون آلاف الروايات المسيئة لشخص النبيِّ ﷺ (التي وضعها أسلافهم) والتي يستخدمها أعداء الإسلام في الهجوم عليه ، ومنها – كما بيّنا – الروايات التي لفّقوها لهذا النصِّ الذي نحن بصدد تفسيره ، هنا سيتاجرون بذلك من أجل ذرِّ الرماد في أعين البسطاء لإبقائهم في مستنقعات القال والقيل ..

.. العتاب لشخصِ محمَّدٍ ﷺ ورد في كتاب الله تعالى ، وبصور أقوى ممّا يرد في هذا النصِّ .. يقول تعالى ..

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٣ – ٧٥]

.. لا شكَّ أنَّ هذا النصَّ الكريم لا يخاطب الرسول ولا يخاطب النبيَّ ﷺ ، إنَّما يُخاطب محمَّداً كبشرٍ إنسانٍ له هواجسه النفسيّة .. ودلالات النصِّ واضحة جليّة ، ولا تنفع معها كلُّ محاولات اللف والدوران وذرِّ الرماد في الأعين .. وهذا النصُّ الكريم يبيّن بشريّة محمَّدٍ ﷺ بما تحمل نفسه البشريّة كإنسان ، ويبيِّن – في الوقت ذاته – أنَّ هذا النصَّ من المستحيل أن يكون من عند محمَّدٍ ﷺ ..

.. والنصُّ التالي يخاطبُ أيضاً شخصَ محمَّدٍ ﷺ دون صفتي الرسالة والنبوّة ، ومن بعده كلَّ إنسان ..

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [يونس : ٩٤ – ٩٥]

.. وكما رأينا في الآية الأولى من هذا النصِّ أنَّه هناك نهيٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ ، وهناك دعوة للتراجع عمّا حرَّمه ﷺ ، ورأينا في الآية الثانية أنَّه هناك تبيان لما فرضه الله تعالى من تحلّة للأيمان لكافّة المؤمنين .. ورأينا أنَّه ليس من حقِّ محمَّدٍ ﷺ بأن يفعل ذلك تجاه ساحة النقاء والخلاص والطهارة ، فليس من حقِّه ﷺ ولا يجوز له أن يمنع من تريد دخول هذه الساحة ، وهذا يترتَّب عليه توبة إلى الله تعالى ، بمعنى عودة عن ذلك ..

والزوجة المتعلِّقة بصفة الزوجيّة مع قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة لا يحقُّ لها أن تسحبها الغيرة إلى دفعه ﷺ لأن يمنع من تريد الدخول في هذه الساحة ، ولا يحقُّ لها أن تبوح بأيِّ سرٍّ يضعه عندها قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ..

كلُّ ذلك يتطلَّب توبةً من محمَّدٍ ﷺ كشخص ومن شخص الزوجة المتعلّقة معه بصفة الزوجيّة ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا** ﴾ ، ومقابل التوبة هو الاستمرار بتجاوز هذا الأمر ، بمعنى الخشية من الناس من قبل شخص محمَّدٍ ﷺ خوفاً من الهمز واللمز ، وترجيح الزوجة لغيرتها على الأحكام المتعلِّقة بحقِّ مَن تريد دخول ساحة الخلاص والنقاء والطهارة ، والبوح بما يجب ألا تبوح به ممّا يسرّه إليها قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة ، وكلُّ ذلك كتفاعل مشترك للجانب الشخصي بينهما ، هو تظاهر على حساب قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة : ﴿ **وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾ ..

.. الذين يودّون اتّباع منهج الله تعالى يبحثون عن كلِّ حقيقة يحملها كتاب الله تعالى ، ولا يتَّخذون أيَّ صنمٍ يحول بينهم وبين رؤية الحقِّ في كتاب الله تعالى .. والذين يعشقون عبادة الأصنام يسيئون للنبيِّ ﷺ جحوداً بآيات الله تعالى ، فجحودهم ليس متعلِّقاً – في النهاية – بشخص محمَّدٍ ﷺ ((سواءٌ بالمغالاة ، أم بعدم الإيمان بكونه رسولاً)) ، أبداً ، جحودهم هو بكتاب الله تعالى ..

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣]

.. فمن يحارب محمَّداً ﷺ جحوداً بآيات الله تعالى ، كون ما أنزله الله تعالى على محمَّدٍ ﷺ ينقض أصنامه ، لا يختلف عمّن يضع التاريخ (بما فيه شخص محمَّدٍ ﷺ وآل البيت والصحابة) فوق المنهج جحوداً بدلالاته الواضحة واضوح الشمس وسط النهار ..... كلاهما وجهان لعملة واحدة هي القفز فوق منهج الله تعالى ..

.. أليس قولهم بأنَّ الحديث ينسخ كتاب الله تعالى هو انتقاصٌ من كتاب الله تعالى ، وفرضٌ لأهواء بعض السابقين على دلالات كتاب الله تعالى ؟ .. أليس تقديسهم لروايات وضعها أسلافهم وينقضها كتاب الله تعالى هو حربٌ على كتاب الله تعالى ؟ ..

الطامّة الكبرى أنَّهم في الوقت الذي يتباكون فيه على السنّة الشريفة وعلى شخص محمّدٍ ﷺ ، في الوقت ذاته يقدِّسون رواياتٍ لا تحمل لكتاب الله تعالى وللسنّة ولشخصِ محمَّدٍ ﷺ إلاَّ أبشع الإساءات .. من هنا نرى أنَّ زعمهم بحبِّ النبيِّ ﷺ ، وبحبِّ أهل البيت (عند الشيعة) ، وبحبِّ الصحابة (عند السنّة) ، هو من أجل تمرير ما يقتضيه منهجهم الصنمي تحت شعاراتٍ برّاقة مثل : السنّة الشريفة ، أو عصمة أهل البيت ، أو عدالة الصحابة ، كلُّ ذلك يحدث في الوقت الذي لا يختلف فيه اثنان أنَّه لو وضعنا كلَّ أهل البيت وكلَّ الصحابة في كفّة ميزان ووضعنا في الكفّة الأخرى حرفاً من كتاب الله تعالى ، لرجحت كفّةُ حرف كتاب الله تعالى ..

.. ولو تتبّعنا سمت الخطاب في هذا النصِّ الكريم لرأيناه يتدرَّج من مخاطبة قمّة محور النقاء والخلاص والطهارة وحده في الآية الأولى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ ﴾ ، وما فرضه الله تعالى من تحلَّة للأيمان ، هبوطاً إلى العلاقة الزوجيّة – بما تعني من قيم ومبادئ روحيّة – بين قمّة محور النقاء والخلاص والطهارة وزوجة من أزواجه كتبيانٍ لما

يجب أن تكون عليه هذه العلاقة : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ ، هبوطاً إلى الجانب الشخصي لمحمَّدٍ ﷺ ولهذه الزوجة : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ ، هبوطاً إلى احتمال الاستمرار بالتظاهر على أحكام مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، هبوطاً إلى مخاطبة الجانب الشخصي لتلك الزوجات ، حيث الآية التالية التي تأتي بسمت المخاطَب ، وبصيغة الجمع ..

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾

وما نراه في هذه الآية الكريمة :

١ – ورود كلمة ﴿ رَبُّهُۥٓ ﴾ في العبارة ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ ، وهي من صفة الربوبيّة ، فإمكانيّة طلاقهنّ والإتيان بأزواجٍ خير منهنّ ، هي إمكانيّة تتعلّق بالربوبيّة بما تعنيه من تسخير للأسباب بين يديه ..

.. بينما في سياق هذا النصِّ ، وفي ولاية الله تعالى لصفة الخلاص والنقاء والطهارة ، بشكلٍ مجرَّدٍ عن الجانب الشخصيِّ لمحمَّدٍ ﷺ ، رأينا التعلّق بصفة الإلوهيّة وليس الربوبيّة : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾ ..

٢ – نرى ورود كلمة ﴿ إِن ﴾ وليس (إذا) ، فالمسألة قد تحدث وقد لا تحدث .. وفي ذلك دليلٌ على أنَّ المسألة تحمل أحكاماً فوق التاريخ ، لتصوِّر العلاقة بين قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة مع مَنْ ارتضت الدخول بساحة الزوجيّة مع هذه القمّة تقرّباً إلى

الله تعالى ، وذلك كسقفٍ تنظر إليه كلُّ زوجة في كلِّ زمانٍ ومكان .. فالأمر ليس محصوراً بالجانب التاريخي كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ..

٣ – الآية الكريمة تُخاطب كلَّ الأزواج وليس بعضهن ، فكلمتا : **[﴿ طَلَّقَكُنَّ ﴾ ، ﴿ مِّنكُنَّ ﴾]** تؤكِّدان ذلك ..

٤ – لو أخذنا الإسقاط التاريخي لزوجات النبيِّ ﷺ في الجيل الأوَّل ، لرأينا أنَّهنَّ لم يكن أفضل النساء في ذلك العصر ، فالعبارة القرآنيّة **﴿ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾** حقٌّ وليست خيالاً ، والله تعالى يعني بالعبارة **﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾** نساءً من عصرهن .. وهذا ليس انتقاصاً منهنَّ .. أبداً .. يكفيهنَّ من الشرف أنَّهنّ وصفن بصفة الزوجيّة للنبيِّ ﷺ ..

وهنا قد يقول قائل : ما دام هناك نساء في الجيل الأول فيهنّ من الخير أكثر من زوجات النبيِّ ﷺ ، فكيف إذاً تكون الأحكام الواردة في هذا النصِّ سقفاً تنظر إليه تلك النساء اللاتي فيهنّ خير أكثر من زوجات النبيِّ ﷺ ؟! ..

.. نقول : السقف الذي على كلِّ زوجة أن تسير تحته ، هو في العلاقة التي ترسمها دلالات كتاب الله تعالى ، وليس في القيم الشخصيّة ، فالعلاقة في الزوجيّة مع قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم ، ولذلك نرى كيف أنَّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ بأن يخيِّر أزواجه ما بين هذه العلاقة التي لها تعلّقها بمنهج الرسالة التي أنزلها الله تعالى ، وبين الحياة الدنيا بما تحمل من شهوات وغير ذلك ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ – ٢٩]

٥ – يبيِّن الله تعالى صفات النساء اللاتي هنَّ خيرٌ من زوجات النبيِّ ﷺ ، واللاتي اكتسبن هذه الدرجة كونهن يتَّصفن بهذه الصفات ..

﴿ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ﴾

الصفة الأولى ﴿ مُسۡلِمَٰتٍ ﴾ ، ونحن نعلم أنَّ صفة الاسلام تعني الانقياد في الجـوارح والأعمال الظاهرة ، فنحن نستطيع أن نشهد على إسلام الإنسان ، كون الإسلام يعـني الانقياد الظاهري بالجوارح ..

الصفة الثانية ﴿ مُّؤۡمِنَٰتٍ ﴾ ، ونحن نعلم أنَّ صفة الإيمان تعني الاطمئنان بالقلـب ، ونعلم أنّنا كبشر لا نستطيع أن نشهد على إيمان أيٍّ من البشر ، كون الإيمان في القلب ، ولا يعلم حقيقته إلاَّ الله تعالى ..

الصفة الثالثة ﴿ قَٰنِتَٰتٍ ﴾ ، والقنوت هو الإصغاء والاتّجاه نحو الالتزام بالطاعة ..

الصفة الرابعة ﴿ تَٰٓئِبَٰتٍ ﴾ ، والتوبة هي العودة إلى الحقِّ ..

الصفة الخامسة ﴿ عَٰبِدَٰتٍ ﴾ ، والعبوديّة هي الانصياع للأمر والالتزام به ..

الصفة السادسة ﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ ، وهي صفة تتعلَّق بالحركة والهجرة ، بمعنى يتحرَّكن مهاجرات في ساحة الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. وما نراه حتّى الآن هو عدم ورود حرف عطف بين هـذه الصـفات .. بينمـا الكلمتان : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ﴾ نرى بينهما حرف عطف ، فهما تصفان أمرين متقابلين لا ينفكّان في اتّصاف تلك النساء بهما ..

.. بكر الشيء بدايته ، ولذلك ورد في كتاب الله تعالى مقابلاً للعَشِي ..

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١]

.. فمشتقّات الجذر (ب ، ك ، ر) تعني إقبالَ الشيء ..

﴿ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٌ مُّسۡتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ٣٨]

.. ومَن أنشأهنَّ الله تعالى لأصحاب اليمين يتّصفن بصفة ﴿ أَبۡكَارًا ﴾ ..

﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝ عُرُبًا أَتۡرَابًا ۝ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٣٥ – ٤٠]

وصفة ﴿ أَبۡكَارًا ﴾ في هذا النصِّ الكريم لا علاقة لها بالجنس والأنوثة أبداً ، فمن جهة لا تُوجَد في الآخرة أصلاً أعضاءٌ جنسيّة كتلك التي في الدنيا ، وقد بيّنت ذلك في كتاب : قصّة الوجود ، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ ليسوا ذكوراً فقط ، فهم ذكور وإناث ..

.. من هنا نرى أنَّ الكلمتين ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ﴾ تعنيان الحركة بوجهيها ، ذهاباً ومجيئاً ، إدباراً وإقبالاً ، غياباً وحضوراً .. بمعنى أنَّ الصفات السابقة ﴿ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ يتمتّعن بها في كلِّ حركاتهنّ ، سواءٌ في غيابهنّ أم في حضورهنّ ، سواءٌ في إدبارهن أم في إقبالهنّ ، سواءٌ في ذهابن أم في مجيئهنّ ..

وما نراه في هذا النصِّ ((وفي كلِّ نصوص كتاب الله تعالى)) أنَّ الله تعالى لم يذكر اسماً لزوجة من هذه الزوجات ، فكما قلنا المسألة مسألة أحكام عامّة تصوِّر العلاقة بين قمّة محور الخلاص والنقاء والطهارة وبين الزوجة المتعلّقة بهذه القمّة ، وذلك كسقفٍ على كلِّ زوجة مؤمنة في كلِّ زمانٍ ومكان أن تنظر إليه سائرةً تحت ظلال أحكامه ..

وكما قلنا النصُّ يتدرَّج في مخاطبته بالهبوط ابتداءً من قمّة محور النقاء والخلاص والطهارة ، إلى العلاقة بين هذه القمّة والزوجيّة معه ، إلى الجانب الشخصيِّ لمحمَّدٍ ﷺ

والجانب الشخصي لمن تتعلّق معه في إطار علاقة الزوجيّة ، إلى الجانب الشخصي لزوجاته .. ليصل في الآية التالية إلى مخاطبة جملة المؤمنين والمؤمنات ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

.. وبالعودة إلى الروايات التاريخيّة ، نرى أنّها تحمل الكثير من صور الجانب الشخصي لمحمَّدٍ ﷺ دون صفتي الرسالة والنبوّة .. لننظر في الروايات التالية التي نعرضها ليس من باب الاعتقاد بصحَّتها ، وإنّما من باب الرد على المطبِّلين والمزمِّرين والمتاجرين بعواطف السذّج ..

البخاري (٤٧٢١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنْ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَتْ عَائِشَةُ أَمَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةُ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ فَلَمَّا نَزَلَتْ تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ** رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدِّبُ وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ وَعَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

مسلم (٢٦٥٨) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ عَائِشَةَ** قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ **وَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ**

مسند أحمد (٢٣٨٧٧) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ قَالَ **قَالَتْ عَائِشَةُ**

مَا أَرَى رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ

.. فالمطبِّلون والمزمِّرون لتقديس أفراد الجيل الأوَّل ، لا يسرُّهم النظر في هذه الروايات وغيرها الكثير الكثير ، لأنَّهم يعلمون في قاع أنفسهم أنَّها تحمل إساءة لشخص النبيِّ ﷺ ، بل تحمل شكّاً لا يليق بالقدسيّة التي يتاجرون بها ليل نهار في سوق السذاجة وتغييب العقل ..

.. وكيف بنا أن نُوفِّق بين القول المنسوب لعائشة : **[[وَاللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ]]** ، والذي يقدِّسونه ويكفِّرون من ينكره ، وبين محاربتهم للتدبّر السليم في كتاب الله تعالى وتجييش السذَّج ضدَّه ، ذارّين الرماد في أعين أولئك السذَّج على أنَّه إساءة للنبيِّ ﷺ وللسنّة الشريفة ؟!!!!!! ..

.. المتاجرون بالسنّة الشريفة وبحبِّ المسلمين للنبيِّ ﷺ ، من جهةٍ هم يكفِّرون من يحاول فهم دلالات كتاب الله تعالى بعيداً عن مستنقعاتهم ورواياتهم التي لا تحمل إلاَّ الإساءة لما يزعمون أنَّهم يقدِّسونه ، ومن جهةٍ أخرى يتمسَّكون بالتاريخ الذي يحوي الكثير من الإساءة لكلِّ ما يتعلَّق بمنهج الله تعالى ..

ومردُّ كلِّ ذلك هو جعل التاريخ بأشخاصه ورواياته منهجاً بديلاً عن منهج الله تعالى ، وهم بذلك يتجاوزون عابدي الأصنام جحوداً ، فالصنم يعتبره عابده قربى إلى الله تعالى ، بينما هؤلاء يجعلون رواياتهم حجّة على كتاب الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي

أوهام ما يُسمّى
بحادثة الإفك

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. قبل مجيء نور الإسلام وانتصار الحق على ظلمات الكفر والطغيان ، كانت الأصنام سائدة في المجتمعات ، وكانت تُعبد على أساس أنَّها قُربى لعابديها إلى الله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾

[الزمر : ٣]

.. وهذه الأصنام كانت محسوسة من الحجارة وغير ذلك من موادِّ الأرض ، بمعنى أنّها كانت خارج نفوس عابديها ، ويذهب إليها عابدوها ليتقرّبوا بها (كما يتخيّلون) إلى الله تعالى زُلفى ..

.. لكنَّ الأصنام الآن أخطر بكثير من تلك الأصنام التي كانت في أيّام الجاهليّة ، لأنَّها موجودة داخل النفوس ، ولأنَّها تأتي هي بعابديها إلى مستنقع الجحود والفتن والشرك اعتقاداً بأنَّها من منهج الله تعالى ..

.. عابد الأصنام في السابق والذي يعتقد أنَّها واسطته إلى الله تعالى ، كان يعلم أنَّها منحوتة من الحجارة ، أو مصنوعة من التمر ، ولذلك لم يكن يقدّسها لماهيّتها ، فقد كان

يأكل صنمه من التمر حينما يجوع .. بينما عابدو أصنام التاريخ الآن يعتقدون أنَّ أصنامهم التاريخيّة مقدَّسة لذاتها ، فأقوالهم وأفعالهم تؤكِّد ذلك ، واستعدادهم لقتل من يقترب من هذه الأصنام لذاتها ، في الوقت الذي يقرؤون فيه حرمة دم الإنسان في كتاب الله تعالى ، لأكبر دليلٍ على ذلك ..

أصنام الجاهليّة واضحة وجليّة بأنَّها من الحجارة ، فمن الممكن لعابدها أن يفيق في لحظة تدبّر وتأمّل حقيقي مجرَّد ويحطِّم هذه الأصنام .. بينما الأصنام الحاليّة غير مرئيّة ، ويُلبَّس على عابدها بأنّها تنتمي للمقدَّس الذي أنزله الله تعالى ، وَصُنِعَت لها روايات نُسبت للنبيِّ ﷺ ، ووُضِعَت لها كُتبٌ كثيرةٌ في الموروث أُحيطت بهالة من القداسة ، وانبرى الكثير ممّن تَوَّلى كِبْرَه من عابدي أصنام التاريخ لتغييب عقول عابديها ، لمنعهم من أيِّ إمكانيّة لرؤية الحقيقة ... ولذلك فإنَّ إمكانيّة أن يفيق عابدها ويعود لرشده أقلُّ بكثير من إمكانيّة عودة عابد أصنام الجاهليّة لرشده ... من هنا كانت أخطر بكثير من أصنام الجاهليّة ..

.. والصنم الآن هنا هو إنسان له أقواله وأفعاله التي وصلت إلينا عبر روايات تاريخيّة ، لا يُوجد فيها (من المقدِّمات إلى النتائج) ثابتٌ واحدٌ يستند إلى كتاب الله تعالى .. وبما أنَّ هذه الأقوال والأفعال أصبحت حجّة على دلالات كتاب الله تعالى ، فإنَّها تمثِّلُ ما هو أسوأ حتّى من الأصنام ... فالأصنام يعتقد عابدها أنَّها تقرِّبه إلى الله تعالى زُلفى ، بينما الأصنام الآن أصبحت حجّة على منهج الله تعالى ذاته ..

.. الأصنام الآن أصبحت رجالات وروايات يعتقد عابدوها أنَّها قاضية على أحكام كتاب الله تعالى ، وأنَّ كتاب الله تعالى محتاجٌ لها ، وأنَّها ليست محتاجة لكتاب الله تعالى ، وبالتالي لا يجوز النظر إلى دلالات كتاب الله تعالى إلاَّ من منظارها ..

والنصُّ التالي من **كتاب الكفاية في علم الرواية** يؤكِّدُ ذلك ..

[[....... القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن .... السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]] ..

ونقول للمتاجرين بالسنّة الشريفة المفلسين فكريّاً : نحن لا نصف السنَّة الشريفة (الحق التي لا تختلف مع كتاب الله تعالى) بالأصنام كما ستفترون علينا نتيجة إفلاسكم الفكري وعدم قدرتكم على مواجهة الأدلّة والبراهين ، معاذ الله تعالى ، نحن نقول : لقد حوَّلتم روايات تاريخيّة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان إلى سنّة ، في الوقت الذي يعلم فيه كلُّ عاقل أنّها متناقضة ومناقضة لكتاب الله تعالى .. والأهمُّ من ذلك أنَّكم رفعتموها فوق كتاب الله تعالى ، وجعلتموها قاضيةً على أحكام كتاب الله تعالى ..

.. فمن يسمع قولكم : **[[القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن]]** ويسمع قولَكم **[[السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة]]** ، وفي نفسه ولو ذرّة تقديرٍ وتقديسٍ لكتاب الله تعالى ، سيُدرك – أكثر من قبل – حقيقة شكوى الرسول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

.. ولذلك .. فدم الإنسان (مهما كان دينه ومذهبه وطائفته) الذي جعله الله تعالى حراماً لا يجوز الاقتراب منه ، أصبح هدره قُربى إلى هذه الأصنام ، كما نرى بأمِّ أعيننا من دماء تسيل في سبيل المذاهب والطوائف ، وفي سبيل الغرق في مستنقعات الفتن التي حاملها روايات تاريخيّة وُضعت خصّيصاً من أجل إغراق المسلمين في مستنقع هذه الفتن ..

.. كيف يكون قتل الإنسان المؤمن بالله تعالى (وغير المؤمن) والذي لا يريد عبادة هذه الأصنام التاريخيّة ، كيف يكون قتله في سبيل الله تعالى ؟!!! .. لا يكون ذلك إلاَّ إذا كانت هذه الأصنام (عند القتلة) فوق منهج الله تعالى ، وبالتالي فوق مراد الله تعالى ..

.. قد يبدو هذا الكلام غريباً بالنسبة للكثيرين .. ولكن .. من ينظر في واقع المسلمين الآن من مشارق الأرض إلى مغارها ، ومن ينظر إلى نيران الفتنة التي تُنفَخ في نفوس المسلمين منذ فترة ، ومن يقرأ التاريخ من منابعه وبشكلٍ مجرَّدٍ عن ذرِّ الرماد في الأعين ، ومن يدرك دلالات كتاب الله تعالى بشكلٍ مجرّد عن ضغط الموروث .. من يفعل ذلك .. يُدرك صحّة ما نقول ..

.. والقضايا التي تثبت ذلك كثيرة ، في الماضي والحاضر ، في التاريخ والواقع .. وسأتعرّض بإذن الله تعالى في هذا المقال لمسألة هي في أصلها ملفّقة ، تاجر بها متطرِّفو الشيعة أبشع متاجرة ، وتاجر بهذه المتاجرة متطرّفو السنّة للنفخ في نار الفتنة .. فهؤلاء وهؤلاء لا تعنيهم الحقيقة بشيء ، كلُّ ما يعنيهم هو الانتصار لأصنامهم التي باتت عندهم أهمّ من المنهج ، وحتى من منزِّله جلّ وعلا ..

إنَّها مسألة الإفك التي رُميت بها عائشة زوج النبي ﷺ وذلك حسب روايات تاريخيّة متناقضة ، عند السنّة والشيعة .. ولا أريد الوقوف عند هذه الروايات المتناقضة والمناقضة – كما سنرى – لكتاب الله تعالى .. فحرفٌ من كتاب الله تعالى أهمُّ من كلِّ الروايات (الصحيحة قبل الموضوعة) ، عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ..

.. أزواج النبيِّ ﷺ يكفيهن من شهادة الله تعالى لهنّ أنَّ الله تعالى وصفهنّ بالزوجيّة للنبيِّ ﷺ ، وهذا الوصف لا يكون إلاَّ عند وجود تناظر في العقيدة ، فكونهنّ أزواجاً للنبيّ ﷺ كما يبيّن كتاب الله تعالى ينفي عنهنَّ كلَّ كلامٍ ساقطٍ يقوله أيُّ ساقط مهما كان ..

.. وفوق ذلك هنَّ أمهّات للمؤمنين ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، فكيف إذاً من الممكن لمؤمن أن يرمي أمَّه بما لا يليق بها ، وكيف للنبيِّ ﷺ ألاَّ يقول فور سماعة بهذا الإفك بأنَّه إفكٌ مبين كما تقول الروايات ؟ !!! .. وكيف وكيف وكيف ؟!!! .. كلُّ ذلك يؤكِّد أنَّ المسألة ملفّقة من أساسها للإساءة لأزواج النبيِّ ﷺ ، وبالتالي للإساءة للنبيِّ ﷺ ، وبالتالي الإساءة للمنهج

كَكُل .. ومن جهة أُخرى وُضعت هذه الروايات لإرضاء الأهواء المذهبيّة والطائفيّة عند غلاة الشيعة ، وليسقط في مستنقعها مُطَلِّقُو عقولهم من السنّة ، وبالتالي لتكون تربةً خصبة لإشعال الفتن ، ولتمزيق جسد الأمّة ..

.. وما أريد أن أُبيّنه في هذا المقال هو أنَّ النصَّ القرآني الخاصَّ بمسألة الإفك في سورة النور ، ليس خاصّاً بحادثة معيَّنة كما هو في موروثنا التفسيري .. وأنَّ صياغته اللغويّة لا تُسعف من يريد تخصيصَه بهذه الحادثة الخاصّة بعائشة زوج النبيِّ ﷺ ..

فمن جهة ، هذا النصُّ دلالاته – كما سنرى – واسعة وليست خاصّة بحادثة محدَّدة في الجيل الأوَّل .. ولا ذكر لأزواج النبيّ ﷺ لا في هذا النصِّ ولا في السياق السابق له ولا في السياق اللاحق له ..

ومن جهةٍ أُخرى ، فإنَّ أزواج النبيِّ ﷺ أشرف وأطهر من أن يكنَّ في ساحة الشك ، والنبيُّ ﷺ أطهر وأكبر من أن يكون كما تصفه الروايات المتناقضة أصلاً ، بأنَّه لم يكن كما يُفترض ، وكما يصفه الله تعالى بأنَّه على خُلقٍ عظيم ... فمن يقرأ هذه الروايات بكليّتها ودون انتقاء ودون خضوعٍ لذرِّ الرماد في الأعين من قِبَل عابدي أصنام التاريخ ، يتيقّن أنَّ هذه الروايات فيها ما فيها من الكذب والافتراء ، إن لم تكن ملفّقة بكليّتها ومن أساسها ..

.. وللأسف .. أصبحت هذه القضيّة ساحة صراع بين غلاة الشيعة الذين لا همَّ لهم إلاَّ الطعن بأزواج النبيِّ ﷺ وبالصحابة انتصاراً لأوهامهم فيما تمَّ تحويله من بعض أهل البيت إلى أصنام بكلِّ ما تحمل الكلمة من معنى ، وبين بعض الذين لا يعنيهم أبداً تدبّر النصِّ القرآني لرؤية دلالاته الحق ، ولا همَّ لهم إلاَّ المزيد من الغرق في مستنقعات الفعل الطائفي وردّ الفعل ، رافعين الصحابة (بكليّتهم) كردّة فعل إلى مستوى الأصنام أيضاً ..

وتبقى الحقيقة ضائعة بين هذين الطرفين .. وتبقى الروايات المتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى (عند الطرفين) سيدة الموقف فيما يُضَخُّ ليل نهار فوق رؤوس العوام من شحن

مذهبي وطائفي مقيت ، لا يُنتج إلاَّ مزيداً من الابتعاد عن تدبّر دلالات كتاب الله تعالى ، ومزيداً من الفتن التي تحرق الأخضر واليابس ..

وفي هذا المقال .. لا أريد الوقوف عند الروايات الخاصّة بهذه المسألة ، المتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى ، فباستطاعة أيِّ إنسان العودة إلى ذلك والتيقّن ممّا نقول .. ما أريده هو الوقوف عند دلالات النصوص القرآنيّة الحاملة لمسألة الإفك ، لتبيان حقيقة ما تحمل من دلالات وأحكام ..

.. كتاب الله تعالى يُصَوِّرُ مسألة الإفك ابتداء من الآية (١١) في سورة النور .. وهذا النصَّ تسبقه آيات كريمة تُصَوِّرُ مسألة الزنا ومسألة رمي المحصنات ومسألة رمي الأزواج لزوجاتهم ..

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا

إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ
ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ
إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ
﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن
نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ
أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١ – ٢٠]

.. لو نظرنا في هذا النصِّ الكريم في سورة النور ، لرأينا أنَّ الآيات الكريمة فيه تتدرَّج من تصوير أحكام مسألة الزنا ، بشكل مباشر ، عبر ذكر المسألة بشكل مباشر ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ ، ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ ﴾ .. فهذه النصوص الكريمة تصوِّر مسألةً محدَّدة بعينها ، وهي مسألة الزنا المعروفة المحدّدة ..

بعد ذلك ينتقل النصُّ القرآني إلى مسألة أُخرى ليست مؤطَّرة بحيثيّة محدَّدة كما هو حال مسألة الزنا ، وذلك بصياغة جديدة ، حيث يبدأ تصوير المسألة بكلمة ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ ، ليصوِّر لنا رمي المحصنات وما يتعلَّق به من أحكام ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ ، ورمي الأزواج لأزواجهم وما يتعلّق به من أحكام ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ ..

.. ما نعنيه أنَّ رمي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم هو مسألة حيثيّاتها في الواقع أوسع من حيثيّات مسألة الزنا ، بمعنى أنَّ تجلّي هذه المسألة له وجوه أكثر من الوجه المحدَّد لمسألة الزنا .. فرمي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم يكون بعدة وجوه وبحالات مختلفة ، بينما مسألة الزنا معروفة ولا تثبت إلاَّ بحالة محدَّدة ..

من هنا نرى كيف أنَّ النصَّ يسير باتّجاه تبيان أحكام المسائل التي تتجلَّى بوجوهٍ تُعَدُّ حيثيّاتها وتجلِّياتها في المجتمع أكثر اتّساعاً وأكثر عموميّة .. وهذا يتبيّن لنا من خلال ابتداء النصوص القرآنيّة الحاملة لهذه المسائل الأكثر اتّساعا بالعبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ ..

بعد ذلك ينتقل النصّ القرآني إلى مسألة أخرى تُعَدُّ أكثر عموميّة من المسألتين السابقتين ، وذلك بصياغة جديدة حيث يبدأ تصوير المسائل بالعبارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ليصوِّر لنا مسألة الإفك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾ ، ومسألة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ .. فمسألة الإتيان بالإفك وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا لها وجوهٌ كثيرة تتجلّى بها في المجتمع ، وهي أكبر اتّساعاً ، وهذا ما سنراه بإذن الله تعالى حينما نتناول تفسير هذه الآيات الكريمة ..

.. وبعد ذلك ينتقل النصّ القرآني إلى مسألة أُخرى تُعدُّ أكثر عموميّة من كلِّ المسائل السابقة ، وذلك بصياغة جديدة : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، ليصوِّر لنا الأمر الإلهي بعدم اتّباع خطوات الشيطان ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ ..

.. فالأمر الإلهي بعدم اتّباع خطوات الشيطان تتعلّق به وجوهٌ واسعةٌ جداً ، لدرجة أنَّ معظم أعمال الإنسان تتعلّق به .. ولذلك نرى كيف أنَّ النصَّ القرآنيَّ المصوِّر لهذه المسألة يبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ..

.. وبعد ذلك يعود النصُّ القرآني في سورة النور إلى مسألة وجوهها في المجتمع أقل من هذه المسألة ، على الرغم من أنَّها واسعة ، ولكنَّها ليست باتّساع الوجوه التي تتعلّق بالأمر الإلهي بعدم اتّباع خطوات الشيطان ... ولذلك نرى النصَّ المصوِّرَ لها مسبوقاً بالعبارة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ..

.. وهكذا .. فالنصوص السابقة واللاحقة للنصِّ الحامل لمسألة الإفك تصوِّر مسائل متتابعة ، بإطارٍ عامٍّ دون أيِّ تخصيص بحادثة أو بجيل أو بشخص .. ونراها تصوِّر هذه المسألة بعد العبارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ والتي تبيّنُ أنَّ المسألة المتعلّقة بها تتجلّى في المجتمع بوجوهٍ واسعةٍ لا يمكن حصرها بحيثيّة محدَّدة ، شأنها بذلك شأن مسألة الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وشأن مسألة الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ .... ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

.. ولنقف عند الآية الأولى من النصِّ الحامل لمسألة الإفك ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[النور : ١١]

.. ما نراه في هذه الآية الكريمة :

١ – الصيغة عامّة وليست خاصّة بشخصٍ محدّد ولا بحدث محدَّد ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ ... بمعنى لا تُوجَد أيُّ إشارة في النصِّ إلى أيِّ تخصيص لشخص أو جيل أو حادثة بعينها ..

٢ – ابتداء النصِّ القرآني الحامل لأحكام مسألة الإفك بالعبارة القرآنيّة **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾** دليلٌ على أنَّ هذا النصَّ يُصوِّر مسألةً عامّة ليست مخصَّصةً بشخصٍ محدَّدٍ ولا بجيلٍ محدَّد .. ولو تتبّعنا النصوص القرآنيّة التي بدايتها **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾** في كتاب الله تعالى ، لرأيناها تصوِّر لنا أحكاماً عامّةً ، ليست مخصَّصةً بأشخاصٍ محدّدين ، ولا بجيلٍ محدَّد ..

وإن تخيّل بعضهم شيئاً من التخصيص في بعض النصوص كالنصّين التاليين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦]

فإنَّ مردّ توهّم هذا التخصيص في أذهانهم يتعلّق بعدم التفاهم إلى قرينة موجودة في النص .. ففي النصِّ الأول نرى قرينة محمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ **يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ** ﴾ وفي النصّ التالي نرى قرينة محمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ **عِندَ رَبِّكَ** ﴾ ..

.. إذاً .. ابتداء النصّ القرآني الحامل لأحكام مسألة الإفك بالعبارة القرآنيّة ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ** ﴾ دون وجود عبارة – في هذا النصّ – حاملة لأيّ قرينة تخصّص هذه الأحكام العامّة ، هو دليلٌ على أنَّ مسألة الإفك المحمولة بهذا النصّ ليست خاصّةً بجيلٍ محدّد ولا بأشخاص محدّدين ..

٣ – نرى كلمة ﴿ **بِٱلْإِفْكِ** ﴾ معرَّفة بأل التعريف ، وليست مضافةً لحدثٍ محدّد ولا لشخصٍ محدَّد .. فالإفك المعني هو مسألة واسعة تشمل مسألة الإفك بكينونتها المجرّدة عن التاريخ ، وليست محدَّدة بقضيّة محدّدة أو بجيل محدَّد أو بشخص محدَّد ..

٤ – نرى كلمة ﴿ **ٱلَّذِينَ** ﴾ وليس كلمة (مَنْ) .. وفي هذا بيانٌ يزيدُ في إطلاق هذه المسألة بعموميّة أكثر اتّساعاً ، وأكثر ابتعاداً عن الخصوصيّات ..

٥ – نرى كلمة ﴿ **جَآءُو** ﴾ ، متبوعة بكلمة ﴿ **بِٱلْإِفْكِ** ﴾ المعرَّفة والمجرورة بباء الواسطة والوسيلة : ﴿ **جَآءُو بِٱلْإِفْكِ** ﴾ .. بمعنى أنَّ جوهر فعلهم وقولهم الذي جاءوا به في المجتمع محمولٌ بواسطة الكذب والافتراء .. بمعنى أنَّ حامل أقوالهم وأفعالهم هو الكذب والافتراء .. وفي كلِّ ذلك إطلاقٌ لا يحمل أيَّ خصوصيّة لأيِّ جيلٍ ، أو حادثةٍ بعينها ، أو شخصٍ بعينه ..

٦ – ورود كلمة ﴿ **جَآءُو** ﴾ بصيغة الماضي وليس المضارع دليلٌ على إطلاق مسألة المجيء بالإفك ، كمسألة مجرّدة عن الأحداث .. فمسألة مجيئهم بالإفك هي مسألة تتعلَّق بما في نفوسهم ، بشكلٍ مجرَّد عن الزمان والمكان وما فيهما من أحداث .. بمعنى أنَّ هذه

الصياغة بهذه الحيثيّة ترسم صورة المجيء بالإفك بإطارٍ عامٍّ ، وبشكلٍ مجرّد عن الحيثيّات الزمانيّة والمكانيّة لحوادث المجيء بهذا الإفك .. وفي كلٍّ ذلك إطلاقٌ لهذه المسألة يؤكِّد عدم تخصيصها بحادثة محدَّدة في جيلٍ محدَّد ..

٧ – ورود كلمة ﴿ **عُصۡبَةٌ** ﴾ دون أيِّ صياغة أُخرى .. فهذه الكلمة ﴿ **عُصۡبَةٌ** ﴾ تُبيِّن مفهوم الجماعة والمجموعة التي يربطها رابط التعصّب فيما بين أفرادها لمسألة ما .. وهذا الرابط يتعلّق بنفوسهم ، قبل تعلّقه بأيِّ حادثة جزئيّة محدّدة ..

٨ – كلمة ﴿ **مِّنكُمۡۚ** ﴾ تؤكّد أنَّ المسألة عامّة في المسلمين المخاطبين بهذا النصِّ ، وأنَّ الخطاب موجَّهٌ للمجتمع المسلم في كلِّ زمانٍ ومكان بما فيه .. فالذين يجيئون بالإفك في كلِّ زمانٍ ومكان من المسلمين ﴿ **مِّنكُمۡۚ** ﴾ ، في نفوسهم تعصّب يجمعهم باتّجاه المجيء بهذا الإفك ﴿ **عُصۡبَةٌ** ﴾ .. ولا يمكن لعاقل أن يتخيّل أنَّ المجيء بالإفك خاصٌّ بجيل دون غيره وبحادثة دون غيرها .. ولا يمكن لمن يعرف حقيقة كتاب الله تعالى (كونه فوق الزمان والمكان) أن يتخيَّلَ النصَّ القرآنيَّ داخل إطارٍ محدَّدٍ من الزمان والمكان ..

٩ – العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ** ﴾ ترسم صورة النفوس المريضة في أيِّ مجتمع والتي تجيء بالإفك في كلِّ زمانٍ ومكان ، وتأتي العبارة التالية لها مباشرة ﴿ **عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ** ﴾ لتبيّن انتماء هؤلاء في كلِّ زمانٍ ومكان لجسد المجتمع الإسلامي .. ففي كلِّ زمانٍ ومكان ، الذين جاءوا بالإفك هم جماعة من الجسد الإسلامي تتلاقى نفوسهم عند ذلك ..

فالعبارة القرآنيّة ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ** ﴾ لا تنفكُّ عن الآيات السابقة لها ، والتي تحملُ أحكاماً عامَّةً في الزنا ورومي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم

والأحكام العامّة المتعلّقة بذلك .. فهذه العبارة القرآنيّة تقول : هؤلاء الذين جاءوا بالإفك المتعلّق في كلّ هذه المسائل وغيرها ، هم مجموعة منكم ..

١٠ – العبارة القرآنيّة ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ ﴾ ، يعود الضمير المتّصل الهاء في كلمة ﴿ تَحْسَبُوهُ ﴾ إلى المجيء بالإفك ، وليس إلى الإفك ، فلا شكَّ أنَّ الإفكَ شرٌّ وليس خيراً .. فمجيء هؤلاء بالإفك ، علينا ألا نحسبه شرّاً لنا ..

.. وكون الأمر متعلّقاً بالمجيء بالإفك ، وكون هذا المجيء مُجرَّداً عن الزمان والمكان كما بيّنا ، فإنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ ﴾ مجرَّدةٌ عن الزمان والمكان ، وتخاطب المجتمع المسلم في كلِّ زمانٍ ومكان ..

١١ – ورود كلمة ﴿ لَّكُم ۖ ﴾ ليس عبثاً وليس حشواً ، فهذا المجي بالإفك علينا ألاَّ نحسبه شرّاً لنا ، وهذا لا يعني أنّه ليس شرّاً بالنسبة للذين جاءوا به .. فبالتأكيد إنَّ مجيء هؤلاء بالإفك هو شرٌّ لهم .. ولكن كونه شرّاً لهم يجب ألاَّ يدفعنا أن نحسبه شرَّاً لنا نحن كبعيدين عن المجيء به ..

١٢ – العبارة التالية ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ تأتي لتبيّن حقيقة هذا المجيء بعيداً عن حسباننا له .. فالعبارة ليست (بل احسبوه خيراً لكم) إنّما جاءت لتبيّن حقيقته من منظار علم الله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ..

١٣ – ما بين ألاَّ نحسب هذا المجيء بالإفك شرّاً لنا ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ ﴾ وبين حقيقته بأنَّه خيرٌ لنا ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .. بين هذين الحدّين مساحة تبيّن أنَّ الشرَّ الذي يأتي به هؤلاء لأنفسهم في الآخرة ، ولبعض الذين يفترون عليهم بالكذب والبهتان في الدنيا ، إنّما هو في النهاية خيرٌ للمجتمع كَكُل ، ممّا ينتجه من فرزٍ للكاذبين عن الصادقين .. فلولا هذا الفرز لما علمنا الكاذبين الأفّاكين في المجتمع ..

١٤ – قوله تعالى **﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾** ، يُبيِّن أنَّ هؤلاء الذين جاءوا بالإفك على درجات ، فكلٌّ واحدٍ منهم يأخذ نصيبه من الإثم بمقدار ما ساهم به من الإفك ، فحسب درجة افترائه وكذبه وتدليسه ومشاركته بالإفك يكتسب نصيبه من الإثم .. فهناك مَن افترى هذا الإفك ، وهناك مَن ساهم بنقله ، وهناك مَن أشاعه .. كلٌّ له ذنبه حسب درجة مساهمته بهذا الإفك ..

١٥ – قوله تعالى **﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** يبيّن لنا رأس هؤلاء الذين شاركوا بهذا المجيء بالإفك بأعلى الدرجات ، فالذي تبع عظم هذا المجيء بالإفك وكابر وكان رأساً من هؤلاء الذين جاءوا بالإفك ، له عذابٌ عظيم .. ونرى كلمة **﴿ مِنْهُمْ ﴾** تبيّن أنَّ هذه العبارة القرآنيّة تختصّ بهؤلاء الذين جاءوا بهذا الإفك ..

.. والآية الثانية في هذا النصِّ الكريم الحامل لأحكام مسألة الإفك في سورة النور هي :

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢]

.. في هذه الآية الكريمة يتوجّه الخطاب ليس إلى الذين جاءوا بهذا الإفك ، وإنّما إلى الذين سمعوه ، وهم عموم المجتمع الإسلامي السامع بهذا الإفك ، وهم ذاتهم الذين خاطبهم الله تعالى في الآية السابقة : **[[﴿ مِّنكُمْ ۚ ﴾ ،، ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ ﴾ ،، ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾]]** .. ويتوجّه اللوم في هذه الآية الكريمة إلى المؤمنين والمؤمنات الذين كان من المفترض بهم أن يكون لهم موقفٌ جليٌّ في نبذ هذا الإفك .. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – كلمة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ هي بمعنى هلاَّ ، وهي للتحضيض ، أي كان من المفترض عليكم حينما سمعتموه ..

فهذه الكلمة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ إمَّا أنَّها تفيد التحضيض كما هو حالها في الآية التي بين أيدينا ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ ، أو أنَّها تفيد امتناع الأمر لوجود غيره ، كما هو في آية أُخرى في هذا النصِّ قيد الدراسة : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤] ، بمعنى امتناع مسِّهم بالعذاب العظيم لوجود فضل الله تعالى عليهم ورحمته في الدنيا والآخرة ..

٢ – هذان المعنيان لكلمة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ يُحيط بهما إطارٌ واحدٌ من المعنى والدلالات .. فمعنى التحضيض الذي يتجلّى في بعض نصوص كتاب الله تعالى ، وهو بمعنى المفترض الذي كان لا بدّ له أن يكون والذي كونه ضرورة يقتضيها الحال .. بمعنًى هلا كان الأمر الذي يقتضيه الحال .. هذا المعنى يتقاطع مع المعنى الآخر لهذه الكلمة وهو امتناع الأمر لوجود غيره ..

فمعنى التحضيض يوصل في النتيجة إلى امتناع تحقيق هذا المفترض أن يكون ، لوجود مانعٍ في من يعنيهم هذا التحضيض .. ولننظر في النصوص القرآنيّة التالية التي يتجلّى فيها معنى التحضيض ، لنرى كيف أنَّ الأمر المعني بهذا التحضيض والذي كان من المفترض أن يكون ، لم يتحقَّ ، وامتنع تحقّقه لوجود مانعٍ في من يعنيهم هذا التحضيض ..

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣]

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٣]

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢]

﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [يونس : ٩٨]

﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود : ١١٦]

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الكهف : ١٥]

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ [الكهف : ٣٩]

﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [النور : ١٢ – ١٣]

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور : ١٦]

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل : ٤٦]

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١]

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٣]

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٨]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠]

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٧]

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٢]

﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٠]

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون : ١٠]

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم : ٢٨]

.. وهذا أمر طبيعي ، فلو لم يمتنع ما هو مفترض أن يكون لما كان للتحضيض معنى ..

.. وهكذا فالأمر المتعلِّق بهذه الكلمة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ التحضيضيّة هو كنتيجة لم يتحقّق ... وبالتالي فالمفترض والواجب عمله والمحمول بالعبارة ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ لم يتحقَّق بشكلٍ عام ..

.. وفي هذا بيانٌ لحال المجتمع المسلم في إطاره العام في كلِّ زمانٍ ومكان ، بعيداً عن أيِّ خصوصيّة بجيلٍ محدَّد وحادثة محدَّدة ، كما يذهب تفسيرنا الموروث ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ نراها تخاطب جملة السامعين بشكلٍ عام .. وهذا يشمل كلَّ من سمع بهذا الإفك .. فالخطاب المباشر في هذا النصِّ موجَّهٌ للمجتمع المسلم السامع بهذا الإفك بشكلٍ عام ..

٤ – العبارة القرآنيّة ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ نراها تنقلنا إلى مجموعة المؤمنين والمؤمنات من جملة السامعين لهذا الإفك .. فالعبارة القرآنيّة لم تأت بالشكل (لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم هذا إفك مبين) لتشمل جملة السامعين ، إنّما نراها تتعلّق بجماعة المؤمنين فقط من جملة السامعين .. فإذا كان المؤمنون والمؤمنات لم يظنّوا بأنفسهم خيراً و لم يقولوا هذا إفكٌ مبين ، فكيف إذاً حال بقيّة السامعين ؟! .. من هنا نستشفُّ انغماس مجتمع السامعين بهذا الإفك وتفاعلهم معه بسلبيّة كبيرة ، كان من المفترض ألاَّ تكون ..

٥ – عدم مخاطبة المؤمنين بشكلٍ مباشر ، وتصوير موقفهم السلبي بصيغة الغائب ، ومجيء العبارة القرآنيّة المصوِّرة لذلك ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ متوسطة ، قبل العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ﴾ التي تتعلّق دلالاتها بالذين جاءوا بالإفك ، وبعد العبارة القرآنيّة المخاطبة لجملة السامعين بشكلٍ مباشر ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ له دلالته في كتاب الله تعالى ..

.. فضحايا الإفك هم من المؤمنين الصادقين المظلومين ، وإلاّ لما كان الإفك إفكاً .. فالإفك هو افتراء الكذب ، وبالتالي الذين تمّ رميهم بالإفك أبرياء وليسوا كما تمّ الكذب عليهم ، ولذلك كان من المفترض على جملة المؤمنين ألاّ يظنّوا بهؤلاء الضحايا إلاَّ خيراً ، وكان عليهم أن يكون لهم موقف بأن يقولوا هذا إفكٌ مبين ..

من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ **بِأَنفُسِهِمۡ** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ** ﴾ .. فهؤلاء المظلومون هم من جملة المؤمنين ، وأيٌّ من المؤمنين كان من الممكن أن يكون ضحيّةً لإفك هؤلاء الذين جاءوا به ، وبالتالي هو وهؤلاء الضحايا مجموعة واحدة ، وهذا يقتضي أن يظنّ بهؤلاء الضحايا خيراً وأن يكون له موقفٌ واضح في ذلك ..

٦ – نرى في هذه الآية الكريمة عطفاً للمؤمنات على المؤمنين ﴿ **ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا** ﴾ ، ونحن نعلم أنَّ كلمة ﴿ **ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ في كتاب الله تعالى وحدها تكفي لتشمل الإناث مع الذكور في مسألة الإيمان .. فما الفائدة من هذا التفصيل والفصل بين ﴿ **ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ (كذكور) وَ ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ** ﴾ (كإناث) ؟ ..

في هذا الفصل نستشفُّ تفصيلاً في الأمر ، فهناك خصوصيّة للرجال في التفاعل مع هذا الإفك ﴿ **ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ ، وهناك خصوصيّة للإناث في التفاعل مع هذا الإفك ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ** ﴾ ..

.. وبالتالي فظنُّ الخير الذي كان من المفترض أن يكون في هذه الحالة ، هو في كلِّ زمانٍ ومكان لم يتحقّق في نفوس جملة المؤمنين كذكور ﴿ **ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ وجملة المؤمنات كإناث ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ** ﴾ ، وذلك كأفرادٍ في كلِّ جيل ..

٧ – نرى أنّه هناك مسألتان كان من المفترض أن يقوم بهما المؤمنون والمؤمنات .. المسألة الأولى هي ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، والمسألة الثانية هي ﴿ وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ .. والمسألة الأولى هي مقدّمة للمسألة الثانية .. فالقول الصادق تسبقة إرادةٌ صادقةٌ وظنٌّ يؤدّي إليه ..

٨ – ممّا سبق نرى أنَّ حصر دلالات هذا النصِّ الكريم الحامل لمسألة الإفك بحادثة حصلت مع أمِّ المؤمنين عائشة زوج النبيِّ ﷺ كما هو شائع في تفاسيرنا ، يُسيء لجملة المؤمنين آنذاك ، هذا إضافة إلى أنَّه لا وجود لأيِّ إشارة له في النصِّ ..

.. فالنبيُّ ﷺ ومن معه ممّا يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، سيدخلون [[بشكلٍ عام ، وفي حال اعتماد التفسير الموروث]] في ساحة المعنيّين بالآية الكريمة .. ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢] ، فبالتأكيد أنَّ النبيَّ ﷺ ومن معه مؤمنون ، ولا يمكن لمسلم أن يقول غير ذلك ..

.. إذاً .. في حال حصر دلالات هذه الآية الكريمة بالحادثة التاريخيّة التي تمَّ تلبيسها على النصِّ القرآني ، ووفق ما تأتي به الروايات ، فإنَّ هذا الحصر يتناقض مع وصف محمّد ﷺ والذين معه ، بأنّهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ ..

.. وإصرار عابدي أصنام التاريخ على إسقاط دلالات هذا النصِّ الكريم على ما وصلنا من روايات متناقضة للحادثة التاريخيّة بالشكّ بأمِّ المؤمنين عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، سيؤدّي في النهاية إلى اتّهامٍ لمعظم المؤمنين في ذلك الجيل بأنَّهم لم يظنّوا بأنفسهم (وبالتالي بها) خيراً ..

وتتابع الآية الثالثة في هذا النصّ الكريم تصوير الأحكام الخاصّة بهذه المسألة ..

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور : ١٣]

.. نرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تنتقل الصياغة إلى صيغة الغائب ، واصفةً الأحكام المتعلِّقة بالذين جاءوا بهذا الإفك : **﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ .... ﴾** ، **﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ .... ﴾**

.. فكما أنَّ وصف المؤمنين الذين كان من المفترض بهم الاَّ يكون موقفهم سلبيّاً كان بصيغة الغائب ، أيضاً فإن وصف الذين جاءوا بهذا الإفك هو أيضاً بصيغة الغائب ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾

﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ .... ﴾

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ .... ﴾

.. بينما الخطاب الموجَّه لمجموع السامعين ، وهم جملة المجتمع المسلم الواسع الذي تفاعل مع هذا الإفك وانغمس فيه ، نراه بصيغة المخاطب **﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾** .. وفي كلِّ ذلك إشارة إلى أنَّ المجتمع بغالبيّته انغمس في مسألة الإفك كما بيّنا ..

٢ – هذه الآية الكريمة تبدأ بكلمة **﴿ لَّوْلَا ﴾** ، بمعنى هلاّ ، وكان من المفترض لو كانوا صادقين أن يجيئوا بأربعة شهداء لإثبات مصداقيّة ما يذهبون إليه **﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ**

﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ .. وهذا أمر طبيعي فلو جاءوا بالشهداء لما كان إفكهم إفكاً ولكانوا صادقين .. وهكذا امتنع مجيئهم بالشهداء لكونهم كاذبين ..

٣ – كلمة ﴿ فَإِذْ ﴾ بهذه الصيغة ، وليس بصيغة الشك والاحتمال (فإنْ) تؤكّد أنّهم لن يجيئوا بالشهداء .. وبالتالي هم بالتأكيد عند الله تعالى من الكاذبين ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ..

٤ – نرى ورود كلمة ﴿ فَإِذْ ﴾ وليس كلمة (فإذا) ، وهذا يعني حسم الأمر حتى نهايته .. فهم لم ولن يأتوا بالشهداء لأنّ الأمر من أساسه كذبٌ وافتراء ..

٥ – نرى في العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ وورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ .. فهؤلاء الذين جاءوا بالإفك كان من المفترض أن يجيئوا بأربعة شهداء لإثبات صدقهم فيما جاءوا به من الإفك .. فالشهداء الذين كان من المفترض أن يجيئوا بهم ، هذا المجيء بهم هو بعد مجيئهم بالإفك ، من هنا نرى دلالة ورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ ..

٦ – نرى أنّ المفترض الذي يجب أن يقوموا به لكي لا يكونوا كاذبين هو المجيء بالشهداء ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ .. فكلمة ﴿ جَآءُو ﴾ بيّنة في وصف ذلك .. بينما ما لا يستطيعون عمله لإثبات صدقهم هو الإتيان بالشهداء ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ ، وكلمة ﴿ يَأْتُواْ ﴾ بيّنة في وصف ذلك ..

وفي كتاب الله تعالى ، الإتيان يسبق المجيء .. فمن المفترض عليهم أن يجيئوا بأربعة شهداء على الإفك الذي يزعمونه .. فوقوع الإفك يسبق الشهادة عليه ، من هنا رأينا حكمة ورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ .. بينما ما لا يستطيعون عمله هو ليس فقط المجيء على

هذا الإفك بأربعة شهداء ، وإنّما أيضاً لا يستطيعون الإتيان بشهداء شاهدوا هذا الإفك أصلاً ، لأنّه إفك ، ولأنّه كذب وافتراء وتلبيس وإشاعة للفاحشة ، ليس إلاّ ..

.. فالإتيان بالشهداء مرحلة تسبق المجيء بهم على هذا الإفك .. وما لا يستطيعون فعله هو الإتيان لأنّه لا يوجد في الواقع ما يثبت كذب هؤلاء الذين جاءوا بهذا الإفك .. وبالتالي فهم عند الله تعالى من الكاذبين ﴿ **فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ** ﴾ ..

٧ – نرى أنَّ المجيء بالشهداء والذي كان من المفترض أنَّهم جاءوا به ﴿ **لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ** ﴾ هو بصيغة الماضي ﴿ **جَآءُو** ﴾ ، وفي هذا دليلٌ آخر على إطلاق المسألة بشكلٍ مجرَّدٍ عن حيثيّات الزمان والمكان ، ففي كلِّ زمانٍ ومكان كان من المفترض على الذين جاءوا بالإفك أنّهم قد جاءوا عليه بأربعة شهداء ، وهي مسألة مجرّدة عن حيثيّات أيِّ حدث تاريخي ..

.. بمعنى لا يجوز الكلام بذلك إلاَّ بعد وجود أربعة شهداء ، فوجود الشهداء الأربعة من المفروض المجيء بهم في أيِّ كلامٍ عن أيِّ فاحشة في أيِّ زمانٍ ومكان ..

.. بينما في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ولأيِّ حادثة تاريخيّة حاملها الإفك لن يستطيعوا الإتيان بالشهداء مهما فعلوا ومهما عملوا من عمل حسيٍّ ، لأنَّ إفكهم كذب وافتراء .. من هنا نرى حكمة ورود الإتيان بالشهداء بصيغة المضارع ﴿ **يَأۡتُواْ** ﴾ ، في العبارة القرآنيّة ﴿ **فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ** ﴾ .. فهم كاذبون لأنَّهم لن يستطيعوا الإتيان بالشهداء مهما عملوا ومهما حاولوا ..

٨ – في العبارة القرآنيّة ﴿ **فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ** ﴾ ، نرى الكلمتين ﴿ **عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ ، فهم كاذبون عند الله تعالى العالم علماً مطلقاً حقيقة

الأمر ، بينما عند الناس هناك من يصدقهم وهناك من يسير معهم في إفكهم ، فحتى الذين يُفتَرَض بهم أن يظنّوا خيراً بأنفسهم من جماعة المؤمنين والمؤمنات ، حتى هؤلاء موقفهم لا يوازي ما يفترض بهم في حال إشاعة الإفك كما رأينا ..... من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة في ورود الكلمتين ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ..

.. وتأتي الآية الرابعة في هذا النصِّ الكريم المصوِّر لمسألة الإفك حاملةً المزيد من أحكام هذه المسألة ..

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤]

.. في هذه الآية الكريمة ، الخطاب موجّهٌ للذين سمعوا بهذا الإفك ، فهؤلاء هم ذاتهم الذين خاطبهم الله تعالى بقوله ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ، وهم جملة المسلمين .. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – أنَّ فضل الله تعالى ورحمته على جملة المسلمين الذين سمعوا بهذا الإفك هو سبب عدم مسِّهم بعذاب عظيم نتيجة ما أفاضوا فيه .. فما أفاضوا فيه كمجتمع جزاؤه عذابٌ عظيم ، ولكنَّ فضل الله تعالى ورحمته حالت دون ذلك ..

.. فكلمة ﴿ وَلَوْلَا ﴾ ، في بداية هذه الآية الكريمة يتجلّى فيها معنى امتناع الأمر لوجود غيره ، بمعنى امتناع مسِّهم بالعذاب العظيم لوجود فضل الله تعالى عليهم ورحمته في الدنيا والآخرة ..

٢ – فضل الله تعالى ورحمته بهذا المجتمع والتي حمته ممّا يستحقّه من عذاب عظيم ، هذا الفضل وهذه الرحمة هما في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى

ﭐلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فوجود العبارة القرآنيّة ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ ليس عبثاً وليس حشواً .. فرفع العذاب العظيم عنهم هو في الدنيا والآخرة ..

.. الآية الكريمة تقول : إنَّ ما أفضتم فيه في مسألة الإفك جزاؤه عذابٌ عظيم ، ولكنَّ فضل الله تعالى عليكم ورحمته حال دون ذلك .. وهذا هو خطاب لجملة السامعين كَكُل ، أي للمجتمع المسلم السامع لهذا الإفك والمنغمس فيه ..

.. وهذا لا يعني أنَّ من جاء بهذا الإفك مشمولٌ بذلك .. أبداً .. فالآية الكريمة تبدأ كما نرى بصيغة المخاطب : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ، كما هو حال الخطاب ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ، ليشمل المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك والمنغمس فيه ... بينما الذين جاءوا بالإفك لهم عقوبتهم والتي رأيناها في آية سابقة ..

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١]

.. وفي كلِّ ذلك أدلّة على أنَّ النصَّ يُخاطب المجتمع المسلم كَكُلٍّ ، بشكلٍ مجرَّدٍ عن حيثّيات الزمان والمكان ، وعن أيِّ خصوصيّة لأيِّ حادثة أو جيل ..

٣ – نرى ورود كلمة ﴿ أَفَضْتُمْ ﴾ ، والتي ترسم حركة اندفاع المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك وانسياب النفوس والألسنة في إشاعته .. ففيض الشيء هو انسيابه واندفاعه ..

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ

لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٨ – ١٩٩]

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣]

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠]

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢]

.. والفيض في الشيء هو الاندفاع فيهه والتفاعل معه والانشغال به ..

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١]

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف : ٨]

٤ – .. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، مع كون الآية موجَّهة لجملة المسلمين السامعين بهذا الإفك كما بيّنا ، تؤكّد انغماس الكثيرين في مسألة الإفك بإطارها العام ، في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. وهذا دليلٌ آخر على استبعاد الحادثة التاريخيّة بالحيثيّة التي ترد بها في الروايات ..

.. بعد ذلك تأتي الآية الخامسة في هذا النصِّ الكريم لتخاطب – أيضاً – جملة المسلمين المخاطبين في الآية السابقة والمخاطبين – كما بيّنا – بقوله تعالى ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ..

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ الآية الكريمة بكلمة ﴿ إِذْ ﴾ ، وفي هذا بيانٌ يفصِّل ويبيّن السبب في ما حملته نهاية الآية السابقة مباشرة : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، فالعذاب العظيم الذي كان من الممكن أنَّ يمسَّ المجتمع المسلم كَكُلٍّ بسبب ما أفاض فيه أبناؤه في مسألة الإفك ، هذا العذاب سببه تفاعلهم مع هذا الإفك ، والذي تبيّنه الآية الكريمة الخامسة ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .. فهذه الآية الكريمة تبيّن حيثيّات انغماس المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك ..

٢ – كلمة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾ ، لها دلالاتها الكبيرة في تبيان هذه المسألة .. ففي كتاب الله تعالى ، لقي شيء بمعنى واجهه وقابله ..

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة : ١٤]

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة : ٧٦]

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران : ١١٩]

﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥]

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ [الكهف : ٧٤]

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد : ٤]

.. وتلقَّى الأمر بمعنى : استقبله وواجهه وقابله ، بانتظار وتفاعل مع هذا الأمر ، وتاء الجهد والتفاعل في التلقّي تفيد في إظهار هذا المعنى ..

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧]

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣]

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق : ١٧]

.. إذاً .. كلمة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾ تبيّن استقبالهم لهذا الإفك وتفاعلهم الكبير معه ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ تُبيّن لنا أنَّهم يستقبلون هذا الإفك ويتفاعلون معه بواسطة ألسنتهم ، وبالتالي لا يُفعِّلون عقولهم ولا تَهبُّ ضمائرهم ولا يُستَنْفَرُ روح الإيمان عندهم في الحدِّ من تلقّي هذا الإفك .. فتنقّل هذا الإفك بينهم هو عبر الألسنة دون أيِّ ملامسة للعقل والضمير ، وفي هذا بيانٌ إضافي في الانغماس فيه ..

٤ – العبارة القرآنيّة ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ معطوفة على العبارة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ ، فما يتلقّوه بألسنتهم من هذا الإفك يتناقلونه بأفواههم دون أن يكون لهم علمٌ بحقيقته .. وفي هذا بيانٌ آخر في انغماس المجتمع السامع فيه ، فيتناقلونه ويرونه ويشيعونه دون أيِّ علمٍ بحقيقته ..

وهنا أودَّ أن أسأل عابدي أصنام التاريخ : إذا كنتم تُسقطون دلالات هذا النصِّ على الحادثة التاريخيّة برمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، وهي حادثة – كما تقولون – وقعت في الجيل الأوَّل ، وها هي دلالات كتاب الله تعالى تبيّن كيف انغمس المجتمع المسلم السامع بالإفك بإشاعته ، وكيف يتمُّ تناقله دون علم بحقيقته ودون تفعيل للعقول والضمائر .. فبناء على ما تذهبون إليه .. كيف إذاً يمكننا أن نفهم قولكم بأنَّ الروايات التي جُمعت بعد موت النبيِّ ﷺ بقرون إنّما جُمعت بدقّة وبأمانة دون زيادة أو نقصان وأنَّها وصلت إلينا بالحرفيّة ذاتها التي كانت عليها وبعلم كامل من ناقليها ؟!!! .. كيف يستقيم قولكم بذلك مع ما تذهبون إليه من روايات مسألة الإفك ومع الدلالات الواضحة الصريحة لكتاب الله تعالى في هذه المسألة ؟!!! ..... لا نجد ما نقوله للباحثين عن الحقيقة أفضل من قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق : ٣٧] ..

٥ – العبارة القرآنيّة ﴿ **وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا** ﴾ تبيّن لنا أنَّ كلَّ هذه الأعمال ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ تتعلّق باعتقادهم أنَّ القيام بها هو أمرٌ هيّنٌ وأنَّ عقوبته عند الله تعالى قليلة ولا تُؤثِّر عليهم ..

٦ – العبارة القرآنيّة ﴿ **وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ تبيّن لنا حقيقة تلقّي هذا الإفك وإشاعتِه والتفاعل مع هذا الكذب والافتراء ، وذلك عند الله تعالى .. فعند الله تعالى هو أمرٌ عظيم ..

.. ولنقف عند الآية السادسة في هذا النصِّ ..

﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : ١٦]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ بكلمة ﴿ **وَلَوْلَآ** ﴾ التي تفيد التحضيض ، بمعنى هلاّ ، أو كان من المفترض عليكم ، فالمجتمع السامع بهذا الإفك امتنع عن القول ﴿ **مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾ .. وفي هذا دليلٌ آخر على تصوير هذا النصِّ للمجتمع الإسلامي السامع بهذا الإفك بشكلٍ عام دون أيِّ خصوصيّة في جيلٍ محدَّدٍ أو حادثة محدَّدة أو شخص محدَّد ..

٢ – هذه الآية الكريمة تُحاكي آية سابقة في هذا النصّ تبدأ بالعبارة ذاتها ﴿ **لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ** ﴾ ..

﴿ **لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٌ مُّبِينٌ** ﴾ [النور : ١٢]

.. فالآيتان تُخاطبان المجتمع الإسلامي السامع لهذا الإفك كَكُل ، بشكلٍ مباشر ، ليشمل الخطاب الأوَّل ﴿ **لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٌ مُّبِينٌ** ﴾ كُلَّ من سمع بهذا الإفك ، ولكنَّ اللوم في هذه الآية يقع على المؤمنين والمؤمنات ، وليس على كلِّ من سمع .. فالمفترض بالمؤمنين والمؤمنات أن يظنّوا بأنفسهم خيراً وأن يقولوا هذا إفك مبين ، هذا المفترض بالمؤمنين والمؤمنات من هذا المجتمع السامع بهذا الإفك والمنغمس فيه .. فالانتقال في هذه الآية الكريمة من صيغة المخاطب المتعلّقة بكلِّ السامعين ، إلى صيغة الغائب المتعلّقة بالمؤمنين والمؤمنات ليس عبثاً ..

بينما في الآية قيد البحث ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ نرى صيغة المخاطب مستمرّة حتى نهايتها لتشمل كلَّ من سمع بهذا الإفك ، والذي من المفترض عليه أن يقول ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ ..

.. وفي هذا دليلٌ آخر على انغماس المجتمع السامع كَكُل في هذا الإفك وتكلّمهم بذلك ..

٣ – العبارة : ﴿ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] ، كما قلنا تُخاطب كُلَّ من سمع بهذا الإفك ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم ﴾ ، وهي تصوِّر ساحةً أكبر من الساحة التي تصوِّرها الآية الكريمة ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢] ..

.. فالآية (١٢) في هذه السورة والتي تُخاطب كلَّ من سمع بهذا الإفك ، ينتقل الخطاب فيها إلى المؤمنين (وهم جزء ممّن سمع بهذا الإفك) ولكن بصيغة الغائب ، لِتُصوِّرَ المُفتَرض في المؤمنين وهو أن يظنُّوا بأنفسهم خيراً وأن يقولوا هذا إفكٌ مبين .. وهذا الانتقال إلى صيغة الغائب رأينا صياغةً مماثلةً له (صيغة الغائب) حينما صوَّر النصُّ القرآنيُّ لنا الذين جاءوا بهذا الإفك ، وهم ذاتهم الذين كان من المفترض بهم أن يجيئوا بالشهداء عليه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾

﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ .... ﴾

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ .... ﴾

.. وكلُّ ذلك يبيّن لنا أنّه هناك فئتان قليلتان في هذا المجتمع ... فئة الذين جاءوا بهذا الإفك والذين خوطبوا بصيغة الغائب ، وفئة المؤمنين والذين خوطبوا أيضاً بصيغة الغائب ، وحتى هؤلاء (نعني المؤمنين والمؤمنات في المجتمع السامع بالإفك) لم يكن لهم موقفٌ موازٍ لما يُفترض أن يقوموا به ﴿ **ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ ..

.. وتبقى الأكثريّة السامعة والمنغمسة بهذا الإفك ، هي السائدة التي تلّقت هذا الإفك بألسنتها وتكلّمت به وغرقت في مستنقعه دون علم ﴿ **قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾ ..

وفي كلِّ ذلك دليلٌ آخر على أنَّ المجتمع السامع بهذا الإفك خاض به .. وكلُّ ذلك بشكلٍ مجرَّدٍ عن أيِّ حدث أو جيل أو شخص .. وهذه الدلالات الجليّة لهذه الآيات الكريمة تبيّن استبعاد الروايات التاريخيّة الخاصّة بهذا الأمر ، وذلك بالحيثيّة التي وصلت إلينا بها ..

٤ – كلمة ﴿ **سُبْحَٰنَكَ** ﴾ التي كان من المُفترض بهم أن يقولوها ، تبيّن تنزيه الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا بيانٌ أنَّ هذا الإفك يشمل فيما يشمل مسائل تتعلّق بالعقيدة وبتنزيه الله تعالى .. وفي هذا بيانٌ – كما بيّنا – أنَّ مسألة الإفك المعنيّة في هذا النصِّ الكريمة عامّة وواسعة وليست خاصّةً بجيلٍ محدَّدٍ أو شخصٍ محدَّد أو حادثةٍ محدَّدة أو موضوعٍ محدَّد ..

٥ – قوله تعالى ﴿ **هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾ والذي من المفترض أن يقوله كلٌّ من سمع بهذا الإفك من المسلمين ، هذا القول دليلٌ آخر على أنَّ ما قالوه وما سمعوه هو كذب ولا برهان عليه .. فكلمة برهان ومشتقاتها ترد في كتاب الله تعالى (٨) مرّات ، وكلمة بهتان ومشتقّاتها ترد في كتاب الله تعالى (٨) مرّات أيضاً .. فكونهم لا يملكون برهان على ما سمعوه وقالوه يقتضي أنَّهم منغمسون في بهتانٍ عظيم ..

.. وتأتي الآية السابعة في هذا النصِّ بصيغة المخاطب لتخاطب جملة المجتمع المسلم ، الذين سمعوا بهذا الإفك وتناقلوه بألسنتهم وانغمسوا في مستنقعه ..

﴿ **يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ١٧]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ هذه الآية الكريمة بالعبارة ﴿ **يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ ، ليتواصل الخطاب الإلهي لجملة المجتمع الإسلامي الذي سمع بهذا الإفك وتناقله وانغمس فيه .. فالخطاب هو للمجتمع الإسلامي في كلِّ زمانٍ ومكان ..

٢ – الوعظ (كما يبيّنه كتاب الله تعالى) هو تبيان الحقيقة التي يجب اتّباعها ، وطلب اتّباعها ..

﴿ **وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ** ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ **۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾ [النساء : ٥٨]

فالوعظ يتعلّق بتبيان الأمر الذي يجب اتّباعه ، ولذلك من الطبيعي أن يشمل النهي عن اتّباع نقيضه ..

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣]

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦]

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ ، يعني ينهاكم الله تعالى عن اتّباع هذا الإفك وأيِّ سبيلٍ مثله ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ لا تنفي خروج هذا المجتمع السامع بالإفك من حالة انغماسه فيه .. فلو جاء النصُّ (تعودوا إليه) لكان الأمر متعلّقاً بأمرٍ وحدثٍ له نهايته ، بينما ورود العبارة القرآنيّة ﴿ تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ بهذه الصيغة يعني العودة لأمرٍ آخر مثل هذا الإفك .. فهذا الأمر الإلهي ينهى المجتمع المسلم عن الانغماس بكلِّ ما يماثل مسألة الإفك ..

وفي ذلك دليلٌ على أنَّ هذه الآيات الكريمة ليست خاصّةً بحادثة محدّدة أو جيلٍ محدَّد أو شخصٍ محدَّد ، كما يذهب موروثنا التفسيري .. فلو كان الأمر كما يقولون وأنَّ التفاعل مع الحادثة التاريخيّة قد انتهى بنزول هذه الآيات الكريمة ، لكانت العبارة القرآنيّة (تعودوا إليه) ، وليس ﴿ تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ ..

وإن قال قائل : الحادثة بعينها وأشخاصها انتهت ، والمقصود بقوله تعالى ﴿ تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ هو تعودوا لاتّهام شخصٍ آخر .. نقول : بيّنا بما فيه الكفاية أنَّ النصَّ لا تُوجَد فيه ولو إشارة لتخصيص حادثة محدّدة بعينها ، والضمير المتّصل الهاء في كلمة ﴿ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ يعود إلى الإفك المعرَّف بأل التعريف ﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾ ، وكنّا قد بيّنا كيف أنَّ دلالات

النصّ لا تُخصَّص بأيِّ جيل أو شخص أوحادثة محدَّدة .. فالتخصيص الذي يرد إلى أذهانهم مردّه ليس دلالات النصّ وإنّما الروايات التاريخيّة التي جُعلت حجّة على النصّ ..

٤ – كلمة ﴿ **أَبَدًا** ﴾ ، في العبارة القرآنيّة ﴿ **يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا** ﴾ تعني تفصيلاً وتبياناً وتأكيداً وإطلاقاً .. فنهي الله تعالى عن العودة للإفك ولأيِّ سبيلٍ مثله ، هو نهيٌ مُطلق ..

.. كلمةُ ﴿ **أَبَدًا** ﴾ في القرآن الكريم ، عندما تتعلّقُ بمسألة ، فهي تعني تأكيداً لحيثيّات هذه المسألة وتفصيلاً وتبياناً لها ، وذلك في سياق تفصيل هذه المسألة وتبيانها ، ولا تعني سرمديّة الزمان إلى ما لا نهاية .. فقد تعلّقت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمسائلَ تستحيلُ عليها سرمدية الزمان إلى ما لا نهاية .. مثلاً في قوله تعالى :

﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ** ﴾
[التوبة : ١٠٧ – ١٠٨]

لا يُعقَل أنَّ النبيَّ ﷺ وأنَّ المسجد الضرار سيبقيان إلى ما لا نهاية ، فكلمة ﴿ **أَبَدًاۚ** ﴾ في هذا النصِّ الكريم تعني تأكيداً على الأمر الإلهي بعدم الإقامة في هذا المسجد الضرار ، وتبياناً بأنَّ هذا الأمر مطلق ..

.. والآية الكريمة التالية تؤكِّدُ هذه الحقيقة ..

﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

فكلمة ﴿ أَبَدًاۚ ﴾ في هذا النصِّ الكريم تعني تفصيلاً وتبياناً وتأكيداً على الأمر الإلهي بعدم بعدم نكح أزواج النبيّ ﷺ من بعده .. ولا يمكن لها أن تعني سرمديّة الزمن إلى ما لا نهاية ، فإمكانيّة نكح أزواجه ﷺ تنتهي بموتهن ..

.. إذاً .. كلمة ﴿ أَبَدًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ تصوِّرُ لنا بياناً وتفصيلاً وتأكيداً للنهي الإلهي بعدم العودة لهذا الإفك وأيِّ سبيلٍ مثله ..

٥ – كلمة ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، والذي يُخاطب جملة السامعين بهذا الإفك ، بمعنى يُخاطب المجتمع المسلم ، دليلٌ آخر على كون النصِّ الذي نحن بصدد دراسته ليس خاصّاً بما وردنا في روايات التاريخ من رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ..

فنحن نعلم أنَّ هذه الكلمة تُفيد الشك ، بمعنى أنَّ الإيمان في المجتمع المُخاطب قد يكون موجوداً وقد لا يكون ، وهذا يختلف عن ورود كلمة (إذا) ..

فالمجتمع المسلم في أيِّ زمانٍ ومكان تُحتمل فيه صفة الإيمان ولا تُوجد حتميّة لوصفه – كمجتمع – بهذه الصفة ، وهذا ما تبيّنه كلمة ﴿ إِن ﴾ دون كلمة (إذا) .. وحصر دلالات هذا النصِّ بالحادثة التي وصلتنا خلال التاريخ من رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، لا يتناسب مع ما يخطبه على المنابر من يُصرّون على حصر دلالات هذا النصّ القرآني بما وصلنا من روايات متناقضة لهذه الحادثة التاريخيّة ..

وقوله تعالى ..

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٨]

.. يبيّن لنا الله تعالى فيه أنَّ الله تعالى يبيّن لنا الأحكام في كتابه الكريم ، وفي هذه المسألة فإنَّ الآيات السابقة حملت لنا الأحكام التي يريدها الله تعالى بالنسبة لمسألة الإفك ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ ﴾ ..

وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، يبيّن لنا الله تعالى فيه أنَّ علم الله تعالى وحكمته يحيطان بكلِّ هذه الأحكام التي بيّنها الله تعالى لنا ..

والنصُّ التالي يبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ لترسم أحكام مسألة عامّة أيضاً ، كما هي مسألة الإفك والتي تبدأ بالعبارة ذاتها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١٩ – ٢٠]

.. وإطلاق هذا النصِّ الكريم واضح ، فلا يمكن تخصيصه بحادثة أو بجيل أو بشخص ..

.. بعد ذلك نرى نصّاً كريما يبدأ بالعبارة ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ليصوّر لنا مسألةً أُخرى لا يمكن – أيضاً – حصرها بشخصٍ محدَّد ولا بحادثة محدَّدة ولا بجيلٍ محدَّد ..

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١]

.. وبعد الانتهاء من شرح النصِّ الكريم المصوِّر لأحكام مسألة الإفك ، نرى بأمِّ أعيننا كيف أنَّ هذا النصَّ ليس مخصّصاً بحادثة محدّدة هي ما وصلنا من روايات تحمل قصصاً تاريخيّة برمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ واتّهامها بما لا يليق بكونها زوج النبيِّ ﷺ وبكونها أمّاً للمؤمنين .. فأزواج النبيّ ﷺ فوق كلِّ الاتّهامات ، واتّهامهن بما ليس فيهن لا يخدمُ إلاَّ المشكّكين والكافرين بالرسالة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ ﷺ ..

والجزم بحصر دلات هذا النصِّ المصوِّر لمسألة الإفك ، وفق الروايات التي بين أيدينا ، يتنافى – كما رأينا – مع ما يحمل من دلالات تبيّن انغماس المجتمع فيه ، ويتنافى مع ما يصوِّره كتاب الله تعالى عن خُلق النبيِّ ﷺ والمؤمنين الذين معه ..

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح : ٢٩]

فما نقرؤه في الروايات التي بين أيدينا لهذه الحادثة وموقف النبيِّ ﷺ من هذا الإفك ، والذي تصوّره بعض الروايات بأنَّه أقرب لتصديق هذا الإفك ، ولم يقف موقفاً يتناسب مع ما يصفه الله تعالى به في كتابه الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، يجعلنا نشكُّ بهذه الروايات ونتّهم واضعيها بزرع ما يُبنى عليه لاحقاً للتشكيك بالمنهج ولزرع الفتنة بين أبناء الأمّة ..

.. فحادثة الإفك كحادثة تاريخيّة تمَّ بها رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، هي في أساسها تستحيل صحّتها وفق ما تنقله روايات التاريخ إلينا ..

وحتّى لو فرضنا جدلاً أنَّ هذا النصَّ خاصٌّ بالحادثة التاريخيّة التي وصلتنا ، كما يصرُّ عابدو أصنام التاريخ الذين لا يستطيعون النظر إلى كتاب الله تعالى إلاَّ من خلال رواياتهم وأقوال فلان وعلاّن الذين حوّلوهم إلى أصنام ، لو فرضنا ذلك ، فإنَّ ما يحمل هذا النصّ من دلالات ووصف لانغماس المجتمع بهذا الإفك ، يختلف كثيراً مع ما يخطبه هؤلاء ذاتهم على المنابر من رفع لأفراد الجيل الأوَّل إلى العدالة التي تجعلهم فوق الجرح ..

.. وفي هذا المقال وخوفاً من الإطالة ، لم أقف عند الروايات التي بين أيدينا لهذه المسألة .. ولو عاد القارئ إليها وقرأها بتجرّد ، لرأى بعينيه حجم التناقض الذي تحمله ،

وحجم الإساءة للنبيِّ ﷺ ولأزواجه ، ولرأى حجم التناقض في المنظومة الثقافيّة التي تحكم السمت الفكري الذي يفرضه الموروث علينا ..

وهنا نخاطب المتاجرين بالعصبيّات المذهبيّة والطائفيّة من السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ، الذين لا همَّ لهم إلاَّ الفتن والدعوة لعبادة أصنامهم على حساب منهج الله تعالى ، فنقول لهم : هلاّ عدتم إلى الحقّ بجعل كتاب الله تعالى فوق عصبيّاتكم التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ؟ .. أليس كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) قاسماً مشتركاً لجميع المسلمين ؟ .. أليس قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] واضحاً جليّاً بأنَّ كتاب الله تعالى يحمل تبياناً لكلِّ شيء ؟ .. فلماذا إذاً تُعرضون عن الدلالات الحقّ لكتاب الله تعالى ، وتصرّون على النظر إليها من مناظير عصبيّاتكم الضيّقة ؟ ..

وهنا نسأل الصادقين الذين يعنيهم منهج الله تعالى أكثر ممّا تعنيهم عصبيّاتهم المذهبيّة والطائفيّة : هل يُخدَم المنهج بوضع النبيِّ ﷺ وأزواجه والذين معه تحت شبهة الانغماس بهذا الإفك ؟ !!! .. أليس القول بإنكار هذه الحادثة من أصلها (وهذا ما يتوافق مع دلات كتاب الله تعالى) هو خدمة لمنهج الله تعالى ، وهو حقٌّ ينسجم مع دلالات كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ونقول لغلاة الشيعة : ألا تخجلون من الله تعالى ومن أنفسكم بالإساءة لأمّهاتكم ؟ .. وإن كنتم مؤمنين فأزواج النبيّ أمهاتكم ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، ومن يرمي أمَّه بأيِّ سوء فلا جدوى من حضّه إلى أيِّ قيمة أخلاقيّة ..

هل تحويل أهل البيت إلى أصنام تاريخيّة والتعصّب الأعمى لما جاء في روايات وُضعت أصلاً من أجل تمزيق جسد الأمّة ، هل هذا يخدم منهج الله تعالى (القرآن الكريم) الذي تقولون بأنّكم حاملون له ؟ .. أم أنَّ العصبيّات عندكم أكبر من منهج الله تعالى ؟ ..

ونقول لغلاة السنّة : لقد وقعتم في فخّ مستنقع الروايات كما وقع من قبلكم غلاة الشيعة .. فجوهر المشكلة يكمن في هذه الروايات التي لا تحمل للنبيِّ ﷺ وأزواجه إلاَّ الإساءة ، وأيُّ تفلسف لذرّ الرماد في الأعين من أجل التحايل على نصوصها هو مزيدٌ من الغرق في مستنقعها .. كان عليكم أن تنكروا كلَّ رواية تتناقض مع كتاب الله تعالى ومع خُلق النبيِّ ﷺ ومع كون أزواجه يصفهن الله تعالى في كتابه الكريم بأنَّهن أزواج النبي ﷺ ، بما يعني ذلك من نقاء وخلاص وتناظر في العقيدة ..

وأقول للباحثين عن الحقيقة المخلصين الذين يخلصون العبادة لله تعالى ، ولا يؤمنون لا بأصنام غلاة الشيعة ولا بأصنام غلاة السنّة ، أقول : تمسّكوا بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) واعلموا أنَّ حرفاً فيه أهم من التاريخ برجالاته ورواياته ، واعلموا أنَّ الصراعات النتنة الآن بين تجّار المذاهب والطوائف هي من أجل أصنامهم وليس من أجل منهج الله تعالى ..

.. الأصنام هنا تختلف عنها هناك ، وروايات التاريخ تحمل الكثير من الصراعات بين هذه الأصنام ، وكلٌّ يدافع عن أصنامه في مواجهة أصنام الطرف الآخر ، وبالنتيجة الابتعاد — مع الزمن — عن حقيقة العبادة الحقّ لله تعالى ، والتمسّك بالأصنام ، وقتل الآخرين وتكفيرهم في سبيلها ..

.. انظروا كيف أنَّ الفتن المذهبيّة والطائفيّة تزداد يوماً بعد يوم ، وكيف يغرق الكثيرون فيها يوماً بعد يوم .. انظروا كيف يتمزّق الممزَّق يوماً بعد يوم ، متمثّلين مَن يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ **وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ** ﴾ [سبأ : ١٩] .. انظروا كيف تسيل الدماء من أجل أصنام التاريخ .. انظروا كيف أنَّه لا قيمة لدم الإنسان عند عابدي أصنام التاريخ ، وكيف أنَّ دم الإنسان يُهدَر قُربةً لأصنامهم التي يعتقدونها جزءاً من منهج الله تعالى ..

.. متى ندرك إدراكاً حقيقيّاً معنى الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى والتي يبيّن الله تعالى لنا فيها ماذا سيقول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

متى ندرك أنَّ كلَّ الرسالات السماويّة جاءت من أجل الإنسان .. متى ندرك أنَّ تكفير الآخرين وقتلهم بسبب الاختلاف الديني والمذهبي والطائفي هو خروجٌ فاضح على أهم الأحكام والمبادئ التي تحملها كلُّ الأديان السماويّة ..

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣٢]

ٱلثَّلَٰثَة

ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. مَنْ يُدرك حقيقةَ كتاب الله تعالى ، بأنَّه ينتمي لعالم الأمر ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] ، ومَنْ يُدرك حقيقةَ عالم الأمر بأنَّه فوق الزمان والمكان ، وبأنَّه يتميّز بذلك عن عالم الخلق الخاضع للزمان والمكان ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .. مَنْ يُدرك ذلك .. يُدركُ أنَّ دلالات كتاب الله تعالى لا يمكن أن تكون محمولةً بالأحداث التاريخيّة ، ويدرك أنَّها تحمل أحكاماً لكلِّ زمانٍ ومكان ، ويدرك أنَّ الأحداث التاريخيّة محمولة بالنصِّ القرآني وليست حاملة له ، ويدرك أنَّ الناسخ والمنسوخ أكذوبة كبرى ، لأنَّه ينطوي على تناقضات ، وعلى كون النصِّ القرآني خاضعاً للزمان والمكان .. ويدرك ويدرك ويدرك .....

وما يجب أن نعلمه أنَّ المنظومة الثقافية الحاملة لسمت توجّه إدراكنا لدلالات كتاب الله تعالى ودلالات الكلمات والعبارات القرآنيّة ، ثمَّ تأطيرها بدلالات تاريخيّة حاملها الموروث ، لا تخرج عن المفاهيم التاريخيّة للأجيال الأولى .. كلُّ ذلك أدّى إلى عدم رؤية الدلالات التي يحملها كتاب الله تعالى ، والمجرَّدة عن الزمان والمكان والأحداث التاريخيّة ..

ومن يقرأ التفسير الموروث يرى ذلك بعينيه ، ويرى كيف أنَّ الكثير من آيات كتاب الله تعالى لا تُرى دلالاتُها – في التفسير الموروث – إلاّ من مناظير أحداث تاريخيّة محدَّدة وقعت – كما يقولون – في الجيل الأوَّل ..

والأمثلة في التفسير الموروث كثيرة ، لدرجة باتت فيها دلالات كتاب الله تعالى (من منظار التفسير الموروث) خاصّة بالجيل الأوَّل ، وبرجالاته ، وبأحداثه الخاصّة ..

وسنقف – بإذن الله تعالى – عند آياتٍ كريمة تمَّ حصر دلالاتها – في التفسير الموروث بقصّة قيل إنَّها حصلت في الجيل الأوَّل .. يقول تعالى ..

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ

﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١١٧ – ١٢١]

.. كما قلنا .. هذه الآيات الكريمة تمَّ تفسيرها في الموروث على أنَّها خاصّة بحادثة تاريخيّة ، هي غزوة تبوك .. والثلاثة الذين خُلِّفوا حدَّدهم التفسير الموروث بأنَّهم الذين تخلَّفوا في غزوة تبوك : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة ، وكلّهم من الأنصار ..

.. وقيل (في التفسير الموروث) ، الثلاثة الذين خُلِّفوا هم : الذين أُرجئوا في سورة التوبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٦] ، هلال بن أمية ومرارة بن ربعي وكعب بن مالك ..

.. وسنقف – إن شاء الله تعالى – عند الصياغة اللغويّة لهذه الآيات الكريمة بشكلٍ مُجَرَّدٍ عن أيِّ تفسيرٍ موروث ، لنرى حقيقة ما تحمل من أحكام لكلِّ جيلٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. لنقف عند الآية الأولى ..

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧]

.. نرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – ما تاب الله تعالى عليه : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ، تتعلّق به ثلاثة أمور مستقلّة ..

أ – توبة الله تعالى على النبيِّ ﷺ ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ..

ب – توبة الله تعالى على المهاجرين ﴿ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ ..

ج – توبة الله تعالى على الأنصار ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ..

.. إذاً هناك توبة واحدة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ﴾ شملت هذه الأمور الثلاثة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ .. فهذه الأمور الثلاثة جاءت مجتمعةً تحت إطار توبة واحدة ، فكلمة ﴿ تَّابَ ﴾ وردت مرّة واحدة (في هذه العبارة القرآنيّة) لتتعلَّق بها هذه الأمور الثلاثة كجملة واحدة ..

٢ – ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ والذين جاءوا تحت إطار توبة واحدة ، هناك إطارٌ واحدٌ يجمعهم أيضاً هو ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ..

.. والضمير في كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ يتعلَّق بالله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ .. والخطأ الأكبر في التفسير الموروث يكمن في إعادتهم لهذا الضمير إلى النبيِّ ﷺ ..

.. الصياغة اللغويّة لهذه العبارات القرآنيّة تُؤكِّدُ استحالة تعلّق الضمير بغير الله تعالى ، وذلك لسببين ..

أ – الذي تاب على ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ هو الله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ .. فكما أنَّه لا يمكن إعادة الضمير إلى المهاجرين أو الأنصار ، كذلك لا يمكن إعادة

الضمير إلى النبيِّ ﷺ ، فكلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ تتعلَّق بالعبارة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ كجملة واحدة ..

وعودة الضمير إلى النبيِّ ﷺ تقتضي صياغة أُخرى ، بمعنى يجب إخراج ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ من العبارة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ .. وابتداء عبارة جديدة تفيد تعلّق الاتّباع بالنبيِّ ﷺ ، مثلاً (الذين اتّبعوا النبي) ..

ب – كلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ليست أقرب المذكورين إلى كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ .. وحتى لو فرضنا جدلاً انَّ كلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ أقرب المذكورين إلى كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ فإنَّ صياغة النصِّ القرآني لا تُسعفهم فيما يذهبون إليه .. فعلى أيِّ أساس يقولون : إنَّ الضمير المتّصل الهاء في كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ يعود إلى كلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ؟!!! ..

٣ – ورود كلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ يؤكِّد أنَّ ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ عنصرٌ من هذه العناصر الثلاثة .. فصفة النبوّة – كما بيّنت في كتبي – أقرب إلى صفة الجانب الشخصي ، وهي تعني الخلاص والنقاء والطهارة ..

.. والتوبة على النبيّ ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ ، هي توبة من الله تعالى على صفة تتعلَّق بالجانب الشخصي ، كما هو الحال في توبة الله تعالى على صفتي ﴿ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ .. وكلُّ ذلك يختلف عن صفة الرسول المتعلّقة بالرسالة كمنهج يُطلَب من الجميع اتّباعه سواء النبي أم المهاجرون أم الأنصار ..

ما نريد قوله هو أنَّ كلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ لا تختلف عن كلمتي ﴿ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ في مسألة توبة الله تعالى على هذه العناصر الثلاثة ، وأنَّه لا يمكن إعادة أيِّ

من هذه العناصر الثلاثة إلى المُتَّبع المعني بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ ..

٤ – المُتَبَع المعني بكلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ هو الله تعالى .. وقد ورد في كتاب الله تعالى اتّباعٌ لهدى الله تعالى ..

﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨]

.. وهناك اتّباعٌ لما أنزله الله تعالى ..

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٣]

.. وهناك اتّباع لرضوان الله تعالى ..

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٦٢]

.. وهناك اتّباع لكتابه الكريم ..

﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥]

.. وهناك اتّباع لآيات الله تعالى ..

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه : ١٣٤]

.. وهناك اتّباع لسبيل الله تعالى ..

﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧]

.. وهناك اتّباع الحقّ منه جلّ وعلا ..

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ ﴾ [محمد : ٣]

.. والنبيُّ ﷺ هو ذاته هو مطالب باتّباع ما يُوحى إليه ..

﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ [الأنعام : ١٠٦]

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [الأنعام : ٥٠]

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ﴾ [الأعراف : ٢٠٣]

.. واتّباعُ النبيِّ ﷺ لما يُوحى إليه هو اتّباعه لكتاب الله تعالى ..

﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص : ٤٨ – ٤٩]

والصياغة اللغويّة للنصِّ التالي تبيّن أنَّ كلمة ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ ﴾ فيه تتعلَّق بالله تعالى :

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [الزخرف : ٥٩ – ٦٢]

فالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ نرى أنَّ الضمير في كلمة ﴿ أَنۡعَمۡنَا ﴾ يعود إلى الله تعالى ، وكذلك في العبارة التالية لها ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ نرى أنَّ الضمير الفاعل في كلمة ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ ﴾ يعود إلى الله تعالى .. وكذلك في الآية التالية لها مباشرة ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾ نرى أنَّ الضمير المستتر في كلمة ﴿ نَشَآءُ ﴾ وأنَّ الضمير المتّصل في كلمة ﴿ لَجَعَلۡنَا ﴾ ، كلاهما يعود إلى الله تعالى ..

ومن الطبيعي في هذا السياق أن يكون الخطاب في الآية التالية مباشرة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ من الله تعالى ، مباشرة .. وبالتالي فالاتّباع المعني بكلمة ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ ﴾ هو اتّباعٌ لله تعالى .. وتأتي الآية التالية مباشرة ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ لتبيّن خطاباً من الله تعالى مباشرةً ..

.. إذاً .. الاتّباع يكون لله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ ﴾ وذلك عبر السير في صراط الله تعالى المستقيم ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ ..

.. من هنا نرى أنَّ عودة الضمير في كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ إلى الله تعالى ، من خلال اتّباع منهج الله تعالى ، هو أمرٌ له قرينة في كتاب الله تعالى ..

٥ – إذاً هناك ثلاثة عناصر اتّبعت الله تعالى ، وكان ذلك سبب توبة الله تعالى عليها ، وهذه العناصر هي : ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ ..

العنصر الأوَّل هو ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ، وبالتأكيد يعني في الجيل الأوَّل محمّداً ﷺ كإسقاط دلالات لهذا النصِّ في ذلك الجيل .. ولكن .. كإسقاط دلالات في الأجيال اللاحقة فإنَّ هذه الكلمة ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ تمثِّلُ قمّة الهرم من النقاء والخلاص والطهارة ، تلك القمّة التي لن يصلَها شخصٌ بعد محمّد ﷺ .. ولكنْ .. كلُّ إنسان له درجته على سلّم هذا الهرم ، والتي تتعلّق بمدى خلاصه ونقائه وطهارته ..

العنصر الثاني هو ﴿ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ ، وبالتأكيد فإنَّ هذا العنصر يعني في الجيل الأوَّل الذين هاجروا إلى المدينة اعتقاداً بأنَّ العنصر الأوَّل ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ على حق ، وذلك

كإسقاط لدلالات هذا النصِّ في ذلك الجيل .. ولكن .. كإسقاط دلالات في الأجيال اللاحقة فإنَّ هذه الكلمة ﴿ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ تمثِّلُ في كلِّ زمانٍ ومكان من يهجر الباطل هارباً بخلاصه ونقائه وطهارته من ظلمات الضلال ..

العنصر الثالث هوَ ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ، وبالتأكيد فإنَّ هذا العنصر يعني في الجيل الأوَّل الذين نصروا العنصرين السابقين اعتقاداً منهم بأنَّ العنصر الأوَّل ﴿ ٱلنَّبِيّ ﴾ على حق ، وذلك كإسقاط لدلالات هذا النصِّ في ذلك الجيل .. ولكن .. كإسقاط دلالات في الأجيال اللاحقة فإنَّ هذه الكلمة ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ تمثِّلُ في كلِّ زمانٍ ومكان من ينصر الحقَّ نتيجة خلاصه ونقائه وطهارته ..

إنَّ ورود كلمة ﴿ ٱلنَّبِيّ ﴾ دون كلمة (محمّد) ، يحمل إطلاقاً لكلِّ زمانٍ ومكان ، ويتجلّى هذا الإطلاق في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق : ١] ، فقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ يعني (كإطلاق فوق التاريخ) : يا أيّها النقي الخالص الطاهر .. فالأحكام المحمولة بالعبارات التالية بعد هذه العبارة القرآنيّة (أحكام الطلاق) هي أحكامٌ صارمة ويحتاج تطبيقها إلى هذا الخلاص والنقاء والطهارة ، وقد بيّنت ذلك – في كتبي – بشكل جلي ..

إذاً نحن أمام ثلاثة عناصر هي : [[﴿ ٱلنَّبِيّ ﴾ ،، ﴿ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ ،، ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾]] ، إسقاطها التاريخي في الجيل الأوَّل هو إسقاطٌ معلوم بمحمّد ﷺ وبالرجال المهاجرين إلى المدينة وبالمناصرين لهم من أهل المدينة .. أمَّا الدلالات المطلقة لهذه العبارة القرآنيّة في كلِّ زمانٍ ومكان فهي واسعة لتشمل مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة ومن يهاجر (معنويّاً وماديّاً) في سبيله ومن ينصره معنويّاً وماديّاً ..

٦ – العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ، تبيّن حيثيّات العمل الذي قام به من يتمثّل المبدأ ﴿ ٱلنَّبِيِّ ﴾ بنسبة خلاصه ونقائه وطهارته ، وذلك في اتّباعه لله تعالى ، وكذلك من يتمثّل الصفتين ﴿ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ في اتّباعه لله تعالى ، في كلِّ زمانٍ ومكان ..

٧ – العبارة القرآنيّة ﴿ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ ، تُحدِّد دائرة اتّباع هذه العناصر الثلاثة لله تعالى ، فاتّباع هذه العناصر الثلاثة لله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ والذي أدّى إلى توبة الله تعالى عليهم ، هو ﴿ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ .. فما هي ﴿ سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ ؟ ..

.. العسر هو الأمر الصعب الذي تُسَدُّ فيه الأبواب أمام مخرجٍ لهذا الأمر العسير ..

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٨٠]

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٦]

﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ تعني في الساعة التي ضاقت فيها الأمور ، وسُدَّت بها أبواب الخروج من الموقف العسير الذي كانت به هذه العناصر الثلاثة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ .. فهذه العبارة تُبيّن الموقف الذي كانت فيه هذه العناصر الثلاثة ..

٨ – العبارة القرآنيّة ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ ، تبيّن ما وصل إليه بعض أفراد هذه العناصر الثلاثة .. وكلمة ﴿ كَادَ ﴾ ، تبيّن أنَّ هؤلاء قاربت قلوبهم الزيغ ، ولكنّها لم تزغ ..

٩ – العبارة القرآنيّة ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ، تبيّن لنا توبةً أخرى ، بعد التوبة الأولى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ .. فالتوبة الأولى كانت نتيجة أنَّهم ﴿ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ .. والتوبة الثانية كانت نتيجة أنَّ الله تعالى ﴿ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ..

وتأتي الآية الثانية ..

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨]

.. وفي هذه الآية الكريمة نرى الأمور التالية ..

١ – العبارة ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ، معطوفة على العبارة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ ، بمعنى : وتاب الله تعالى على الثلاثة الذين خُلِّفوا ..

٢ – كلمة ﴿ ٱلثَّلَٰثَةِ ﴾ نراها معرّفة بأل التعريف ، وهذا له دلالته في كتاب الله تعالى ، فورود هذه الكلمة معرّفةً بأل التعريف يعني أنَّ هؤلاء الثلاثة ورد في كتاب الله تعالى ما يتعلَّقون به .. ولتقريب المسألة إلى أذهاننا لنأخذ المثال التالي ..

.. يذكر لنا كتاب الله تعالى أنَّ أبا إبراهيم عليه السلام (وهو عمّه وليس والده كما بيّنت في كتبي) هو ﴿ ءَازَرَ ﴾ ، وذلك في أوَّل نصٍّ في كتاب الله تعالى تُذكر فيه كلمة ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ المتعلّقة بإبراهيم عليه السلام ، وهذا النصُّ هو في سورة الأنعام ..

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤]

.. بعد هذا النصِّ في سورة الأنعام والذي يبيّن أنَّ أبا إبراهيم عليه السلام (عمّه) هو ﴿ ءَازَرَ ﴾ ، تأتي النصوص القرآنيّة المصوِّرة لما قاله إبراهيم عليه السلام ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ دون ذكر اسم ﴿ ءَازَرَ ﴾ ، فكلمة ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ في هذه النصوص تعني ﴿ ءَازَرَ ﴾ كونها تأتي بعد النصِّ القرآني في سورة الأنعام والذي يبيّن لنا أنَّ أبا إبراهيم عليه السلام المعني هو ﴿ ءَازَرَ ﴾ ..

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤]

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٤١ – ٤٢]

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ – ٥٢]

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ – ٧٠]

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾ [الصافات : ٨٣ – ٨٥]

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦]

﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤]

.. فالقرآن الكريم يُفسِّرُ بعضُه بعضاً ، ودلالات عباراته متكاملة في تصوير الدلالات والأحكام التي يحملها ..

ولنأخذ مثالاً آخر هو مسألة حوت موسى عليه السلام وفتاه في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴾ [الكهف : ٦٠ – ٦٣]

فالقرآن الكريم في أول ذكر للحوت الذي كان مع موسى عليه السلام وفتاه أورده بتعريف الإضافة ﴿ حُوتَهُمَا ﴾ ، وبعد ذلك أورده معرّفاً بأل التعريف ، لأنَّه أصبح معروفاً في كتاب الله تعالى ﴿ ٱلۡحُوتَ ﴾ ..

.. ولذلك فحوت يونس عليه السلام جاء معرّفاً بأل التعريف ..

﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾ [الصافات : ١٤٢]

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ [القلم : ٤٨]

وقد بيّنت في الفصل الأوَّل من النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) أن حوت يونس عليه السلام لا يختلف (من حيث المهمّة على الأقل) عن حوت موسى عليه السلام ..

.. إذاً .. ورود كلمة ﴿ ٱلثَّلَٰثَةِ ﴾ معرّفة بأل التعريف دليلٌ على أنَّ الثلاثة المعنيّين في هذا النصِّ الكريم جرى لهم تعلُّق في كتاب الله تعالى ..

٣ – هؤلاء ﴿ **ٱلثَّلَٰثَةِ** ﴾ صفتهم هي ﴿ **ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ** ﴾ .. ونرى أمرين في كلمة ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ :

أ – ترد بصيغة المبني للمجهول ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ ..

ب – لا يُوجَد في ظاهر صياغتها ما يبيّن عن ماذا ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ ..

.. إنَّ ورود كلمة ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ بصيغة المبني للمجهول يفيد أنَّ هؤلاء الثلاثة إنّما خُلِّفوا ليس باختيارهم من جهة ، دون أن يعني ذلك براءتهم في التخلّف عن الأمر المعني من جهةٍ أُخرى .. فصيغة المبني للمجهول مع دلالات العبارات التالية تُبيِّن أنَّ الإرادة عندهم لم تكن كما يجب في عدم التخلّف المعني ، مع وُجود عوامل خارجية أوصلتهم إلى الحالة ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ ..

.. وعدم ورود ما يدلّ في صياغة كلمة ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ على الأمر الذي خُلِّفوا عنه ، مع ورود هذه الكلمة بهذه الصيغة ، مع ورود كلمة ﴿ **ٱلثَّلَٰثَةِ** ﴾ معرّفةً بأل التعريف ، كلُّ

ذلك يدفعنا إلى العودة إلى السياق السابق لهذه العبارة القرآنيّة ، لنقرأ منه الأمر المتعلّق بما خُلّفوا عنه ..

٤ – رأينا في السياق السابق لهذه العبارة القرآنيّة ، في الآية السابقة ، أنّنا أمام ثلاثة عناصر .. هي : ﴿ **ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ** ﴾ ..

.. وكنّا قد بيّنا أنَّ كلمة ﴿ **ٱلنَّبِيِّ** ﴾ تعني مبدأ الخلاص والنقاء والطهارة .. وأنَّ كلمة ﴿ **وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ** ﴾ تعني من يهاجر (معنويّاً ومادّيّاً) في سبيل هذا المبدأ .. وأنَّ كلمة ﴿ **وَٱلْأَنصَارِ** ﴾ تعني من ينصر (معنويّاً ومادّيّاً) هذا المبدأ ..

.. وهذه العناصر الثلاثة بإسقاطاها المجرّدة عن التاريخ في كلِّ زمانٍ ومكان ، إنّما اختار متّبعو الله تعالى عبرها اتّباعهم هذا بإرادهم واختيارهم ﴿ **لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ** ﴾ ..

هذه العناصر الثلاثة ، هناك من لا ينتمي إلى أيٍّ منها مع كونه مؤمناً ويجب عليه الانتماء إلى عنصرٍ من عناصرها ، وذلك لاجتماع ضعفٍ في إرادته مع عوامل خارجيّة ، ممّا أدّى إلى جعله متخلّفاً عن الانتماء إلى أيِّ عنصرٍ منها ..

من هنا ندرك الرابط الذي يربط العبارة القرآنيّة ﴿ **وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ** ﴾ مع الآية السابقة لها مباشرة .. فهؤلاء الثلاثة الذين خُلّفوا هم مجموعة المؤمنين الذين يتوجّب عليهم الانتماء إلى العناصر الثلاثة السابقة ، ولكنّهم لم ينتموا لأيٍّ منها نتيجة مزاوجة بين إرادهم وبين عوامل خارجيّة منعتهم عن ذلك ، وهذا ما رأيناه بورود كلمة ﴿ **خُلِّفُواْ** ﴾ بصيغة المبني للمجهول ..

٥ – هؤلاء الذين خُلّفوا هم من جملة المؤمنين ، وضميرهم حي .. لذلك استيقظ ضميرهُم الحيّ وأدركوا ضعف إرادهم وتقصيرهم في الالتحاق بأيِّ عنصر من هذه

العناصر الثلاثة ، وبدأ ضميرهم الحي يتفاعل مع هذه الحالة حتى وصل بهم الأمر إلى حالة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ ..

٦ – كلمة ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ والتي تربط بين العبارة القرآنيّة ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ مع العبارة القرآنيّة ﴿ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ ، تبيّن تفاعل توبة الله تعالى عليهم تفاعلاً موازياً لتفاعل أنفسهم وندمهم بما قصّروا به من عدم انتمائهم إلى هذه العناصر الثلاثة ..

٧ – في هذا السياق لا بدَّ من الوقوف عند مفهوم التوبة في كتاب الله تعالى .....

التوبة في كتاب الله تعالى تعني العودة عن الأمر موضوع التوبة ..

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٥٤]

﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٩]

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ [التوبة : ٧٤]

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٦]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١]

.. والتوبة بمعنى العودة عن السوء ، لا بدَّ أن تكون مسبوقةً بعمل السيئات ..

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧]

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٩]

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٣]

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١١٩]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور : ٤ – ٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [البروج : ١٠]

.. ولذلك فإنَّ التوبة تُسْبَقُ باستغفار الله تعالى ..

﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ [هود : ٣]

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢]

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [هود : ٦١]

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود : ٩٠]

.. والتوبة تُتْبَعُ بالعمل الصالح ..

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٠]

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٨٩]

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٦]

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ١٤٦]

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٩]

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ٥]

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة : ١١]

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم : ٦٠]

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢]

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقان : ٧٠ – ٧١]

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص : ٦٧]

.. والتوبة تكون مسبوقةً ببيان الله تعالى لصراطها ..

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨]

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦]

وهذا المعنى للتوبة بأنّها تُسْبَقُ ببيان الله تعالى لصراطها ، نستشفّه من قوله تعالى ..

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧]

.. والتمادي في الكفر والعصيان والتردّد بين الكفر والإيمان والذي ينتهي بالكفر ، يؤدي إلى عدم المغفرة وإلى عدم نيل هداية الله تعالى ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٣٧]

.. وعدم الالتزام بهداية الله تعالى وصراطه المستقيم متعلّقٌ بعدم الإيمان ، وبالتالي بالانغماس في الكفر والضلال ، وهذا يؤدّي إلى عدم قبول التوبة ، كون التوبة — كما رأينا — تكون مسبوقةً ببيان الله تعالى لصراطها ، وتعني العودة عن موضوع التوبة إيماناً والتزاماً بهدى الله تعالى وببيانه لها ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٠]

.. وهكذا فالتوبة هي عملٌ يعود به الإنسان إلى الله تعالى ، وهذا العمل يكون عبر اتّباع أحكام الله تعالى التي يبيّنها من أجل تلك العودة ..

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ تبيّن لنا أنَّ حكم الله تعالى المبيّن في هذه الآية الكريمة لمن يقتل مؤمناً ، هو تبيانه لسلوك التوبة التي يعود فيها التائب إلى الله تعالى ..

ولمَّا كانت التوبةُ مسبوقةً بتبيان الله تعالى لصراطها (كما نرى) ، ولمّا كانت أحكام الله تعالى تحمل مُرادَه جلَّ وعلا ، فإنَّ التائب هو سالكٌ لمراد الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٧] ، وبالتالي فقبول الله تعالى لتوبة التائب هو قبولٌ منه ، وهو في الوقت ذاته قبولٌ عنه ، لأنَّ التائب بسلوكه للتوبة إلى الله تعالى إنّما وضع نفسه في ساحة العاملين بمراد الله تعالى ، وأصبح محسوباً على الملتزمين بمنهج الله تعالى ، ووليُّه في ذلك هو الله تعالى ..

فبسلوكه منهج الله تعالى أصبح من عباد الله تعالى ، ووليّه الله تعالى ، ولذلك يقبل الله تعالى هذه التوبة عنه كونه دخل في عباد الله تعالى ، ووليّه بذلك هو الله تعالى ..

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٤]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٢٥]

.. ولذلك ليس من المصادفة أنْ نرى كلمة ﴿ عِبَادِهِۦ ﴾ خلف العبارتين القرآنيّتين المصوّرتين لقبول الله تعالى التوبة عن التائب [[﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ،، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾]] ..

.. ممّا سبق نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ، التي تربط العبارة القرآنيّة ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ مع العبارة القرآنيّة ﴿ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ ... فتوبة الله تعالى على هذه العناصر الثلاثة التي خُلِّفَت بما تعنيه من تدرّج قبول الله تعالى لندمهم واستيقاظ ضمائرهم ﴿ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ ، هذه التوبة هي في الوقت ذاته سبب إحياء هذه الضمائر وإشعال الندم في نفوسهم ..

.. فمراد الله تعالى لتوبة الإنسان ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٧] هو ما تركهم دون عقاب فسحاً لِما أحيى ضمائرهم ولِما تدرّج بها ، حتى وصلوا للحالة ﴿ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ ..

.. فاكتمال هذه التوبة عليهم هو أن وفّق الله تعالى قلوبهم وتداركها حتى لا تزيغ ، فاسحاً لهم إمكانية الرجوع ، عبر إحياء ضمائرهم وإشعال الندم في نفوسهم .. فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ تبيّن إدراكهم لتقصيرهم فيما تخلّفوا عنه

، وكلٌّ ذلك يدخل ضمن إطار التوبة الأولى عليهم ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ..
فهذه التوبة الأولى ساحتها الخروج من حالة التقصير التي خُلِّفوا بها ..

٨ – في العبارة القرآنيّة ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ نرى أنَّ كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ تبيّن تراخياً في الأمر بين التوبة الأولى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ، والتوبة الثانية : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ ..

فاكتمال توبة الله تعالى الأولى عليهم ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ، والتي أخرجتهم من الحالة التي هم فيها ، جاءت بعدها توبةٌ منه جلَّ وعلا ، حاملها البيان والتوفيق لسبيل عودهم إلى أن يسموا بالقرب من الله تعالى ، وأن يكون حالهم بعد التوبة الثانية مشابهاً لحال العناصر الثلاثة في الآية السابقة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ بعد التوبة الأولى ..

.. والعبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تبيّن سبب التوبة الثانية عليهم ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ ..

٩ – ما بين الآيتين السابقتين نرى تقابلاً ..

أ – العناصر الثلاثة في الآية الأولى تاب الله تعالى عليها توبتين ..

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ..

توبة ناتجة عن صبرهم واتّباعهم لله تعالى في ساعة العسرة ، وتوبة لرفعهم درجات على سلّم القربى من الله تعالى ..

.. والعناصر الثلاثة الذين خُلِّفوا عن الالتحاق بهذه العناصر أيضاً تاب الله تعالى عليهم توبتين ..

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

توبة ناتجة عن ندمهم وما في ضمائرهم من حياة ، تُزيل عنهم الإثم الذي وقعوا به ، وتوبة تقرّبهم إلى الله تعالى إلى درجة ليعودوا فيكونوا فيها بمستوى العناصر الثلاثة في الآية الأولى بعد التوبة الأولى عليهم ..

.. ففي الآية الأولى نرى أنَّ توبة الله تعالى على العناصر الثلاثة كانت نتيجة اتّباعهم له في ساعة العسرة ، أي نتيجة عمل وليست مسبوقة بتقصير أو عمل سوء ، وتوبته الثانية عليهم ليس ليتوبوا كحال الذين خُلِّفوا في الآية الثانية ، لأنَّهم في الأصل لم يقصّروا وقاموا بواجبهم في اتّباع الله تعالى ..

بينما في الآية الثانية رأينا أنَّ التوبة الأولى على الذين خُلِّفوا من العناصر الثلاثة في الآية الأولى كانت إيقاظاً لضمائرهم وإشعالاً للندم في نفوسهم ، بعد تقصيرهم وعدم قيامهم بما يجب أن يقوموا به ، وتوبته الثانية عليهم كانت منّاً من الله تعالى عليهم ليعودوا إلى الله تعالى كحال العناصر الثلاثة في الآية الأولى في توبة الله تعالى الأولى عليهم ..

ب – في الحالتين ، نرى تراخياً بين التوبة الأولى والتوبة الثانية ، فورود كلمة ﴿ **ثُمَّ** ﴾ بين التوبتين نراه في الحالتين .. وفي الحالتين نرى أنَّ التوبة الثانية هي مَنٌّ من الله تعالى ، ففي الآية الأولى سبب هذا المنُّ هو ﴿ **إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ** ﴾ .. وفي الآية الثانية سبب هذا المنُّ هو ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ ..

.. وما بين دلالات هاتين العبارتين [[﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ،، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾]] نتلمَّس – إضافة لدلالات هاتين الآيتين الكريمتين – الفارق بين العناصر الثلاثة في الآية الأولى : ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ ، وبين العناصر الثلاثة الذين خُلّفوا عنهم في الآية الثانية : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ..

ففي العبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ نرى أنَّ رحمة الله تعالى هنا خاصّة بهم كونهم متَّبعين لله تعالى ، وكلمة ﴿ بِهِمۡ ﴾ جلية في ذلك .. وهذا يدلّ على رفعة هذه العناصر وقربها من الله تعالى ..

أمّا في العبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فنرى توبة الله تعالى ورحمته عامّة وليست خاصّة بهم ، فهؤلاء الذين خُلِّفوا استفادوا في توبة الله تعالى الثانية عليهم من صفتي الله تعالى ﴿ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وهما صفتان للجميع وليستا خاصّتين بهم ..

.. من كلِّ ما سبق ندرك أنَّ العناصر الثلاثة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ أعلى من العناصر الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ .. ونرى أنَّ العناصر الثلاثة الذين خُلِّفوا بعد توبة الله تعالى الثانية عليهم ، أصبحوا بحال العناصر الثلاثة في الآية الأولى بعد توبة الله تعالى الأولى عليهم ..

١٠ – .. إذاً .. نحن أمام ستة عناصر .. العناصر الثلاثة ﴿ ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ .. والعناصر الثلاثة الذين خُلِّفوا عن اللحاق بها ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ ..

.. وهذه العناصر الستّة بإطلاق دلالاتها وتجريدها عن الإسقاط التاريخي في الجيل الأوَّل ، تُمَثِّل : ثلاثة عناصر : عنصر الخلاص والنقاء والطهارة في كلِّ زمانٍ ومكان ،

وعنصر الهجرة عن الباطل إيماناً بالخلاص والنقاء والطهارة في كلِّ زمانٍ ومكان ، وعنصر نصرة هذا النقاء والخلاص والطهارة في كلِّ زمانٍ ومكان ..... وتمثّل أيضاً : ثلاثة عناصر أُخرى ، خُلِّفت عن الالتحاق بهذه العناصر الثلاثة في كلِّ زمانٍ ومكان ، كما بيّنا ..

.. وتأتي الآية التالية مباشرة لتصوِّر أحكاماً مطلقة لا يمكن حصرها في جيلٍ أو مكانٍ أو زمان ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

وهذه الدعوة العامّة ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ هي خطابٌ مباشر من الله تعالى لكي يتّقيه المؤمنون بصدق ، وبالتالي لكي يتّبعوه ، وبالتالي ليكونوا من العناصر الثلاثة الأولى ..

.. وتأتي الآيتان التاليتان مباشرة في بيانٍ يحض المؤمنين لكي يكونوا من العناصر الثلاثة الأولى ..

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٠ – ١٢١]

.. ونرى في هاتين الآيتين :

١ – في العبارات القرآنيّة ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ** ﴾ ، لا بدَّ من تعريف كلمة ﴿ **ٱلْمَدِينَةِ** ﴾ وكلمة ﴿ **ٱلْأَعْرَابِ** ﴾ ..

.. بيّنت في كتبي أنَّ كلمة ﴿ **ٱلْمَدِينَةِ** ﴾ في كتاب الله تعالى تعني الجانب المادّي الحضاري للتجمعات البشريّة ، وأنَّ كلمة ﴿ **ٱلْقَرْيَةَ** ﴾ في كتاب الله تعالى تعني الجانب الفكري والعقائدي والاجتماعي لهذه التجمعات ..

وبيّنت أنَّ كلمة ﴿ **ٱلْأَعْرَابِ** ﴾ في كتاب الله تعالى تعني الذين يزعمون الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص مع أنَّهم نقيض ذلك ، وبيّنت أنَّ كلمة ﴿ **ٱلْأَعْرَابِ** ﴾ لا تعني سكان البادية كما تذهب تفاسيرنا الموروثة ..

والتفسير التاريخي بحصر عبارة ﴿ **لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ** ﴾ بأهل المدينة المنوَّرة تاريخيّاً أيّام النبيّ ﷺ ، هو تفسير لا يتجاوز الأحداث التاريخيّة الخاصّة بالجيل الأوَّل دون غيره من الأجيال اللاحقة ، ونحن لا ننكر أنَّ المدينة المنوَّرة كتفسير تاريخي معنيّة بهذه العبارة القرآنيّة .. ولكن .. هذا تفسير تاريخي ، والأولى بتفسير كتاب الله تعالى هو التفسير المجرَّد عن التاريخ والمبني على الصياغة اللغويّة لكتاب الله تعالى ..

والتفسير التاريخي بحصر دلالات كلمة ﴿ **ٱلْأَعْرَابِ** ﴾ بسكان البادية ، هو أيضاً تفسيرٌ مبنيٌّ على تصوّرات تاريخيّة لا تتجاوز مفاهيم تاريخيّة ، هي في أصلها ليست سليمة ، فليس من المعقول أن يصف الله تعالى مجتمعاً ما بأنَّه أشدّ كفراً ونفاقاً : ﴿ **ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٩٧] ، وذلك بسبب حالته الإقليميّة والوظيفيّة ..

٢ – وفق النظر إلى كتاب الله تعالى على أنَّه فوق التاريخ والزمان والمكان ، فإنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ تعني أنَّه لا يجوز لمن يملكون الأدوات المادّية والحضارية والتي تمكّنهم من نصرة المنهج واتّباعه ، ومن حولهم من الذين يزعمون الإيمان والكمال والتمام ، لا يجوز لهم أن يتخلَّفوا عن منهج الله تعالى ونصرته ، ولا يجوز لهم أن يضعوا مصالحهم الدنيويّة فوق منهج الله تعالى ..

.. ولذلك ترد العبارة القرآنيّة ﴿ رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ بصيغة الرسالة من الجذر (ر ، س ، ل) ، دون أيِّ صياغة أُخرى .. فهذه الصيغة – كما نعلم – تتعلّق بمنهج الله تعالى ..

فاتّباع الله تعالى في العبارة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ ، تنوب عنه في هذه الآية الكريمة العبارة ﴿ رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ .. فهذه الصيغة ﴿ رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ بدلالاتها المجرَّدة عن التاريخ ، تعني منهج الله تعالى .. صحيح أنَّها تعني في الجيل الأوَّل محمّداً ﷺ ، كونه ﷺ كان حاملاً ومبلِّغاً لمنهج الله تعالى في الجيل الأوَّل ، ولكنَّها كدلالة مجرَّدة عن التاريخ تعني منهجَ الله تعالى .. والآية الكريمة التالية بدلالاتها المجرَّدة عن التاريخ والتي تُخاطب السامع في كلِّ زمانٍ ومكان تؤكِّد ذلك ..

﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران : ١٠١]

.. والآية الكريمة التالية بدلالاتها المجرَّدة عن التاريخ تؤكِّد ذلك ..

﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥]

٣ – بقيّة العبارات القرآنيّة ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ تبيّن عطاء الله تعالى لهم في حال اتّبعوا منهجه : ﴿ **رَّسُولِ ٱللَّهِ** ﴾ و لم يتخلَّفوا عنه ، ودلالاتها واضحة وبيّنة ..... ونحن في هذا السياق نُلقي الضوء على الدلالات المطلقة لهذا النصِّ الكريم فوق التاريخ والزمان والمكان ..

.. المشكلة في الموروث التفسيري ، وحتى في الفكر المحسوب على الإسلام ، أنّه لا ينظر ولا يستطيع النظر إلى كتاب الله تعالى إلاَّ من منظار روايات فُصِّلت ووُضِعت على قدر ثقافة بعض السابقين وفكرهم ، وكأنَّ كتاب الله تعالى لا يحمل من الدلالات إلاَّ للجيل الأوَّل ، وما علينا – كأجيال لاحقة – إلاَّ إسقاط الدلالات الخاصّة بالجيل الأوَّل – حسب زعمهم – على حياتنا ، بمعنى أنَّ منهج الله تعالى الذي يريده لعباده – كما يتخيّلون – لا يتجاوز جزئيّات الأحداث التاريخيّة للجيل الأوَّل ..

.. هذه الثقافة التي تعتبر دلالات كتاب الله تعالى تحت عباءات بعض السابقين ، والتي تتاجر بمفهوم السلف (في الجانبين السنّي والشيعي على حدٍّ سواء) ، تتناقض مع الكثير من آيات كتاب الله تعالى التي تدعو لتدبّر آياته الكريمة ولتعقّلها ، وبالتالي فهذه الثقافة هي سبب ابتعاد الأجيال المتلاحقة عن إدراك الدلالات الحقّ لكتاب الله تعالى ، وهي سبب تخلّف الأمّة ، وهي سبب بقائها غارقة في مستنقعات العصبيّات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ..

المهندس عدنان الرفاعي

الفهرس